



جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
قسم التاريخ



محمد بن عبد الكريم الخطابي ودوره في تحرير أقطار المغرب العربي
(تونس- الجزائر- المغرب الأقصى)

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه (ل م د) تخصص تاريخ المغرب العربي
الحديث والمعاصر

إشراف:

الأستاذ الدكتور / مبخوت بودواية

إعداد الطلب:

أكرم بوجمعة

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيساً	تلمسان	أستاذ محاضر (أ)	د. العايب معمر
مشرفاً ومقراً	تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. مبخوت بودواية
مناقشاً	تلمسان	أستاذ محاضر (أ)	د. بوجلة عبد المجيد
مناقشاً	وهران (2)	أستاذ التعليم العالي	أ.د. دادة محمد
مناقشاً	سيدي بلعباس	أستاذ محاضر (أ)	د. صحراوي عبد القادر
مناقشاً	وهران (2)	أستاذ محاضر (أ)	د. آيت حبوش حميد

السنة الجامعية: 2016-2017

A graphic of a scroll with a light gray background and a dark gray border. The scroll is partially unrolled, with the top and bottom edges curving inward. The text is written in a bold, black, stylized Arabic calligraphic font. The text is centered on the scroll and reads:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محمد بن عبد الكريم الخطابي ودوره في تحرير أقطار المغرب العربي
(تونس - الجزائر - المغرب الأقصى)

كلمة شكر وعرفان

لقد منى الله عليا بأن خصني بالدعم والإسناد لم أكن بدونه لأنجز هذه الدراسة بالشكل الذي انتهيت إليه ومن هنا نازعتني نفسي على أن أجهر بمشاعر جياشة بحثت طويلا عن المفردات للتعبير فيها عن امتناني وشكري وتقديري لكل الذين كانوا لي عوناً وسندا في الفترة التي استغرقت مني لإنجاز هذه الرسالة، وسأخص بالذكر هنا :

- المشرف الأستاذ الدكتور مبخوت بدواية على ما قدمه لي من توجيهات ونصائح ومتابعة خطوات البحث الى نهايته .
- الدكتور عبد الله مقلاتي الذي أمد لي يد العون في كل ما احتاجه طيلة مشواري الدراسي.
- إلى الدكتور قدور الوهراني والدكتورة نعيمة رحمانى اللذان كانا عوناً وسندا لإنجاز هذه الأطروحة .
- كما اوجه جزيل الشكر الى الدكاترة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على جهودهم في قراءة هذه الرسالة وعلى ملاحظاتهم وتوجيهاتهم القيمة .
- الى كل زملائي وأصدقائي على طوال مشواري الدراسي .
- الى كل من ساعدني في انجاز هذه الرسالة من قريب أو من بعيد.

شكراً جزيلاً

الإهداء

- إلى من ربياني منذ أن كنت صغيرا وافنيا عمرهما من اجل إنارة دربي ولم يبخلوا علي يوما بشيء فيه مصلحتي، جدي (رحمه الله وأسكنه فسيح جناته) وجدتي (أطال الله عمرها).
 - إلى من أوصاني بهما ربي برا وإحسان، إلى أعلى ما املك في الوجود إلى نبع الحياة وقرّة عيني أُمي الغالية.
 - وإلى من اهتم كثيرا بمشواري الدراسي وفرح لفرحتي وترقب طويلا تخرجي إلى من تعب لارتاح و هبئ لي أسباب النجاح والدي العزيز .
 - إلى أحب خلق الله لي إخوتي واخواني .
 - إلى الأسرة التي تربيته فيها أخوالي وخالاتي الذين كانوا لي سندا في هذه الحياة.
 - إلى جدي المجاهد وجدتي (رحمها الله وأسكنها فسيح جناته).
 - إلى كافة الأهل والاقارب.
 - إلى أصدقائي الذين كانوا نعم الإخوان وأخص بالذكر عبدالله كزاز.
- إلى كل هؤلاء أهدي ثمره هذا العمل المتواضع

أكرم بوجمعة

تركيا 2016/02/05 .

قائمة المختصرات

أولا: باللغة العربية

ج: الجزء

د.م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع

ش.و.ن.إ: الشركة الوطنية للنشر و الإشهار

ط: الطبعة

ع: العدد

م: التاريخ الميلادي

هـ: التاريخ الهجري

م.ت.د.م: المجلة التاريخية للدراسات المغربية

م.ت.م: المجلة التاريخية المغربية

م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب

م.ج.ط: المؤسسة الجزائرية للطباعة

ثانيا : باللغة الفرنسية

A.N.E.P: Entreprise Nationale De Communication d'édition et de publicité.

C.R.A.S.C : Centre Nationale de Recherche en Anthropologie sociale et Culturelle.

E.D : Édition.

O.P.U : Office des Publication universitaires .

P.U.F : Presse Universitaire de France .

T : Tome .

VOL : Volume .

PUB: Pubiler .

Édit : Éditeur .



مقدمة

مقدمة :

إن النضال القائم اليوم بين الشرق والغرب ليس حديث العهد في التاريخ، وليس المطامع الاستعمارية التي ترنوا بها الأمم الغربية على الشعوب الشرقية هي بنت بضع سنوات، ولكن الذين ترقبوا مجرى التاريخ يجدون أن هذه النزعة ترجع الى ما قبل التاريخ المدون، أساسها التنازع المتواصل بين الغرب والشرق على السيادة والتجارة، منها حروب الفرس والرومان، وحملات الفرنجة والعرب، وصراع الدول أوربا الحديثة مع الدول الشرق عامة والدولة العثمانية، ماهي إلا حلقات من سلسلة واحدة في ذلك النضال والتضحيات القديمة التي عرفتها شواطئ البحر الأبيض المتوسط .

ومن هذه النضالات نذكر منها نضال الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي في وجه الاستعمار بمختلف أشكاله وألوانه طيلة فترة حياته بهدف تحرير أقطار المغرب العربي على وجه الخصوص، ورفع الغبن عن شعوب العالم على وجه العموم، ولهذا عد الامير عبد الكريم الخطابي نموذج حي من أعلى وأبهى وأكرم النماذج في البطولات الإسلامية الخالدة، نموذج ينطلق محلقا في أعالي الأفاق ترتفع إليه مثليات الأخلاق والبطولات الإيمان والفداء، والأبطال المسلمين يأتون دائما كالمعجزات يأتون حينما يخيل للعالم أن كل شيء قد خمد وهمل، حينما يظن الذين لا يرجون لقاء الله أن كل شيء قد انتهى.

وهكذا خيل للمستعمر الأجنبي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين أنه قد خلى لهم الجو لينكبوا على البلدان المغرب العربي، الذي قد حان حينه وحان وقت قطافه وحصاده، من فرض سياسات تعسفية قمعية ببلدان شمال إفريقيا من قتل وتعذيب واستغلال ونهب وهتك للأعراض... الخ، فبذلك أن القوة العسكرية المدرعة الرهيبة المنتصر التي يملكها الاستعمار الأجنبي تستعرض عضلتها وسلطتها وتدمر كل من يحاول أن يرفع رأسه حيالها، وأصبح المغرب العربي في حيرة مستسلمين فقدوا كل شيء فيه نبضة القوة، سلبهم الاستعمار قواهم وأرزاقهم وجردهم بكل ما يملكون حتى من أمل التفكير في مصيرهم، ومن

ذروة اليأس، ومن قلب الظلمات، برق برقاً، وبزغ النجم، واستمعت الدنيا الى نبأ عظيم بقدم بطل جديد من رحم العالم الإسلامي الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي.

ولم تكن وثبة الامير عبد الكريم الخطابي وثبة من وثبات المغامرين العسكريين ولا غضبة من غاضبات السياسيين المحترفين، ولا انطلاقة من انطلاقات العصبية القبلية، إنما كان عبد الكريم الخطابي نقطة انطلاق تاريخي، من تلك الانطلاقات البطولية الكامنة في أعماق الروح الإسلامية الخالدة، قاد على إثرها الامير مسيرة النضال ضد الوجود الاستعماري ببلدان المغرب العربي، وكانت بدايتها الأولى بحرب الريف في الفترة الممتدة من 1921 الى 1926، قبل أن يضطر أمام التحالف الدولي الامبريالي -الفرنسي و الاسباني- الى الانسحاب من الميدان وتسليم نفسه الى القوات الفرنسية، الذين نفوه الى جزيرة لارنيون في المحيط الهندي بهدف عزله عن شعوب أقطار المغرب العربي، لكن هذا لم يثني من عزمته في مواصلة كفاحه ضد الوجود الاستعماري ببلدان شمال إفريقيا كموجها وناصحا للشعوب المغلوبة على أمرها .

في خضم التحولات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية رأت الحكومة الفرنسية بضرورة نقل الامير من منفاه الى مرسيليا بهدف استخدامه كوسيلة ضغط ضد ملك المغربي، لكن بفضل نباهة الامير عبد الكريم الخطابي أدرك لنوايا القوات الفرنسية، وأثناء مروره عبر قناة السويس هيئ له الوطنيون المغاربة ظروف النزول في مصر، لتبدأ مرحلة جديدة من مسيرة الكفاح التي قادها الامير عبد الكريم الخطابي ضد الاستعمار الامبريالي خلال الفترة الممتدة من 1947 الى غاية 1963 .

ومنه إن الاقتناع بوجود استمرارية في تاريخ المغرب والعلاقات التاريخية المغاربية والماضي المشترك لفكرة العمل الوحدوي حتما علينا قراءة جديدة من تجارب الوحدة وتحديد أفق العلاقات ونتائجها التي استثمرتها بطبيعة الحال بلدان المغرب العربي في التأكيد على وحدة الكفاح المشترك والحلول الشمولية لقضايا المغرب العربي (تونس، الجزائر، المغرب)،

في إطار موحد قد أفادها التمسك بالمشروع الوحدوي لدى محمد بن عبد الكريم الخطابي في بناء علاقات وطيدة مع مختلف الفعاليات السياسية والشعبية وفق المخطط الذي وضعه عبد الكريم الخطابي، الذي لعب دورا بارزا في ربط أقطار المغرب العربي سياسيا من تفعيل مكتب المغرب العربي، وتأسيس للجنة تحرير المغرب العربي، وعسكريا والمتمثلة في ثورة الريف وجيش تحرير المغرب العربي، وشعبيا والمتمثلة في النداءات التي قدمها لأبناء شمال إفريقيا .

- دواعي اختيار الموضوع :

إن دواعي إختيار لموضوع الامير عبد الكريم الخطابي ودوره في تحرير أقطار المغرب العربي :

- تأتي أهمية الموضوع متوافقة مع ما تعيشه امتنا العربية اليوم والمغاربة خاصة من اضطرابات شملت كل مناحي الحياة، الأمر الذي بدوره انعكس على روح شبابها محبطا إيه ومثبطا للهمم، وبعد ان فقد القدوة والمثال الذي يحتذي به، لذا حاولنا استحضار روح احد أعلام الوطنية المغاربية، وهو الامير عبد الكريم الخطابي، ناهيك عن ما يمكن ان يحققه هذا العمل من تقرب واجتذاب إخواننا المغاربة .
- تصحيح الكثير من المغالطات التاريخية والتهم التي ألصقت بالأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، خصوصا لدى المؤرخين المغربيين المعاصرين.
- محاولة الكشف عن جانب مهم في دور الامير عبد الكريم الخطابي من تحرير أقطار المغرب العربي، وذلك بتأسيس المنتديات النضالية والثورية، المتمثلة في مكتب المغرب العربي وللجنة تحرير المغرب العربي .
- ندرة الأعلام الجادة التي تناولت دور الخطابي في بلدان المغرب العربي .
- محاولة إبراز أهم المشاريع الوحدوية ومدى نجاحها على ارض الواقع .

- إثراء لكتابة تاريخ المغرب العربي، خصوصا بعد إرجاع الشرعية النضالية للأمير عبد الكريم الخطابي بالمغرب الأقصى

- إشكاليات البحث:

تضمنت إشكالية دراستنا سؤالاً جوهرياً مفاده؛

ما هو الدور الذي لعبه الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي من أجل تحرير أقطار المغرب العربي، وخصوصاً في تونس، الجزائر والمغرب الأقصى.

وقد انبثقت عن هذا السؤال عدة تساؤلات ساهمت في تحديد أبعاد الموضوع وإثرائه. وقد حاولنا من خلالها معرفة؛

- من هو محمد بن عبد الكريم الخطابي؟ وما إسهاماته في تحرير أقطار المغرب العربي (تونس، الجزائر، المغرب) ؟

- كيف ساهمت ثورة الريف في تفعيل العمل الكفاح المغاربي المشترك ؟ وما هي أبرز مظاهره ؟

- ما دور الذي لعبه الامير عبد الكريم الخطابي في مكتب المغرب العربي ؟ وهل كانت له إسهامات فعلية بها ؟

- ما دور الخطابي في تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي ومدى إسهاماته على بلدان المغاربية ؟

- ما هو دور الامير في تأسيس جيش تحرير المغرب العربي ؟ وهل طبق على ارض الواقع أم بقيا حبرا على ورق ؟

- ما موقف الخطابي من استقلال كلا من تونس و المغرب ؟

- ما مدى مساهمات الامير عبد الكريم الخطابي في القضية الجزائرية ؟

- هل كان بالفعل للخطابي دور بارز في تحرير أقطار المغرب العربي ؟

- مناهج البحث:

للإجابة عن الإشكاليات المطروحة من أجل التوصل الى حقائق تاريخية، اتبعت المناهج العلمية المعروفة في حقل الدراسات التاريخية ، أهمها :

1/ المنهج التاريخي الوصفي :

اعتمدنا أساسا على منهج تاريخي وصفي في تتبع وتقصى التطورات والأحداث التاريخية، حسب تسلسلها وتشعباتها وتأثيراتها، مثلا من وصف طريقة نزول الخطابي الى كيفية اتصاله بالزعماء المغاربة، ووصف طريقة تأسيسه للجنة وكذا جيش تحرير المغرب العربي .

2 / المنهج التحليلي النقدي :

استعملته في تحليل أفكار الغزيرة في الموضوع، وكذلك في دراسة النصوص والوقائع ومناقشة المواقف والسياسات والربط بينهما لمعرفة الخصائص التي وجهت الكفاح المسلح المغربي واستنتاج الأحكام والخصائص العامة التي ساهمة في تفعيل الكفاح المغربي المشترك بزعامة الامير عبد الكريم الخطابي .

3 / المنهج المقارن :

أما المنهج المقارن فقد سلكته في المقاربة بين المواقف السياسية داخل أقطار المغاربية الثلاثة (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، لفهم الحثيات ونظرت الوطنيين المغاربة للكفاح المغربي المسلح المشترك، وذلك بهدف رسم سياسة عامة وبيان العلاقات المغاربية في ظل الدعوة الى الكفاح المسلح .

- حدود البحث :

لموضوع البحث خلفيات تاريخية تعود الى بداية الاحتلال الفرنسي والاسباني لبلدان المغرب العربي، هذه الخلفية هي الأرضية الصلبة التي نشأ فيها الامير من جهة، وعاشها شعوب أقطار المغرب العربي من جهة أخرى، لتمتد الفترة التاريخ للبحث من بداية بروز فكر تحرير ودعوة الامير لتحرير الأقطار المغاربية الثلاثة أي

من ثورة الريف 1921 ومساهمتها في تفعيل العمل المغاربي المشترك الى استقلال أقطار المغربية الثلاثة .

أما فيما يتعلق بمصطلح المغرب العربي فإن هذا المفهوم قد اقتصر على بلدان المغربية الثلاثة (تونس، الجزائر، المغرب)، باعتبار ان هذه الأقطار قد شكلت الإطار السياسي الذي تمتد فيه جميع تجارب والمحاولات الوجدانية المغربية ضد الاستعمار من جهة، وكونها كانت محطة اهتمام الامير من جهة أخرى .

- الصعوبات الموضوع :

لا تكاد تخلوا دراسة أكاديمية من عوائق وصعوبات تختلف بطبيعة الحال حسب اختلاف طبيعة الموضوع، ومن أهم الصعوبات التي واجهتني في المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث، كذلك أثناء تحرير الموضوع، والمتمثلة في:

- تشتت الوثائق الخاصة بموضوع البحث بين العديد من الأماكن في كل من الجزائر، المغرب الأقصى، تونس، فرنسا، اسبانيا، مصر .

- صعوبة الحصول على المادة العلمية من مصادرها الأصلية الذي جعلني أتطرق بالبحث في جميع المؤلفات المغربية منها والأجنبية.

- طبيعة الموضوع وحساسيته وتشعبه فهو عبارة عن دراسة تاريخية سياسية، عسكرية، كما انه يتضمن على العديد من المحطات الحساسة التي وجب التعامل معها بحذر حتى لا نحيد عن الموضوعية .

- خصوصيات الموضوع نفسه، كونه انه يتناول حقبة تاريخية في شمال إفريقيا ن تلك الحقبة التي جمعت الكثير من الزعماء المغاربة بالأمير عبد الكريم الخطابي، سرعان ما دفعت ملاسبات معينة بعضا منهم الى مواقع المسؤولية في بلدانهم ، مما جعل الحديث عن تاريخهم السابق يسبب حرج للباحثين والمؤرخين أو يسحبهم خارج نطاق الموضوعية.

- مصادر البحث ومراجعته :

على الرغم من الصعوبات فقد حاولنا قدر الإمكان جمع أطراف الموضوع من المصادر والمراجع الأساسية منها والثانوية على حد سواء، واعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر الأولية والوثائق، التي كانت عبارة عن مجموعة من المراسلات الخاصة بين الامير عبد الكريم الخطابي وبين المسؤولين العرب والمسلمين وبعض الشخصيات العالمية، فضلا عن مجموعة من التقارير، ولهذه الوثائق والتقارير أهمية خاصة كونها تعطينا فكرة عن أسلوب الخطابي الكفاحي والتنظيمي واتصالاته التي لم تقتصر على المسؤولين والزعامات السياسية فقط بل حتى الفئات الشعبية أيضا في شكل نداءات، أشرت إليها تحت اسم مجموعة وثائق امزيان .

كما اعتمدت على كتابات المجاهد محمد سلام امزيان الرفيق الامير وتلميذه في الكفاح والنضال المغاربي المشترك وصحبته للأمير مكنته من تحرير ما دونه سابقا تحت إشراف الامير نفسه تحت عنوان سلسلة تاريخ الامير عبد الكريم الخطابي ، تقع في ثلاثة أجزاء منها :

- مأساة وطن
- الشعب يواجه الاستعمار
- في المنفى

هذا الى جانب مذكرات الامير وما حرره المجاهد محمد سلام امزيان، كما استفدنا أيضا من الصحف العربية المعاصر لحياة الامير وهي مصدر لا غنى عنه، كان من أبرزها: الأهرام، الحوادث، الاتحاد، القبس، الحقائق، آخر ساعة...إلخ، وهذا بالإضافة الى الوثائق التي نشرها محمد امزيان في كتابه: محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف 1926 - 1963، وكذا الوثائق التي نشرها زكي مبارك في كتابه: محمد الخامس وابن عبد الكريم وإشكالية استقلال المغرب، هذا الى جانب الوثائق التي نشرها أيضا الرشيد

إدريس في كتابه: ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، كلها تبرز لنا دور الامير ومحاولته المبذولة لتحرير أقطار المغرب العربي .

واعتمدنا أيضا على مذكرات شخصية على من عايشوا الحدث، كمذكرات محمد الحامدي العزيز " جيوش تحرير المغرب العربي " تطرقت الى ظروف وأهداف تشكيل جيش تحرير المغرب العربي باعتباره شاهد عيان ساهم في النضال المغربي المسلح، بالإضافة الى مذكرات احمد بن بلة " مذكرات احمد بن بلة " ومذكرات رشيد إدريس، ومذكرات فتحي الديب رجل المخابرات المصرية الذي كلف بالقضية المغربية في كتابه: جمال عبد الناصر والثورة الجزائرية " لما له من أهمية في فهم تطورات الكفاح المغربي المسلح بين الأقطار المغربية، والدعم المصري وكذا لتوجهات وايدولوجيات الامير عبد الكريم الخطابي الرامية الى مغربة الحرب، وهذا و بالإضافة الى مذكرات علال الفاسي في كتابه: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي"، الذي يعتبر من أهم المصادر التي أرخت لفترة الكفاح وضمنت العديد من الوثائق والمعلومات الهامة حول الموضوع .

أما فيما يخص الشهادات ولما لها من قيمة أساسية في الكتابات التاريخية فقد اعتمدنا على شهادات صنعتها شخصيات وطنية لها وزنها وثقلها، المقدمة في الحوارات والملتقيات وكتب، لاعتبارها مادة مصدرية هامة، أهمها شهادات عبد السلام الهاشمي الطود، ومحمد بوضياف، عبد الكريم الخطيب، عبد الحمير مهري، بشير القاضي... إلخ التي نشرتها مؤسسة محمد بوضياف في كتاب تحت عنوان "جيش تحرير المغربي 1948 - 1955 " بالإضافة الى كتاب محمد الرايس " شهادات عن المقاومة في عهد الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي " بحيث ساهمت هذه الشهادات على معرفة دور الامير عبد الكريم الخطابي في تحرير أقطار المغرب العربي بشكل أدق .

هذا وبالإضافة الى مصادر ومراجع أخرى مهمة قد اعتمدت عليها في بحثي، وحتى لا أطيل و استرسل في ذكرها هنا لأنها موجودة في قائمة المصادر والمراجع .

خطة البحث :

تحتوى هذه الدراسة على فصل تمهيدي وأربعة فصول رئيسية مع خاتمة وملاحق تتصل بالموضوع اتصالا وثيقا و فهارس مختلفة

المقدمة تطرقنا فيها الى التعريف بالموضوع وأسباب اختياره وإشكاليات البحث الرئيسية منها والفرعية، والمناهج الدراسة، مع ذكر الصعبات التي إعترضنا أثناء انجاز البحث، ثم تعرضنا فيها الى أهم المصادر والمراجع التي لجانا إليها .

في الفصل التمهيدي فقد خصصناه للبحث عن أوضاع المغرب العربي مع مطلع القرن العشرين ، تناولنا في المبحث الاول عن الأوضاع تونس خلال مطلع القرن العشرين، مركزين على الاحتلال الفرنسي لتونس وما خلفه من آثار اقتصادية واجتماعية داخل البلاد، ومبينين الردود الفعلية التونسية المتمثلة في المقاومة المسلحة والسياسية.

أما في البحث الثاني قد عالجنا أيضا أوضاع المغرب الأقصى خلال مطلع القرن العشرين، تناولنا فيها الحماية المزدوجة على المغرب الأقصى وما ترتب عنه من آثار اقتصادية واجتماعية والثقافية داخل القطر المغربي، كما عرجنا على ردود الفعلية المغربية والمتمثلة في المقاومة المسلحة والسياسية .

وفي المبحث الثالث قد عالجنا فيه أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين، تحدثنا آثار الاحتلال الفرنسي بالجزائر، وردود فعل الجزائريين والمتمثلة في المقاومة المسلحة والسياسية .

جاء الفصل الاول بعنوان عبد الكريم الخطابي و ثورة الريف، عالجنا في مبحثها الاول مولد ونشأة عبد الكريم الخطابي، موضحين فيها شجرة نسب الخطابي وعلاقتهم بالإسبان وميلاد الامير الخطابي .

بالنسبة للمبحث الثاني فقد خصص حول مقاومة الريف، ركزنا فيها عن تأثر الخطابى بثورة عبد المالك الجزائرى، ومجريات معركة أنوال، وصولا الى تأسيسه جمهورية الريف .

وفي المبحث الثالث خصص أحوال المغرب الأقصى السياسة بعد حرب الريف، ركزنا فيها عن نشأة الحركة الوطنية وعلاقتها بحرب الريف، والى السياسة البربرية وموقف الخطابى منها.

وفيما يخص المبحث الرابع فقد جاء بعنوان الخطابى فى المنفى، ركزنا فيه على نهاية حرب الريف وترحيل الامير الى جزيرة لارينيون، والى حياته فى المنفى ومحاولة خروجه منها .

وعرضنا فى **الفصل الثانى** : الخطابى ولجنة تحرير المغرب العربى، خصص المبحث الأول منها لجوء الخطابى للقاهرة، مركزين فيه على ملابسات نقل ونزول الامير بالقاهرة وصداه المغارى والعالمى .

أما فى المبحث الثانى فقد ركزنا فيه على النضال المغارى المشترك قبل تأسيس لجنة تحرير المغرب العربى، مدرجين فيه عن تأسيس جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، ومؤتمر المغرب العربى، وما ترتب عنه من تأسيس مكتب المغرب العربى .

وناقشنا فى المبحث الثالث تأسيس لجنة تحرير المغرب العربى، مركزين فيه على نشاط الامير قبل تأسيس اللجنة، وميلاد اللجنة، والمبادئ والأهداف التى تصبوا إليها .

والمبحث الرابع جاء بعنوان نشاط لجنة تحرير المغرب العربى، أدرجنا فيه نشاط اللجنة على الصعيد الداخلى، والخارجى .

في الفصل الثالث الذي جاء بعنوان عبد الكريم الخطابي وجيش المغرب العربي، تتبعت في مبحثها الأول عن جيش تحرير المغرب العربي، مركزين على ميلاد الجيش، وتكوين الفرق الأولى للجيش، وعن الاتصالات التمهيدية لوحدة الكفاح المغاربي المشترك .

وفي المبحث الثاني ركزنا فيه على الجهود التنظيمية وجيش التحرير المغرب العربي، مدرجين فيه الجهود التنسيقية بين اللجنة والمناضلين الثوريين لتفعيل الكفاح المسلح، و خطة الحرب التي وضعها الامير عبد الكريم الخطابي، وأهم الشخصيات الداعمة للكفاح .

والمبحث الثالث الذي جاء بعنوان نشاط جيش التحرير المغرب العربي، أدرج فيه جيش تحرير المغرب العربي في تونس، والمغرب الأقصى والثورة الجزائرية وتفعيل الكفاح المسلح .

أما المبحث الرابع ركزت فيها على تهميش وتصفية عناصر الكفاح المشترك، أشرت فيها الى تهميش وتصفية عناصر الكفاح المشترك في تونس، والمغرب الأقصى، وفي الجزائر .

خصصنا في الفصل الرابع والأخير الذي جاء بعنوان عبد الكريم الخطابي واستقلال بلدان المغرب العربي، تحدثنا في المبحث الاول عن عبد الكريم الخطابي واستقلال المغرب الأقصى، الذي يندرج ضمنه مواقف الخطابي من مباحثات اكس لبيان، استقلال المغرب الأقصى، وثورة الجلاء 1958 .

وتطرقنا في المبحث الثاني الخطابي واستقلال تونس، ركزنا فيه الموقف الخطابي من استقلال تونس ، والمساعي أو الخيارات القطرية في تونس .

والمبحث الثالث تناولنا فيه عن دعم الخطابي للثورة الجزائرية، جاء فيها الخطابي وتحضيرات أول نوفمبر، الخطابي واستمرارية دعم الثورة الجزائرية، وتوجيهات الخطابي في استحداث القواعد الخلفية للثورة الجزائرية بطرابلس، وعلى الخيار إيديولوجية الخطابي في مؤتمر طنجة في دعم الثورة الجزائرية .

وانتهيت في المبحث الرابع عن وفاة و آثار عبد الكريم الخطابي، عالجت فيها مسألة عودة الخطابي للمغرب الأقصى، ومواقف قيلت في حق الامير عبد الكريم الخطابي، ختمت المبحث بوفاة و آثار الامير الخطابي .

وختمنا الدراسة بخاتمة ضمننها بجملة من نتائج المتوصل إليها بعد تتبعنا لمسيرة وبطولات الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي ودوره في تحرير أقطار المغاربية الثالثة (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، وجسد ذلك على ارض الواقع بتأسيسه لكل من لجنة وجيش التحرير المغرب العربي .

الفصل التمهيدي :

أوضاع المغرب العربي مع مطلع القرن العشرين

تعرضت أقطار المغرب العربي الثلاثة (تونس، الجزائر، المغرب) إلى هجمة استعمارية شرسة، منذ ثلاثينيات القرن 19 وحتى النصف الثاني من القرن العشرين، فأحتلت فرنسا الجزائر في سنة 1830، وتونس في سنة 1881 م، واحتلال المزدوج الفرنسي الاسباني لبلاد المغرب الأقصى في 1912 م .

واشتركت القوى الاستعمارية في سياسة واحدة، بحيث قامت بإلغاء الحقوق الوطنية لكل أقطار المغرب العربي، بالإضافة الى استحواذ على خيرات ومدخراتهم الاقتصادية، ولم يقف الأمر عند حدود الاستلاب السياسي والاقتصادي والثقافي بل مارست عدوانا قوميا وحضاريا استهدف الإنسان في حد ذاته من قتل ونفى تشريد والاضطهاد... الخ .

وكان الرد المغاربي عموما على صدمة الاحتلال العسكري، الاعتماد بالدرجة الأولى على الكفاح المسلح لإسترجاع حقوقه الوطنية، أما في مطلع الأول القرن العشرين نجده قد تغير الأسلوب من المقاومة المسلحة الى المقاومة السياسية لكنه لم يفقدهم الإيمان بعدالة القضية التي يقاتلون من اجلها، والإشكال المطروح :

- ما هي أوضاع بلدان المغرب العربي مع مطلع القرن العشرين ؟

- ما هو أثر السياسة الاستعمارية على بلدان المغرب العربي ؟

- هل كانت هناك مقاومة مغاربية ضد الوجود الاستعماري ؟ وما أشكالها ؟

المبحث الأول : أوضاع تونس :

بعد احتلال الجزائر من طرف القوات الفرنسية طمعت هذه الأخيرة الى توسيع نطاق وجودها بالمنطقة وذلك من خلال التخطيط لعملية احتلال تونس وتأسيس إمبراطورية فرنسية داخل بلدان المغرب العربي، في الوقت الذي دب فيه الضعف العام في تونس بسبب التدخلات الأجنبية والامتيازات الأوربية وبالخصوص الفرنسية منها ، وسيطرتها على مرافق البلاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وما ترتب عنه من آثار سلبية داخل القطر التونسي

أولا :الإحتلال الفرنسي لتونس وأثاره :

أ/سقوط تونس تحت الحماية الفرنسية :

تعتبر تونس أول تجربة لنظام الحماية في تاريخ الإستعمار الفرنسي، بحيث كان يهدف "جول فيري" صاحب هذا النظام إلى شيئين هما: الأول هو إسكات المعارضة الدولية بحجة أن فرنسا لم تقضي على كيان دولة المحمية بالضم، الثاني هو إقناع المعارضة الداخلية بأن الحكومة الفرنسية لن تتورط في أعباء مالية من جديد مثلما كان بالجزائر، لأن من مميزات الحماية أنها تحمل الدولة المحمية الأعباء المالية ونفقات الإحتلال وجميع ما يترتب من إصلاحات إقتصادية وإدارية و إجتماعية المفروضة على الدولة المحمية وهذا ما كان يطمح إليه "جول فيري"، إذ يقدم الإستغلال القومي على حساب المجد القومي وهذا ما جعل فرنسا ترتاح لهذا فإتبعته بعد ذلك في العديد من المستعمرات التابعة لها مثل المغرب والهند الصينية، وتدل معاهدة الحماية على أن تقوم دولة قوية بالإشراف فنيا على الإدارة

الوطنية الضعيفة دون أن تحل محلها بل أن تلك المعاهدة نصت على أن كون إحتلالها مؤقتاً¹ .

ولعملية فرض الحماية على تونس قامت الحكومة الفرنسية بخلق ذريعة لتبرير تدخلها في تونس مدعية أن هذه الحدود الجزائرية لتونسية تتعرض باستمرار لهجمات من طرف القبائل التونسية وبالخصوص من قبيلة بني خمير²، وأخر حدث سجل في هذا المجال هو إغتيال مواطن من أولاد سدره من قبيلة خمير في الشهر فيفري 1881 م، حيث عثر عليه مع فتاة من قبيلة ناهد الجزائرية كانت على موعد معه في مقاطعة قسنطينة، مما نجم عنه العديد من المناوشات بين قبيلة ناهد وقبيلة خمير هذا مما جعل القوات الفرنسية تتدخل في شؤون تونس بدعوى فرض الأمن والإستقرار على الحدود، مما آل الأمر إلى مواجهة بين القوات الفرنسية والقبائل التونسية يومي 30 و31 مارس 1881، و قد إستغل "جول فيري" هذا الوضع فطرح المسألة أمام البرلمان الفرنسي بضرورة تنظيم حملة عسكرية لمعاقبة القبائل التونسية القاطنة على الحدود، وقد صادق البرلمان الفرنسي على ذلك يوم 7 أبريل 1881 بلا أي إعتراض³، كما نجد أيضا أن الجريدة لنتيرن كتبت يوم 6 أبريل 1881 ما يلي: لقد سفك دم الجنود الفرنسيين على يد عصابات لصوص قاموا بغزو أراضينا، وإعتدوا على القبائل تحت حمايتنا، يجب أن ننتقم للدم الذي سفك ونعاقب الذين تسببوا في إهانتنا،

¹صلاح العقاد : المغرب العربي، دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصر الجزائر _ تونس _ المغرب الأقصى، مكتبة الأنكلو المصرية القاهر، دون تاريخ، ص190.

² I.S.H.M.N,TUNISIE (Troubles et insurrection sur la frontière algéro – tunisienne et à l'intérieur de la régence réactions française) , 1881 , cartons 55, Bobine 316, Folios 279 .

³ علي محجوبي : انتصاب الحماية الفرنسية على تونس، تعريب عمر بن ضو، حليلة قرقوري، ط2 ، دار سراس للنشر، تونس 1993 ،ص، 40 .

ويجب أن نأخذ جميع الإحتياطات الضرورية لحماية أراضينا الجزائرية، فهي ليست جزءاً فقط من الأرض الأم، ولكن هي أرض فرنسية⁴ .

والملاحظ من هذا كله أن المناوشات بين القبائل الجزائرية والتونسية لم تكن وليدة الشهر مارس أو فيفري 1881 بل تعود إلى زمن بعيد، حيث سجلت السلطات الفرنسية بالجزائر أكثر من 2380 حادثة من 1870 إلى 1881 م، وهذا مما يؤكد لنا على أن الحكومة الفرنسية لم تعري لها أي إهتمام إلا عندما قررت بسط نفوذها على تونس، وهذا ما أكدته السلطات العسكرية الفرنسية نفسها على أن أحداث شهر فيفري ومارس شكلت بعض الخطورة لكنها ليست سبب في إحتلال تونس، ولهذا لم تكن قضية قبائل خمير سوى حجة واهية بهدف فرض سيطرتها على تونس لإستكمال مشروعها الإستعماري⁵ .

وفي 24 أبريل 1881 بادرت القوات الفرنسية بإرسال كتيبة تظم 35000 رجل من الجزائر إلى تونس بقيادة الجنرال "لوجيرو" (Breart) وإحتلت مدينة "الكاف" و "طبرقة" دون مقاومة تذكر بهدف انتقالها في ما بعد للاحتلال العاصمة التونسية⁶، في 26 أبريل وسوق الأربعاء في 29 من أبريل وعين درهم يوم 11 ماي، وفي نفس الوقت قامت وحدات

⁴ Mohamed faroua : **la gauche en France et la colonisation de la tunisie**

.p40 . 2003 ; France ; l'harmattan ; édition ; (1881-1914).

⁵ إحتلال البلاد التونسية 1881 - 1883 (l'occupation de la tunisie 1881 - 1883)،

دراسة قامت بها مصلحة الاستعلامات لجيش الإحتلال سنة 1885، نسخة مرقونة، ص 6 ، 7 .

⁶ I.S.H.M.N,TUNISIE 1881 (**Opération militaires vu de l'occupation de villes tunisiennes , insurrection de la population tunisienne**) cartons dossiers 2H7 , Bobine S 252 , Folios 128 - 142 .

من جهة المشرق بإحتلال طبرقة في 26 أبريل، وفي 1 ماي إستسلمت مدينة بنزرت دون أي مقاومة، وفي يوم 8 ماي زحف الجنرال "برييار" على مدينة العاصمة التونسية⁷.

وهكذا في الثاني عشر من شهر ماي تمكنت القوات الفرنسية من دخول قصر باردو التونسي بمعية القنصل الفرنسي "روسطان" بعد أن أعلن فرنسا رسميا على فرض السيطرة على تونس وأن على الباي سوى توقيع معاهدة باردو المذلة للباي ولتونسيين بحيث تقر بأحقية الهيمنة الفرنسية على جميع مناحي الحياة الفرد التونسي و الهيمنة على جميع البلاد، ووضع تونس تحت تصرف المقيم العام الفرنسي⁸، ويقوم المقيم العام بحكم تونس حكما غير مباشر بواسطة الهيئات التقليدية التي كانت تحكم من قبل، وذلك بإبقاء أصحابها على تلك المناصب الإدارية، لكنهم يخضعون مباشرة تحت أنظار المقيم العام، أما فيما يخص الدفاع وكذا العلاقات التونسية الخارجية فهي أيضا كانت تحت السيطرة الفرنسية مباشرة أي خاضعة لسلطة الحماية⁹، وهكذا أصبحت المناصب السيادية كلا من الدفاع والخارجية خاضعة مباشرة لسلطة الإحتلال، أما الباي فقد بقي له سوى السلطة الرمزية فقط¹⁰، ومع هذا كله واصل الجيش الفرنسي إستكمال إحتلاله للإراضي التونسية فإحتل مدينة ماطر يوم 18 ماي واحتلت مدينة باجة يوم 20 ماي من طرف الجنرال "لوجيرو".

⁷ علي محجوبي : المرجع السابق، ص44.

⁸ عز الدين معزة :فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899- 2000 ، رسالة الدكتوراه، 2009- 2010، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ، ص22.

⁹ محمد الهادي الشريف :تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال .ترجمة محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، سراس للنشر، تونس، 1993، ص100.

¹⁰ علي محجوبي :المرجع السابق، ص60، 61 .

وقد كانت السلطات الفرنسية تعتقد في ذلك الوقت بأن عملية إحتلال تونس قد إنتهت، الأمر الذي جعلها تشرع منذ 10 جوان 1881 تقوم بسحب بعض قواتها مما أدى إلى تنامي حركة المقاومة التي مدت السنة لهيبتها على كامل أرجاء الوطن التونسي وخصوصا في صائفة 1881، وهذا مما دفع بالحكومة الفرنسية إلى تعزيز قواتها بتونس فأرسلت حوالي 84 كتيبة برية بالإضافة إلى القوات البحرية بحيث تمكنت على إثرها إحتلال كلا من مدينة صفاقس يوم 16 جويلية 1881، ومدينة قابس يوم 24 جويلية لكنها دخلت في صراع عنيف مع وحدات المقاومة الموجودة بها ولم تستكمل إحتلالها إلا في الشهر نوفمبر بعد معارك ضارية ¹¹ .

لكن على المستوى الساحلي والمناطق الجنوبية فقد وجدت السلطات الفرنسية صعوبة في عملية السيطرة على مدنها نظرا لوجود العديد من الخلايا الجهادية بها، ولم تتمكن من إحتلال القيروان إلا في 26 أكتوبر بعد أن تم فتح جميع الطرق المؤدية لها، وهكذا مع حلول سنة 1882 تمكنت القوات الفرنسية من بسط جميع قواتها على أغلب الأراضي التونسية، مما أدى الى انتقال بعض الأهالي المتواجدين بالمدن والقرى الشمالية الانتقال الى الجنوب التونسي، طربلس وجعلها معقلا لمقاومة القوات الفرنسية بعد أن تخاذلت قوات الباي ¹² .

ب/أثار الإحتلال الفرنسي على تونس :

سنركز على الأوضاع الإقتصادية والثقافية والإجتماعية فقط، أما الأوضاع السياسية فقد تكلمنا عنها في الحماية والأخرى سنخصص لها مطلبا آخر مندرج ضمن المقاومة السياسية والعسكرية .

¹¹ علي محجوبي : المرجع السابق، ص 44 . 45 .

¹² صلاح العقاد : المرجع السابق، ص 192 .

1/ الأوضاع الاقتصادية :

سنرى في هذا المطلب الأوضاع الاقتصادية لتونس على مختلف الجوانب الاقتصادية التي عاشتها خلال المرحلة الحماية الفرنسية و بالخصوص مع مطلع القرن العشرين .

نجد الشعب التونسي خلال مرحلة الحماية قد سلب من جميع ممتلكاته وبالخصوص مصدر رزقه والمتمثلة في الأراضي الخصبة، ولم يقدم له الإستعمار الفرنسي المساعدات لإخراجه من التخلف الذي يتخبط فيه، من فقر والجهل والحرمان بمثل ما عنته الجزائر _أي نفس الخصائص_، لكن لا نجد نفس الظروف الاقتصادية في تونس مشابهة تماما للظروف الاقتصادية للجزائرية، حيث تعرض الجزائر إلى النهب والسلب والمصادرة منذ أن وطئ الإستعمار الفرنسي أرجله أرض الجزائر .

إن الحملة الفرنسية على تونس وتوقيع معاهدة الحماية تدرج ضمن التوسع الفرنسي الإستعماري خلال القرن 19، الذي كان يعمل على توسيع مجاله بواسطة الإحتلال والسيطرة السياسية والإستيطان بهدف إستغلال الثروات الاقتصادية للبلاد، بل إستغلال الإنسان في حد ذاته وجعله ضمن المشروع الإستعماري، لهذا نجد أن السياسة الإستعمارية الفرنسية بتونس قد انتهجت منذ 1881 إلى إستغلال اليد العاملة التونسية ومصادرة الأراضي الزراعية الخصبة ومصادرة الثروات المعدنية من الفوسفات والحديد والزنك وإحتكار جميع المنشآت الاقتصادية الموجودة بها¹³، لهذا نجد أن الإستعمار الفرنسي قد ركز على النشاط الإقتصادي ذا الربح السريع والكبير هذا جعله يشجع بالدرجة الأولى الزراعة¹⁴.

¹³ رأفت الشيخ : تاريخ العرب المعاصر ، عن الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1996 ، ص. 143 .

¹⁴ خليفة الشاطر وآخرون : تونس عبر التاريخ ، الحركة الوطنية ودولة الإستقلال، ج3 ، مركز الدراسات والبحوث التاريخية، تونس 2005 ص 7 .

وهذا كله جعل من الحكومة الفرنسية تعمل على تشجيع حركة الإستيطان لا محدود، ففي سنة 1892 أصبح المستوطنون الفرنسيين بتونس يمتلكون بأكثر من 402000 هكتار من الأراضي الخصبة منها 246000 هكتار يمتلكها ما يقارب 114 مستوطنا، ومنه نجد أن أغلب الأراضي الخصبة التونسية قد سيطر عليها المستوطنين والحكومة الفرنسية واستغلوها في زراعة القمح والزيتون والكروم¹⁵ .

عندما إحتلت القوات الفرنسية الأراضي التونسية مع سنة 1881 كان لفرنسا فائض مالي ضخم و لم تكن تعاني من الفائض السكاني مثلما كان الوضع سنة 1830، فقد عرف إقتصادها إنتعاشا وازدهارا بفعل إدخال الوسائل الحديثة في عملية إستغلال الأرض بطريقة عصرية مكنها من تحقيق فائض مرتفع وهذا مترافق مع زيادة عدد العمال، كل هذه العوامل وغيرها جعلت من تونس مستعمرة للإستغلال الرأسمالي، مما جعل الجمهورية الثالثة تعمل على دعم النظام اللبرالي الإقتصادي بحيث اعتبرتها شرطا لنجاح النظام الإستعماري، ولهذا اعتبرت الجمهورية الثالثة أن تونس صفقة رابحة للرأسماليين الفرنسيين دون أن تكلف الحكومة الفرنسية الخسائر الباهظة مثلما حدث لها في الجزائر، حيث كلفها ذلك الإستعمار على الأراضي الجزائرية خسائر فادحة في ميزانيتها دون أن يعطيها النتائج التي كانت تطمح إليها مثل تونس، فقد خسرت العشرات المليارات من الفرنكات بشاهدات الفرنسيين أنفسهم سواء في ساحة الوغى أو في بناء المستشفيات وتوطين المستوطنين والعمل على توفير لهم الأمن، كل ذلك دفع فرنسا على التخلي عن هذا الأسلوب الإستعماري وإعتماد أسلوب جديد في تونس والعمل على فتحها لأصحاب رؤوس الأموال الذين أصبحوا بدورهم دعائم السياسة الإستعمارية الجديدة التي عرفت بالإستعمار الحر، وبناءا على ذلك لم تفتح المستوطنات

¹⁵ Jean_françois martin : **histoire de la tunisie contemporainede ferry à bourguiba , 1881 _ 1956** , édition , l' h arm attan ; France , 2003 , p 146.

مجانيا بتونس بمثل ما فعلته بالجزائر لأن تلك العملية غير ناجحة ومضنية أدخلت الحكومة الفرنسية في خسائر فادحة¹⁶ .

لقد وجد الإستعمار الفرنسي بتونس أنماط متنوعة من الملكيات الزراعية لم تكن معروفة بفرنسا سابقا ولا بأوروبا، فحوالي 10 / 7 من الأراضي الصالحة للزراعة كانت ملكيتها غامضة ومتداخلة وهي أملاك خاصة وأملاك البايك والاحباس العامة والخاصة والأراضي المشاعة وأراضي الموات والأراضي الجماعية والعروشية وأهم سمة مميزة لهذه العقارات هي إفتقارها إلى الضوابط القانونية وتعرضها للعديد من الإعتداءات والنزع من السلطات الفرنسية، وبسبب هذه الفوضى في الملكيات المذكورة أنفا من الناحية القانونية جعل من السلطات الإستعمارية لتتدخل لصالح المستوطنين¹⁷ .

وهكذا أصبح للمقيم العام الفرنسي بتونس ومساعديه من المدنيين والعسكريين هم المسيطرين على جميع شؤون البلاد وليس للباي إلا السيطرة الاسمية فقط وعلى إثر هذا عمل المقيم العام بانتهاج سياسية إستطانية زراعية خاصة بتونس دون غيرها، بمنح الأراضي الواسعة والخصبة لأصحاب رؤوس الأموال وجلب حركة إستطانية مريحة ، لذا نجد أن السلطات الإستعمارية قد عمدت على سن ترسانة من القوانين التي تقر بنزع الملكيات من أصحابها و تقديمها إلى المستوطنين الأجانب من بينها قانون 1890 1900 ، 1914، 1928...بالإضافة إلى السيطرة على الموارد المعدنية¹⁸ ، وقد بررت السلطات الحماية الفرنسية بتونس أن سبب هذه التشريعات هو بهدف تطوير تونس اقتصاديا، وبذلك أصبح للمستوطنين الفرنسيين مع مطلع القرن العشرين يستولون على 700 أف هكتار،

¹⁶ علي محجوبي : المرجع السابق، ص 125_ 127.

¹⁷ خليفة الشاطر وآخرون : المرجع السابق، ص 49.

¹⁸ علي محجوبي : المرجع السابق، ص 101، 102 .

والباقي للأوروبيين على 134 ألف هكتار من الأراضي الخصبة إستغلوها في زراعة الحبوب والكروم والزيتون باستخدام الوسائل الفلاحية المتطورة محققين على إثرها إنتاجا وفيرا¹⁹، وأغلب هذا الإنتاج كان الغرض منه الربح السريع الذي تم تصديره، منافسا بذلك الإنتاج الجزائري الفرنسي، أما الإنتاج الزراعي الأهلي فهدفه إنتاج معيشي، باستثناء بعض المواد القابلة للتصدير مثل التمور و الصوف والزيت الزيتون²⁰ .

ومنه منذ أن وطئ الإستعمار الفرنسي أرجله التراب التونسي، عمل على سيطرت جميع ثرواته، فخصصوا لذلك المشروعات المربحة للمستوطنين، وإستبعدوا بذلك التونسيين فإذا استثنينا الاستثمار الزراعي لاحظنا أن إهتمامهم قد إرتكز على المشروعات المربحة والإنتاجية ذات المردودية العالية والسريعة، أما الاستثمار العمومي فقد إستغل في إنشاء المرافق الأساسية مثل إنشاء السكك الحديدية والطرق والموانئ، أما فيما يخص الاستثمار الخاص فقد إستغل في أشكال مختلفة تراوحت بين المشاريع العقارية والزراعية وفي استخراج المعادن والنقل والمصارف²¹، وهكذا نجد أن الإدارة الإستعمارية لم تولي إهتمام بالصناعة التقليدية التونسية بهدف المنافسة ومزاحمة الصناعة المتطورة، وعلى إثر هذا كله تراجع الإقتصاد التونسي وأصيب بالعجز بل تم إقصاء العديد من صغار الفلاحين والصناع والحرفيين على إثر هذه السياسة المنتهجة²² .

¹⁹ عبد العزيز الثعالبي : تونس الشهيدة ،ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان ،1984، ص29 .

²⁰ خليفة شاطر وآخرون : المرجع السابق، ص 50 .

²¹ خليفة شاطر وآخرون : المرجع السابق، ص51.

²² شارل أندري جوليان :المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي ، ترجمة محمد مزالي و البشير سلامة، الشركة التونسية لنشر والتوزيع، تونس، 1985، ص23، 24 .

وعلى العموم استطاع المعمرين الفرنسيين إحكام السيطرة على الاقتصاد التونسي نظرا لما يملكونه من الإمكانيات المالية والتقنية من جهة، ومن جهة ثانية أن أغلب القرارات والقوانين تصب لصالحهم سواء على المجال الزراعي أو الصناعي أو التجاري، هذا أدى إلى ظهور طبقة تحتكر الإقتصاد -أي الإقطاعيين-، بهدف تحقيق فائض ضخم وإنتاج سريع ومريح وذلك بإدخال أساليب متطورة وتقني بالإقتصاد التونسي، أما السكان الأصليين بيدهم الإقتصاد المعاشي التقليدي لا يلبي حاجيات السكان بل أكثر من ذلك أنه يصادر منهم في أغلب الأحيان²³ .

2 /الأوضاع الإجتماعية :

يعالج هذا المطلب الحياة الإجتماعية التي كانت تعيشها تونس مع إحتلال الفرنسي لها إلى مطلع القرن العشرين، من نمو السكاني وأنماط معيشتة والطبقات الإجتماعية وظاهرة الإستيطان التي جاءت بفعل السياسة الإستعمارية والمدعمة لها، ومدى تأثيرها على المجتمع التونسي وإنعكاسها مع مطلع القرن العشرين .

إن دراسة الظواهر الإجتماعية والديموغرافية بتونس هي من المسائل الصعبة والعويصة، وهذا راجع إلى قلة المعطيات الإحصائية الدقيقة خلال الفترة الممتدة من 1881 إلى 1920، وذلك أن تنظيم الحالة المدنية بتونس لم تتم بصفة رسمية إلا مع صدور قرار في 1908 يقضي بإجبارية الحالة المدنية بالنسبة للتونسيين القاطنين بالمدن، وهذا بسبب أن الكثير من التونسيين لا يتجهون إلى مكاتب البلدية للتصريح بالولادات أو الوفيات إما لعدم مبالاتهم أو الحذر من السلطات الفرنسية، هذا مما جعل السلطات الفرنسية تتخذ إجراءات

²³ عز الدين معزة :المرجع السابق، ص 45 .

جديدة مع مطلع 1919 بالعقوبة على كل من لم يصرح بالوفيات لأكثر من 3 أيام والولادات لأكثر من 10 أيام²⁴ .

تميزت الأوضاع الديموغرافية في تونس منذ الإحتلال الفرنسي إلى الربع الأول من القرن العشرين بالاستقرار نوعا ما، على العكس ما كان في الجزائر من إبادة جمعية ووحشية بهدف إحلال محلهم المستوطنين الفرنسيين، وقد قدر عدد التونسيين مع بداية فرض الحماية ما يقارب مليون ونصف مليون تونسي، وهذا العدد القليل لا يوفر لديهم اليد العاملة التي يحتاجونها في تونس، لهذا كانت تونس منطقة إستقطاب المعمرين الأجانب والعمل على تركيزهم في القرى والأرياف بهدف الزيادة من الإنتاج الزراعي، وهكذا لم يرتفع عدد سكان تونس وبقي كما هو إلا مع بداية القرن العشرين بحيث بلغ عدد التونسيين سنة 1911 إلى 1740000 نسمة، وارتفع في سنة 1921 إلى 2000939 نسمة، ويرجع إرتفاع هذه النسبة المفاجئة إلى إرتفاع نسبة الولادات وقلة نسبة الوفيات بسبب القضاء على الأمراض الفتاكة التي كانت تعصف بالتونسيين من وقت إلى حين²⁵ .

فقد تم إحصاء السكان التونسي بصفة منظمة ومستمرة خلال السنوات 1911-1921-1926-1931، ولكن جميع هذه الإحصائيات ما هي إلا تقديرات جهوية و قومية فقط ليس إلا ، وبعد سنة 1920 لوحظ إرتفاع عدد السكان بأكثر مما كان عليه سابقا أي ما يقدر حوالي 2.160.000 نسمة، وهذا راجع إلى الانخفاض التدريجي لنسبة الوفيات بفعل القضاء على الأوبئة كالتيفوس والكوليرا والجدي والطاعون وحمى المستنقعات ...إلخ، ونقص الحروب الداخلية وقلة المجاعات والتحسن النسبي للحالة الإجتماعية والصحية

²⁴ أحمد القصاب : تاريخ تونس المعاصر 1881- 1956 ،ترجمة حمادي الساطي ، الشركة

التونسية للنشر والتوزيع ،تونس ،1986، ص264، 265 .

²⁵ خليفة الشاطر وآخرون : المرجع السابق، ص 45 .

للسكان من التلقيح بالمدن والمدارس خاصة وإنتشار الأدوية وإرتفاع عدد الأطباء مقارنة مع ما كان قبيل الإحتلال، ومع هذا كله لوحظ إرتفاع متزايد للعدد الوفيات لدى الأطفال الصغار لا سيما في المناطق الريفية، هذا لم يمنع من أن الفائض الطبيعي قد بلغ حدا كافيا من الإرتفاع للحصول على نمو الديموغرافي سريع²⁶ .

وهذه الزيادة الديموغرافية لم تؤد إلى إحداث خلل كبير في التوازن الكمي أو الكيفي بين الموارد البشرية والموارد الطبيعية، وذلك على عكس النمو الديموغرافي الذي كان في الجزائر مع مطلع القرن العشرين ونتجت عن إثره العديد من المجاعات من أهمها : مجاعة 1920-1922-1924، فقد ظل المجتمع التونسي في حالة طبيعية في نموه، ولم يواجه تحديات ديموغرافية كبيرة مثل ما حدث في الجزائر باستثناء الكوارث الطبعية من الجفاف أو إنتشار الجراد ، لكن مع نهاية الحرب العالمية الأولى لاحظنا إرتفاع نسبة السكان لأكثر من 6.8 %، ومع هذا أدى إلى إرتفاع نمو السكاني مقارنة مع الإقتصادي، وقد نتج عن هذه زيادة إرتفاع نسبة البطالة بعد أن كانت تونس تجلب اليد العاملة من الجزائر وليبيا... إلخ، وزيادة نسبة تشييب المجتمع التونسي وإشاعة مظاهر الحياة العصرية، وتفكيك الأطر التقليدية للعلاقات الإجتماعية نتيجة لتطور هياكل الإنتاج الجديدة التي أدخلتها الحماية الفرنسية والتي أدت إلى إفرار تصنيفات إجتماعية جديدة، فظهر أرباب الصناعات والورشات الحديثة وطبقات العمال، مما أدى إلى إنقسام المجتمع التونسي إلى قسمين :

المجموعة الأولى: تتكون من أفراد الجالية الفرنسية المنتصرة وبعض الجالية الأوروبية

المجموعة الثانية: فهي المجموعة المحرومة من اغلب الإمتيازات والمضطهدة من قبل

المجموعة الأولى المذكورة أنفا، وأغلبها سكان الأصليين .

²⁶ أحمد القصاب: المرجع السابق، ص 266 ، 267 .

أدى هذا الإنقسام إلى ظهور طبقة عليا، تتميز بالقوة والجبروت والإحتقار لكل ما هو تونسي مما أدى إلى ظهور حركة رد فعل، نتيجة السياسة الإقتصادية والإجتماعية التي إنتهجتها سلطات الحماية²⁷، أما فيما يخص المستوطنين حيث كان عددهم سنة 1884 يقدر حوالي 19.000 نسمة وكان الإيطاليين هم الأغلبية، وفي سنة 1901 إرتفع عدد المستوطنين إلى حوالي 111.000 منهم 71.600 إيطالي، و24.200 فرنسي، و12.000 مالطي وهذا راجع إلى الإمتيازات المقدمة لهم وفق الإتفاقية سنة 1897 التي كان لها دور كبير في تشجيع الهجرة وبالخصوص الإيطالية من صقلية، وبنانتالاريا، ومنطقة كالابرا، وإزداد عددهم بسرعة نتيجة إرتفاع نسبة الولادات التي تشبه إلى حد ما إلى التونسيين، وقد إرتفع عددهم سنة 1911 إلى 88.000 مقابل 46.00 فرنسي، أما نسبة تزايد عدد الفرنسيين فكان بطيئة جدا و ذلك راجع إلى نقص عدد المهاجرين إلى تونس، وأن نسبة المواليد كانت ضعيفة وهذا بالرغم من الإمتيازات الممنوحة لهم²⁸ .

وانجر عن هذا الانفجار السكاني إرتفاع السريع الأصناف البالغة من العمر أقل من 20، فمنذ سنة 1920 أصبحه هرم أعمار التونسيين يمتاز بقاعدة عريضة للغاية وقمة محددة أما الوسط يضم الكهول التي هي أقل نسبة من دون العشرين سنة، ومن ناحية أخرى أن عدد الذكور مازال في الإرتفاع مقارنة مع عدد الإناث أو العنصر النسوي .

وهؤلاء السكان التونسيين الذين يزداد عددهم بسرعة هم غير مستقرين، وإرتكزت هذه الظاهرة بالذات في سكان الأرياف المتعرضة لعوامل إختلال التوازن وذلك باستلاء المزارعين المستوطنين الأوربيين على الأراضي، من إستعمال الآلات في الزراعة إلى اليد العاملة الضخمة والإستعباد الذي كانوا يعانونه من المستوطنين، وكذا تدهور الصناعة التقليدية

²⁷ عبد العزيز الثعالبي : المصدر السابق، ص269.

²⁸ أحمد قصاب : المرجع السابق، ص275 ، 276.

بتونس كما تكلمنا سابقا، بحيث كانت أغلب أنظارهم متجهة إلى المدينة وخاصة إلى العاصمة التونسية و تسارع حركة النزوح الريفي المتزايد مع مطلع القرن العشرين، وشملت هذه الحركة المناطق الأقل خصوبة سواء من ناحية المناخية (المناطق الجنوبية)، أو من حيث الهياكل الزراعية والعقارية والكثافة السكانية (الساحل)، أو إلى نسبة إرتفاع الإستيطان الأوروبي بها (مناطق أنتاج القمح و الخمر بجهة التل).

نتج عن هذه الحركة تدفق عدد كبير من السكان الأرياف نحو العاصمة التونسية وضواحيها خصوصا مع العقد الثاني من القرن العشرين، بحيث تضاعف عدد سكان في تونس مرتين، وكذلك الشأن في بنزرت إرتفع ما يقارب 50 بالمائة، وهكذا بلغت نسبة تزايد عدد السكان بأكثر من 20 بالمائة في المناطق الشمالية (التل) التي شهدت تركيز الإستعمار الزراعي لها نظرا لكونها أكثر المناطق خصوبة (التل) وهي أكثر رطوبة وتحضر من المناطق الأخرى²⁹.

3/ الأوضاع الثقافية:

إن الثقافة هي مجموعة من المعارف والقيم التي تميز مجتمع ما دون غيره، ولها أهمية بالغة في صياغة المشروع المجتمعي من اجل سند التنمية والتغير والانفتاح على العصر، وهي كذلك عملية تراكمية تواصلية، ويعالج هذا المطلب البيئة الثقافية التي كانت تعيشها تونس خلال الربع الأول من القرن العشرين، وسنجد أن هناك تشابه كثير في البيئة الثقافية للبلدان المغرب العربي بتونس، الجزائر، المغرب الأقصى، بحيث عمد المستعمر الأجنبي لتثويبها وطمسها، ولذلك سنعمل على عرض البيئة الثقافية لتونس منذ الحماية سنة 1881 إلى مطلع القرن العشرين وانعكاستها على القيم الفكرية والدينية والتربوية للمجتمع التونسي .

²⁹ أحمد القصاب : المرجع نفسه، ص 268، 269، 270 .

كانت تونس قبل الحماية الفرنسية حاضرة علمية أو مركزا بامتياز، ومعاهدها كانت تستقبل جموع الطلبة العرب والمسلمين من جميع أنحاء المعمورة، كما أنتجت أو أخرجت لنا كبار العلماء والأدباء أمثال : ابن رشيق، والأديب ابن اشرف، وابن الجزار، والمؤرخ ابن خلدون ، والفقيه ابن عرفة ...إلخ، هذا وبإضافة إلى أن تونس كانت هي حلقة وصل في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى جميع أنحاء شمال إفريقيا وأوروبا (صقلية، وجنوب إيطاليا)بالخصوص نظرا لكونهما منفذان هاما على مشارف السواحل التونسية وبذلك كان لهم دور البالغ في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا التي ترتب على إثرها قيام النهضة الأوروبية³⁰.

وقد كان لجامع الزيتونة الدور البارز والكبير في نشر الثقافة داخل المجتمع التونسي وكان بحق مركزا للإشعاع الحضاري والفكري نظرا لما كانت تزخر به مكتبته بعشرات الآلاف من الكتب القيمة والنادرة من جهة، ومن جهة ثانية أنجبت العديد من العلماء المذكورين سابقا، بحيث فتحت أبوابها لجموع الطلاب بهدف أن ينهلوا من علومها وفنونها في شتى المجالات الفكرية، الأدبية، الفلسفية، التاريخية... إلخ³¹.

إن الهدف من جامع الزيتونة هو تعليم أبناء المسلمين مالمهم وما عليهم، وكان التعليم بها في جموعه ينقسم إلى فرعين :

1-العلوم الدينية :وتختص في تحفيظ القرآن الكريم وتفسيره، والقراءات، والحديث، والفقهاء ، والكلام، والفرائض، والتوحيد، والتصوف .

2-العلوم الدنيوية :وتختص في تعليم التاريخ والجغرافيا والحساب والمنطق والشعر والأدب والبيان والمعاني واللغة والنحو .

³⁰ عز الدين معزة :المرجع السابق، ص66.

³¹ عبد العزيز ثعالبي :المصدر السابق، ص 57 ، 58.

والطلاب الذين يلتحقون بها يستوجب عليهم إتباع النظام الداخلي لجامع الزيتونة، كما يحوزون على شهادة تخرج منها التي تعادل الشهادة العالمية ويحق لهم أن يشتغلوا بها في العديد من الوظائف العمومية³².

وخلال مرحلة الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881، تم إنشاء مدرستان إيطاليتان أحدثتهما الجالية الإيطالية بتونس، وفي سنة 1888 أعاد الوزير الإيطالي "كريسبي" تنظيم المدارس الإيطالية الموجودة خارج إيطاليا، فعمد على إخضاع المدارس الإيطالية بتونس إلى سلطة الحكومة الإيطالية، وتبعاً لذلك أفلنت السلطة الفرنسية من إدارة هذه المدارس وأصبحت تابعة مباشرة للقنصل الإيطالي بتونس ويشرف على مراقبتها وتسيير دروسها ضمن لجنة محلية يراقبها المفتش العام الملحق بالقنصلية الإيطالية، كما أبرمت اتفاقية ثنائية فرنسية وإيطالية سنة 1896، حيث تنص على ما يلي : "فيما يتعلق بالمدارس الإيطالية المفتوحة في الوقت الحاضر ببلاد التونسية سيبقى وضعها على ما هو عليه من غير مساس بالحقوق العليا الراجعة للإدارة المحلية في ميدان حفظ الصحة والأمن العام ،و ذلك لتطبيق القوانين المتعلقة بالأمن".

وعلى العموم قد زاد من عدد المعاهد والمدارس الإيطالية، حيث بلغ خلال مطلع القرن العشرين حوالي 10 معاهد بالعاصمة التونسية، 03 معاهد بحلق الوادي وسوسة، و معهدان بصفاقس، وتنظم في كل سنة دروس في اللغة الإيطالية بالمعاهد التابعة للقنصلية الإيطالية وخصوصاً بالمناطق التي تتواجد بها الجالية الإيطالية³³.

³² محمد بن الخوجة: صفحات من تاريخ تونس، تقديم و تحقيق حمادي الساحلي والجلالي بن الحج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 291، 292.

³³ احمد قصاب: المرجع السابق، ص 292، 293.

أما بالنسبة للتعليم الفرنسي، فإن المؤسسات التي تتولى نشره كانت موجودة قبل الإحتلال، فمنذ أول عهد للحماية، قامت السلطات الفرنسية بتنظيم التعليم العصري وذلك بنشر اللغة الفرنسية، بحيث ركز المقيم العام الفرنسي "بول كمبون" PAUL CAMBON على تدعيم نظام الحماية بتونس، فقد أحدث إدارة للعلوم والمعارف تولاها المستعرب "ماشويل" MACHUL مدرس اللغة العربية في وهران، أما في المعهد الصادقي بتونس حي وضع له برنامج تابع للحكومة الفرنسية أي على المناهج التربوية الفرنسية، وتم إلغاء اللغتين التركية والإيطالية والعمل على فسح المجال للغة الفرنسية داخل جميع المؤسسات الفرنسية الموجودة بتونس³⁴.

وفي أبريل سنة 1901 دعى المجلس الشورى الخالي من الأعضاء التونسيين على ضرورة تمكين التعليم في المعاهد الفرنسية وحتى الموجودة بمقتضى الأوقاف إلى الإدارة الفرنسية الحاكمة بتونس بهدف تسير جميع شؤونها المادية والبيداغوجية، ولم تتأخر السلطات الفرنسية على تنفيذ إقتراح المستوطنين الفرنسيين على ضرورة تخفيض عدد تلاميذ المسلمين داخل المدارس الفرنسية العربية والمعاهد الفرنسية، وهنا عمدت السلطات الفرنسية على كتابة تقرير الموجه إلى الرئيس الجمهورية الفرنسية لتبرير هذا الفعل، بالقول على أن الأخطار المنجره للمسلمين عن تعليمهم للغة الفرنسية التي ستجعل منهم أناسا منحطين عن مقامهم، وبناءا على ذلك تم خفض عددهم ليصل سنة 1902 إلى 3061 تلميذ مقابل 4301 فرنسي، و3526 تلميذ إيطالي، و4368 تلميذ إسرائيلي، وهكذا عمدت السلطات الفرنسية على تخفيض عدد التلميذ التونسيين من المدارس إلى التعليم الذي يكتسي صبغة عملية، ويرمي بالخصوص إلى تكوين اليد العاملة البارعة، وهذا ما عبر عنه في التقرير الموجه إلى الرئيس الفرنسي سنة 1906 جاء فيه "في بلد ما الإيالة التونسية التي هي في حاجة إلى اليد العاملة الوافرة يجب أن يكتسي التعليم بصفة عامة والتعليم الابتدائي بصفة

³⁴ محمد بن الخوجة : المرجع السابق ، ص 291 ، 292 .

خاصة الصبغة العلمية وأن يضع على ذمة الصناعة والزراعة الاستعماريين عمالة متعلمة ومتحصلين على التجربة، ولقد إتجهت وتتجه جميع جهود إدارة التعليم نحو هذه الغاية"، كما أصدرت سلطة الحماية قرار سنة 1908 تطالب فيه بتوجيه التعليم في تونس كلها، وحتى المدارس التونسية إلى التعليم المهني والفلاحي، والهدف من ذلك واضح هو تكوين اليد العاملة المتخصصة لكي يستفيد من جهودها المستوطن الفرنسي، وهذا ما قام به السلطات الفرنسية بالجزائر فقد كان شعار المدرسة الأهلية الفرنسية: "تعليم من أجل تطبيق- المعلم لا يعلم التلميذ الاكتساب المعرفة، لكن يعلمه العمل" ³⁵.

وأثارت هذه السياسة العديد من الإحتجاجات الإصلاحيين التونسيين اللذين نددوا بها في أغلب جرائدهم الناطقة باللغة الفرنسية مثل "التونسي" سنة 1907، أمثال البشير صفر، وعلى باش حانبه ورفضهم للسياسة التعليمية الفرنسية، ولهذا عملوا سنة 1908 على إحداث مصلحة التعليم المهني، كم أحدثوا بعض المدارس التدريب الزراعي والصناعي بتونس والحواضر المحيطة بها كسوسة و صفاقس وقابس... إلخ ³⁶.

أما الزوايا فقد كان لها دور كبير في تونس، بحيث كنت هي مركزا للتعليم الديني والمعرفي وصومعتا للفكر والثقافة وملجئ للفقراء والأيتام بتونس ³⁷، بحيث كان لها تأثير على

³⁵ Agron charles robert : **les algériens musulmans et la France 1871-**

1919 ,t2,p.E .F.PARIS. 1968 .P924.

³⁶ أحمد قصاب : المرجع السابق، ص 299 ، 300 ، 301 .

³⁷ التليلي العجيلي : الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881 - 1939 ،

منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992 ، ص 40-44 .

كامل شمال إفريقيا، وإعتقد سكان المغرب العربي بأن لشيخ الطرق الصوفية بركة لا حدود لها يستطيعون بها معالجة جمع الأمراض التي تصيب الإنسان العضوية و النفسية منها³⁸.

ونلاحظ أن الطرق الصوفية خلال مطلع القرن العشرين أصبح أداة في يد السلطات الإستعمارية لقمع التمردات الموجودة بتونس، وخروجها عن المنى الحقيقي لتصوف الصحيح وإتباع التصوف الخرافي والشعوذة، وإدعاء الكثير منها بالكرامات وإمتلاك خوارق من عند الله لا يصدقها ولا يقبلها العقل حتى أصبح بعض المريدين يقولون "ما يأمرني به الشيخ أعمله، ولو أمرني بالإفطار في رمضان لفطرت"، ونتيجة هذا الفساد الذي شابها وإنشغالها بتوافه الأمور وإنغماسها في ملذات الحياة أبعدها الرؤية الصحيحة وهي مواجهة المستعمر الفرنسي مما جعلها بطبيعة الحال تفشل أمام المستعمر وترضخ أمامه بل أصبحت أداة لسلطة الإستعمارية³⁹.

ونرى بأن الثقافة التونسية رغم ما تعرضت له من محاولات التشويهية إلا أنها كانت أقل حدة مما كانت تعانيه الثقافة في الجزائر من محو كاد أن يكون شاملا، بحيث مس التعليم العربي والعادات والتقليد والنظم الإجتماعية، وهذا ما لم نلمسه نوعا ما في تونس، حيث أبقت السلطات الإستعمارية على الحكومة التونسية وبشكل يسر نوعا ما على ثقافة شعبها⁴⁰.

³⁸ Aboubekr abdssalam ben chouaib : (**les marabouts guérisseurs**),REVUE AFRICAINE. VOLUME 51 .Année 1907 ;éd ;jourdan ,libraire , Alger , 1907 , pp250, 251

³⁹ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر القافي 1830-1954، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 35 .

⁴⁰ الجمعي خمري : حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930) دراسة تاريخية وسياسية مقارنة، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002، ص 166 .

ثانيا: ردود فعل التونسيين (المقاومة المسلحة والسياسية)

أ/المقاومة المسلحة :

رفض الشعب التونسي بأن تحتل فرنسا بلاده تحت أي شكل من الأشكال الإستعمار سواء كان باسم الحماية أو إنتداب أو وصاية أو الإستعمار الفعلي، وقد تجسد الرفض الأول لمعاهدة الإستسلام التي وقعت مع الباي التونسي وحاشيته مع طرف أحد ضباطه وهو اللواء العربي زروق رئيس المجلس البلدي، وطلب من الباي محمد الصادق بضرورة رفض هذه المعاهدة، وقال للباي: "الآن لم يبقى وجه لتأخير ما إتفقنا عليه بالأمس، من إنتقال سيدنا إلى تونس، وهناك يجتمع حولك نحو ستين ألف مقاتل من أمتك، ويقضي الله بيننا..."، فرد عليه الباي بإشارة بيده إلى العسكر الفرنسي الذي يحاصر القصر، فقال له العربي زروق: " من هنا تبدأ المعركة"، فرد عليه الباي: "أتريد أن تخضب هذه اللحية بالدم"، فكان جواب العربي زروق: " يذهب رأس واحد خير من ذهاب رؤوس أمة كاملة" ⁴¹.

ولقد شجع الثوار التونسيين على القيام بإعلان الثورة على المستعمر الفرنسي عاملان أساسيان هما :

- قيام الثورة في الجزائر، بحيث كانت هي ملهمة الثورة التونسية وشجعتهم على مواجهة المستعمر الفرنسي بدون خوف، وبالأخص ثورة الشيخ بوعمامة في الجنوب الغربي للجزائر في صيف 1881 إلى 1903، نظرا لكونها قد جاءت متزامنة مع الإحتلال الفرنسي لتونس .

- إحساس التونسيين بأن القوات العثمانية المرابطة في طرابلس الغرب ستؤيدهم وتساعدهم في مواجهة العدو الفرنسي، ومما يؤكد لنا هذا الطرح هو إتصال الرسول العثماني

⁴¹ الطاهر عبد الله : الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956، ط2، دار المعارف لطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1975، ص26 .

بالمقاومين التونسيين، بأن السلطان العثماني رافض للمعاهدة الإستسلام (باردو) جاء فيها: " أن الباب العالي إحتج بصورة قطعية وحازمة ضد هاته المعاهدة، وأن هذه المعاهدة لاغية ولا شرعية لها "42.

وإنطلاقاً من هذه الإعتبارات أعلن التونسيين المقاومة هذا من جهة ومن جهة ثانية إرتكزت أغلب هذه المقاومة في الجنوب التونسي، وخاصة في مدينة القيروان المشهورة في الشمال إفريقي كله بمكانها التاريخية والدينية، وإنطلاقاً من القيمة أو الباعث الديني وكانت هي معقل بداية المقاومة التونسية، ومنها إمتدة إلى الساحل الجنوبي ثم إلى باقي أقطار التونسي 43 .

ولقد أريكت المقاومة التونسية مجهودات جيل فيري الذي خطط على ضرورة وجود طريقة جديدة لإحتلال تونس تكون بأقل الخسائر وأضرار وهي الحماية، بحيث أراد أن تتم عملية الإحتلال بأقل الأعداد ممكنة من الجنود ليفاجئ بوجود مقاومة عنيفة من طرف التونسيين، هنا أصبح مختار بين أمرين:

- إما أن يترك الثورة وشأنها مخاطر بالمكاسب السهلة التي أحرزها منذ قليل.
- وإما أن يعمل على تعزيز من عدد القوات الفرنسية بتونس وهذا لا يكون إلا بالتعبئة وبإعتماد على النفقات الكبيرة قد يرفضه نواب المجلس الفرنسي الذي إشتراط عليه سابقاً أن تكون حملته على تونس أقل خسائر من إحتلال الجزائر.

42 عبد الرحمان تشانجي : المسألة التونسية و السياسة العثمانية 1881 -1913 ،ترجمة عبد الجليل التميمي، ط1 ، دار الكتب الشرقية، تونس،1973، ص 134 .

43 I.S.H.M.N.Tunisie 1881-1887 (résistance populaire de la population tunisienne à l'occupation française) .cartons dossiers 2H26-D.1.Bobine S .266.FOLIOS 387 .

لكن دهاء (جول فيري) العسكرية والإستراتيجية مكنه من حل هذه المعضلة، وذلك بمقاومة الثوار التونسيين على مرحلتين:

- المرحلة الأولى أو الآنية، تهدف بضرورة إبعاد الثوار التونسيين عن المناطق الساحلية حتى تضمن إنقطاع عنهم المؤونة والإمداد وحتى الإتصال بالخارج أي محاولة عزل المقاومة .

- المرحلة الثانية أو البعيدة، تهدف بضرورة الزحف نحو المناطق الداخلية، أي إلى معقل الثوار، لكن أجلت هذه العملية إلى ما بعد الإنتخابات العامة في أوت 1881⁴⁴.

وقد كانت المقاومة التونسية في جميع المناطق، سنحاول التفصيل فيها بشكل موجز ومنظم حسب كل منطقة على النحو التالي:

- 1/ في الشمال التونسي :

وقد كان في صدارة المقاومة بالشمال التونسي هم قبائل خمير بالخصوص وسكان الجبال عموماً، حيث أنه لمجرد سماع نبأ وصول القوات البحرية الفرنسية إلى ميناء طبرقة هب العديد من المتطوعين من فروع قبيلة خمير وهم، أولاد بوسعيد وأولاد عمر والحوامد بزعامة شيوخهما لمقاومة القوات الفرنسية إثر دخولها وإحتلالها مدينة تونس، ولم يتأتى ذلك إلا بعد قصفها في 26 أبريل 1881، أما الفروع الأخرى من قبيلة خمير فقد بقيت مرابطة على الحدود التونسية الجزائرية لمواجهة القوات الجنرال فانسدون (VINCENDON) في 26 أبريل 1881، وبشهادة الفرنسيين أنفسهم وإعترفاتهم بأن هذه القبائل قد إستماتوا في الدفاع عن بلادهم ولم يوقفوا القتال الأبعد قدموا ما لديهم من النفس والنفيس .

⁴⁴ صلاح العقاد: المرجع السابق، ص 192 ، 193 .

أما في جهة جندوبة، فقد عمدت قبائل أولاد بوسالم والشياحية وعمدون في مواصلة المقاومة المسلحة وتحرير منطقة سوق الأربعاء، وشهد سهل بوسالم بتاريخ 30 أبريل 1881 في معركة عنيفة خاضتها هذه القبائل بمنطقة تعرف بين بشير، وإستمرت لأكثر من يوم كامل من الصباح إلى الليل⁴⁵ .

أما جهة ماطر وبنزرت، فقد عمدت أيضا القبائل القاطنة بها بمواجهة العدو الفرنسي بكل إستماتة والعمل على تحرير مناطقهم والدفاع عنها من الغازي الفرنسي، ومن بين هذه القبائل لدينا قبيلة مقعد وهذيل، بحيث تمكنت هذه القبائل في 28 أبريل 1881 من إستولاء على سفينة حربية فرنسية غرقت في الساحل قرب ميناء بنزرت، فنهبوا كل ما كان فيها من أسلحة وعتاد، وقد كان زعماء هذه المقاومة كلا من الشيخ داود بن السعيد من المشاركة، والحاج محمد بن أحمد من مشيخة العرب، ودعوتهم على ضرورة مقاومة القوات الفرنسية، وهذا ما جعل القوات الفرنسية تقول في أحد تقاريرها: " أن قبيلة مقعد كانت برمتها في حالة عصيان في 12 ماي، وإنتشر أفرادها في السهل ماطر، حيث إلتحق بهم متطوعين من هذيل ن وبجاوة وشيخة العرب وجزء من سكان المدينة"، وهكذا لم تستطع القوات الفرنسية من إحتلال منطقة بنزرت وما حولها بشكل نهائي إلا في نهاية الشهر جوان، وذلك بعد إستسلام أبناء مقعد وأجبروهم على وضع أسلحتهم بقوة القصف بالمدافع، كما عمدت السلطات الفرنسية أيضا على نزع السلاح وإخضاع قبيلة هذيل و بجاوة⁴⁶ .

ومن جهة منطقة قابس وما حولها على المناطق الساحلية فقد ظهرت مقاومة شرسة، تعتبر من اعنف المقاومات التونسية، ومن أهم القبائل التي شاركت فيها هي قبيلة جلاص

⁴⁵ علي محجوبي : المرجع السابق ،ص 46 .

⁴⁶ قدارة شايب : الحزب الدستوري التونسي الجديد و حزب الشعب الجزائري 1934 - 1954 دراسة

مقارنة، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص32، 33..

والفراشيش وهمامة وأولاد عيار، إذ حاول القائد علي بن خليفة من قبيلة نفات زعيم هذه المقاومة بالتنسيق الجهود مع شيخ قبيلة جلاص وهو الحاج علي بن مسعي، وشيخ قبيلة فراشيش، الحاج علي الحراث، وشيخ قبيلة همامة، احمد بن يوسف⁴⁷، وكانت إستراتيجية هذه المقاومة تهدف بضرورة القضاء على الجيش الفرنسي المتواجد بمنطقة قابس وما حولها من جهة، ومن جهة ثانية كانت تهدف بمنع القوات الفرنسية من محاصرة ودخول صفاقس من جهة البحر، حتى لا يستطيع التوغل نحو المناطق الداخلية ومنها الجنوب أي قطع كل السبل المؤدية إلى القيروان⁴⁸.

-2 / في الجنوب التونسي :

كانت منطلق المقاومة التونسية بالجنوب من صفاقس، نظرا لما كانت تشهده من اضطراب في جوان 1881، ولجوء المجاهد علي بن خليفة فيها جعل من منطقة صفاقس هي السبابة بالمقاومة في الجنوب التونسي، بحيث عملت المقاومة هناك بخلق نوع من الفرع داخل المستوطنين الأوربيين وذلك من قتل وحرق لمنازلهم، هذا جعل القوات الفرنسية تستحدث قوات جديدة مكلفة بحراسة المدنيين الأوربيين من هجمات علي بن خليفة، كما أرسلت القوات الفرنسية باخرة بتونس اسمها الذئب (LE CHACAL) إلى صفاقس في 27 جوان 1881، مما جعل العامة بصفاقس تقوم بالهجوم القنصلية الفرنسية في اليوم الموالي وأسقطوا العلم الفرنسي وأخذوا يهتفون " الموت للفرنسيين"، وعلى إثر هذا قامه القوات المرابطة بصفاقس بالهجوم على القوات الفرنسية في 29 جوان مساندة لسكان صفاقس

⁴⁷ علي محجوبي : المرجع السابق ، ص 46 ، 47 .

⁴⁸ قدارة شايب : المرجع السابق، ص 34، 35 .

وكادوا أن تقضوا على القايد حسونة الجلولي المتواطئ مع فرنسا لولا احتمائه بزاوية سيدي علي⁴⁹.

ويفعل الدعم الذي تلقاه علي بن خليفة من قبيلة نفات وبني زيد والمثاليث، أصبح هو القائد الفعلي لصفاقس، وأيده سكان المنطقة لنفوذه وسلطته عليها، كما اعترف أعيان مدينة صفاقس بعد تردد طويل بسلطة علي بين خليفة علي مدينة صفاقس وضواحيها، لكن للأسف لم تصمد هذه المقاومة طويلا أمام الترسانة الفرنسية التي بلغت أوج قوتها في 14 جويلية 1881، والتي أصبحت تضم قواتها لأكثر من 17 سفينة حربية، و6000 جندي فرنسي، ونتيجة هذا كله سقطت مدينة صفاقس في 16 جويلية 1881 بعد قصف دام لأكثر من يومين .

وبعد سقوط مدينة صفاقس مباشرة فر شقيق علي بن خليفة وهو الحاج صالح بن خليفة، نحو قابس أين نظم هناك مقاومة من أجل الثأر لأخيه، بحيث عمد على كسب تأييد قبائل قريتي المنزل وجارة، وعلى إثر هذا قامت القوات الفرنسية في 21 جويلية 1881 بإرسال باخرة حربية فرنسية إلى المدينة وبعث قائدها برسالة يطلب فيها من أهالي منطقة قابس الخضوع والانصياع لما تأمرهم به السلطات الفرنسية، وهكذا عقد أعيان مدينة قابس إجتماع دار فيه نقاش حول إستسلام المدينة دون قتال أو خسارة للأنفس والممتلكات وقد اقترح وكيل جمعية الاحباس الحاج أحمد بن جراد بالاستسلام، لكنه قوبل بالسب والشتم من بعض الحاضرين وبالخصوص من قبيلة المنزل، التي أصبحت فيما بعد مركز المقاومة بقابس، وهنا قامت القوات الفرنسية في 24 جويلية بقصف قرية "المنزل" ونصبوا أبراج ليطلقوا منها ل نار عند مدخل المدينة، ودارت معركة تمكن من خلالها المقاومة التونسية من إقتحام سوق قرية جارة، إنهزم فيها الجيش الفرنسي شر الهزيمة، إلا أن القوات الفرنسية

⁴⁹ علي محجوبي : المرجع السابق ، ص 48 ، 49 .

قامت في 26 من شهر جويلية بالهجوم من جديد مع القائد الكولونيل الفرنسي جامي (JAMAIS)، تمكنت على إثرها من إحتلال قرية جارة، أما قرية منزل فقد بقي فيها الثوار يقاتلون بكل استماتة تكبدوا فيها خسائر ضخمة، ولم تتمكن القوات من حلها بشكل تام إلا في نهاية الشهر نوفمبر 1881⁵⁰ .

-3 / المقاومة بالوسط و الساحل :

وشملت هذه المقاومة سكان قرى الساحل بمساعدة قبائل جلاص والهمامة، وبعض الجنود الفارين من قوات الباي من اجل القضاء على الإستعمار الفرنسي المتمركز بالسواحل والمسيطر على مشارف المناطق الداخلية والجنوبية، وهنا عمدت المقاومة التونسية على تنظيم المقاومة على أربع جبهات وهي: مركز القلعة الكبرى، ومركز جمال، وبنان، وقصور الساف، يقودها كلا من الساسي سويلم والحاج علي بن خديجة والسعد بن الحسين القم، وبعد مرحلة التعبئة مر المقاومون إلى العمل على منع جيش الإحتلال من التقدم، ففي 5 أوت 1881 تمكنت المقاومة من قبيلة جلاص المرابطة بالقيروان بالاتجاه نحو الشمال للهجوم على ضواحي باردو أين تتمركز القوات الفرنسية المتحالفة مع الباي التونسي، وقد تمكنوا على إثرها من الهجوم على ممتلكات الباي⁵¹ .

كما قامت جموع غفيرة من قبيلة جلاص والهمامة والسواسي وأولاد سعيد من صد القوات الفرنسية من التقدم نحو المناطق الداخلية للبلاد، وتمكنهم من إدخال الرعب والاضطراب في صفوف العدو لمدة أربعة أيام متتالية ما بين 26 إلى 29 أوت 1881، وهكذا تمكن الثوار في 26 من نفس الشهر بانقضاضهم على المعسكرات الفرنسية التابعة لكتيبة المقدم كوريار (CORRÉARD)، المتواجد ببئر حفيظ قرب قرمبالية والقضاء عليها،

⁵⁰ علي محجوبي : المرجع نفسه ،ص50

⁵¹ علي محجوبي : المرجع نفسه ، ص 51

وفي بداية الشهر سبتمبر 1881 قامت القوات من قبيلة جلاص والرياح وأولاد السعيد والهمامة والطربلسية بهجومها على القوات الفرنسية المتواجدة بمنطقة زغوان، حيث دخلت في معركة حامية الوطيس ضد جنود الفيلق الخامس، وكرد فعل على هذه الأعمال أسر الجنرال صاباتيه (sabattier) أكثر من خمسة عشر فرد من أعيان زغوان والاحتفاظ بهم كرهائن، وفرض على سكان المدينة المتواطئة مع الثوار على ضرورة دفع غرامة مالية تسلم في ظرف أقصاه يومان، كما هدد بقتل الرهائن في أي تأخير عن دفع الغرامة أو أي هجوم يقوم به الثوار على الجيش الفرنسي مما اضطر على إثرها الثوار من تغيير إستراتيجيتهم في المقاومة وذلك لعدم قدرتهم على مجابهة القوات الفرنسية التي تفوقهم عدد وعتاد⁵².

وهكذا نجد أن جول فيري قد أصر على إحتلال مدينة قابس والزحف نحو القيروان وفتح كل الطرق المؤدية إليها ابتداءً من مدينة زغوان وسوسة إلى غاية الحدود الجزائرية، حتى يلجم أفواه الصحفيين ويهدئ الرأي العام الفرنسي بخصوص المسألة التونسية وذلك قبل 28 أكتوبر 1881 حتى يتسنى له إعلان عن هذا النصر أمام مجلس النواب المنتخب في شهر أوت 1881⁵³.

ومنه نجد أن المقاومة التونسية قد حاربت على جبهتين، ضد الجيش الفرنسي من جهة، من جهة ثانية ضد الباي وجنوده لاعتقادهم أنهم باعوا تونس لفرنسا وخانوا الأمانة، وقد وجد الإستعمار الفرنسي بتونس ظاهرتين متناقضتين هما :

- الظاهرة الأولى : إستسلام الباي وحاشيته، وقبوله التعامل مع الإستعمار

⁵²إحتلال البلاد التونسية 1881 - 1883 (l'occupation de la tunisie 1881 - 1883)
،المصدر السابق ، ص 110 .

⁵³ **ibid** p,110,119.

- الظاهرة الثانية :رفض الشعب التونسي للباي وحاشيته، وكذا رفضه للإستعمار والتي

عبر عنها عن طريق المقاومة⁵⁴

ب/المقاومة السياسية :

عندما سكنت لغة السلاح بسبب الضعف والوهن الذي أصاب المقاومة التونسية، قد وضع حدا للصعوبات التي واجهتها سلطة الحماية الفرنسية من قبل المقاومة الشعبية المسلحة، وأصبحت بذلك القوات الفرنسية هي المسيطرة على الساحة الإقتصادية والسياسية والإجتماعية عبر كامل التراب التونسي⁵⁵، وفي ظل هذه الظروف المتسمة بالهدوء ظاهريا، بدأت بروز نخبة التونسية مثقفة -ثقافة فرنسية وثقافة إسلامية - تمارس نضالها السياسي والمعنون برفضها للإستعمار بأي شكل من الأشكال، ولكن بوسائل سلمية⁵⁶.

ثم بدأ الوعي الوطني يبرز بين الأهالي التونسيين في مطلع القرن العشرين، عندما امتزجت الأوضاع الناجمة عن النظام الإستعماري بظروف أخرى سابقة للحماية والمتمثلة في مجموعة من الإعتبارات الدينية، نظرا لكون أن تونس بلد إسلامي قد تأسس بها أول مدينة إسلامية في شمال إفريقيا وهي القيروان سنة 675، وكذا هي البلد الأكثر تأثر بالمشرق العربي⁵⁷، ولهذا كان الدين الإسلامي أحد عوامل الأساسية التي خلقت لحةمة بين المجتمع، ووجد ذلك بالمقاومة المسلحة والسياسية، هذا وبالإضافة إلى شعورهم بالانتماء إلى نفس المنطقة تولد عن ذلك تعلق بأرض الوطن (وحدة التراب)، كما لا ننسى أيضا وحدة اللغة التي ساهمت بشكل فعال داخل المجتمع التونسي، حيث كانت هي أداة تجاوب بين مختلف

⁵⁴ عزالدين معزة :المرجع السابق ، ص 24 .

⁵⁵ أحمد القصاب : المرجع السابق ،ص 486 .

⁵⁶ عزالدين معزة :المرجع السابق ، ،ص 25 .

⁵⁷ Charles Andrée julien ; l' Afrique du nord en marche nationalisme
musulmans et souveraineté .éd.gulliard .France .France .1972 .p63.

قطاعات الأهالي في تقاريرهم وتوعيتهم بمصيرهم المشترك، ساعد على بروز نوع من اللحمة الوطنية⁵⁸.

أفرز نظام الحماية العديد من التناقضات الإقتصادية والسياسية والإجتماعية، كانت تظهر جليا كلما عمد الإستعمار الفرنسي على زيادة من مصالح المستوطنين على حساب مصالح الأهالي، مما أضر بالأغلبية الساحقة من أهالي تونس سواء كانوا في المدينة أو الريف على حد سواء، وأنتهج التونسيين أمام هذا الخطر المشترك إلى تجاوز هذه التناقضات، ونتج عن إثرها الشعور باللحمة بين أفراد الشعب التونسي فكان هذا الشعور هو أساس الوعي الوطني

كما حصلت ظروف أخرى ناجمة عن نظام الحماية ساعدت على تنمية هذه اللحمة وأدت إلى زيادة بالشعور الوطني عندهم، فمثلا دخول الرأسمالية الأوربية وتزايدها إثر معاهدة باردو حولت تونس من اقتصاد معاشي إلى اقتصاد السوق، هذا أدى إلى نمو وتزايد وسائل النقل، وإلغاء الجمركة الداخلية، وجعل نظاما اقتصاديا موحد داخل تونس-أي بتوحيد المكاييل والموازين لتسيير المعاملات التجارية-، كل ذلك ساهم في تصفية التجزئة الإقطاعية التي كانت سائدة في الماضي، وجعل الإيالة ذات كيان اقتصادي واحد على عكس ما كنت عليه سابقا، تعيش كل منطقة معزولة عن الأخرى، وأصبحت الإيالة لا تنتج للضمان العيش فقط بل لكي تبيع، وقد أحدثت هذه الصلة الداخلية شيء من الالتحام الإقتصادي بين هذه المناطق، وتكامل المصالح فيما بينهم مشكلا هذا دعامة وطنية في نفوس التونسيين، وعلاوة على ذلك فإن تطور المواصلات قد ساعد في تنقل الأهالي من تقليص الفوارق في ذهنيات القبلية بين مختلف جهات الوطن، ولا سيما بين الريف والمدينة، كما ساعد أيضا على تدفق

⁵⁸ علي المحجوبي: جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934، تعريب عبد الحميد الشابي، ط1

، المجمع التونسي للعلوم و الأداب و الفنون (بيت الحكمة) ،تونس 1999 ،ص 113 ، 114 .

الأفكار وتداولها بين الناس وهو ما مكن التونسيين من إدراك وضعهم المشترك والوعي المتزايد بخطر النظام الإستعماري عليهم، فهذا كان له أثر إيجابي في تنمية الوعي الوطني بتونس⁵⁹.

وساهم أيضا التعليم العصري الذي أدخلته سلطة الحماية الفرنسية بتونس، من نشر مبادئ الثورة الفرنسية الداعية إلى الحرية والأخوة والمساواة في عقول و صدور طلاب تونس، وولد في عقولهم تناقض عجيب، بين ما تدعوا إليه وما كانت تطبقه في تونس، فقد كتبت جريدة "لوتون" LE TEMPS في أفريل 1906: "إن الشباب الذي يتعلم الفرنسية و لا يسمع في أوساطنا وأدبنا إلا حديثا عن العدالة والحرية والمساواة لا يقبل أن يعامل معاملة المغلوب الذي ليس له أي حق حتى ولو كان في تطلع إلى وضع حسن " ⁶⁰.

وهكذا كانت الحياة السياسية لتونسية خلال مطلع القرن العشرين، تتلخص في دور حركة الشبان التونسية، وحادثة الزلاج، وحادثة الترامواي :

1/ حركة الشبان التونسية :

لقد اتسعت وازدادت نشاط الحركة الوطنية التونسية، على يد الشبان التونسيين المثقفين الذين درسوا بالمعاهد التونسية، وكانت للجنة الأولى لظهورهم المدرسة الصادقية سنة 1875، لتدريس العلوم الحديثة في إطار عربي، وفيها تخرج العديد من رواد الحركة الوطنية التونسية، أمثال بشير صفر، وعلى باش حامبة، المتأثرين بفكرة الجامعة الإسلامية الرامية إلى التقرب من الدولة العثمانية⁶¹، وفي 23 ديسمبر 1905 تأسست جمعية قدماء تلاميذ المعهد الصادقية، برئاسة خيرالله بن مصطفى، تعمل على تغيير عقلية الفرد التونسي، والأخذ

⁵⁹ علي المحجوبي: جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934، المرجع نفسه، ص 111. 112.

⁶⁰ علي المحجوبي : المرجع نفسه، ص 122 .

⁶¹ صلاح العقاد: المرجع السابق، ص 322 .

به نحو التقدم، وقد صرح علي باش حامبه احد المثقفين بالثقافة دينية، والساعي إلى عصرنة تونس وأحد الناشطين والمؤسسين للجمعية قائلًا: "لبلوغ ذلك علينا أولاً أن نجتهد للحفاظ على هذا التفكير الجديد الذي كان المعهد الصادقي مهداً له، وتنميته لدى رفاقنا ثم نشره بين عامة الشعب" ⁶².

وفي سنة 1907 تأسست أول حركة سياسية منظمة بتونس بهدف مقاومة الإستعمار الفرنسي بقيادة علي باش حامبه والشيخ عبد العزيز الثعالبي ومحمد باش حامبه، وقد تأثرت هذه الحركة في بداية عهدها بحركة تركيا الفتاة في نظامها وأهدافها، وبدأت في محاولة تنظيم الجماهير في إطار الحزب، وأول عمل قامت به حركة تونسي الفتاة هو إنشاء جريدة ناطقة باللغة الفرنسية في 07 فيفري 1907 سميت بجريدة التونسي، وأعلنت من خلالها برنامجها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، كما قضت أيضاً على الخلافات الثقافية بين المثقف ثقافة غربية و المثقف ثقافة عربية وذلك باحتوائهم للإثنين، وكان أبرز وجوه هذا التضامن هو إنضمام الشيخ عبد العزيز الثعالبي للعمل مع علي باش حامبه في حركة تونس الفتاة ، هذا كله أزعج فرنسا ورأت بأن هذا الحزب قد حاد عن القرارات التي رسمت له أثناء نشأته في مؤتمر مرسيلىا، لذا عمدوا على ضرورة عقد مؤتمر جديد بباريس سنة 1908 تحت مسمى جديد هو مؤتمر شمال إفريقيا، بهدف العمل على زرع الخلاف والشقاق بين مختلف التيارات السياسية ⁶³.

كما عمد هذا الحزب بإصدار مرسوم يندد فيه الغزو الإيطالي لليبيا في 11 سبتمبر 1911، وأصدر شباب الحزب جريدة "الاتحاد الإسلامي" تزامناً مع العدوان الإيطالي على ليبيا، جاء في عدده الأول: "فلا يتعجب الأوروبيون إذا رأوا قلوب المسلمين تخفق نحو تركيا

⁶² Charles André Julien :OP,CIT.p,65.

⁶³الطاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 40.

نتيجة هذا الإعتداء الإجرامي الذي لا نسمح به، ويعتبر هذا الإعتداء على الخليفة الحامي والمدافع عن الأماكن المقدسة، إنه إعتداء على الإسلام و على العالم الإسلامي كله، ونحن التونسيين نعرب عن عدائنا لإيطاليا، ونرى هذا السلوك هو بمثابة العمل الوحشي الفريد من نوعه الذي عرفه القرن العشرين، ولا نتردد و لا نخشى من اعتبارنا هذا الإعتداء بمثابة عمل لصوسي وجبان و وصمة عار في وجه هذه الإنسانية⁶⁴، ومع هذا كان يوجد داخل تونس أكثر من 75000 مستوطن إيطالي، وقفوا أغلبهم مع حكومتهم المستعمرة، وكانوا يرفعون على إثر ذلك شعارات ولفئات يؤيدون فيها الغزو الإيطالي لليبيا⁶⁵ .

وفي سنة 1909 أصدر علي باش حامبه نسخة من جريدة التونسي باللغة العربية ترأس تحريرها عبد العزيز الثعالبي، وبذلك انفصلت الحركة الوطنية التونسية بتأثير عبد العزيز الثعالبي عن تأثير الثقافي الغربي وأصبح مقر جريدة التونسي الناطقة بالعربية هو مقر الحركة الوطنية، وهكذا بدأت الحركة الوطنية التونسية تسير على منوال الحركات الوطنية الموجودة في آسيا وإفريقيا وخاصة بعد فشل دعاة الارتقاء في أحضان الغرب من جراء:

- تعنت الإدارة الإستعمارية واحتقارهم للتونسيين
- قوة التيار الشعبي المعادي لكل ما هو أجنبي والمتمسك بأهداف القومية
- الإعتداء الإيطالي على ليبيا
- إنضمام الشيخ عبد العزيز الثعالبي وأتباعه (ثقافة إسلامية عربية) إلى الحركة الوطنية التونسية

⁶⁴ جريدة الإتحاد الإسلامي، العدوان الإيطالي على ليبيا، العدد 1، سبتمبر 1911، ص 1 .

⁶⁵الجمعي خمري : المرجع السابق، ص363 .

- ظهور فكرة الجامعة الإسلامية التي أحييت نفوس العالم الإسلامي، مع السلطان عبد الحميد الثاني⁶⁶.

2/حادثة الزلاج⁶⁷ :

الزلاج هي مقبرة إسلامية في المدخل الجنوبي للعاصمة التونسية لها مكانة خاصة في نفوس التونسيين نظرا لاحتوائها على جبل التوبة والمعروف بجبل سيدي بن الحسن ومغارة أبي الحسن الشاذلي الصوفي المشهور صاحب الطريقة الشاذلية، وقبور عدد من كبار وعلماء تونس

انتهكت فرنسا حرمة مقبرة الزلاج في 07 نوفمبر 1911، وهذا خلال محاولة السلطات الفرنسية مد خط الكهربي بالمقبرة، هذا أثار حفيظة التونسيين وازداد غضبهم، فعمدت القوات الفرنسية مواجهة هذه المحتشدات من شباب التونسي بكل عنف أسفر عنه مقتل 8 من المستوطنين الفرنسيين والإيطاليين، أما في صفوف التونسيين فيقول أحمد توفيق المدني أن هذا اليوم الرهيب انتهى بموت عدد غير قليل من التونسيين لا يعرف بتحديد عددهم بالضبط، ثم وقعت المحاكمة يوم 03 جوان 1912، التي أصدرت بإعدام سبعة أشخاص نفذ الحكم على اثنين منهم فقط يوم 26 أكتوبر 1912، وهما الشاذلي القيطاري، ومندوبي الجرجار، أما الباقيين فقد خفف عنهم العقوبة بالسجن عشرين سنة مع الأعمال

⁶⁶الطاهر عبد الله : المصدر السابق، ص42 ، 43 .

⁶⁷ أصل تسمية الزلاج تعود الى الشيخ محمد بن عمر الزلاج صوفي تونسي ولد بتونس وتربى بالمنستير واحترف الزليج بمدينة تونس ودفن بتونس سنة 601 هـ وأصبحت تسمى عنه تلك المقبرة التي دفن بها، ينظر يوسف مناصرية : الحزب الحر الدستوري التونسي 1919 -1934، ط1 ندار الغرب الإسلامي ،بيروت ، لبنان، 1988، ص 19 .

الشاقة، وباقي الأحكام الأخرى تتراوح بين العشر سنوات إلى ثلاثة أشهر⁶⁸، وحسب شهادة أحمد توفيق المدني يرى أن حادثة الزلاخ أمر مفتعل ومدبر من قبل القوات الفرنسية بهدف القضاء على الحركة الوطنية التونسية و إضعافها حتى لا تنتشر في عقول ونفوس التونسيين قائلا: " هي التي حضرت الهوة الحقيقية بين التونسيين والفرنسيين، وهي التي جعلت القلوب تضرم نارا لا تهدأ"⁶⁹.

وهكذا على إثر هذه الحادثة أصدر الباي أمرا مكتوب بثلاثة لغات :عربية وفرنسية وإيطالية جاء فيها:"حيث أن الحوادث الناشبة بمدينة تونس ودائرة مراقبتها تستلزم إتمام ودعم الإجراءات المتخذة قصد اتقاء استئناف مثل هذا الشغب وحفظ النظام في المدينة ودائرة مراقبتها واستتاب الأمن المادي والمعنوي أصدرنا أمرنا بما يأتي :

- الحق في تفتيش مساكن المشتبه بهم مهما كانت جنسيتهم بالليل أو النهار .
 - إبعاد ذوي السوابق العدلية وكل من ليس له مسكن في مدينة تونس ودائرة مراقبتها المدنية .
 - الأمر بتسليم الأسلحة والذخيرة والقيام بالبحث والاستحواذ عليها
 - منع المنشورات والاجتماعات التي ترى أنها من شأنها أن تثير الشغب⁷⁰
- وما نستخلصه من حادثة الزلاخ هو أن الجماهير الشعبية هي لوحدها القادرة على التصدي للقمع و العنف الإستعماري بقوة بلا أي خوف أو ريبة، كما أظهرت وحدة الشعب التونسي مع بعضه البعض من جهة و وحدته مع العالم العربي من جهة ثانية بالوقوف إلى جانب التونسيين

⁶⁸ أحمد توفيق المدني : حياة كفاح (مذكرات)، الجزء الأول، في تونس 1905 -1925، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص45 .

⁶⁹أحمد توفيق المدني : المصدر نفسه، ص46 .

⁷⁰علي محجوبي : جذور الحركة الوطنية التونسية 1904 -1934، المرجع السابق ، ص143 .

3 /حادثة الترامواي :

تعتبر حادثة مقاطعة ترامواي سنة 1912 امتداد لحرب طرابلس وحوادث مقبرة الزلاج سنة 1911، ويعود سبب هذه المقاطعة من قبل التونسيين إلى حادثة التي وقعت يوم 08 فيفري سنة 1912 عندما صدم الترامواي طفلا متعمدا عمره ثمانية سنوات وهو أحمد ابراهيم الحربي بالمكان الواقع بين باب السويقة وباب سعدون، وكان سائق الترامواي هو عامل إيطاليا، هذا وبالإضافة إلى شتم الإيطاليين وأهانتهم للتونسيين مما إثر غضب التونسيين من هذا العمل الإجرامي المعتمد مع سبق الإصرار، ولهذه الأسباب وغيرها تجمهر عدد كبير من التونسيين وعمدوا على قطع الطريق أمام الحافلة القادمة من الجهة الأخرى، التي كان يقودها السائق مرتكب الجريمة، ومن هنا عمد التونسيين على عملية مقاطعة عربات الترامواي لمدة ثلاثة شهور كاملة⁷¹.

وبسبب طول هذه المقاطعة أصبحت الشركة التونسية للنقل في أزمة مالية كبيرة كادت أن تؤدي إلى إفلاسها مما أدى إلى تدخل سلطات الحماية الفرنسية للإسراع لوضع حل لهذه الكارثة التي وقعت على رؤوسهم وذلك بالاستماع إلى رأي العمال المتظاهر، هذا كله استغلته الحركة الوطنية بالعمل على تهدئة الوضع مقابل أن تتعهد الشركة بقبول مطالبهم، وشكل على إثرها لجنة ضمت على باش حامية، محمد نعمان، محمد العروي، الشاذلي درغوث، وأحمد الصافي وتتلخص مطالبهم في :

- طرد العمال الإيطاليين وتعويضهم بالتونسيين والفرنسيين

- تخفيض سرعة الترامواي في الأحياء العربية

- المساواة بين كل العمال دون أي تمييز

⁷¹الجمعي خمري : المرجع السابق، ص 367 .

- إستعمال اللغة العربية إلى جانب اللغة الفرنسية في كتابة العناوين في المحطات والإرشادات

- التزام عمال الشركة باحترام الركاب التونسيين

- طرد كل من يتسبب في قتل أي إنسان من سائقي الشركة⁷²

وفي الأخير رفضت الشركة مطالب التونسيين، واكتفت الشركة بتقديم إعتذار فقط وتعازي إلى أهل الضحية والعمل على تخفيض سرعة الترامواي، هذا مما أثار سخط التونسيين وإحداث نوع من الفوضى داخل العاصمة التونسية واضطرت السلطات الفرنسية على نفي زعماء الحركة الوطنية إلى الجزائر وفرنسا واتهمتهم بالفوضى وسبب جميع الحوادث التي تقع في تونس، بحيث تم اعتقال وإبعاد علي باش حامبه، وعبد العزيز الثعالبي، وشاذلي درغوث، ومحمد الغروي، ومحمد نعمان، والمختار كاهية، أما علي باشة حامبه نفي إلى تركيا، والثعالبي إلى الجزائر، هذا أثار حفيظة التونسيين وعمدوا على تطوير مطالبهم من إقتصادية وإجتماعية إلى سياسية⁷³، وفي 08 ماي 1912 تظاهر التونسيين أمام مقر إدارة سلطة الإستعمار الفرنسي وطالبو بضرورة إطلاق سراح المسجونين بسبب حوادث مقبرة الزلاج و صبوا جل غضبهم على إدارة الباي نفسه⁷⁴.

وبنفي زعماء الحركة الوطنية تعتبر ضربة قاسية أدخلت الحركة في شلل تام طوال مدة الحرب العالمية الأولى، هذا وبالإضافة إلى الإجراءات القمعية، من منع حرية التجمع وممارسة جميع النشاطات الحزبية، وإستعمال القوة، ورغم هذا كله لم تستطع القوات الفرنسية من منع النشاط السياسي داخل المجتمع التونسي وبالأخص لدى المجتمعات الراقية المتواجدة في المدن ومع نهاية الحرب العالمية الأولى أرست النخبة التونسية أحمد السقا إلى

⁷² الطاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 49 .

⁷³ الطاهر عبد الله : المصدر نفسه، ص 49، 50 .

⁷⁴ الجمعي خمري :المرجع السابق، ص 371 .

مؤتمر الصلح المنعقد سنة 1919، ثم إلتحق به عبد العزيز الثعالبي وألف هذا الأخير كتابه المشهور "تونس الشهيدة" لخص فيه برنامجه السياسي والإقتصادي والاجتماعي لتونس، نشر لأول مرة في شهر نوفمبر 1919، وعمل على تكوين حزب جديد عرف بالحزب الحر الدستوري التونسي في شهر مارس 1920، المستمد اسمه من دستور تونس 1861⁷⁵ .

وكان هذا الحزب معارضا لسلطة الحماية والإستعمار الفرنسي لتونس، وقد انشق عن هذا الحزب ثلاثة تيارات سياسية هي :

- الحزب الإصلاحى : تزعمه حسن قلاتي وظهر سنة 1921، كانت جل مطالبه الإلتزام بنصوص الحماية وبقاء تونس مرتبطة بفرنسا

- الحزب المستقل: وتزعمه فرحات بن عياد ظهر سنة 1922، وكان هو أيضا مؤيد للحماية

- جمعية عموم العملة التونسية أسسها محمد علي الحامي سنة 1924، اقتصر نشاطها بالعمل النقابي بالدرجة الأولى ولم تتفصل عن الحزب الدستوري الحر⁷⁶ .

ومنه نجد انه منذ أن وطئ الاحتلال الفرنسي للأراضي التونسية عام 1881 م، عمد على إجراء سياسة تعسفية تهدف الى نهب ثروات وخيرات البلاد مما ترتبت عليه من أثار سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية سيئة كما رأينا سابقا، هذا شكل بمثابة وخزه في نفوس التونسيين، فبمجرد الدخول الفرنسي لتونس واجهت قوات الاحتلال مقاومة شرسة ضد الاستعماريين بهدف إخراجهم، لكن هذه المقاومة لم يكتب لها النجاح، لتظهر مقاومة أخرى بشكل وأسلوب مغاير ومختلف وهي المقاومة السياسية .

⁷⁵ Charles André Julien ;ibid, P66 .

⁷⁶ يوسف مناصرية: الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية (1934- 1937)، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 2002، ص 7 ، 8 ..

المبحث الثاني: أوضاع المغرب الأقصى

يتميز المغرب الأقصى عن غيره من أقطار المغرب العربي بخاصة وأقطار الوطن العربي عام بأنه شهد وواجه أول موجات العدوان والتوسع والاحتلال التي استندت إلى منطلقات دينية تعصبية وقومية وإستراتيجية واقتصادية واستيطانية لا زمت اسبانيا بخاصة طوال الحقبة الحديثة⁷⁷، ومنذ القرن 17 وانفردت اسبانيا بالعدوان المستمر والاحتلال للعديد من المدن و الموانئ الساحلية المغربية منطلقة من قواعد الاستيطانية المحتلة في سبتة⁷⁸، ومليلة⁷⁹ وفي شمال المغربي، ونظرا لأهميتها الإستراتيجية تمكنت اسبانيا من ضمهما وادعت بأن المغرب جزء من الأراضي الاسبانية⁸⁰.

أولا: الحماية المزدوجة على المغرب وآثارها

أ/الحماية المزدوجة على المغرب

1/الأطماع الأوربية على المغرب

كان الإحتلال الفرنسي للجزائر تأثيرا مباشرا على المغرب، إذ اتهمت بدعم المقاومة الجزائرية وفرضت عليها ضغوط عسكرية وسياسية واقتصادية، فكانت على إثرها تطور

⁷⁷أوصت لإيزابيلا ملكة إسبانيا قبل وفاتها عام 1504: "إنني أرجو من الأميرة ابنتي والأمير زوجها، وأمرهما بطاعة وصايا الكنيسة المقدسة، فعليهما ان يقوما بحمايتها وان لا يكفا عن متابعة فتح إفريقيا لمحاربة الكفار...". ينظر، عبد العزيز خلوت التسماني: "الإحتلال الفرنسي والقصر الكبير"، مجلة كلية الأدب و العلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، العدد 7، الرباط، المغرب، 1982، ص 45، 46.

⁷⁸ إحتلت منذ 1415 إلى الآن

⁷⁹ إحتلت منذ 1497 إلى الآن

⁸⁰ روم لاندو: تاريخ المغرب في القرن العشرين، دار الكتاب، دار البيضاء، المغرب، 1963، ص 75

للأوضاع العسكرية في المنطقة مما أدت إلى نشوب معركة بين القوات الفرنسية والقوات المغربية، بقيادة السلطان عبد الرحمان، انتهت بهزيمة الجيش المغربي عند وادي ايسلي، غرب وجدة في 14 أغسطس 1844 كما قامت فرنسا بمهاجمة ميناء طنجة في الأشهر اللاحقة .

كانت فرنسا قادرة على الاستمرار في التقدم، ولكن إنذار بالحرب من طرف القوات الانجليزية المرابطة بجبل طارق جعلها تتراجع، وتقف عند إجراء مفاوضات التي انتهت باتفاقية طنجة في 10 سبتمبر 1844 ، ثم اتفاقية للامغنية في 18 مارس 1845⁸¹ .

وقد ترتب عن هذا كله تكبيل المغرب باتفاقيتين، الأولى تخطط حدوده بغموض مما يسهل على فرنسا التدخل في المغرب، والثانية تجارية تمنح فرنسا الأفضلية في المعاملات، مما أفضى ذلك في التدخل من طرف الدول الأوروبية الأخرى للتنافس على المغرب، فقد طالبت بريطانيا باتفاقية مماثلة وفي عام 1860 وأعلنت اسبانيا الحرب على المغرب وشنت هجوما على تطوان فكانت الهزيمة العسكرية البالغة بعد هزيمة ايسلي، فاحتلوا مدينة تطوان ثم عقد الطرفان صلحا في 1861، وكانت بنوده بالكامل لصالح اسبانيا، مما أضطر المغرب للاقتراض الأموال من انجلترا لدفع الغرامات المستحقة لصالح اسبانيا⁸²، وفي السياق ذاته دخلت بريطانيا بعد سنتين من احتلال تطوان لتضغط على الإسبان من أجل الانسحاب مقابل مبالغ مالية باهظة، وبذلك دخل المغرب بعد مصر وتونس في دوامة القروض غير المنتجة التي تؤدي حتما للإفلاس، وبموازاة الضغط العسكري سلطت ضغوطات اقتصادية على المغرب، ففي عام 1860 فرضت بريطانيا على السلطان اتفاقية صداقة وتجارة نصت

⁸¹ علي سلطان : تاريخ العرب الحديث، منشورات مكتبة طربلس العلمية والعالمية، طربلس د.ت، ص609،608 .

⁸² أفا عمر : التجارة المغربية في القرن التاسع عشر :البنيات والتحويلات 1830 -1912، مكتبة دار الأمان، الرباط، 2006، ص34،33 .

على منح بريطانيا والدول الأوروبية مبدأ الأفضلية، وأقرت حرية المبادلات وتخفيض الرسوم الجمركية، وحازت اسبانيا بعد عام 1861 على امتيازات واسعة منها حق امتلاك العقارات لرعاياها في أحواز المدن الساحلية المفتوحة على التجارة .

وهكذا أصبح المغرب مخترقا عسكريا واقتصاديا، ويحوز القناصل والتجار والأجانب على نفوذ واسع ويحتكمون لقوانين بلدانهم، وامتد الأمر إلى حماية أبناء البلد من اليهود والمسلمين المتعاونين مع الأوربيين⁸³، وفي صيف 1880 اشتد الصراع الاستعماري على المغرب وامتد إلى بداية القرن العشرين وقد ظهر بأن فرنسا جادة في الاستحواذ على المغرب، حيث بدا لها أن ذلك يتم بتوافق مع القوى الأخرى المنافسة لها، فأجرت اتصالات مع ايطاليا وأغرته بالمساعدات في بسط نفوذها على ليبيا وأفضت إلى إبرام اتفاقية عام 1902، ثم أبرمت اتفاقية مع بريطانيا في 8 أبريل 1904 التي عالجت المسألة المغربية وقضت بإطلاق يد فرنسا في المغرب لمساعدة السلطان في إدخال إصلاحات بالمغرب، شريطة عدم معارضة سياستها في مصر ومنح حليفها اسبانيا نفوذا لها في القسم الشمالي للبلاد المغرب، وهكذا في أكتوبر 1904 أبرمت مع اسبانيا اتفاقية سرية تحدد مناطق نفوذ اسبانيا على الأراضي الشمالية للمغرب والمحاذية للبحر المتوسط، وفي عام 1905 رسمت فرنسا مشروع للدخول إلى المغرب عن طريق فرض "الإصلاحات"، لكن السلطان رفض هذه الإصلاحات واستعان بألمانيا التي ظهرت كمنافس حقيقي لفرنسا خاصة بعد زيارة ملكها لطنجة في مارس 1905 وإعلانه الرفض المطلق لأي تدخل أجنبي في المغرب، ولتجاوز الأزمة وجهت بإسم المغرب دعوة لعقد مؤتمر دولي لينظر في طبيعة الإصلاحات التي يجب إدخالها للبلاد بضمانات دولية، واستطاعت فرنسا إن تحافظ على مكاسبها وان تقنع

⁸³ عبد الله مقلاتي: الإحتلال الفرنسي الاسباني للمغرب، محاضرة 8 ، السنة الثانية ماستر، قسم التاريخ

،جامعة محمد بوضياف ،المسيلة ، 2011 - 2012 م.

ألمانيا بصعوبة قبول الميثاق، ونص ميثاق الجزيرة الخضراء على مطلب المغرب في الحفاظ على استقلاله ولكنه دعى المغرب للتعاون مع فرنسا واسبانيا من اجل إرساء الإصلاحات⁸⁴. وكانت هذه القرارات مخيبة لآمال المغرب الذي عول على الدعم الألماني لموقفه، ولكن الموقف الألماني الذي كان مفيد للمغرب بدا متذبذبا، ولكنه قد مال من جديد للمغرب وطالب برفض تنفيذ ميثاق الجزيرة الخضراء إلا بعد مصادقة السلطان، وهذا اضطرت فرنسا لمهادنة ألمانيا التي كانت تبحث عن وفاق مع فرنسا في أوروبا، وهو ما يفسر سكوت ألمانيا على محاولة فرنسا واسبانيا احتلال طنجة في أواخر عام 1907، ولكنها أبدت بعد ذلك معارضة للتدخل الفرنسي في الشاوية بسبب مطامحها الاستعمارية، واضطرت فرنسا لتعويضها عن ذلك بمنحها جزء من الكونغو⁸⁵، بعد الاتفاق الفرنسي الألماني في 1911.

2/الاحتلال الفرنسي .الاسباني للمغرب :

بعد أن تمكنت فرنسا من إنهاء جميع خلافتها الاستعمارية مع القوى الأوروبية المنافسة لها في المغرب، و لم يبقى أمامها سوى المباشرة في عملية فرض الحماية على المغرب، وقررت في الشهر مارس سنة 1907 انتهاز حادثة مقتل احد الأطباء الدبلوماسيين الفرنسي إلي احتلال مدينة وجدة القريبة من الجزائر، وفرض شروطها التعجيزية على السلطان، وفي بداية الشهر أوت 1907 حادثة مقتل ثلاثة عمال فرنسيين بميناء دار البيضاء، كان عاملا لتسير حملة عسكرية أخرى على المغرب الأقصى مدعية بأن العملية تتم في إطار ميثاق

⁸⁴ العربي الورياشي : الكشف والبيان في سيرة بطل الريف الأول سيدي محمد أمزيان، المطبعة

المهدية، تطوان، المغرب، 1986، ص 22-27.

⁸⁵ عبد الله مقلاتي : الإحتلال الفرنسي الاسباني للمغرب، المرجع السابق، المحاضرة 08 .

الجزيرة، وأن من أهدافها تنظيم البوليس بالدار البيضاء بالاشتراك مع اسبانيا وبالتعاون
المزعوم مع السلطان⁸⁶.

كما تمكنت القوات الفرنسية من دخول فاس وإخضاع السلطان عبد العزيز، ولكن
المدينة ثارت في وجه السلطان المستسلم، واجتمعت كلمة قبائل الجنوب ودعت على ضرورة
مبايعة عبد الحفيظ بالخلافة، فأعلن هذا الأخير ثورة ضد أخيه عبد العزيز وانتهزت فرنسا
هذا الانقسام لتثبيت سلطتها تدريجيا على المغرب، وافته هذا النزاع لصالح عبد الحفيظ الذي
بويع سلطان بعد تنازل أخيه عبد العزيز في أوت سنة 1908 م، وفي بداية عام 1909 م
طالب السلطان عبد الحفيظ من فرنسا الانسحاب من المناطق التي احتلتها، ولكنه سرعان ما
خضع للفرنسيين الذين استمروا في الضغط عليه بمختلف السبل⁸⁷.

وفي عام 1911 م كانت فرنسا قد احتلت كلا من فاس والرباط، ووجدة والكثير من
المراكز الهامة، وأخضعت السلطان عبد الحفيظ لنفوذها وأخذت تضغط عليه لقبول الحماية،
وقد واجهت القوات الفرنسية صعوبة جمة لفرض سيطرتها على كامل ربوع بلاد المغرب
الأقصى، إذ سرعان ما عارضت ألمانيا دخول الفرنسي للمغرب وأرسلت على إثرها قوة
بحرية نحو أغادير لدعم السلطان عبد الحفيظ، واضطرت فرنسا لدخول في تفاوض مع
ألمانيا، ومنحها جزء من الكونغو، كما شرعت السلطات الفرنسية أيضا في التفاوض مع
اسبانيا لضبط الحدود بينهما عام 1912 م، وبعد أن استتب الوضع فرضت السلطات
الفرنسية على السلطان عبد الحفيظ معاهدة الحماية في 12 مارس 1912 م، وبمقتضاها

⁸⁶ إبراهيم شحاته حسن : الحماية في المغرب في ضوء التجربة الاستعمارية بإفريقيا، مجلة كلية
الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن عبد الله، العدد 2،3، السنة 1980، ص 124. سمير أمين
:المغرب العربي الحديث، ترجمة: كليل داغر، ط1، دار الحداثة، بيروت، 1986، ص123 .

⁸⁷ ألبر عياش :المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة : عبد القادر الشاوي ونور الدين
سعدوي، ط1، دار الخطابي لطباعة والنشر المغرب،1985، ص 56، 57 .

وافق السلطان على أن تقوم القوات الفرنسية بإحتلال أي جزء من المغرب تراه ضروريا للحفاظ على النظام وسلامة تجارتها و أن تشرف على الشرطة في المدن والمياه الإقليمية، وان تساعد السلطان ضد أي خطر يهدد شخصه أو العرش أو بلاده، ونصت على أن يمثل فرنسا لدى السلطان مقيم عام يتمتع بكل السلطات الجمهورية في المغرب، ويكون وسيطا عن السلطان في علاقته مع ممثلي الدول الأجنبية⁸⁸ .

أما في الجانب الاسباني فقد عملت اسبانيا في دخول مفاوضات مع فرنسا انتهت باتفاق عام 1902 م، الذي يعترف بالمصالح والأطماع الاسبانية في شمال المغرب، وقد أطلق هذا الاتفاق الودي المنعقد عام 1904 م حرية الحركة الإسبانية وفرنسية في العمل على احتلال الاسباني للمغرب انطلاقا من قواعدها العسكرية ب سبته ومليلة، وجاء اتفاق الجزيرة الخضراء في سنة 1906م، ليؤكد على الأطماع الاسبانية الفرنسية بالمغرب الأقصى تحت ذريعة إيفاء الديون المستحقة في عهد السلطان عبد العزيز بن الحسن الأول 1908م.

وأخير بعد أن فرضت فرنسا معاهدة فاس "معاهدة الاحتلال " مع السلطان عبد الحفيظ في 30 مارس 1912، أعلنت على إثرها مباشرة فرنسا بالأطماع أو الاحتلال الاسبانية في شمال المغرب في 27 نوفمبر 1912 م، وبذلك خضع المغرب للإحتلال الثنائي، فضلا عن حماية الدول على مدينة طنجة وجعلها مدينة دولية أي تحت الحماية الدولية⁸⁹ .

ومنه إذا كانت الدوافع الدينية و القومية التعصبية والأهداف الاقتصادية والإستراتيجية والإستيطانية في مقدمة دوافع اسبانيا في احتلال شمال المغرب (إقليم الريف، وإقليم جباله)، فإن الدوافع الاقتصادية كانت الأكثر وضوحا في مطلع القرن 20، حيث تداخلت مجموعة من العوامل ساهمت في بقاء النفوذ الاسباني بالمغرب وتوسيعها وضمان الموفقات الدولية،

⁸⁸ عبد الله مقلاتي : الإحتلال الفرنسي الاسباني للمغرب، المرجع السابق، المحاضرة 08.

⁸⁹ العربي الورياشي :المرجع السابق ، ص 22- 27 .

وبدورها شرعت اسبانيا منذ عام 1912 م في احتلال المناطق الشمالية من المغرب فأحتلت تطوان سنة 1913 م، وجعلتها مركزا لقيادتها، لكنها واجهت مقاومة شديدة بقيادة احمد الريسوني بمنطقة الجبلية، وتأخرت في دخولها لمناطق الجبال والريف إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، بسبب المقاومة الشديدة والظروف السياسية والاقتصادية الخاصة بها⁹⁰.

ب: آثار الاحتلال الفرنسي على المغرب

سنركز على الأوضاع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية فقط، أما الأوضاع السياسية فقد تكلمنا عنها في الحماية والأخرى خصصنا لها مطلب آخر مندرج ضمن المقاومة السياسية

1- الأوضاع السياسية والإدارية

لا يتنازع احد اليوم في كون أن كلا من فرنسا واسبانيا قد وجدا بالمغرب عند مجيئهم إليها مجموعة من الأجهزة التقليدية التي تستلزم حتما قواعد تسييرها ووجود دستور سيادي وتنظيم إداري يتحكم في مجموع نشاطها الوطني .

وهذه الأجهزة تتشكل كما رأينا من جهة على حكومة مركزية تتألف تحت ظل جلاله السلطان الرئيس الديني والسياسي من مجموعة وزارات (الداخلية، الخارجية، العدالة، المالية، الحربية) تخضع كلها لسلطة الصدر الأعظم -الوزير الأول-، وتشمل الأجهزة المذكورة من جهة أخرى على إدارة إقليمية يشرف عليها باشاوات وقواد تعيينهم مجالس الجماعات التي تمثل المصالح المحلية، وهذا هو الجهاز الذي هدفت الحماية إلى إصلاحه مع مقتضيات مصالحها الخاصة، وبهذا يصبح نظام الحماية نظاما تخول به الدولة الحامية لنفسها سلطات

⁹⁰ عبد الله مقلاتي : الإحتلال الفرنسي الاسباني للمغرب، المرجع السابق ،محاضرة 08 .

السيادة الخارجية والداخلية للدولة المحمية والجهاز الإداري والسياسي لهذه الدولة يجرى من مدلوله، وتتقلب دواليبه وهيئات منفذة تابعة لطبقات من الساسة والإداريين للدولة الحامية⁹¹ .

ولهذا نجد أن بنود اتفاقية معاهدة الحماية التي وقعتها فرنسا مع السلطان عبد الحفيظ يوم 30 مارس 1912 أنها ثبتت مركزها في المغرب بعد طول انتظار ومصاعب، وقد أكدت بنود الاتفاقية على فرض السيادة الفرنسية على المغرب، وصيغة بعض النصوص للمعاهدة بشكل غامض قصد تأويلها فيما بعد على المغرب بما يخدم مصالحها السياسية لاحقاً، والمعاهدة هي شبيهة بمعاهدة الحماية على تونس، وتتألف من تسعة بنود نصت المادة الأولى على اتفاق الحكومتين على إقامة نظام جديد في مراكش يحتوي على إصلاحات سياسية وإدارية واقتصادية وعسكرية التي ترى فرنسا فائدة في إدخالها إلى مراكش شريطة أن تراعي احترام الأوضاع الدينية وهيبة السلطان التقليدية وتتفاهم فرنسا مع اسبانيا بخصوص مصالحها الناجمة عن مركزها الجغرافي وممتلكاتها الإقليمية على الساحل المراكشي .

أما طنجة ستحتفظ بصفاتها منطقة دولية الخاصة، اعترافاً لها و بها، ويحدد نظامها البلدي، ونصت المادة الثانية على موافقة السلطان على قيام فرنسا باحتلال أي جزء من مراكش تراه ضرورياً للحفاظ على الأمن والاستقرار وسلامة المعاملات التجارية بعد إخطاره بذلك، ونصت المادة الخامسة على أن يمثل فرنسا لدى السلطان مقيم عام في مراكش يسهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون وسيطاً لسلطان في علاقاته مع ممثلي الدول الأجنبية، ويكلف بصفة خاصة بكل المسائل المتعلقة بالأجانب، وتكون لديه باسم الحكومة الفرنسية سلطة الموافقة ونشر كل المراسيم الصادرة من السلطان، أما المادة السادسة فقد منحت

⁹¹ مؤلف مجهول: المغرب الأقصى، ط1، دار الطباعة لنشر والتوزيع، د.ت، مصر، ص81 .

لفرنسا حق تمثيل المغرب دبلوماسيا، وأقرت لها المادة السابعة وضع الأسس التنظيم المالي الجديد والإشراف على الميزانية⁹².

وكانت تهدف هذه السياسة الفرنسية من وراء اعتمادها على السلطان عبد الحفيظ الانتفاع بهيبة السلطان وذلك بهدف تسهيل سيطرتها على مراكش ومواجهة الحكومات الأوروبية الأخرى، ولما لاحظ الجنرال ليوتي تصلب السلطان عبد الحفيظ في إمضاء مراسيم نصح حكومته بقبول تنازله عن العرش، وفي 12 أغسطس 1912 أعلن عن هذا التنازل، ومن ثم الاتفاق مع المخزن على اختيار مولاي يوسف بن الحسن سلطانا على البلاد وقد وجدت فرنسا في السلطان الجديد أداة طيعة للتعاون معها، وتغلبت بذلك على أزمة العرش ولكن بقيت أمامها مشاكل أخرى أشد تعقيدا، وهي التوفيق بين مراكزها ومصالح الدول الأخرى المعترف بها في مراكش عن طريق معاهدة الدولية⁹³.

وبعد إمضاء المعاهدة الفرنسية الألمانية وحصول التوافق مع بريطانيا على مصالحها في المغرب التفتت فرنسا إلى اسبانيا التي عبرت عن رفضها لاتفاقية الحماية اثر مفاوضات عسيرة خلال عاما كاملا في 1912 واستطاعت فرنسا أن تفرض وجهة نظرها بخصوص تقسيم النفوذ في المغرب مستغلة ضعف اسبانيا ووساطة بريطانيا التي كانت لصالح فرنسا، وهكذا اتفق الطرفان على المبدأ العام لفكرة تقسيم المغرب، حيث يحتفظ السلطان بحق السيادة على المنطقة الشمالية ويمارسها بواسطة خليفة يقيم في تطوان، وضبطت المسائل

⁹² عبد الله مقلاتي: السياسية الفرنسية الاسبانية بالمغرب الأقصى، محاضرة 04، السنة الثانية ماستر ، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2011 - 2012 م.

⁹³ عبد الله مقلاتي: أوضاع المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى، المحاضرة 01، السنة الثانية ماستر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2011 - 2012 م.

الأخرى في الاتفاقية الموقع عليها يوم 27 نوفمبر 1912 بين اسبانيا والسلطان مولاي يوسف .

وقسمت هذه الاتفاقية النفوذ الاسباني إلى قسمين، الأول يشمل سبته ومليلة ومنطقة سيدي افني في الجنوب، وفي هذا القسم تمارس اسبانيا السيادة بدون قيد(احتلال)، أما القسم الثاني المتبقي فتستمد اسبانيا وجودها فيه من معاهدة الحماية بين فرنسا والسلطان، ويبقى هذا القسم حسب الاتفاقية تابعة لسيادة السلطان(الحماية)، وتتظم إدارة المحمية في الشمال على النحو التالي :

يعين خليفة للسلطان في تطوان يمثل حقوقه الشرعية ولكنه يخضع للإشراف الإدارة الاسبانية ، وهو يرشح من قبل السلطات الاسبانية ، ولا يجوز للسلطان عزله إلا بموافقتها، وهو يمارس جميع سلطات السلطان في المنطقة، وتستقل الإدارة الاسبانية بإدخال التنظيمات الإدارية التي تراها مناسبة وتتولى تحصيل الرسوم الجمركية وتمثيل سكان المنطقة في الخارج.

وتؤكد الاتفاقية على جعل منطقة طنجة منطقة دولية محايدة تشترك في إدارتها الدول الأوروبية التي لها نفوذ بالمدينة عن طريق مجلس يضم قناصلها، وأما بقية التراب المغربي فهو تخضع للحماية الفرنسية، وهو يشمل القسم الأكبر من البلاد⁹⁴.

وهكذا نجد على أن الأوضاع السياسية والإدارية للمغرب خلال الربع الأول من القرن 20 قد ارتبط برجل اسمه "ليوتي"، تولى منصب المقيم العام منذ فرض الحماية في 1912 وحتى عام 1925، واشتهر في بنجاحه في التغلب على المقاومة الشعبية العنيفة ووضع أسس ومبادئ الإدارة الفرنسية وفق الفلسفة التي عبر عنها في سلوكياته وأقواله، فقد عبر عن مفهوم الحماية بالقول: "تتضمن فكرة الحماية أن الدولة المحمية تحتفظ بأنظمتها

⁹⁴ عبد الله مقلاتي: السياسية الفرنسية الاسبانية بالمغرب الأقصى، المرجع السابق، محاضرة، 04 .

وحكومتها الخاصة، وان تحكم نفسها بنفسها عن طريق هيئاتها المنظمة"، وقد مكنت شروط معاهدة الحماية ليوتي من إتباع سياسة لينة لأسباب شخصية باعتبار أن توجهه كان ملكيا، وكان مطلعا على الأوضاع في المغرب ومتعلقا بترائه وعاداته، ولهذا نجد أن الجنرال ليوتي قد اعتبر الحماية كحقيقة دائمة و ليس كصيغة نظرية وانتقالية⁹⁵، وقد بين للمجالس التمثيلية الفرنسية في المغرب سنة 1919، وبأن النظام "الذي تنظمه المعاهدات الدولية لا يتوقف على إرادة أي احد منا، ولا تستطيع الحكومة الفرنسية تعديله"، كما عارض في المذكرة المؤرخة في 18 نوفمبر 1920 لتدقيق تصوره للحماية الذي يميزه، إذ يغلب على هذا التصور هو صيغة المراقبة والمتعارضة مع صيغة الإدارة المباشرة، أي العمل على إشراك المغربيين في إدارة شؤونهم وعدم إطلاق أيدي المستوطنين في المغرب، ولخص ليوتي مبادئه في هذه العبارات الآتية : "حماية لا حكم مباشر، احكم مع أهل البلاد لا ضدهم، لا يسيء إلى أي تقليد، لا تبدل أي عادة، ووجد بين طبقة الحكام ومصالحنا، احكم مع المخزن لا ضده"⁹⁶.

وبحجة تطبيق مبدأ للإدارة غير المباشرة أبقى ليوتي على جهاز الإدارة المحلية، حيث يتمتع البشوات والقواد الأقاليم بالسلطة القضائية والمالية، واكتفى بتعيين مراقبين فرنسيين لمساعدتهم في إدارة شؤونهم، ما لبثوا أن تحولوا إلى عيون الإدارة الفرنسية، وفي سنة 1916 أقام ليوتي مجالس استشارية فرنسية ثم مغربية لتسهيل الدفاع عن المصالح المهنية وتمثيلها وهي الغرف التجارية والصناعية والفلاحية⁹⁷.

وانطلاقا في ذلك انشأ ليوتي بقرار مقيما بتاريخ 18 مارس 1919 مجلسا للحكومة يتكون من الرؤساء ونوابهم، ينتخبون من الغرف الاستشارية الفرنسية من اجل ضمان تعاون

⁹⁵ ألبير عياش : المصدر السابق، ص 92 .

⁹⁶ عبد الله مقلاتي :السياسية الفرنسية الاسبانية بالمغرب الأقصى، المرجع السابق، محاضرة، 04 .

⁹⁷ ألبير عياش : المصدر السابق، ص 92 .

دائم ومضمون بين المعمرين والإدارة، وهكذا على العموم لم تحتفظ الحماية لمؤسسات الدولة المغربية إلا بالمظهر، بحيث لا تمثل تلك المؤسسات سوى السراب يراد به مراعاة الفكر العام الدولي وعواطف الشعب المغربي .

والواقع أن هذه المؤسسات اختصرت منذ البداية اختصارا كبيرا وأحيلت أغلبها إلى أجهزة تابعة للإدارة الفرنسية تتصرف بها جميعا، ولم يبقى لجلالة السلطان سوى حكما صوريا واقتصر على وضع الخاتم على النصوص التشريعية فقط، ونزع المقيم العام ليوتي جميع صلاحيات حكومة المخزن ولم يبقى من هذا الجهاز سوى هياكل شكلية كما يلي:

. **الصدر الأعظم:** لا يملك سوى سلطة اسمية حيث انتقلت معظم اختصاصاته إلى الكاتب العام للحماية أو رئيس الإدارة الشريفة.

. **وزير العدل:** اقتصرت اختصاصاته على المحاكم الشرعية وشؤون المعاهدات الدينية، أما إدارة العدل المراكشية فهي فرنسية محضة وتتبع المقيم العام .

. **وزير الأوقاف:** يشرف على الأوقاف، لكن السلطة الفعلية كانت في يد موظف فرنسي لدى الإدارة الشريفة⁹⁸ .

2. الأوضاع الاقتصادية:

إن الاستعمار في جوهره واحد، لكن الأساليب تعددت وتلونت بتطور الظروف في القرن العشرين، من الاستعمار إلى الحماية إلى الانتداب، إلى الاستقلال السياسي الممنوح والاستعمار الجديد.

أن فرض الحماية الفرنسية على المغرب الأقصى في 1912 كان شكلا من أشكال الاستعمار، اخذ بعين الاعتبار المتغيرات التي حدثت في القرن العشرين بالحسبان على

⁹⁸ مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 83 .

المستوى المحلي والإقليمي والدولي، وعند تحليل الأوضاع الاقتصادية في المغرب الأقصى يجب أن تكون أمامنا صورة الممارسات الاستيطانية الفرنسية والاسبانية، فقد مارس الاستعمار الاستيطاني بالمغرب الأقصى أساليب جديدة في انتزاع الأراضي، فهناك لم تستطع السلطات الاستعمارية انتزاعها مباشرة لأن العرف القبلي يقضي بعدم بيع الأراضي إلا لأفراد القبيلة نفسها، لم يأبه الاستعمار بهذا العرف، ولكنه كان يريد تنفيذ سياسته بأكثر قدر من الهدوء، وبأقل التكاليف دون استفار وإثارة القبائل عن طريق وسائل غير مباشرة إن أمكن ذلك، لذا لجأت الإدارة الاستعمارية إلى دفع إدارة الأملاك المخزن (أملاك الدولة) إلى منازعة أصحاب الأراضي وانتزاعها منهم وضمها إلى ما يسمى بأرض الجيش، وكان الغرض من هذا الأسلوب السيطرة على الأراضي وإعادة توزيعها على المستوطنين، ومن هذا يتضح إلى أي مدى لعبت القبائل المخزن⁹⁹ دوراً في دعم الاستعمار الاستيطاني في بلادهم كما حدث في تونس، استغلت الإدارة الاستعمارية جهل الفلاح بإجراءات التسجيل أو عدم قدرته في دفع المصاريف التسجيل، أو افتعال ضده، ثم الاستيلاء على الأراضي.

وبلغت هذه السياسة ذروتها في الثلاثينيات القرن العشرين في المغرب الأقصى وربما كان تأثير الأزمة الاقتصادية العالمية 1929 قد دفع إلى تلك السياسة وأدى إلى تصعيدها وتكثيفها، إضافة إلى استخدام سلاح الديون والاقتراض التي غرق فيها الفلاحون إلى درجة

⁹⁹ القبائل المخزن: هي قبائل التي تحالفت وتعاونت مع الاستعمار في منطقة المغرب العربي وبالخصوص بالجزائر مقابل بعض الامتيازات المادية التي كانت تحصل عليها، وكانت أداة في يد القوى الاستعمارية ضد القبائل المناوئة للسياسة الإستيطانية الاستعمارية، وكانت تكافأ على جهودها بمنحها الأراضي والأمن والمشاركة في جميع الامتيازات لكن شرط تأدية مهامها وتبعيةها للإدارة الاستعمارية، عبد المالك خلف التميمي : **الإستيطان الأجنبي في الوطن العربي**، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب، الكويت، جانفي 1978، ص 60.

عجزهم عن دفعها والوفاء بها ومصادرة الأراضي في مقابل ذلك، وكانت هذه الإجراءات تتم بتخطيط و سرعة¹⁰⁰.

ومنه تتسم السياسة الاقتصادية التي سلكتها إدارة الحماية في المغرب الأقصى بثلاثة خصائص هي:

الخاصية الأولى ترجع لإبقاء المغرب تحت الحجر الاقتصادي، ولا يزال الميثاق الاستعماري إلى غاية العقد الخامس من القرن العشرين أساسا للعلاقات الفرنسية المغربية، فالمغرب يعتبر قبل كل شيء ينبوع للمواد الأولية، والرأسماليون الفرنسيون والإسبان وغيرهم لا ينظرون إلى استغلالها إلا من ناحية الربح العاجل التي يبتزونها منها والإدارة نفسها لا تنظر إليها إلا من حاجيات الاقتصاد الفرنسي، ومن جملة النتائج التي تمخض عنها هو انعدام الصناعة الوطنية انعداما يكاد يكون كلياً، وقلة التجهيزات وقلة استغلال الثروة الفلاحية والمعدنية.

أما الخاصة الثانية فإنها تتلخص في الأسبقية المخولة لرؤوس الأموال الأجنبية في أهم مرافق الاقتصاد المغربي فيما تركت فيه الطبقات العاملة لاسيما الفلاحين والمحترفين من بؤس وتأخر، وفيما يخص الخاصة الثالثة فإنها تمس الاقتصاد المغربي على وجه العموم فليس هناك برنامج شامل يعمل على تنسيق بين مناطق الاستغلال حسب حاجيات المغرب حاضرا ومستقبلا أي انه يعيش اقتصاد قصير النظر¹⁰¹.

ونتيجة السياسة الاقتصادية المنتهجة في المغرب الأقصى أصبح المعمرين هم الذين يتحكمون في الاقتصاد المغربي بحيث كان اغلبهم يمارسون زراعة عصرية ويتوفرون على

¹⁰⁰ عبد الكريم غلاب: تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية إلى إعلان الاستقلال

،دار البيضاء، المغرب، 1976، ص 98، 99 .

¹⁰¹ مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 99، 100 .

آلات مثل الجرارات والمحراث المتعدد سكك، والمتعدد الاسطوانات، الامشطة والحاصدات، كما كانوا يستعملون الأسمدة والبذور والنباتات التي تنتقيها وتدرسها وتوفرها مصالح الزراعة، ويمارسون زراعات متنوعة حيث أن الأرض المسقية بمياه السدود والمنابع أو الباطنية تزرع فيها الخضر وأشجار الفواكه والكروم بينما تستغل الأراضي البور للحبوب والقطاني، أما الأراضي الغير مزروعة فإنها تشكل أراضي الرعي، وبهذا لا يمكن القول بان المعمرين قد استصلحوا المناطق المهجورة بل أنهم زرعوها بتقنيات عصرية وببيد عاملة مغربية لفائدتهم الخاصة مقابل ذلك حرم منها -أي الأراضي- على المغاربة بطرق مدروسة مسبقا كما وضحنا سابقا¹⁰².

أما فيما يخص المنتجات فقد كانت تجارية بالأساس لتلبية حاجيات الجالية الأوروبية للتصدير بهدف تحقيق أرباح طائلة، وقد كانت الزراعة الاستعمارية متركزة في البدء على زراعة الحبوب، ثم تنوعت بعد الأزمة الفلاحة لسنوات 1930 إلى 1932 م إذ بحث المعمرون عن زراعات أكثر انتظاما، وهكذا زرعو مثل المعمرين في الجزائر من كروم العنب و أشجار الزيتون، كما توجهوا إلى زراعة البواكر¹⁰³، وخاصة الكروم الذي كان هاما في مناطق وجدة ومكناس والدار البيضاء والرباط بحيث كان يغطي 41000 هكتار من الأراضي الخصبة، لكن في العقد الثالث من القرن العشرين أصابها الجفاف والفيلوكسرا، وأصبح يعم 22000 هكتار فقط، وكانت الخمور المصنوعة من النوع الجيد غنية بالكحول ويستهلكها السكان الأوروبيون، وبما أن الكروم كان قد دخل في مرحلة إنتاجه الكامل، فان كمية الخمر أصبحت تفوق الاستهلاك .

¹⁰² ألبير عياش : المصدر السابق، ص 178، 179 .

¹⁰³ مؤلف مجهول :المصدر السابق، ص 105- 107 .

أما الحوامض فقد كانت تزرع من طرف المغاربة سابقا وهكذا انشأ الأوروبيون في المغرب الشرقي سنة 1921 مزارعهم الأولى، وقد ضاعفوها بعد سنة 1936 حيث لم يعد البرتقال الاسباني يصل إلى السوق الفرنسية على اثر الحرب الأهلية الاسبانية التي سفكت الدماء في شبه الجزيرة الأيبيرية، وادخلوا أنواعا وأصنافا عديدة مثل المندلين وشجر الكليمونتين وشجر الليمون الهندي والتين والمشمش¹⁰⁴.

أما فيما يخص الإنتاج المعدني والصناعي فقد كان هو أيضا ضعيفا وبالكاد لا يلبي حاجيات السكان رغم ما يحتويه المغرب من ثروات معدنية هامة من الحديد والفوسفات والنحاس والزنك و...ولا يكاد يستغل منه إلا 25 % من الإنتاج الإجمالي، بالإضافة إلى أن وسائل استخراج هذه المعادن بسيطة والأدوات المستعملة كثيرا ما تكون بالية وغير صالحة.

أما فيما يخص التجهيزات الصناعية فإنها تكاد أن تكون منعدمة إذ لا توجد بالمغرب صناعة حقيقية، فالنظام الاستعماري يرغم البلاد على تصدير موادها الأولية بثمن بخس ثم شرائها بعد تصنيعها¹⁰⁵.

وكانت اغلب هذه المعامل والمصانع بأنواعها إما إستخراجية أو تحويلية أو صناعة التصبير أو صناعات النسيج موزعة في العقد الثالث من القرن العشرين على كل من أسفي، الرباط، أغادير، القنيطرة، الدار البيضاء ومن هذه المعامل 9/10 فرنسية والباقي يملكه الأجانب أو المغاربة، وتظم يد عاملة معتبرة من المغاربة سواء كانوا رجالا أو نساء أو أطفالا، مقابل يوم للعمل يتراوح بين 10 إلى 12 ساعة وكانت اليد العاملة تتقاضى غالبا

¹⁰⁴أبيير عياش : المصدر السابق، ص 180 .

¹⁰⁵ عبد الله مقلاتي : السياسية الفرنسية الاسبانية بالمغرب الأقصى، المرجع السابق، محاضرة

اجر 8 ساعات مع تخفيض السدس، أما بالنسبة للأطفال فكان الأجر ينخفض إلى النصف وبما أن الأجرة كانت تؤدي كل يوم فاليد العاملة تعتبر موسمية، ولا تحضى بالعطلة المؤدى عنها ولا بالأجرة العائلية الإضافية¹⁰⁶.

أما فيما يخص الحرف المغربية قبل الحماية فقد كانت من أهم العوامل ازدهارا في البلد، لكن مع دخول الحماية الفرنسية والاسبانية للمغرب أصيبت بالتراجع والخمول وعدم حمايتها من طرف الجهات الوصية مما ترتب عنه إستيراد المواد المصنعة انزل ضربة قاسية بهذه الطبقة الاجتماعية كما انه أيضا تراجع عدد الحرفيين بفعل تلك السياسة الاستعمارية التي تعمل على تهيمشهم وإقصائهم، دون أي مساعدات مادية أو مالية معتبرة¹⁰⁷.

3. الأوضاع الاجتماعية

إن السياسة الاستعمارية الاستيطانية قد دفعت بالقبائل المغربية ببيع أراضيهم لأنها ستفقدونها بثمن بخس أو بدون ثمن، وتمكن بعض المستوطنين من تعميم أراضي جماعية وحرم ذلك على المواطنين استخدام الأطلس الأوسط للرعي، وأدت سياسة السيطرة لقبائل المخزن إلى احتكار الأعيان للأراضي سواء من القبائل البربرية الجنوبية أو من غيرها ونتج عن ذلك سهولة انتزاع الأراضي من الفلاحين تاركين لهم الاختيار بين الفقر أو النزوح والهجرة.

إن النقل البشري للمستوطنين أصبح بمرور الوقت يشكل خطرا حقيقيا على الوضع الاقتصادي وعلى الوضع المعيشي للناس وعلى شخصية المنطقة ومستقبلها، فمنذ 1914 نظمت الحالة المدنية وأصبحت إلزامية بالنسبة للأوروبيين ولذلك فان الإحصائيات التي جريت على عدد محدود نسبيا من الأفراد يمكن أن تكون مرضية،

¹⁰⁶ألبير عياش : المصدر السابق، ص 200، 201 .

¹⁰⁷ مؤلف مجهول :المصدر السابق، ص 108 .

فبين مارس 1936 إلى ابريل 1952 على سبيل المثال تزايد عدد السكان الأوربيين ب 207 ألف وحدة وبعض الإحصائيات الأخرى تشير إلى انه بلغ في العقد الرابع للقرن العشرين ما يقارب 325000 مستوطن من بين عدد السكان الذي كان 850500 نسمة¹⁰⁸.

لقد بلغ الاستغلال حدا كبيرا في الوقت الذي كانت فيه الثورة الفرنسية قد أفادت بمختلف فئات المجتمع الفرنسي الاجتماعية في الريف الفرنسي من الثورة الزراعية بعد القضاء على الإقطاع الذي كانت سياسته الدافع الأكبر للثورة¹⁰⁹، لكن فرنسا ذات مبادئ إنسانية سامية التي حملتها ثورتها عام 1789 أصبحت تمارس في القرن العشرين سياسة معاكسة تماما لتلك المبادئ، وتمارس أبشع أنواع الاستغلال وانتزاع حقوق الآخرين في الريف المغربي .

وهذا جدول يوضح نسبة الأوربيين في المغرب المعمرين¹¹⁰ :

السنة	العدد	نسبة المعمرين
1926	104.712	72 بالمائة
1931	172.481	74 بالمائة
1936	202.500	75 بالمائة

¹⁰⁸ شارل أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، تونس، 1976، ص 78.

¹⁰⁹ ألبير سربول: تاريخ الثورة الفرنسية، الترجمة: جورج كوس، ط 3، بيروت، لبنان، 1982، ص 540.

¹¹⁰ عبد المالك خلف التميمي: المصدر السابق، ص 49.

وبتحليل هذا الجدول تتضح لنا الحقائق التالية :

أولاً: أن العسكريين لا يدخلون ضمن هذه الأعداد وأن أعدادهم كانت مقارنة لأعداد المدنيين أو اقل منها بقليل.

ثانياً: أن فرنسا تحتفظ دائماً بغلبة العنصر الفرنسي في المناطق التي تقع تحت نفوذها ولا تسمح بأي حال من الأحوال بزيادة في الجنسيات الأخرى تفوق جاليتها ومستوطنها، ولذا كانت نسبة المستوطنين الأوروبيين الآخرين لا تتجاوز الربع تقريباً.

ثالثاً: في فترة عشر سنوات فقط ارتفع عدد المستوطنين الأوروبيين في المغرب الأقصى إلى الضعف تقريباً وهذا دليل على أن السياسة الاستيطانية قد نشطت في هذه الفترة ولا شك في أن الأزمة العالمية الاقتصادية 1929 قد كان لها تأثير كبير.

إضافة إلى العوامل السياسية الأخرى وفشل مقاومة الريف المراكشية حيث شجعت المستوطنين على الاستقرار والاستثمار في الوقت الذي كان تصاعدها في بداية العشرينيات يهدد وجودها ومصالحها، ونتيجة لهذه الهجرة الأوروبية الكبيرة فقد المغرب توازنه السكاني وأفرغت البادية من سكانها بانتزاع أراضيهم واضطرارهم إلى الهجرة مما ازدحمت المدن بالعاطلين عن العمل وتوفرت الطاقة العمالية للاقتصاد الفرنسي بهجرة أبناء المغرب إلى فرنسا بحثاً عن العمل وتضخمت المدن المغربية نتيجة هجرة أبناء الريف إليها و كان هؤلاء المهاجرين من مختلف الفئات الاجتماعية واغلبهم من الفلاحين الذين سحقهم الاقتصاد الاستيطاني والوجود الاستعماري، كل هذه الأوضاع عملت على خلق طبقة عمالية مغربية أثارت مخاوف المستعمرين والمستوطنين على حد سواء، حيث لعبت دوراً هاماً من نمو وتطور الحركة الوطنية المغربية¹¹¹.

¹¹¹ أحمد تفاسكا: تطور الحركة العمالية في المغرب 1914 - 1939، ط1، بيروت، لبنان، 1980،

وهكذا بلغ عدد المستوطنين في المغرب من 51.550 في عام 1912 الى 360.000 عام 1952، وان مجموع المساحات التي انتزعت من المواطنين عام 1913 كانت 100.000 هكتار وأصبحت في العقد الخامس من القرن العشرين إلى 1.100.000 هكتار وهذا مما أدى إلى لخراب والدمار الذي أصاب الشعب المغربي كما أصاب إخوانهم في تونس والجزائر¹¹² .

ولم يكتفي الاستيطان بنهب الأراضي الصالحة للزراعة بل كان الفلاحون المغاربة فريسة للمرابيين الإقطاعيين ولبورجوازية المدن عن طريق القروض التي يقدمونها لتسديدها في موسم الحصاد بفائدة تصل إلى 50 بالمائة، وعندما لا يتمكنون من تسديدها يتم الاستيلاء على الأراضي، هذا بالإضافة إلى ما كان يمارسه تجارة المواد الغذائية ببيع بعض المواد بأسعار مرتفعة ترهق كاهل الفلاح الذي أصبح في الوضع غير قادر على توفير الحد الأدنى لمعيشته ومعيشة عائلته¹¹³ .

إضافة إلى ما كان يتعرض له الفلاح وزراعته من كوارث طبيعية كما حدث في فيضانات عام 1927 وانتشار الأمراض والأوبئة بعدها مثل التيفوس والكوليرا وحمى المستنقعات فانخفضت القوة العاملة بسببها وأدى ذلك إلى انتشار المجاعة عام 1928 ثم تليها انعكاسات الأزمة الاقتصادية العالمية على الاقتصاد المغربي، فادى إلى أن يعم الفقر والخراب والإصابات بالمجاعة ما يقرب حوالي مليون من أبناء المغرب وتبعثها هجرة أعداد كبيرة من المواطنين إلى المدن وإلى الخارج البلاد¹¹⁴ .

وهذا الجدول يوضح تطور عدد المستوطنين الأجانب في المغرب الأقصى

¹¹² عبد الله البارودي: المغرب الإمبريالية والهجرة، ط1، بيروت، لبنان، 1979، ص45-48.

¹¹³ أحمد تفاسكا: المصدر السابق، ص49.

¹¹⁴ أحمد تفاسكا: المصدر نفسه، ص60 .

السنة	العدد
1921	51550
1926	74558
1931	127177
1936	152084
1947	266133
1952	360000

وبلاحظ في هذه الإحصائيات هو الارتفاع الهائل لعدد المستوطنين الأجانب وذلك راجع إلى الإدارة الاستعمارية التي تعمل على جلب عدد أكبر من المستوطنين الأجانب إلى المغرب وتقديم الكثير من التحفيز والإغراءات المادية والمالية خصوصا كبار التجار بهدف تحقيق الأرباح الاقتصادية سريعة¹¹⁵.

4. الأوضاع الثقافية :

بجانب العمل على صعيد الوقاية والصحة العمومية غالبا ما يذكر المجهود التعليمي لتبرير النشاط الاستعماري، ففي السنوات الأولى من الحماية لم تخفي السلطات الاستعمارية نياتها و مقاصدها اتجاه المغاربة وهي مقاصد ترتبط بالشعار الداعي إلى المحافظة على التقاليد والدين، وقد نظمت مديريةية التعليم العمومي التي أنشئت عام 1920 ثلاث أنواع من التعليم :التعليم الأوروبي، التعليم الإسرائيلي، التعليم الإسلامي (المغربي)، وفيما يخص

¹¹⁵ عبد الله البارودي : المصدر السابق، ص 30- 40 .

التعليم المسمى الأوروبي يضع كما هو الشأن بالنسبة للتعليم الفرنسي مدارس ابتدائية، مدارس إعدادية ومدارس ثانوية، ومدارس مهنية و تقنية للذكور والإناث، أما البرامج المطبقة فهي برامج فرنسية تدرس من طرف أساتذة فرنسيين -أي في المقاطعات التابعة لفرنسا- وتنتج فيما بعد بحصولهم على شهادات فرنسية، ويتلقى الطفل تعليما عاما في المدارس الابتدائية ثم يتابع دراسته في المدارس الإعدادية بعد ذلك الثانوي أو في المدرسة التقنية، وكان بناء تلك المؤسسات التعليمية المضاءة والمريحة والمجهزة والتي يرتفع عددها وحجمها تبعا لاتساع المستوطنين، ووجد جميع الأطفال الأوروبيين والمغاربة من المحضوضين المستثنين مقاعد لهم في المدارس الابتدائية.

أما التعليم الخاص فلم يتطور بصورة كبيرة، فإذا استثنينا بعض المدارس الابتدائية وبعض المدارس الابتدائية الأجنبية فلا وجود لأية مؤسسة تعليمية ثانوية وذلك أن الجنرال ليوتي قد دعى على ضرورة احتفاظ الدولة على هذا التعليم وكان يريد الاحتراس من التجربة التونسية مع الثانوي الإيطالية¹¹⁶.

أما التعليم الإسرائيلي، فقد كان اليهود المغاربة يلتحقون بمدارس الرابطة اليهودية الدولية التي افتتحت مدارسها الأولى في تطوان عام 1872 وكان التعليم فيها يلقي كليا بالفرنسية باستثناء حوالي خمس ساعات في الأسبوع بالغة العبرية ومع ذلك كانت هذه المدارس التي يتعلم فيها اليهود تابعة لمصلحة التعليم الابتدائي الأوروبي، وأصبحت الرابطة الإسرائيلية منذ بضع سنوات مجرد واجهة لا غير فمديرية التعليم العمومي هي التي تتحمل معظم نفقات الصيانة والتسيير¹¹⁷.

¹¹⁶ مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 147، 146.

¹¹⁷ ألبير عياش : المصدر السابق، ص 343.

وفيما يخص التعليم الإسلامي المغربي، فقد كان قبل الحماية المزدوجة على المغرب الأقصى جد متطورة على ما أصبح عليه بعد الحماية هذا مما جعل كولبير يقول عام 1930: "عند إمضاء عقد الحماية وجدنا أنفسنا أمام حالة واقعية إذ وجدنا أمامنا بفاس جامعة القرويين التي زودت دول الإسلام الإفريقية طوال عشرة قرون بقيادة الفكر والتي لا يزال فيها سبعمائة طالب مغربي يتخصصون في القضاء والعدالة، كما وجدنا أيضا في الحواضر والبوادي عدد كبير من الكتاتيب القرآنية ويمدها السلطان والأوقاف أو مطلق الناس بما تحتاج إليه... نعم وجدنا أنفسنا أمام مجموعة زاهرة بديعة من المدارس كبرى و صغرى تعمل تحت خيام المداشر أو تحت ضلال الأحياء الحضارية..."، وهكذا كان المغرب مجهز بنظام تعليم خاص بنشر الثقافة العربية والإسلامية والوطنية ويضمن تكوين الموظفين الضروريين لإدارة البلاد ولم يكن هذا التعليم الواسع الانتشار يتطلب سوى مجهود لتجديده، غير أن سياسة الحماية قد شكلت حرب منظمة ضد الثقافة الوطنية في شكل تعليم عصري يرمي قبل كل شيء إلى تكوين طبقة النخبة تكون تابعة لهم وتدافع على أفكارهم من جهة و من جهة أخرى تكوين موظفين فرنسيين في الميادين الإدارية والتقنية وأعاون مغاربة ثانويين¹¹⁸.

ولم يفت الحاكم العام بالمغرب الأقصى ليوتي أن يلاحظ خصوصية المغرب الثقافية حيث صرح في الدار البيضاء يوم 17 أفريل 1921 قائلا "علينا إلا ننسى... فنحن في بلد ابن خلدون الذي جاء إلى فاس في سن العشرين وولد ابن رشد، ولا يقل خلفهما قيمة... نحن لا نعرف كثيرا، أيضا ما تخفيه عنا بيوت فاس والرباط ومراكش القديمة من الرجال الذين جعلوا منها ملاذا للقراءات والفكر والبحث، أنني اكتشفهم من جديد في كل مرحلة هم متعلقون بمكتباتهم وبفكر متفتح على ما يجري في العالم، ويرغبون بحرارة في أن تساندهم

¹¹⁸ مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 143، 142.

بلادهم في الحركة الفكرية "119، ومعنى هذا أن المغرب قد عرف شبكة مدرسية كثيفة من الكتاتيب و المدارس القرآنية، لكنها كانت ذات نمط قديم إي أنها لم تواكب العصرنة بالتلقيح المتواصل، كما نجد أيضا أن الجنرال ليوتي قد دعي بضرورة تعليم المغاربة بهدف إشراكهم في الحكم ودعي أيضا للحفاظ على خصوصية المغرب الثقافية والتقليدية¹²⁰.

كما نجد ليوتي قد نظم التعليم العصري للمسلمين و وضع له الأسس والمبادئ الأولى منذ الاحتلال في 1912 وطورها هاردي M.G Hardy عام 1924 وطبقته مديرية التعليم العمومي في ارتباط وثيق مع سلطات المراقبة وكذا المديرية المكلفة بشؤون المغاربة، وطالب ليوتي بان يأخذ التعليم في الحسبان الفئات الاجتماعية، حتى يظل كل واحد في وسطه فكما يوجد هناك فلاحون وصناع وبورجوازيون يجب أن توجد مدارس شعبية قروية وحضرية .

أما التعليم الشعبي فيجب أن يكون طابعه عمليا ومهنيا بصورة السياسة وسيلقى كباقي التعليم بالفرنسية، كما أكد أيضا هاردي على ضرورة وضع الطفل في مناخ المهن التي سيقبل على تطبيقها قدر الإمكان مع تخصيص حصة أخرى لدروس القرآن في المراكز الحضرية باللغة العربية¹²¹.

غير أن سياسة ليوتي كانت تهدف بصفة خاصة بما سيتعلمه أبناء الأعيان في المدارس التي أحدثتها الحماية لصالحهم وكان يعتقد انه بالاتصال مع الأوروبيين والجزائريين والتونسيين سيكون بسرعة طبقة من جيل الشباب الطموح يكون نفسه بنفسه، يتعلم الفرنسية وما إن يحس بقيمته وقوته حتى يتساءل عن سر بقائه بعيدا عن تسيير الشؤون العامة ...

¹¹⁹ ألبير عياش :المصدر السابق، ص344.

¹²⁰ عبد الله مقلاتي : السياسية الفرنسية الاسبانية بالمغرب الأقصى، المرجع السابق ، محاضرة

¹²¹ ألبير عياش :المصدر السابق ، ص345.

فبواسطة المدارس يمكننا من تكوين نخبة قادرة على مشاركتنا في إعداد موظفي الحماية"

122

ومنه امتازت إدارة التعليم العمومي منذ الحماية بالصيغة التي رسمتها مسبقا بحيث جعلت اللغة الفرنسية هي اللغة الوحيدة في الثقافة والتعليم المغربي، ويظهر هذا الاتجاه في المناهج الدراسية والحصص والمواد الامتحان في ميدان التعليم المغربي، ففي المدارس المسماة بالمدارس الفرنسية البربرية والمنشأة في بعض المراكز البادية يمنع تلقين فيها اللغة العربية طبقا للمبادئ المنصوص على تأسيسها في مديرية التعليم العمومي وتعتبر هذه المدارس عبارة عن آلات مسخرة للرعاية الفرنسية ومحاربة كل ما هو مضاد لفرنسا¹²³.

¹²² عبد الله مقلاتي : السياسية الفرنسية الاسبانية بالمغرب الأقصى، المرجع السابق، محاضرة

.04

¹²³ مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 146، 147.

ثانيا : ردود فعل المغرب الأقصى

أ/المقاومة المسلحة:

أدى إعلان الحماية الثنائية الفرنسية والاسبانية عام 1912 على المغرب إلى انتفاض الشعب المغربي في جميع أنحاء البلاد، وقد ابتدأ هذا الكفاح الوطني كما هو الحال في الجزائر وتونس بأسلوب الكفاح المسلح والذي تركز في المناطق الريفية والجبلية في الشمال والجنوب وقد استمر الكفاح الوطني المسلح في عام 1934¹²⁴.

اعتبر الوطنيون في فاس استسلام السلطان عبد الحفيظ للحماية الفرنسية خيانة كبرى لا تختلف عن خيانة سلفه عبد العزيز، وأعلن الشعب المغربي رفضه لمعاهدة الحماية ولم تمضي أيام قليلة حتى أعلن الجيش الملكي في 17 ابريل 1912 الثورة على قائده الأعلى والتخلص من ضباطه الفرنسيين ولكن السلطات الفرنسية قد تمكنت من إخماد هذه الثورة فإنها سرعان ما انتشرت في المناطق المحيطة بفاس وبوادي الشاوية، وضرب الثوار حصارهم على فاس واخترقوا أسوار المدينة مرتين وفي الجنوب اندلعت المقاومة بزعامة هبة الله بن ماء العينين الذي التف حوله أهل السوس ورجال المخزن وقام بالزحف شمالا وبسط نفوذه على مراكش يوم 18 أوت 1912 وظهرت العديد من القيادات الجهادية في منطقة تافيلالت¹²⁵.

وأمام خطورة الوضع اختارت الحكومة الفرنسية الجنرال ليوتي لشغل منصب المقيم العام وقائد القوات المسلحة في المغرب، وكان معروفا بسياسة المراهنة في إخضاع القبائل وصل إلى فاس يوم 24 مايو 1912 في الوقت الذي كان أكثر من ثلاثة أرباع المغرب قد أفلنت من سيطرة حكومة السلطان وفي نفس اليوم شنت حملة على فاس واضطر الجنرال

¹²⁴ مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 169 - 170.

¹²⁵ عبد الله مقلاتي : الإحتلال الفرنسي الاسباني للمغرب، المرجع السابق، محاضرة 08 .

ليوتي إلى نقل عاصمة المغرب من فاس إلى الرباط على سواحل الأطلسي بهدف حماية الأسطول الفرنسي، واعتمده على المناطق المحتلة كمراكز حيوية تمنع انتشار الثورة، وفرض على السلطان عبد الحفيظ التنازل عن عرشه لمولاي يوسف يوم 12 أوت 1912، و قد تحدث ليوتي عن هذا الحدث أمام الجالية الفرنسية بالرباط يوم 15 أوت 1912 قائلا: " أصبح لنا اليوم في المغرب سلطان جديد وليس من الممكن استلام السلطة في وضعية أكثر اضطرابا وأكثر خطورة مما عليه الآن غير أن حسن تعاون هذا السلطان غدا مضمون وأصبحنا على يقين انه من الآن فصاعدا ... فإن القضايا التي تتطلب استصدار ظهير شريف لنا تتراكم دون أن نكون قد اعدنا لها حلا مسبقا " إلا أن مولاي يوسف توفي في عام 1927 وعض بابنه الثالث وهو سيدي محمد بن يوسف الذي يبلغ من العمر ستة عشر سنة¹²⁶.

والتف الجنرال ليوتي للتخلص من المقاومة باسم السلطان عن طريق سياسة اللين والشدّة وقد كانت فاس تحت وطأت حصار القبائل الثائرة، من قبائل الشمال الذين اعتمدوا في حربهم على رجال أولاد يحي والبرانس، والجنوب من قبائل سيدي راحو وذلك بتنظيم ثورة من جهة والتحالف مع قبائل بني مطير من جهة ثانية، وشهدت أيضا مع الحدود الجزائرية ثورة الهوارة وأولاد أبو قيس، أما في الأطلس الكبير احتل هبة الله بن ماء العينين أغادير ومراكش، واعتمد الجنرال ليوتي خطة ترمي إلى المهادنة زعامة القبائل لإخضاع مناطق شمال فاس وإنشاء مناطق آمنة لحماية العاصمة القديمة، ولكن حملة الجنرال بورو استغرقت شهرا كاملا قبل أن يصل إلى اتفاق مع أولاد يحيى وبدأت بعدها القوات الفرنسية في إخماد ثورة بني مطير وسيدي راحو وثورات المتاخمة للمناطق الحدودية مع الجزائر، وفي شهر جويلية تمكن الفرنسيين بدهاء مع الجنرال ليوتي من إيقاف هجمات الثوار عليهم في المغرب

¹²⁶ ألبير عياش : المصدر السابق، ص 379، 380 .

الشمالي مؤقتا ويبدو واضحا أن عدم التنسيق بين حركات المقاومة والطابع القبلي لها وقلة إمكانيات كلها عوامل ساعدت على إضعافها¹²⁷.

وقد استخدمت أساليب قاسية للتغلب على مقاومة هؤلاء الجبليين دون الحديث عن بعض الحيل الحرب مثل بيع الخبز والسكر الملغوم بالمتفجرات أو إرسال دواب محملة بالمتفجرات، فقد قضى على الغلة والماشية وأفسدت مراكز المياه، ومحق المدن والقرى بالمدافع والطائرات عندما تطول المقاومة، وضرب حصارا عسكري مما يعجل في عذاب الأهالي الأليم من الجوع والعطش .

وقد كتب الجنرال غيوم قائلا " لم تخضع لنا أية قبيلة بكيفية تلقائية ولم تخضع واحدة منها بدون مقاومة بل إن بعضها لم تخضع إلا بعد استنفاد كل وسائلهم في المقاومة عن آخرها...".

إن الصيغ المحببة لدى ليوتي في "إظهار القوة لتجنب استخدامها" و" أن الورش يعادل كتيبة كاملة" لم يكن من الممكن تطبيقها بصورة تامة بالنسبة للسكان متعلقين بالدفاع عن استقلالهم إلى أقصى حد¹²⁸، أما في الشمال المغربي الذي خضع للحماية الاسبانية قد بدأ كفاحه المسلح ضد الاحتلال الاسباني بعد إعلان الاتفاق الفرنسي الاسباني في 27 نوفمبر 1912 مباشرة، إذ قاد الشريف احمد الريسوني الكفاح في إقليم جبالة منذ ديسمبر 1912 واستمر في ذلك حتى مرضه عام 1924¹²⁹.

¹²⁷ عبد الله مقلاتي : الإحتلال الفرنسي الاسباني للمغرب، المرجع السابق، محاضرة 08 .

¹²⁸ ألبير عياش :المصدر السابق، ص381 .

¹²⁹ محمد على داهش :الشريف أحمد الريسوني، حياة وجهاد، دار الحياة، تطوان، المغرب، 1996
ص25-46.

وكانت للثورة الجبالية منطلقة دينية "الجهاد" ضد الاحتلال حيث تتناغم الحس الديني والوطني والقومي وسلوكياته أثناء العدوان والاحتلال منذ سقوط غرناطة عام 1492 وطوال العصر الحديث في مطلع القرن العشرين، بحيث استطاع الشريف احمد الريسوني بالتعاون مع علماء الدين والوجهاء في إقليم جبالة من تعبئة الشعب وتنظيمه وتسليحه وتدريبه واعتماده لحرب الكمائن -العصابات- لمواجهة التفوق العددي، ولم تكن الثورة الجبالية تستهدف الخلاص الإقليمي وإنما سعت إلى تحقيق الحرية والاستقلال الوطني المغربي من خلال قيام القيادة بتوسيع دائرة الجهاد لتشمل الشمال المغربي بأجمعه والاتصال بالمناطق الجنوبية الخاضعة للاحتلال الفرنسي لتكوين جبهة موحدة للقيام بالعمل العسكري المشترك ضد الزحف الاسباني والفرنسي¹³⁰.

أما في إقليم الريف فقد تصدى المغاربة للعدوان والاحتلال الاسباني منذ مطلع القرن العشرين وكانت اعنف صورة الموجهة في الثورة الريفية الأولى التي قادها الشريف محمد امزيان 1909 -1912، وكانت منطلقاتها الكفاحية تقوم على التعبئة الدينية والوطنية بالتعاون مع علماء ووجهاء الأقاليم.

وجاء استشهاد قائد الثورة الشريف محمد امزيان في معركة الديب في 10 مايو 1912، ليضع حدا والى حين للكفاح المسلح بسبب الهجوم الكاسح لقوات الاسبانية بعد تحالفها مع فرنسا المقترنة بالتفوق التسليحي والمؤوني، وعليه فقد هدأت جبهة الكفاح الريفي لتنتقل من جبالة على يد الشريف الريسوني ثم لتعود الثورة الريفية الثانية ويتداخل ويتلاحم الكفاح في الشمال المغربي وينطلق وفق أسس تعبوية أكثر وعيا بحقيقة قوة الخصم وأهدافه

¹³⁰ محمد بن عزوز حكيم : بطل جبالة ولد أحمديدوا والسكان، مطبوعة علي الأوفيسست، تطوان، المغرب

،1982، ص 80- 83 .

بانطلاق ثورة الريف المغربية بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي والتي سنخصص لها فصلاً كاملاً فيما بعد¹³¹.

ب / المقاومة السياسية :

برزت المقاومة السياسية في منطقتي النفوذ الفرنسي والإسباني مع مطلع عام 1926 على يد مجموعة من أساتذة وعلماء جامعة القرويين ومتقنين، وكان من أبرزهم: علال الفاسي، ومحمد حسن الوزاني، وأحمد بلافريج، وعبد السلام بنونة، وعبد الخالق الطريس ومحمد الناصري وآخرون .

نجد أن المقاومة السياسية أو الكفاح السياسي في منطقة النفوذ الفرنسي قد تسترت وراء واجهات ثقافية ودينية، جسدت بالعديد من الجمعيات اتحاد الطلاب -حُماة الصدق- والتي ركزت في نشاطها على ضرورة التوعية الإسلامية والعمل على الإصلاح الاجتماعي، وفي عام 1929 أسس أفراد هذه الجمعيات حزب جديد عرف باسم كتلة العمل الوطني برئاسة علال الفاسي، ومحمد حسن الوزاني، أمين العام لها وظهرت هذه الكتلة، كحركة سياسية، مع العقد الثالث من القرن العشرين، وخصوصاً مع صدور الظهير البربري في 16 ماي 1930¹³² .

¹³¹ محمد عمر القاضي: أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي، ط1، مطبعة ديسبريس، تطوان ، المغرب، 1981، ص45_53 .

¹³² الظهير البربري، ويعني المرسوم أو القرار الذي أصدرته السلطات الفرنسية وحاولت من خلاله فصل العرب عن البربر في ميدان القضاء الإسلامي -الشريعة الإسلامية- والحيلولة دون استعمال اللغة العربية تمهيداً لعزلهم عن العرب وإدماجهم فيما عرف بـ (العائلة الفرنسية)، قد أثار صدور هذا الظهير، استياءً بالغاً في عموم المغرب وبقية أقطار المغرب العربي، وتساعد النشاط السياسي والثقافي والديني في

وبدأت "كتلة العمل الوطني" كما حصل في باقي بلدان المغاربية ببرنامج إصلاح، لا يتجاوز سقف الحماية، وكانت على حذر منذ بداية عملها على عدم الدخول في صراع مع سلطان المغربي محمد بن يوسف (1927-1961) المعروف باسم محمد الخامس، والذي كان في بداية أمره لا يعارض سلطة الحماية الفرنسية بالمغرب الأقصى، ولهذا نجد أن الكتلة قد سعت على جعل السلطان في صفها وذلك بإعلان له الولاء في العديد من المناسبات، وكان أول عمل بارز قامت به الكتلة وخصوصاً بعد وصول الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا 1936-1937، هو تقديم برنامج إصلاح في 1 سبتمبر 1936، وتضمن هذا البرنامج "العمل من أجل مساواة المغاربة مع الفرنسيين في الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية"¹³³.

لكن سرعان ما دخل هذا الحزب في صراعات داخلية في جانفي 1937، بسبب الاختلاف الإيديولوجي والتوجه السياسي لإعضائه وكذلك وفي الوسائل والأساليب لإدارة الحزب، ونتج عن هذا الخلاف بروز حزب جديد عرف بإسم حزب الحركة القومية بزعامة محمد حسن الوزاني، فيما واصلت الكتلة نضالها بزعامة علال الفاسي رئيساً وأحمد بلافريخ أميناً عاماً ومساعداً له، واستمر الحزبان في توجيه الانتقادات لبعضهما البعض بوشاية من الإدارة الفرنسية لأعمال التفرقة والتمييز مارستها بحق ضد المواطنين المغاربة.¹³⁴

المغرب، والوطن العربي وبعض الدول الإسلامية. للمزيد من التفاصيل انظر: صلاح العقاد: المرجع السابق، ص 358-359.

¹³³ صلاح العقاد : المرجع نفسه، ص 364 .

¹³⁴ علال الفاسي: محاضرات في المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، مطبعة نهضة

مصر، بيروت 1967 ، ص 224 .

في مارس 1937، صدر قرار الإقامة العامة بالحظر على عمل الكتلة، لكنها واصلت نشاطاتها سراً، واتخذت في مؤتمرها السري المنعقد في يوليو 1937، قراراً يقضي على ضرورة قيام حزب جديد عرف باسم الحزب الوطني برئاسة علال الفاسي، وقد حظي هذا الحزب بتأييد شعبي واسع ونجح في كسب العمال والفلاحين إلى صفه بعد أن كان مناصراً لجميع قاضياهم، لكن الحزب الوطني بقي على الرغم من مواقفه الجريئة في نقد سلطات الحماية، ويدافع عن آرائه ومبادئه عن طريق "الوسائل المشروعة وبالطرق السلمية".¹³⁵

وخلال الفترة الممتدة من 1937 إلى 1939، تعرض قادة وأعضاء الحزبين للملاحقة والاعتقال والنفي من قبل السلطات الفرنسية، وكان لحملات القمع والاعتقال والنفي بحق قادة الحركة الوطنية المغربية وقواعدها، أثر كبير في تضامن أبناء المغرب العربي في تونس والجزائر، والدعوة على ضرورة تشكيل جبهة واحدة للدفاع عن مصالح المغرب العربي ضد الجبهة الاستعمارية¹³⁶، ولكن مع نشوب الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، وقفت الحركة الوطنية والسلطان المغربي محمد الخامس إلى جانب فرنسا أملاً في الحصول على بعض المكاسب الوطنية، لا بل إن السلطان محمد الخامس أعلن الحرب على ألمانيا النازية . ومع هذا الموقف المغربي المتضامن مع فرنسا، فإن دخول قوات الجنرال ديغول (قوات فرنسا الحرة ثانية) في المغرب عام 1942، وإقصائها السلطة الفاشية الفرنسية الموالية للألمان، تناست جميع تضحيات المغاربة خلال الحرب العالمية الثانية، وعين ديغول مقيماً عاماً جديداً (الجنرال بيو)، فأكد هذا الأخير السيطرة الفرنسية على المغرب لإعادة سمعة فرنسا في العالم، وعليه فقد أدركت الحركة الوطنية في المغرب ضرورة الأخذ بزمام المبادرة

¹³⁵ علال الفاسي : الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، ط1، عبد السلام جسوس، طنجة، المغرب

ص، 209 .

¹³⁶ شارل أندري جوليان : المرجع السابق، ص 33 .

من جديد، واندفع الشعب وراءها بمظاهرات كبيرة عام 1943 مطالبين بإلغاء الأحكام العرفية وبحرية أكثر للبلاد، ودفع ذلك الوطنيين المغاربة لإعادة تنظيم الحزب الوطني والإنطلاق بسياسة جديدة.¹³⁷

أما فيما يخص الحزب الشيوعي، فقد تأسس الفرع المغربي للحزب الشيوعي الفرنسي منذ عام 1920، وكان يتألف بصورة رئيسية من العمال والمتقنين الفرنسيين، وقد إنضم إليه فيما بعد بعض العناصر السكانية التي تؤمن بالفكر الشيوعي، وطوال المرحلة التي سبقت قيام الحرب العالمية الثانية، لم يتسن لهذا الفرع أن يصبح منظم ويعبر عن أفكار وطنية، وقد توقف هذا الفرع عن ممارسة نشاطه خلال الحرب العالمية الثانية .

وبحلول عام 1944، دخل الكفاح السياسي المغربي مرحلة جديدة بتأسيس حزب الاستقلال، ففي 11 جانفي 1944 تأسس حزب الاستقلال، وأعضائه قادة الحزب الوطني السابق، إضافة إلى قطاعات مختلفة من الطبقة الوسطى ومن العمال والفلاحين، كان ظهور حزب الاستقلال يدل على بداية جديدة في الكفاح السياسي المغربي في منطقة النفوذ الفرنسي، حيث انتقل برنامجه ونشاطه من المطالبة بالإصلاحات، والرغبة في تحقيق المساواة بين المغاربة والفرنسيين، إلى التعبير بكل صراحة عن هدفه في الاستقلال المغربي التام ولكن باستخدام الطرق السياسية والسلمية أيضاً، ففي يوم التأسيس قدم الحزب وثيقة الاستقلال المشهورة إلى الملك محمد الخامس، ومنذ هذه الفترة دعي محمد الخامس ملكاً وليس سلطاناً، ندد فيها بنظام الحماية وطالب باستقلال المغرب ووحدة أراضيه وتأسيس نظام ديمقراطي، وقد أيد الملك والجماهير الشعبية هذه الوثيقة فيما ردت السلطات الفرنسية على المطلب المغربي باعتقال وملاحقة حزب الاستقلال بتهمة إجراء اتصالات مع دول

¹³⁷ حكمت شبر :الجوانب القانونية لنضال الشعب العربي من أجل الإستقلال، دار الحرية للطباعة،

بغداد ، 1975 ، ص 130 .

المحور .وخلال شهر مارس1944، احتلت وحدات عسكرية وبشكل أكبر من السابق مدينتي فاس والرباط، وألقت القبض على آلاف المواطنين .¹³⁸

أما فيما يخص الشمال المغربي الخاضع للحماية الإسبانية، فبعد أن تمكن الإسبان والفرنسيون من القضاء على ثورة الريف عام 1926 وإنتهت باستسلام الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي في ماي 1926، فقد تشكلت في العاصمة تطوان في العام نفسه "كتلة العمل الوطني" وهي متفقة أيضاً في الأهداف والغايات مع الكتلة العمل الوطني الجنوبية، وتخفت الكتلة الشمالية أيضاً وراء واجهات ثقافية ودينية .وكان أبرز أعضائها هم: عبد السلام بنونة وعبد الخالق الطريس والمكي الناصري وآخرون، وقد استمرت في عملها بشكل سري حتى عام 1930، وقامت بتقديم مطالب سياسية إصلاحية إلى السلطات الإسبانية في 8 جوان 1931 بعد قيام الجمهورية الإسبانية .¹³⁹

كما شكلت كتلة العمل الوطني بتطوان حزبا عرف باسم حزب الإصلاح الوطني في 18 ديسمبر1936، برئاسة عبد الخالق الطريس، وكانت قاعدته الاجتماعية تتألف من مجموعة مثقفين والطبقة الوسطى، وكان أول نشاط قام به الحزب تقديم مطالب الشعب العربي إلى الخليفة المقيم العام الإسباني، وفيها أكد حزب الإصلاح الوطني على وحدة المغرب وعروبوته وإسلامه، وفي عام 1937، تشكل حزب آخر باسم حزب الوحدة المغربية برئاسة محمد

¹³⁸ كفاح كاظم الخزعلي:حزب الإستقلال ودوره السياسي في المغرب 1944 - 1956، جامعة البصرة،البصرة، 1980،ص59،58.

¹³⁹ محمد بن العربي الشاوش :أضواء على الحركة الوطنية في شمال المغرب، دار الوحدة الكبرى، تطوان، 1980، ص27 .

المكي الناصري وكانت قاعدته الاجتماعية تتألف من الطبقة الشعبية الوسطى وكذا الطبقة المثقفة، وبرنامجه يشبه إلى حد ما برنامج حزب الإصلاح¹⁴⁰.

وقد كانت هناك صلة وثيقة بين الوطنيين في الشمال (تحت السيطرة الإسبانية) والجنوب (تحت السيطرة الفرنسية)، فمنذ صدور "الظهير البربري" في 16 ماي 1930، كان رد الفعل المغربي في الشمال والجنوب واحداً وكانت الخريطة الحزبية في المغرب حتى عام 1940 توضح بأن هناك تناسقاً بين حزب الإصلاح الوطني والحزب الوطني وبين حزب الوحدة المغربية وحزب الحركة القومية، كما كان هناك موقف موحد بين حزبي الشمال المغربي خلال فترة الحرب العالمية الثانية، فقد كان الاتصال مستمراً بين الوطنيين في مواقفهم من بعضهم، ومواقفهم تجاه الحماية الإسبانية خلال الحرب العالمية الثانية، ففي عام 1942 وقع ميثاق بين حزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية، وتكونت بموجب ذلك الميثاق "جبهة وطنية لتوحيد النضال من أجل الوحدة والاستقلال، وقد كانت أبرز أعمال الجبهة، هي تقديم مذكرة طنجة، وذلك بتاريخ 24 فيفري 1943، وعندما علم حزب الإصلاح الوطني بوثيقة حزب الاستقلال المقدمة في 11 جانفي 1944، ضم فيها صوته إلى جانب حزب الاستقلال، مؤكداً لما جاء فيها وهو الإستقلال التام للمغرب¹⁴¹.

كانت نهاية الحرب العالمية الثانية، بداية نهوض جديد في حركة التحرر الوطني المغربية وخاصة في منطقة النفوذ الفرنسي وعلى يد حزب الاستقلال الذي أصبح له ثقل جماهيري كبير ضم مختلف فئات الشعب المغربي، وهذا الثقل الجماهيري منحه قيادة الحركة الوطنية في جميع أنحاء المغرب .

¹⁴⁰ محمد بن العربي الشاوش : المرجع نفسه، ص، ص 28 ، 29 .

¹⁴¹ كفاح كاظم الخزعلي : المصدر السابق، ص، 124 -126.

ومنه نرى انه بدخول القوات الفرنسية الاسباني الى للأراضي المغربية وفق آليات وأساليب جديدة سمية بالحماية، عمدت هذه القوات الأجنبية مباشرة على مد وتنسيق نفوذهما داخل المغرب الأقصى، وبفرض ترسانة من القوانين الجائرة التي تجرد الفرد المغربي من حقوقه الوطنية والسياسية، مما ترتب عنه أثار سلبية على النواحي الاقتصادية واجتماعية وثقافية، لكن هذا السياسة لم تثني من عزيمة المغاربة في مواجهة القوات الغازية بالسلاح أولا ثم بالمقاومة السياسية ثانيا.

المبحث الثالث :أوضاع الجزائر

تعود العلاقات الجزائرية والفرنسية إلى ما قبل الاحتلال وبالضبط إلى عام 1521م في عهد الملك الفرنسي فرانسوا الأول Francois 1، بحيث تم تبادل السفراء بين البلدين وتطورت هذه العلاقة فصارت إبان الثورة الفرنسية الكبرى عام 1789 مثلا تقوم على أساس التبادل التجاري، وحدث أن اقترض الداوي حسين- داوي الجزائر- حكومة الإدارة¹⁴² الفرنسية عام 1796 مبلغ من المال يقدر بمليون فرنك فرنسي بدون فوائد لشراء القمح وعلى إثرها جاءت حادثت المروحة المفتعلة بين داوي الجزائر الداوي حسين والقنصل الفرنسي دوفال¹⁴³ . Duval

أولا :آثار الاحتلال الفرنسي للجزائر :

أ. الآثار السياسية :

1/ الاحتلال:

نشهد أن العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الفترة العثمانية اتسمت بالاستقرار النسبي وكانت فرنسا هي أول دولة حصلت على امتيازات تجارية لها بالسواحل الجزائرية خلال مطلع القرن السادس عشر، وبذلك أصبحت تلك الامتيازات هي الإطار العام للعلاقات بين البلدين، كما أنها كانت السبب الرئيسي فيما بعد إلى حدوث الكارثة المؤلمة التي عرفتھا

¹⁴² Directoire: هو نظام سياسي إداري مرت به فرنسا، ويقوم على أساس الإدارة وهو عبارة عن مرحلة انتقالية ليس إلا، لمزيد من المعلومات ينظر : مجلة الثقافة، العدد 38، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر "عدد ممتاز"، سبتمبر، أكتوبر 1984، ص 42 .

¹⁴³ كوليت وجانسون فرانسيس :الجزائر الثائرة ، ترجمة : محمد علوي الشريف، محمد خليل فهمي، هنري يوسف سردار، دار الهلال، 1957، ص 17 .

الجزائر في جويلية 1830¹⁴⁴، هذا وبالإضافة إلى أسباب أخرى يمكن أن نوجزها في نقاط مختصرة:

1. اهتمام فرنسا بالجزائر منذ زمن بعيد ورغبتها في الحصول على الامتيازات السواحل الجزائرية مثل: مدن القالة، عنابة، سكيكدة.
2. موقع المغرب العربي الاستراتيجي الهام على وجه العموم والجزائر على وجه الخصوص مما جعلها محط أنظار وأطماع دول استعمارية كبرى وخاصة بعد ضعف الدولة العثمانية .
3. التنافس الاستعماري بين فرنسا وبريطانيا فيما يخص التوسع في المستعمرات ومد النفوذ.
4. رفض فرنسا دفع الديون للجزائر وإلقاء المسؤولية على التاجرين اليهوديين جوزيف بكري Joseph Bacri و نפטالي بوشناق Naftali Bouchnac.
5. سوء الحالة الداخلية في فرنسا مما أدى بالملك شارل العاشر Charles X على ضرورة توجيه أنظار الشعب الفرنسي خارج البلد ، وتوجيهها نحو مشروع احتلال الجزائر.
6. تطلع فرنسا إلى ضرب الأسطول الجزائري و الحد من سيطرته البحرية لاسيما وان مؤتمر فيينا عام 1815 كان قد قرر وضع حد للقرصنة الجزائرية بالبحر الأبيض المتوسط¹⁴⁵.

¹⁴⁴ أرزقي شويتام :نهاية الحكم التركي في الجزائر وعوامل انهياره 1800 -1830، رسالة ماجستير ،التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر ، 1988، ص146..

¹⁴⁵ محمد الطيب العلوي :مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954 ،ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1985، ص 23، 24 .

7. إدراك فرنسا حالة الجزائر في أواخر العهد العثماني من ضعف سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي¹⁴⁶.

وانطلاقا من هذه العوامل والأسباب جهزت فرنسا حملتها العسكرية على الجزائر والتي توجت بفرض حصار عسكري على مدينة الجزائر واستمر لمدة ثلاث سنوات من يوم 16 يونيو 1827 إلى غاية 13 يونيو 1830، وفي المقابل ذلك قام الداوي حسين بتدمير المكاتب الفرنسية الموجودة في مدينة عنابة والقاللة، وفي شهر أغسطس 1829 فكرت حكومة بولينياك polignac على ضرورة تنفيذ مشروعها لغزو الجزائر بمساعدة محمد علي والي مصر، لكنها فشلت هذه الخطة بسبب أنها اكتشفت من قبل سلطان المغرب الأقصى وانكلترا وهكذا نجد أن حكومة بولينياك قد قررت في شهر يناير 1830 بإرسال حملة عسكرية إلى الجزائر¹⁴⁷.

وبررت الإدارة الفرنسية بقرار إرسال الحملة على أن الداوي حسين قد أهان شرف فرنسا، وكذلك لوقف القرصنة الجزائرية وتخليص أوروبا من القلق والاضطراب في البحر الأبيض المتوسط، وعلى العموم كل هذه المبررات كانت تهدف إلى ضرورة إقناع الرأي العام الأوروبي والفرنسي بضرورة احتلال الجزائر، وفي يوم 14 جوان 1830 نزلت القوات الفرنسية والتي كان تعدادها حوالي 37000 جندي على ميناء سيدي فرج غرب مدينة الجزائر ولم تجد أمامها سوى 15000 جندي جزائري وبعض المتطوعين¹⁴⁸، وفي مصادر

¹⁴⁶ أرزقي شويتام : المرجع السابق، ص 146 .

¹⁴⁷ Ageron charles robert : **histoire de l'Algérie contemporaine** (QUE SAIS JE) P.U.F.7em ,PARIS 1980 .P 06 .

¹⁴⁸ AHMED MAHSAS ;**LE MOUVMENT REVOLUTIONNAIRE EN ALGERIE DE LA 1ére GUERRE MONDIALE A 1954** .ED L'HARMATTAN .PARIS . P 25 .

أخرى تقول أن عدد الجنود الجزائريين الذين وجدتهم القوات الفرنسية لا يتجاوز 6000 جندي¹⁴⁹، وقد تمخضت عن الحملة الفرنسية على الجزائر عدة نتائج أهمها: أن الحملة قد ولدت لدى الجزائريين شعورا قويا بالمقاومة وهذا بمجرد أن أدرك السكان بنوايا الفرنسيين الاستعمارية، وقد تمثلت المقاومة في النشاط السياسي والعسكري، فقام حمدان بن عثمان خوجة¹⁵⁰ بتأسيس أول حزب وطني عرف بحزب المقاومة أو لجنة المغاربة وذلك عام 1830، وقد قدم هذا الحزب العرائض والمذكرات إلى السلطات الفرنسية مطالبا فيها القوات الفرنسية بالتخلي عن الجزائر وتطبيق ما ورد في المعاهدة المبرمة بين البلدين يوم 5 جويلية 1830 كما أوفد الحزب مبعوثا خاصا إلى باريس لشرح القضية الجزائرية لدى الحكومة الفرنسية¹⁵¹، وبالرغم ما بذله الحزب من نشاط كبير إلا أنه لم يدم طويلا لأن سرعان ما قامت السلطات الفرنسية بنفي زعمائه بتهمة التآمر.

وبالرغم من أن معاهدة الاحتلال لم تنص في بنودها على فرض السيادة الفرنسية على الجزائر لكن السلطات الفرنسية سرعان ما ضربت عرض الحائط بنود المعاهدة فنشرت قواتها في فترة عهد التردد من 1830 إلى 1834 م، وارتكاب العديد من المجازر الجماعية أهمها مجزرة العوفية في الوقت الذي كانت فيه الإدارة الفرنسية تقوم بمناورات دبلوماسية في أوروبا بهدف إعطاء شرعية لاحتلالها للجزائر، ويصور لنا تقرير اللجنة الإفريقية عام 1833 (R A PPORT Du comite Africa) الوضع الحقيقي في الجزائر: "لقد حططنا

¹⁴⁹ ABDELLAH LAROUÏ ; L'HISTOIR DU MAGHREB, ED MASPERO
,PARIS ,1970 ,P22

¹⁵⁰ حمدان بن عثمان خوجة : هو كرغلي الأصل، من أب تركي وأم جزائرية، كان يشتغل بالعديد من المناصب، أهمها أميين المال في أواخر العهد العثماني، وله مؤلف مشهور بعنوان "المرأة" ويعتبر من أهم المصادر التاريخية الجزائرية في الفترة الحديثة، وترجم إلى عدت اللغات .

¹⁵¹ أرزقي شويتام :المرجع السابق، ص 124 .

ممتلكات المؤسسات الدينية وجردنا السكان الذين وعدناهم بالاحترام، وأخذنا الممتلكات الخاصة بدون أي تعويض وذبحنا أناس كانوا يحملون عهد الأمان وحاكمنا رجالا يتمتعون بسمعة القديسين في بلادهم لأنهم كانوا شجعانا لدرجة أنهم صارحونا بحالة مواطنيهم المنكوبين¹⁵².

2. الأوضاع السياسية:

كان السياسة الفرنسية في الجزائر منذ الاحتلال سنة 1830 م تهدف إلى ثلاثة أشياء بوجه الخصوص :

1. جعل الجزائر مدينة فرنسية بكل ما يعني ذلك من إبعاد .
 2. طمس التاريخي والشخصية الوطنية وإزالتها من الاعتبار .
 3. قهر أي نوع من أنواع المقاومة التي يمكن أن تزج أمن فرنسا في الجزائر واستخدام كل الأساليب والوسائل للوصول إلى ذلك الهدف¹⁵³.
- وسعيا منها لتجسيد تلك السياسة الرامية إلى بسط نفوذها على الجزائر عملت على إصدار جملة من القوانين والإجراءات التعسفية الممهدة لمشروعها الاستيطاني الذي يسمح لها بابتلاع الجزائر وجعلها جزء لا يتجزأ من فرنسا¹⁵⁴.
- وهكذا نجد أن الحكومة الفرنسية قد أصدرت قرارها المشهور في 22 جويلية 1834، والذي يقضي بأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا أي أن الجزائر ارض فرنسية وأنشأت لذلك

¹⁵² أحمد الخطيب : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 17، 18 .

¹⁵³ أبو القاسم سعد الله : أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 ص 89.

¹⁵⁴ عمار بوحوش : التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997 ص 198 .

منصب الحاكم العام لإدارة الممتلكات الفرنسية في إفريقيا الشمالية واتبع هذا القرار بتصريح فيما بعد مع منتصف القرن العشرين هو دستور 1947 الذي ينص على أن الجزائر جزء مكمّل لفرنسا، ومن ناحية أخرى أكدت السلطات الاستعمارية دعمها المادي والمعنوي للمعمرين بهدف استقرارهم في هذه الأرض الشاغرة، وقدمت لهم جميع الامتيازات والتحفيزات لذلك¹⁵⁵.

فقد شهدت الجزائر منذ الاحتلال إلى بداية مطلع القرن العشرين هجرة استيطانية أوروبية واسعة وصفها المؤرخ الغربي شارل أندري جوليان بقوله: "بعد دخول الجيش الفرنسي للجزائر أنزلت السفن القادمة من مرسيليا واسبانيا وإيطاليا جماهير غفيرة من الأوروبيين لا ضمير لهم مولعين بحب الدراهم، فانتشروا في البلاد الجزائرية كالبلاء المستطير متكالبين على بيع العقارات وشرائها لا يهمهم إلا الأرباح الطائلة"¹⁵⁶، حيث بلغ عدد الأوروبيين في الجزائر عام 1832 حوالي 25 ألف نسمة منهم 2500 مستوطن، وقد أدى تشجيع حركة الهجرة الاستيطانية التي كان يقودها بصورة رئيسية الجنرال بيجو إلى تأسيس مراكز استعمارية على السواحل مثل وهران، عنابة، سكيكدة¹⁵⁷.

وفي عهد الإمبراطورية الفرنسية الثانية 1852-1870 م، وفي ظل سياسة الامتيازات فقد بقيت هجرة للأوروبيين إلى الجزائر مستمرة، إذ بلغ عدد المستوطنين خلال 1866 م حوالي مائتين ألف مستوطن، وخلال الجمهورية الفرنسية الثالثة 1870-1914 م زادت

¹⁵⁵ يحي بوعزيز : سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830 - 1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص24 .

¹⁵⁶ فرحات عباس : ليل الاستعمار، حرب الجزائر وثورتها، ترجمة :أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د.ت، ص95 .

¹⁵⁷ أحمد الخطيب : حزب الشعب الجزائري، جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج1، الجزائر، 1985، ص23 .

حركت الهجرة إلى الجزائر بصفة لا تطاق فوصل عدد الأوروبيين عام 1876 إلى 344 ألف منهم 189 ألف فرنسي، واخذ يتضاعف بصفة كبيرة خلال الربع الأول من القرن العشرين، وخلال هذه الفترة أصدرت القوات الفرنسية مرسوم كريميوا Cremieus في 24 أكتوبر 1870 الذي يقضي بتمتع اليهود بالجنسية الفرنسية، وفي عام 1899 م صدر قانون التجنيس التلقائي الذي يجعل من أبناء الأجانب المولودين بالجزائر فرنسيين تلقائيا رغما عنهم¹⁵⁸.

والى جانب هذه القرارات سنت الإدارة الفرنسية قوانين أخرى أهمها: قانون الإدماج Assimilation الذي يعني في قاموس السياسة الفرنسية إلحاق الجزائر بفرنسا وجعلها مقاطعة من مقاطعاتها وقد شرع في تطبيق هذه السياسة بعد مرسوم 30 جوان 1870 م، حيث قسمت الجزائر إلى ثلاث ولايات في الشمال الجزائر، قسنطينة، وهران، وكانت كلها تابعة لوزارة الداخلية الفرنسية، وقد تعززت بالقوانين الاستثنائية الفرنسية بقانون الأهالي code de lindegenat الذي صدر سنة 1881 م، في عهد الحاكم العام ألبرت، ودعم سنة 1886 في عهد تيرمان (1882-1891م) ومن خلاله أعطيت للسلطات الاستعمارية صلاحيات استثنائية مما كرس المزيد من الهيمنة على الجزائريين العزل¹⁵⁹.

كما تهدف هذه القوانين إلى منح المسؤولين المدنيين بعض السلطات لفرض عقوبات على الأهالي وخاصة على القبائل الثائرة واستمرت الإدارة الاستعمارية تعمل بها حتى عام 1930 م، حيث تم إلغائها نظريا فقط ليبقى العمل بها سرا حتى عام 1954¹⁶⁰.

¹⁵⁸ فرحات عباس : المصدر السابق، ص 95 ، 96 .

¹⁵⁹ عبد المجيد بن عدة: مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1993، ص10.

¹⁶⁰ يحي بوعزيز :المصدر السابق،ص 41،42.

ونجد أيضا أن الجزائريين كانوا محرومين من حقوقهم السياسية ومجردين بشكل سافر من ممتلكاتهم وفي المقابل نجد أن المعمرين يتمتعون بجميع الحقوق المادية والمعنوية، وقد عملوا مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من إقناع الحكومة الفرنسية بإعطاء الجزائريين نوعا من الحرية في تسيير شؤونها بنفسها بسبب اختلاف الوضعية الداخلية لسكان الجزائر عن وضعية سكان فرنسا¹⁶¹، وفعلا فقد كان لسكان الجزائر ميزانية خاصة مستقلة ابتداء من سنة 1900 م يسيروها المجلس المالي الذي انشأ سنة 1889 م، وأصبح الحاكم العام هو الذي يتخذ القرار النهائي لتنفيذ مقترحات المجلس المالي مما زاد من قوة المعمرين في التحكم بمصير الشعب الجزائري والهيمنة على الميزانية التي تعد الركن الأساسي في تسيير نظام الدولة¹⁶².

وعلى اثر هذه السياسة الفرنسية على الجزائر والترسانة من القوانين الاستثنائية والزجرية في بروز ردود أفعال مختلفة، من مقاومة مسلحة ومقاومة سياسية، إذ عاشت الجزائر خلال العقد الأول من القرن العشرين فترة غنية بالإحداث السياسية الداخلية، كان لها الأثر الكبير في نمو الوعي الوطني عند الجزائريين وتبلورها في شكل مقاومة وطنية¹⁶³.

3. الأوضاع الاقتصادية:

إن الإدارة الفرنسية الموجودة بالجزائر لم تتصب في بداية أمرها على الهياكل الاقتصادية هذا إذا استثنينا نهب لمخزرات الجزائريين التي كانت موجودة في الخزينة العمومية، وكذلك نهب أموال الجزائريين الخاصة، لكن بعد الحرب مع الأمير عبد القادر عمدت السلطات الفرنسية العسكرية بضرورة حجز الأراضي الشاسعة وتوطين المهاجرين

¹⁶¹ صلاح العقاد: المصدر السابق، ص71.

¹⁶² فرحات عباس : المصدر السابق، ص 107 .

¹⁶³ أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية 1900/1830م، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي،

بيروت ، 1992، ص107.

الأوروبيين في الجزائر، كما توالى العديد من الأزمات الاقتصادية على الجزائر¹⁶⁴ خلال عملية الإبادة الجماعية والجفاف وانتشار الأوبئة والأمراض والقوانين الجائرة التي سنّها الاستعمار الفرنسي لخدمة مصالحه الخاصة ولحماية ممتلكاته التي تم سلبها من الجزائريين العزل، وبهدف تعزيز قيمة مصادرة الأراضي اصدر مجلس الشيوخ الفرنسي قانون سيناتوس كونسلت سنة 1863م، وقانون فارني 1872م¹⁶⁵، وأخطرها قانون الأهالي الذي أصدرته فرنسا بعد ثورة المقراني وهدفه إرهاب الشعب الجزائري من جهة وتفقيره وتجريده من أراضيه وممتلكاته من جهة أخرى، حيث تقدر مساحة الأراضي التي صادرها الاستعمار الفرنسي بعد ثورة المقراني مباشرة 453000 هكتار كعقاب للقبائل التي شاركت في الثورة مع المقراني، كما تم تهجير سكانها وطردهم من أراضيهم إلى أماكن أخرى وإحلال مكنها بالمهاجرين الأوروبيين بعد إن تم هدم نصف القبائل الصغرى وهجر سكانها وعرضهم لمستوطنين جاء بهم الاستثمار الفرنسي من منطقة الألزاس واللورين ومنحهم أراضي الجزائريين¹⁶⁶، وعلى اثر ذلك تكونت طبقة بورجوازية استيطانية في المدن واللاتيفونديا في الريف اكتسبوا ثروة هامة من نهب ممتلكات الجزائريين¹⁶⁷.

¹⁶⁴ صالح فركوس :الملخص في تاريخ الجزائر من العهد الفينيقيين إلى الخروج الفرنسيين (814 ق.م - 1962 م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة ، الجزائر ، 2002، ص210 .

¹⁶⁵ عز الدين معزة :فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1889- 1985 ،مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ، 2005، ص10 .

¹⁶⁶ كارل بروكلمان :تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نية أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان ، 1968، ص629 .

¹⁶⁷ عبد الكريم بوصفصاف : الفكر العربي الحديث محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا ، دار الهدى الجزائر ،ص27 .

ومنه إن جميع القوانين التي سنّها الاستعمار الفرنسي في الجزائر كانت كلها في خدمة المستوطنين الأوروبيين على وجه العموم والفرنسيين على وجه الخصوص وبذلك أصبحت الجزائر مرتبطة اقتصاديا بفرنسا بعد أن استولى المحتلون على كافة الهياكل ومصادر الثروات الجزائرية من فلاحية، و زراعية، وصناعة إستخراجية وتجارة .

الزراعة :

إن النشاط الاقتصادي السائد في الجزائر هو الزراعة بمختلف فروعها من زراعة الحبوب والأشجار المثمرة، وتربية المواشي، الصناعة التحويلية الناتجة عن الزراعة من طحن الحبوب، الدباغة، عصر الزيتون، والطرق الزراعية التي كانت متبعة في الجزائر طرق تقليدية منذ القديم وأدواتها بسيطة تتمثل في المحراث المزود بالسكة المصنوعة من الحديد المحلية والذي تجره الحيوانات مثل الحمار أو الثور، كما يستعمل روث الحيوانات في تخصيب التربة في شكل سماد، وكان حصاد الحبوب أدواته المنجل، أما الأراضي الزراعية المروية فهي قليلة جدا، والفلاحون لا يزرعون إلا جزءا من أراضيهم والباقي تترك بورا .

في المقابل هذا اعتمدت السلطات الفرنسية على اقتصاد عصري "الثنائية الاقتصادية" أي بدائي وعصري معا، أما فيما يخص تربية الحيوانات لاسيما الغنم على وجه الخصوص كان هو الإنتاج الحيواني الأساسي في الجزائر حيث قدرت السلطات الفرنسية ثروة الجزائر من الغنم عند الاحتلال ما يقارب ثمانية ملايين رأس مضاف إليها ثروة هامة من الخيل والبقر والجمال والماعز بينما لا يتجاوز عدد السكان ثلاثة ملايين نسمة، هذه الثروة الحيوانية وفرت غذاء رخيصا في متناول الجميع¹⁶⁸ .

¹⁶⁸ إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت ، ص 24، 25 .

غير أن السلطات الفرنسية عمدت على هدم هذه الأسس وعمد المستوطنين إلى الزراعة بعض المنتوجات الزراعية التي لم يكن الفلاح الجزائري يزرعها مثل زراعة الكروم في المناطق الساحلية الخصبة وبالخصوص بعد أن قامت فرنسا بنقل زراعة الكروم إلى الجزائر بعد تعرض كرومها لمرض فيلوكسيريا سنة 1880م، وأصبحت الإدارة الفرنسية تشجع المستوطنين على ضرورة زراعة الكروم بهدف إنتاج حاجياتها من الخمر، ففي الثلث الأول من القرن 20 بلغت المساحة التي تغطيها الكروم 400 ألف هكتار من الأراضي الخصبة وأهملت زراعة الحبوب التي تمثل الغذاء الأساسي للجزائريين، ونتيجة لتطور زراعة الكروم وزيادة إنتاجها عمدت على بناء مصانع ضخمة لصناعة الخمر، بحيث بلغ إنتاج الجزائر من الخمر سنة 1904 حوالي 19300000 هكتار في المقابل انخفاض إنتاج الحبوب عما كان عليه سابقا بنسبة 20 % .

ومنه أن هذا الاختلاف الرهيب في الغذاء الأساسي للجزائريين والمتمثل في الحبوب يعود إلى عدة عوامل كثيرة كان الاستعمار الفرنسي هو المتسبب الرئيسي فيها، حيث استولى على الأراضي الخصبة وزرعها كروم وطرد الجزائريين إلى الأراضي البور والأقل خصوبة ولم يقدم لهم أية مساعدات مالية أو تقنية بهدف تفجير وتجويع الجزائريين (الأهالي) والقضاء عليهم، وكان من نتيجة هذا الانخفاض في الإنتاج للحبوب مطلع القرن العشرين والذي تزامن مع بداية التزايد السكاني في الجزائر إلى حدوث اختلال بين الغذاء والسكان فنتج عنه ظهور المجاعة في الجزائر في سنوات: 1920-1922-1924¹⁶⁹ .

وهكذا نجد أن النشاط الفلاحي بالجزائر قد تقهقر كثيرا، حيث لم يعرف نمو في الإنتاج فقد كان إنتاجهم للحبوب عامي 1901 إلى 1910 يقدر ب 19 مليون قنطار ثم نزل إلى

¹⁶⁹ Agron charles robert : **politiques coloniales au Maghreb** ,édition P ,U .F .PARIS ,P24 .

16 مليون قنطار بين عامي 1921 إلى 1930 ونفس الشيء يقال عن الماشية وخاصة الأغنام التي انخفضت كثيرا، فقبل عام 1910 م كانت تقدر بـ 9 ملايين رأس فتراجعت إلى 5 ملايين رأس سنة 1914 وتعليل هذا التقهقر يرجع سببه إلى سياسة الإدارة الفرنسية التي لم تعطي أهمية كبيرة للفلاح الجزائري المسلم وأهمته بل طردته إلى مناطق أخرى فقيرة بور، وكذا عدم تقديم له المساعدات المالية والتقنية اللازمة نتج عن إثرها زيادة عدد الفقراء في الأرياف وظهور ظاهرة الهجرة الريفية نحو المدن الجزائرية وإلى فرنسا بحثا عن العمل¹⁷⁰.

الصناعة :

وبجانب مأساة الأراضي الزراعية ومصادرة أملاك الجزائريين لصالح المعمرين، عمدت أيضا السلطات الفرنسية على قتل الصناعة المحلية أو الوطنية التي كانت تزخر بها الجزائر قبل الاستعمار، فعمد الاستعمار الفرنسي على مضايقة لصناعات اليدوية وخاصة صناعة النحاس، الفضة، الذهب، الجلد، الحياكة، الصناعة الحربية والبحرية التي شهد لها المؤرخون الأجانب على ازدهارها وجودتها¹⁷¹، وهكذا نجد أن الإدارة الفرنسية لم تنتقل الثورة الصناعية التي عرفتتها فرنسا بعد منتصف القرن 18 إلى الجزائر لأنها كانت ترى أن ذلك سيؤدي إلى إخراج المجتمع الجزائري من العصور الوسطى وأنهم سيطلبون باستقلالهم عن فرنسا لذلك حرم الجزائريين من كل حركة صناعية بعد أن كانت الجزائر تصدر صناعاتها الوطنية من

¹⁷⁰ شارل روبير أجبيرون: تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة : عيسى عصفور، ط2 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 124-127 .

¹⁷¹ محمد الأمين بلغيث :الجزائر في مؤتمر باندونغ مذكرة الشاذلي المكّي إلى المؤتمر، دار كتاب الغد ، الجزائر، 2007، ص 67 .

المنتجات الفلاحية والصناعات التقليدية إلى جميع الأقطار العربية والأجنبية قبل الاستعمار الفرنسي لها¹⁷² .

وعلى اثر هذا نجد أن المستوطنين قد سيطروا على 28,65 بالمائة من قطاع الصناعة الذي يخدم مصالحهم الخاصة وعلى 57 بالمائة في القطاع التجاري، وهذه الصناعة قد مكنتهم من احتكار التجارة الداخلية والخارجية، ولذلك اعتقد فرحات عباس بان الاستعمار قوة جبارة قادرة على إلحاق الأذى بالمستضعفين وسلبهم مصدر رزقهم، وجعل همهم كله هو البحث عن الخبز لا غير، ففي نظره أن قوة الاستعمار الجبارة تفتقر إلى الروح فهو كالجسم الضخم بدون روح، فرض نفسه بالقوة العسكرية فهو لم يأتي إلى الجزائر إلا من اجل إشباع حاجياته المادية عن طريق النهب والسلب والقتل¹⁷³ .

ومنه إن السياسة الاقتصادية التي دأبت فرنسا على انتهاجها في الجزائر منذ 1871 م، قد حققت أهدافها إلى درجة أن الجزائريين أصبحوا يعيشون شبه مجاعة في سنة 1912 م، ففي تلك السنة وقع جفاف في فصل الربيع وانخفض محصول الشعير من 4726809 قنطار في سنة 1911 م إلى 2686344 قنطار سنة 1912 م، كما انخفض محصول القمح من 3674733 قنطار سنة 1911 م إلى 2197567 في سنة 1912 م، ويعني هذا انخفاض محصول الشعير بنسبة 44 بالمائة والقمح بنسبة 41 بالمائة، كما إن الضرائب

¹⁷² لوسات فلنزي : المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790 - 1830، ترجمة: حمدي الساحلي، سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1994، ص 69 .

¹⁷³ FARHAT Abbas : **Autopsie d'une guerre l'aurore**, éditions Garnier ,France .1980 ,P10 .

العربية قد ارتفعت في الفترة الممتدة من سنة 1900 إلى سنة 1914م بنسبة 15 بالمائة لضريبة اللازمة و11 بالمائة لضريبة الزكاة¹⁷⁴ .

والجدير بالذكر إن هذه السياسة الاقتصادية ليست جديدة على الاستعمار الفرنسي بل ذهب إلى ابعده من ذلك حين انتزع الأراضي ونهبها من المواطنين وتقديمها للمعمرين بهدف قهر و تفجير الشعب الجزائري وتجويعه¹⁷⁵ .

الأوضاع الاجتماعية :

ساعت أحوال الجزائريين الاجتماعية بعدما استعملت السلطات الاستعمارية كل الأساليب الدنيئة من اجل الاستحواذ على المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التي وجدت في الجزائر، وتوجيهها لخدمة المصالح الفرنسية والأوروبية سعيا منها لتحقيق مشروعها الاستيطاني.

وقد كان المجتمع الجزائري قبل الاستعمار يتكون من طوائف اجتماعية التالية :

1. الجزائريون : يتكونون من العرب والقبائل والشاوية والاباضيون، ويكونون 99 بالمائة من مجموع سكان الجزائر، وقد وحد الإسلام والتاريخ بين هذه العناصر المختلفة فعاشت في انسجام كبير تحت ظل الإسلام وحضارته¹⁷⁶ .

2. الأتراك

¹⁷⁴ عمار بوحوش : المرجع السابق، ص208 .

¹⁷⁵ عبد المجيد خلوف : "الجالية الجزائرية بين المعاناة وأمل العودة"، مجلة الجيش ، العدد 165،الجزائر ، ديسمبر 1975،ص 11 .

¹⁷⁶ Pierre Bourdieu : **Sociologie de l'Algérie** ;Que sais –je .éditions ,PUF

,France .1980 .P 80 .

3. المسيحيون

4. اليهود

وهذه العناصر الثلاثة الأخيرة لا تمثل سوى 1 بالمائة من نسبة السكان، ورغم اختلافها العرقي والديني إلا أنها عاشت في انسجام وتعايش دائم، حيث كان المجتمع الجزائري ذوا طبيعة مرنة يقبل التعايش رغم الاختلافات الدينية والعرقية في امن وهدوء تام¹⁷⁷، وهذا ما حاول الاستعمار زعزحته بسياسة فرق تسد لأنه لا يخدم أغراضه الخبيثة ووجد لذلك طرق ووسائل وأساليب دنيئة لضرب استقرار وامن الاجتماعي بين العناصر السكانية المتواجدة بالجزائر .

أما من حيث الطبقات الاجتماعية فقد كان المجتمع الجزائري قبل الاستعمار يتكون من طبقتين مميزتين :

1-طبقة أرستقراطية:وتشمل الحكام ورؤساء قبائل المخزن، وشيوخ الزوايا، وكانت تحت تصرفهم الأراضي الخصبة التي تحتوي على البساتين والأراضي المروية¹⁷⁸ .

2-طبقة العامة:تمثل الأكثرية، وتتكون من الفلاحين وصغار التجار والخماسين، وقد كان عدد سكان الجزائر سنة 1830 م يقارب ب 3 ملايين نسمة أغلبها في الأرياف تقدر ب 95 %¹⁷⁹ .

¹⁷⁷ عبد الكريم بوصفصاف:المرجع السابق،ص99 .

¹⁷⁸ أندري بريان وآخرون : الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة :اسطنبولي رايح ومنصف عاشور،

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984، ص 185 .

¹⁷⁹ اسماعيل العربي : المرجع السابق،ص 24 .

ومنه فالشعب الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي كان يعيش حياة اجتماعية هادئة منسجمة مع واقع السياسي والاقتصادي، ولكننا نستطيع أن نقول بأن الحياة الاجتماعية في الجزائر لم تكن راقية على العموم إذا ما قارناها بالحياة الاجتماعية في أوروبا الغربية¹⁸⁰.

وكان من نتائج الاحتلال الفرنسي أن المجتمع الجزائري قد تغيرت طبيعته وتأثر الفرد الجزائري بمؤثرات جديدة، فالجزائري أصبح لا يخرج من داره إلا وهو ذليلاً وأصبح محجوباً كالمرأة، ذلك أن الشارع فيه حضارة أخرى غريبة عن حضارته¹⁸¹، وأصبح الجزائري غريباً في وطنه ومجتمعه فحوصر في الأحياء الشعبية الضيقة وحرّم عليه الاحتكاك بالمستوطنين، وصف أحد الجزائريين تلك الظاهرة العنصرية التي سنها الاستعمار الفرنسي بقوله: "وقلما كان الجزائري أثناء تجواله داخل المدينة يتعدى بخطواته حداً معيناً، وكانت إدارة البريد (البريد المركزي حالياً) هي الحد بين الحياة الجزائرية والحياة الفرنسية"¹⁸².

كما قام الاستعمار الفرنسي بتحطيم أركان المجتمع الجزائري سواء كانت قبيلة أو الهيئات القيادية التي تعتمد على الأصل والمال والزعامة الدينية¹⁸³، وتحول معظم السكان إلى مزارعين في مزارع المعمرين وعمالاً في خدمة الرأسمالية الفرنسية إذ كتب أحد الإداريين الفرنسيين يقول: "لقد حطمنا بعض القبائل القوية التي كانت لها مكانة في البلاد عن طريق القوات العسكرية، وبعض الأهالي صودرت أملاكهم كما عملنا على تكسير شوكة بعض

¹⁸⁰ عبد الكريم بوصفصاف : المرجع السابق، ص 100 .

¹⁸¹ أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ، ط 1 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998. ص. 297 ، 298 .

¹⁸² أحمد مريوش : الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط 1 ، دار هومة، الجزائر، 2007 ص، 113 .

¹⁸³ صلاح العقاد : المرجع السابق، ص 116 .

العائلات ذات السمعة والشهرة¹⁸⁴، كما إن سياسة القهر الاجتماعي التي تعرض لها أهالي العاصمة زادت من سوء أوضاعهم الاجتماعية، كانتشار البطالة وارتفاع نسبة الإجرام، و نقشي الآفات الاجتماعية، وغلاء المعيشة، وزيادة المجاعة حتى وصف احد الجزائريين هذه الظاهرة بقوله: "ونبهني إلى ما رأيته بعين رأسي هذه الأعوام من الزيادة في ارتفاع الأسعار وغلاء الأقات حتى بلغ رطل البصل المكروه مائة فرنك، كما رأيت صبيانا ذكورا و إناثا لا يتجاوزون أربعاً أو خمسا من أعمارهم يتقاطرون ويتزاحمون على سلال وصناديق الزبل وسقط المتاع ويلتقطون من تلك الصناديق نفضات الموائد للاقتيات"¹⁸⁵.

كانت نتيجة هذا التدهور والتغيير الناتج عن القهر الاجتماعي أن أصيب المجتمع بالركود والخمول وتدهورت حالة السكان، وانتشرت في أوساطهم الفقر والجهل وأصبحت مئات الآلاف من العائلات تترزق من أراضي غير خصبة، تعيش في حالة مأساوية، هذا الأمر كله جعل المجاعة تفتك بالمعوزين الغير قادرين على توفير قوتهم اليومي¹⁸⁶.

وفي هذا الصدد يقول فرحات عباس: "ستة ملايين من السكان لم يبق في أيديهم سوى ارض جرداء قاحلة، وبلغ الثلثان من هؤلاء السكان من الجوع والبؤس والفاقة مبلغها، وجردت القبائل الغنية والقوية من خيراتها، لأن أراضيهم وممتلكاتهم أصبحت نهبه الناهب، ولم يبق في وسع العربي الذي أصبح غريبا في ارض أجداده إلا أن يكون خادما للمعمر"¹⁸⁷.

¹⁸⁴ فرحات عباس :المصدر السابق، ص 130 .

¹⁸⁵ أحمد مريوش : المرجع السابق، ص 114 .

¹⁸⁶ شارل روبير أجيرون : المرجع السابق، ص 101 .

¹⁸⁷ فرحات عباس : المصدر السابق، ص 112 .

ولقد كانت سياسة النهب والسلب والتفكير المنتهجة من قبل السلطات الفرنسية تستهدف الشعب الجزائري بناء على الاعتقاد الذي كان سائدا عندهم أن الشعب الجزائري مآله الزوال بحكم القانون القائل "البقاء للأصلح"، خاصة وأن الوضعية الديموغرافية المتدهورة التي كان عليها، فساد والانحلال الأخلاقي وتجسدت الرجولة في شرب الخمر وقاطع الطريق وانتشار ظاهرة الزنا والدعارة، بتشجيع من فرنسا التي فتحت لها الأبواب واعتبرت كل من يتصدى لها جانبا يحاكم أمام العدالة لأنه اعتدى على الحرية وأصبح المار في شوارع العاصمة لا يسمع إلا ما يسوؤه من البغايا وهن متبرجات، ووصفت جريدة النجاح تلك الظاهرة المخلة بالحياء، بدعم من السلطات الفرنسية بهدف تحطيم مقومات الأمة الجزائرية المسلمة بقولها: "بغيات يخطفن الشباب ويسلبنهم عقولهم ويأكلن أموالهم لا مجير لهم و لا ناصر لهم لان المرأة حرة في نفسها تفعل ببيتها ما تشاء"¹⁸⁸.

ولم تكنفي الإدارة في دعم ظاهرة الدعارة بفتح لهم بيوت وسط الأحياء الشعبية بل فتحت لهم الأبواب بجوار المساجد، وداست على حرمت المسلمين ومقدساتهم وكتبت جريدة لسان الدين في وصف هذه الظاهرة الأخلاقية تقول: "أما الدعارة فقد نشرتها فرنسا كالوباء في كل حي دون مراعاة لحرمة الأوساط العائلية الشريفة ولا احترام لقدسية الأماكن الطاهرة، حتى بات جامع سيدي رمضان تحيط به بيوت العاهرات إحاطة السوار بالمعصم"¹⁸⁹.

¹⁸⁸ أحمد مريوش : المرجع السابق،ص 114 .

¹⁸⁹ أحمد مريوش : المرجع نفسه، ص 115 .

النمو الديموغرافي الجزائري:

يذكر لنا حمدان خوجة في كتابه المرأة، أن عدد السكان الجزائر غداة الاستعمار الفرنسي سنة 1830 كان بقدر عشرة ملايين نسمة¹⁹⁰، لكن السلطات الفرنسية عمدت على تزيف هذه الأرقام، ليبرر احتلاله على أساس أن الجزائر خالية تقريبا من السكان الذي لا يتعدى عددهم مليون نسمة حسب تقديراتهم، إذا رجعنا إلى إحصائيات عام 1861 - 1871، فإنها تؤكد أن تعدد السكان قد انخفض من 2732851 نسمة إلى 2125052 نسمة¹⁹¹، والسبب ذلك يعود إلى المجاعات والأوبئة والأمراض القاتلة وحروب الإبادة التي شنها الاستعمار الفرنسي ضدهم .

كما نجد أن السلطات الفرنسية قد عملت على تحطيم البنية الاجتماعية للشعب الجزائري وقتل حوالي الثلث منه، أما البقية فجعلتهم في خدمتها يعانون من الفقر والجهل والظلم، وكل هذه الأساليب التي لجأ إليها الاستعمار كانت تهدف إلى القضاء على الإنسان الجزائري وإحلال مكانه المستوطنين، ولهذا نجد إن الاستعمار الفرنسي هو استعمار استيطاني قد عمل منذ 1830 إلى غاية 1947 على تشجيع عملية الهجرة من فرنسا خاصة ومن أوروبا عامة إلى الجزائر والاستيطان فيها، وخلال هذه الفترة تكونت طبقة بورجوازية من المستوطنين في المدن وطبقة من الإقطاعيين في الأرياف بعد أن استولوا على الأراضي الخصبة الواقعة على المياه الجارية مثل سهل وهران، وسهل عنابة، وسهل متيجة، وهذه السياسة الاستيطانية عملت على تعمير المناطق الحيوية في الجزائر بالعناصر الأوروبية ذات المصالح الاقتصادية المحضنة، ففي سنة 1911 بلغ عدد المستوطنين 562931

¹⁹⁰ حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، ترجمة: محمد العربي الزبير، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، 46 .

¹⁹¹ أندري برنيان وآخرون: المرجع السابق، ص200.

نسمة¹⁹²، ووصل عددهم سنة 1926 إلى 833000 نسمة (657000 فرنسي و 17600 أجنبي)، وهؤلاء المستوطنين ترجع أصولهم إلى الجنسيات الأوروبية متعددة اغلبها من الدول الأوروبية المطلة على البحر المتوسط التي كانت تعاني الفقر والجهل والمنتصفون بالأخلاق السيئة بسبب ظروفهم الاجتماعية التي كانوا يعانون منها، فمنحهم الاستعمار الفرنسي أخصب الأراضي الزراعية في الجزائر، وتحكموا في اقتصاد البلاد وإدارة شؤون الأهالي وأصبحت بيدهم السلطة والقوة والمال على الرغم من تمثيلهم الضعيف الذي لا يمثل سوى عشرة بالمائة من مجموع سكان الجزائر¹⁹³.

الأوضاع الثقافية:

كانت الأوضاع الثقافية في الجزائر صورة حية لسياسة التجهيل التي انتهجتها السلطات الفرنسية منذ 1830، منتهجة منذ البداية القضاء على الثقافة العربية الإسلامية تمهيدا لدمج الجزائريين في الكيان الفرنسي¹⁹⁴، فكان التعليم الفرنسي كما يؤكد لنا مالك حداد في مدارس الجزائر بان آباء الجزائريين من أصل فرنسي وكانوا ينعنون العرب بأنهم عديمو الوفاء، وهذا كله من اجل تحقيق هدف واحد صوره المفكر الفرنسي المشهور جون بول سارتر في كتابه "عارنا في الجزائر"، بهدف القضاء على الشخصية الجزائرية العربية فيقول: "ولكننا على كل

¹⁹² عبد الكريم بوصفصاف :المرجع السابق ،ص101 .

¹⁹³ محمد شرقي : "المجتمع الجزائري في تصور فرانس فانون (1953 - 1961)، القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية (1954 - 1978) ، ج2، مشروع المجتمع الجزائري في تصورات النخبة السياسية الجزائرية المعاصرة، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، مارس، 2008، ص 202 .

¹⁹⁴ رابح تركي : التعليم القومي والشخصية الوطنية 1939-1956، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص 88 .

حال، أردنا أن نجعل من إخواننا المسلمين شعبا من الأميين وبلغ عدد الأميين اليوم 80 بالمائة¹⁹⁵

كما عملت السلطات الفرنسية على اضطهاد المدرسين والطلبة منذ احتلالها للجزائر فتعرض بعضهم إلى القتل والبعض الآخر إلى النفي، حتى كادت تختفي الطبقة المثقفة نهائيا في المرحلة الأولى، وفي المقابل ذلك عملت فرنسا على تأسيس المدارس الشرعية، منها المدارس الفرنسية العربية التي ظهرت منذ 1850 في كل من قسنطينة والجزائر العاصمة ووهران، تلمسان¹⁹⁶.

ونجد أن المعمرين قد كانوا يقفون ضد أي مبادرة يمكن أن توجه لإنعاش الثقافة الوطنية، بل كانوا يعارضون بشدة تعليم الجزائريين وفي هذا الصدد صرح الحاكم العام الفرنسي فلورين تيرمان (1882-1891) قائلا: "إن التجربة دلت على أن الأهالي الجزائريين الذين أعطيناهم تعليما كاملا سوف يطالبون بحقوقهم المهضومة التي طالما عملت السلطات الفرنسية على إخفائها عنهم"، كل هذه المخاوف جعلتهم يعارضون بشدة حول تعليم الجزائريين في المدارس الفرنسية وبأن تعليم الجزائريين سيجعلهم اقل طوعية واطاعة لهم .

وكان التعليم مقتصر على أبناء الشخصيات الارستقراطية من اجل الاعتماد عليها كإطارات متوسطة لمساعدتهم في تسيير شؤون الجزائريين، وكان التخوف من تعليم الجزائريين جليا وظاهرا عند كافة الفرنسيين وفي هذا الصدد يقول احد المسؤولين الفرنسيين: "إن فتح مدرسة في منطقة آهلة بالسكان الجزائريين لا يقل شأنًا عن قيمة فرقة من الجيش

¹⁹⁵ عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط1، دار الجيل، بيروت، 199، ص35.

¹⁹⁶ Fanny colona: les institutions algériens 1883-1939 (O.P.U , Alger..)

لتهدئة البلد"، وكما نجد بعض الفرنسيين يدعون على ضرورة تعليم الفرد الجزائري، أي العمل على استثمار العقل الفرد الجزائري لصالحه بهدف السيطرة عليه معنويا عن طريق نشر الحضارة الفرنسية و مبادئها بدل من السيطرة عليه جسديا عن طريق قوة السلاح.

ولقد عبر الزعيم المصري محمد فريد أثناء زيارته للجزائر عام 1901 عن الوضع الجزائري المزري الذي أضحى عليه المجتمع الجزائري بقوله: "إن حالة التعليم في الجزائر سيئة جدا، ولو استمر الحال على هذا المنوال لحت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات، بل ربما لا تدرس العربية بالمرّة مع مضي الزمن، فلا الحكومة تسعى إلى حفظها ولا هي تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس، لمنعها أي اجتماع خوفا أن تشتغل جمعياتهم بالأمر السياسي، وهي حالة تخالف ما عرف به الفرنسيين من إنهم رجال العلم و النور والحرية ... و أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة التخاطب في العواصم مثل وهران، قسنطينة، عنابة و غيرها"¹⁹⁷.

وهكذا نجد أن الإدارة الفرنسية لم تهتم بتطوير التعليم الجزائريين المسلمين ولذلك انتشرت الأمية بشكل كبير في أوساط الأطفال الجزائريين وضلت مرتفعة بنسب رهيبية مع مطلع القرن العشرين، ويعود ذلك إلى السياسة التعليمية التي اتبعتها الاستعمار الفرنسي، فهو لم يخصص ميزانية معتبرة لتعليم الجزائريين، كما حارب المؤسسات الثقافية العربية الإسلامية من هدم المساجد، ومصادرة أموال الأوقاف كما رفض المستوطنون بدورهم تعليم الجزائريين بدعوى أنهم غير قابلين للتعلم والتحضر، وأن الجزائري لا يصلح إلا للأعمال الشاقة¹⁹⁸، فهم يرون أن الاقتصاد الجزائري بحاجة لليد العاملة يدوية، ولهذا نجد أن المؤتمر الاستعماري في

¹⁹⁷ أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985، ص64

¹⁹⁸ ناهد ابراهيم الدسوقي : دراسات في تاريخ الجزائر، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 2001، ص

سنة 1908 قد أكد رفضه تعليمه للجزائريين في المدارس الابتدائية وطالب بتوجيههم إلى مدارس التكوين المهني الزراعي، وفي سنة 1931 صرح الحاكم العام قارد garde قائلاً: "إن كانت نية فرنسا هي تكثيف تعليم الأهالي في الجزائر فما هو مصير مزارعنا وأين نجد اليد العاملة الزراعية؟ بالفعل أن التعليم سوف يتيح للشخص الراضخ تحت نير الاستعمار فرصة للطموح لتحسين ظروفه المعيشية وربما يمدّه بوسيلة الانتفاض ضدنا وهذا خطر لا يهدد المستوطنين فحسب، بل مستقبل المستوطنة بأسرها"، وكل هذه الأسباب جعلت التعليم على الفرد الجزائري حرام عليه، ولهذا نجد أن السياسة التعليمية في الجزائر كانت تمشي بهاجس الخوف من الجزائريين¹⁹⁹.

وهكذا على العموم إن السياسة التعليمية بالجزائر تكاد تكون منهارة وبالخصوص مع مطلع القرن العشرين رغم وصول شارل جونار في بداية القرن العشرين إلى منصب الحاكم العام على الجزائر والمعروف بتشجيعه لإحياء الثقافة المحلية لكنها السياسة التعليمية الفرنسية بقية كما هي، من رفضها تعليم الجزائريين ومحاصرة المدارس العربية بالقوانين، أهمها قانون 1904/12/26 فإنه يحظر على كل جزائري أن يفتح أو يتولى إدارة مدرسة عربية أو كتاتيب لتعليم القرآن الكريم إلا بترخيص من الإدارة الفرنسية²⁰⁰.

أما من الجانب الديني فقد تأثر سلبا نتيجة الاحتلال، ولهذا نجد منذ البداية عمدت السلطات الفرنسية على التدخل المباشر في شؤون الدين الإسلامي ولم تكتفي بمصادرة الأوقاف والإجهاز على جماعة أو مؤسسة لها أدنى دور ديني أو ثقافي، بل بسطت نفوذها

¹⁹⁹ غي برفيلي: النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880 - 1962، ترجمة م. حاج مسعود وآخرون، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2007، ص 26 .

²⁰⁰ عبد القادر حلوش : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر 1870/1914م، شركة الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 1999، ص 97 .

على جميع الشؤون الإسلامية كتعيين القضاة والأئمة وإعلان المواسم الدينية وغيرها²⁰¹، مما اثر سلبا على تقوى المسلمين حيث كانوا يشعرون بفراغ مساجدهم من الشعب الكافي للمواعظ الدينية، ذلك أن الأئمة الذين تم تعيينهم من قبل الإدارة الفرنسية للقيام بأداء الفرائض الدينية لا يتجاوز 150 أمام في سنة 1900، اقتصرتهم مهامهم على أداء الفرائض الدينية فقط وتعاليم الطقوس الدينية التي لا روح فيها ولا غاية من ورائها مما أدى إلى تفشي البدع والخرافات في أوساط المسلمين²⁰².

وقد استمر هذا الاضطهاد للدين الإسلامي وأهله والكيد له من خلال الشبه التحالف اليهودي المسيحي وبالخصوص بعد صدور مرسوم فصل الدين عن الدولة سنة 1907، وصارت الديانتين اليهودية والمسيحية منفصلتين عن الدولة أي لهم جهاز خاص بهم، أما الدين الإسلامي فقد بقي مرتبط بالدولة بدعوى انه لا يمكن الفصل بين الجانب الروحي والديني في الإسلام²⁰³، والحقيق أن هذا البقاء الرابط بين الإسلام والإدارة الفرنسية كان يفى المزيد من تكريس الهيمنة الفرنسية على الدين الإسلامي والمؤسسات الدينية، وتجلى ذلك من خلال الإعلان عن إجراءات منع الجزائريين من أداء مناسك الحج، خوفا من احتكاكهم بإخوانهم في المشرق العربي فيتأثرون بما يجري هناك من أحداث وتطورات، خاصة بعد ثورة تركيا الفتاة التي اندلعت سنة 1908²⁰⁴.

هذا كله أدى إلى تدهور الحياة الدينية بالجزائر مع مطلع القرن العشرين فساد الجهل والخرافة والشعوذة داخل المجتمع الجزائري بدعم من الإدارة الفرنسية بل مما زاد الطين بله هو من محاولة الإدارة الفرنسية هدم المسجد الكبير بالعاصمة سنة 1909، ولولا تضافر

²⁰¹ أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956، ص 127 .

²⁰² عبد المجيد بن عدة : المرجع السابق، ص 31 .

²⁰³ الجمعي خمري : المرجع السابق، ص 36 .

²⁰⁴ رايح تركي : المرجع السابق، ص 96 .

الآلاف من الجزائريين أمام مقر البلدية وتدخل الحاكم العام الفرنسي جونا فاقبر هذا المشروع نهائيا في جوان 1909²⁰⁵.

²⁰⁵شاوش حباسي: من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962م، دار هومة، الجزائر، 1998، ص 35 .

ثانيا :ردود فعل الجزائريين

1. المقاومة المسلحة :

تشير العديد من المصادر التاريخية إلى أن الشعب الجزائري قاوم الاحتلال الفرنسي منذ بدايته، فقد ذكر احد الضباط الحملة، أن الاحتلال الفرنسي لم يتم بسهولة وفق ما خطط له و لهذا أدرك الفرنسيين جليا أن الاحتلال لم ينته باستسلام الداى الجزائري _ الداى حسن باشا _ وان الجزائريين مصممون على مقاومة المستعمر وهم في هذا أقوياء وشجعان وخبراء بشؤون القتال، ولهذا نجد أن الشعب الجزائري قد قاد الكفاح المسلح بزعامة العديد من القيادات الوطنية في مختلف أنحاء البلاد منذ الاحتلال سنة 1830 إلى الربع الأول من القرن 20 واستطاعت أن تحاصر أحيانا وأن تصد جزئيا التوسع الفرنسي نحو المناطق الداخلية وان تكبح سياسة الإدماج لتكون الحركة الوطنية المسلحة بذلك أول الأشكال الوطنية في حقل الدفاع عن الهوية الجزائرية العربية الإسلامية، والعمل على استرداد السيادة والاستقلال²⁰⁶ .

فمنذ أن وطئ الفرنسيين أقدامهم ارض الجزائر وجدوا مقاومة شعبيه قادها سكان الجزائر العاصمة ثم توسعت هذه المقاومة حتى شملت القبائل المتواجدة قرب مدينة معسكر، بحيث التفت هذه القبائل حول الشيخ محي الدين الهاشمي _ والد الأمير عبد القادر _ و بايعته بالإمارة وعمل على مقاتلة الفرنسيين الذين بدؤوا في التوسع نحو الجهة الغربية من الجزائر²⁰⁷، ولهذا نجد أن محي الدين قد قاوم الفرنسيين طيلة الفترة الممتدة من سنة

²⁰⁶ عبد القادر جغول :تاريخ الجزائر الحديث، ط2، ترجمة، فيصل عباس، دار الحداثة، بيروت، 1982، ص131، 132 .

²⁰⁷ إسماعيل العربي :المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د.ت، ص 42 .

1830 إلى 1832 ولما أحس بالضعف والعجز البدني أي كبر سنه أشار على ابنه عبد القادر ليكون هو الخليفة في الإمارة فتمت مبايعته أمير على الإمارة عام 1832²⁰⁸، استطاع الأمير في ظرف وجيز من استعادت اغلب المناطق التي سبق أن احتلها المستعمر الفرنسي ، فحاصرت قوات الأمير الفرنسيين في المدن الساحلية و لم تفلت هذه الأخيرة من الهلاك إلا بعقد الهدنة مع الأمير الذي كان يهدف من ورائها ربح الوقت من جهة، ولإعادة بناء وتنظيم قواته على أسس حديثة من جهة ثانية، وهناك هدتان مشهورتان هما : معاهدة دي ميشال Des Michels، وعقدت في 26 فبراير 1834 بين الجنرال دي ميشال والأمير عبد القادر، اعترف بمقتضاها للأمير بالإمارة والتنازل عن البعض المناطق التي احتلها دي ميشال كميناء ارزيو ، لكن سرعان ما خرق الفرنسيين هذه المعاهدة وذلك بعد مجيء الجنرال تريزيل trezel الذي حل محل دي ميشال، بحيث تحالف تريزيل مع بقايا جنود الأتراك (قبائل المخزن) ضد الأمير عبد القادر²⁰⁹، وحدثت معركة المقطع المشهورة قرب ارزيو في شهر يونيو 1835 هزم فيها الجنرال تريزيل هزيمة نكراء قتل بها أكثر من أربعة الألف جندي فرنسي²¹⁰ .

أما المعاهدة الثانية فهي معاهدة تافنا التي وقعت بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو Bugeaut، بتاريخ 30 ماي 1837، جاءت نتيجة اجتياح قوات الأمير اغلب المناطق الجزائرية ومحاصرته لقوات الفرنسية في السواحل، بحيث يسيطر الأمير على ثلثي مساحة الجزائر، هنا استغل الطرفان معاهدة تافنا استغلال كبير، فالفرنسيين رأوها فرصة

²⁰⁸ أديب حرب : التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر الجزائري 1837- 1847، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة القديس يوسف، بيروت، لبنان، 1980، ص 2 .

²⁰⁹ عبد العظيم محمد رمضان : الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة، ط1، دار المعارف، القاهرة ، مصر، 1985، 100، 101 .

²¹⁰ إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص 87 .

لشن الحرب على قسنطينة بعد أن استصعب عليهم حلها طيلة الفترة الممتدة من سنة 1832 إلى 1837 ، وتصدي القوات الشعبية هناك بقيادة أحمد باي للحصار الفرنسي الأول الذي كان في 1836 وانهزام الجنرال كلوزيل بها، لكن في الحصار الثاني في 1837 بعد عقد معاهدة تافنا زاد التفوق العسكري الفرنسي الرهيب وتمكنوا من القضاء على المقاومة الشعبية بقسنطينة نهاية 1837، ومرة أخرى لم يترك الفرنسيين الفرصة الكافية للأمير عبد القادر لتطوير دولته، فعملوا على خرق بنود المعاهدة المذكورة أنفا في الشهر أغسطس 1839 واشتعلت الحرب من جديد ²¹¹ .

فقد عمد الجنرال بيجو على خلق الرعب في نفوس الجزائريين عموما وفي نفوس قوات الأمير على وجه الخصوص من حرق محاصيل الزراعية، حجز النساء، والأطفال، وأمر جنوده بدم الآبار وتسميمها وقتل المواشي، بحيث تلقى الجنرال بيجو إمدادات ضخمة، بهدف مواجهة قوات الأمير عبد القادر مما اضطر هذا الأخير على اللجوء إلى المغرب مرتين، إذ استقبله السلطان المغربي في المرة الأولى لكن في الثانية منعه من الإقامة في المغرب تحت الضغط الفرنسي، فوجد الأمير نفسه معزولا بين نارين، فاستسلم للفرنسيين في 23 ديسمبر 1847 ²¹² .

لكن المقاومة الشعبية لم تنتهي بالقضاء على الأمير في 1847، بل استمرت حتى مطلع القرن العشرين، وشملت العديد من المناطق من القطر الجزائري، وهي تعبر عن رفض الشعب الجزائري لسيطرة الأجنبية والعمل على ضرورة تكوين إرادة الأمة الجزائرية وذلك

²¹¹ محمد الطيب العلوي : مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954 ، ط1 ، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1985، ص 56 .

²¹² حسن صبحي :دراسات في تاريخ شمال إفريقيا الحديث والمعاصر، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، مصر ، 1975، ص 37 .

بالرفض عن كل ما هو غريب عن مقوماتهم الشخصية والعمل على الدفاع عن الأمة الجزائرية²¹³ .

ونظرا لطول فترة المقاومة الشعبية وتنوعها يمكن أن نوجزها في نقاط مختصرة حسب تسلسلها الزمني في شكل عناصر :

1_ ثورة بومعزة، في منطقة الشلف والونشريس ودامت سنة كاملة من 1846 إلى 1847 وانتهت باستسلام بومعزة .

2_ ثورة الزعاطشه (واحة بسكرة) : اندلعت عام 1848 بقيادة الشيخ بوزيان ، واستشهد على إثرها الشيخ بوزيان واحتلال واحة بسكرة .

3_ ثورة لالة فاطمة نسومر : وفي هذه الثورة نجح فيها سكان الأوراس من منع القوات الفرنسية من دخول جبال الأوراس مع نهاية القرن التاسع عشر .

4_ ثورة أولاد سيدي الشيخ :وقد اندلعت في الجنوب الغربي للجزائر، واستمرت لمدة 5 سنوات من 1864 إلى 1869 .

5_ ثورة الشيخ محمد المقراني والشيخ الحداد 1871 :تعتبر من أهم الثورات في المقاومة الشعبية بعد ثورة الأمير عبد القادر والحاج احمد باي، فقد اجتاحت مراكز الفرنسيين في الشمال الشرقي للجزائر إلى حافت أبواب الجزائر العاصمة وانهزام القوات الفرنسية بها بسبب انهزامهم في حريهم ضد الألمان في معركة سيدان 1870 ، لكن سرعان ما تمكنت القوات الفرنسية من استجماع قوتها والقضاء على المقراني واستشهاده في معركة البويرة

²¹⁴ .

²¹³ محمد الطيب العلوي : المرجع السابق، ص 65 .

²¹⁴ احمد توفيق المدني : المصدر السابق، ص 154 .

6_ ثورة الشيخ بوعمامة : اندلعت ثورته في الجنوب الغربي للجزائر و هي امتداد لثورة أولاد سيدي الشيخ ، انطلقت منذ 1881 واستمرت حتى عام 1904، وتعتبر هي أطول مقاومة شعبية بالجزائر .

7_ ثورة بني شقران : وقد كانت في ضواحي معسكر مع بداية الحرب العالمية الأولى، ويعود الدافع الأساسي لها هو رفض لقانون التجنيد الإجباري 1912، بحيث اجتمع أعيان و القبائل وأكدوا رفضهم لتسليم أولادهم و إقحامهم في حرب لا تعنيهم²¹⁵.

8_ ثورة الأوراس (أولاد سلطان) : وانطلقت هذه المقاومة عام 1916 ودامت عدت شهور فقط، وتعود أسبابها أيضا لرفض القطعي لقانون التجنيد الإجباري، وتعتبر هي آخر الثورات الشعبية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى²¹⁶.

وهكذا أن هذه الثورات جميعها لم يشهد لها النجاح لعدت عوامل مجتمعة أهمها :

_فقدانها للتعبئة والتنظيم الجماهيري أو الشعبي أي أنها كانت عبارة عن ردت فعل عفوية فقط لمجرد الإهانة من طرف المستعمر الفرنسي .

_عدم اتساعها مما سهل للجيش الفرنسي القضاء عليها مباشرة بكل سهولة .

_انعدام التنسيق بين القبائل الثائرة .

_والشيء الذي أضر بهذه الثورات أيضا هو عدم تزامنها .

_قلة العدة والعتاد الحربي مقارنة بالقوات الفرنسية²¹⁷.

²¹⁵ JAQUE JURQUET :LA REVOLUTION NATIONAL ALGERIENNE ET LE PARTI COMMUNISTE FRANÇAIS .TOM 2 ,ED CENTENAIRE .PARIS 1974 ..P25

²¹⁶ أحمد خطيب :حزب الشعب الجزائري، المرجع السابق، ص 41.

2_ المقاومة السياسية :

عرفت الجزائر في مستهل القرن العشرين تطورا مهما من خلال ظهور العديد من التنظيمات السياسية، قد ساعد على ظهور هذه التنظيمات العديد من المؤثرات الداخلية والخارجية يمكن أن نوجزها في نقاط مختصره :

_صحة المشرق العربي ودعوة السيد جمال الدين الأفغاني²¹⁸، ومحمد عبده²¹⁹ للنهضة الإسلامية التي لها أنصار وأتباع في الجزائر لأنها منبثقة من دعوة حركة الجامعة الإسلامية.

_ دخول بعض الصحف والمجلات الشرقية إلى الجزائر، رغم الرقابة الشديدة التي كانت تمارسها السلطات الفرنسية عليها كمجلة العروة الوثقى التي كان يقدم فيها جمال الدين الأفغاني أفكار المستنيرة، وكان دورها في توعية المسلمين²²⁰.

_ زيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903، بحيث تكلم أمام الجزائريين عن الإصلاح الإسلامي والنهضة في الشرق الأدنى وألقى محاضرات ودروس، وقد تركت زيارته بالجزائر

²¹⁷ محمد الطيب العلوي : المرجع السابق ،ص 65، 66 .

²¹⁸ جمال الدين الأفغاني (1838/1897) أحد الأعلام البارزين في عصر النهضة العربية وأحد دعاة التجديد الإسلامي، ولد بأسعد أباد و بها تعلم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، سافر إلى الهند عام 1869 ثم إلى مصر عام 1870، أصدر جريدة العروة الوثقى بباريس عام 1883 كما ساهم في الثورة العربية .

²¹⁹ محمد عبده (1849/1905) ولد بقرية محطة نصر بمصر، التحق بالأزهر سنة 1866م، تحصل على شهادة العالمية 77/18م كما ساهم في الثورة العربية، أسس مع الأفغاني العروة الوثقى كما أسس جمعية الإحياء له عدة مؤلفات: رسالة التوحيد، الإسلام والنصرانية، إصلاح المحاكم الشرعية

²²⁰ إبراهيم مياسي : إرهابات الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1914م، مجلة المصادر، العدد 06

،الجزائر، 2002، ص128 .

انطبعا راسخا استمر طويلا في عقليات بعض الشخصيات الراسخة، كما مثلت زيارته عاملا حاسما في انتعاش الحركة الفكرية الإسلامية في الجزائر²²¹.

_ نشأة ونمو النخبة الجزائرية المتمثلة في جماعة النخبة وكتلة المحافظين التي تتكون من العلماء وأهل الدين والمرابطين، وكذلك المحاربين القدامى، وكان بعض هؤلاء المصلحين يؤمنون بفكرة الجامعة الإسلامية وينادون بنشر التعليم والتقدم والتسامح .

_ ظهور شخصية بارزه وهو شارل جوناك الحاكم والوالي العام على الجزائر، الخبير بالشؤون الجزائرية، والذي طالب معاملة الجزائر كمستعمرة خاصة، كما كان من الداعين إلى المحافظة على التقاليد وأعراف الجزائريين، وقد عرفت الجزائر في ظل سياسته أجواء جديدة سمحت للنهضة الجزائرية أن تبرز بمظاهر عدة .

_ عودة بعض المثقفين الجزائريين من المشرق العربي الذين لعبوا دورا بالغ الأهمية في إعادة بعث اليقظة العربية الإسلامية بالجزائر في مطلع القرن العشرين 20 ، وكان أفراد هذه البعثات العلمية هم الطليعة التي نهضت بالجزائر²²².

وفي ظل هذه الظروف الصعبة التي كان يعيشها المجتمع الجزائري في مطلع القرن 20، ظهرت مجموعة مثقفة من الجزائريين درست في فرنسا وعادت إلى الجزائر لمقاومة الاستعمار الفرنسي بالطرق السلمية، وذلك سنة 1910، ومن ابرز أعضائها : المحامي أحمد بوضرية، والنائب المالي الحاج عمار، الصحفي صادق دندان، بحيث كانوا يطالبون بالإصلاح وفقا للقانون 1865، الذي ينص على تحقيق العدل بين الأهالي والمستوطنين ، وقد كانت نية هؤلاء هي تحقيق لفكرة الجامعة الإسلامية التي سبق وان ناد بها جمال الدين

²²¹ أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، 1900-1930، ج2، ط3، دار الغرب الإسلامي بيروت 1992، ص 115 .

²²² إبراهيم المياسي: المرجع السابق، ص، 129- 131 .

الأفغاني لأنهم كانوا يتلقون الدعم من الدولة العثمانية²²³، وكانت لهذه المجموعة صحف تابعة لهم تدافع عن حقوقهم و مصالحهم²²⁴، ولما تطورت أفكارهم ونمت وريت عملوا على تأسيس هيئة تابعة لهم أطلقوا عليها اسم الجزائر الفتاة في عام 1912²²⁵.

وقد تبلور عن هذا الحراك السياسي بالجزائر إلي تشكيل تيارين بارزين هما :

أ _ **تيار المحافظين** : ويتكون هذا تيار من العلماء (رجال الدين) وطلبتهم وقدماء المحاربين ، ورجال الطرق الصوفية وبعض الإقطاعيين والمزارعين، ولم يكن لهم تنظيم واضح المعالم أو مؤسسه خاصة بهم بل كان عبارة عن تجمع فكري وحدوا فيه مطالبهم، فكانوا يطالبون بالمساواة في التمثيل النيابي، إلغاء الضرائب، الدعوة إلى أفكار ومبادئ الجامعة الإسلامية بزعامة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وعارضوا التجنيس، والتجنيد الإجباري، وطالبوا بإلغاء قانون الأهالي، وقانون الدمج، ونادوا بضرورة العودة إلى النظام القضاء الإسلامي واحترام التقاليد الإسلامية وحرية الهجرة وبالخصوص نحو المشرق العربي²²⁶.

ب _ **تيار النخبة** : وكانت على نقيض سياسي واجتماعي في اغلب المواقف مع المحافظين، وارتكزت مطالبهم على المساواة في الحقوق السياسية مع إلغاء قانون الأهالي و التمثيل النيابي الكامل في البرلمان للجزائريين، وكان يهدف هذا التيار إلى توحيد الجزائر مع فرنسا، وتبنت أفكار الغرب وثقافته، وقد قال فيهم الكاتب الفرنسي جوريس Jean Jaures : "أنهم

²²³ علال الفاسي :الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص 10 - 12 .

²²⁴ أحمد توفيق المدني : المصدر السابق ، ص 160 .

²²⁵ يحي بوعزيز :المرجع السابق، ص 83 .

²²⁶ أحمد الخطيب : جمعية العلماء، المرجع السابق، ص 36 .

جماعة ضاعوا بين حضارتين، بين الحضارة العربية والحضارة الغربية " وكانت البدايات الأولى لظهور هذا التيار سنة 1912²²⁷.

كما نجد أن النهضة قد كانت لها مظاهر أخرى يمكن أن نوجزها فيما يلي :

ميلاد الحركة الصحفية الجزائرية كما يسميها عمر راسم²²⁸ ب"صاحبة الجلالة"، أي أن الصحافة هي ترجمان الأمم، وهي أعظم واسطة يبلغ نفعها مصادر الخدمة العمومية، ووظيفتها هي اكبر الوظائف في الإسلام، لأنها احكم الوسائل وأقوم السبل لتربية الشعوب وترقية الأمم وهي الباعثة في عقول الأحرار روح الفضيلة واليقظة، بحيث عرفت الجزائر الصحف العربية في فترة مبكرة إلا أن هذه الصحافة كانت في بداية أمرها استعمارية سرعان ما أصبحت وطنية في مطلع القرن 20 وبرز العديد من العناوين : كوكب إفريقيا 1907، الجزائر 1908، المسلم 1909، الإسلام 1910، الفاروق 1912، ذو فيقار 1913، وبظهور الصحافة العربية بالجزائر ظهرت على إثرها أقلام وطنية مستنيرة مهدت ليقظة سياسية تمثلت في الحركة الوطنية الجزائرية²²⁹.

²²⁷ Claude collot et jean robert henry : **le mouvement National Algérien** .TEXTES ,1912 -1954 ,2em ,ED ,o. P ,u .Algeret Lharmttan ,PARIS 1981 ,P23 .

²²⁸ عمر راسم (1884/1959) تلقى تعليمه بالمدرسة الثعالبية اشتمل بجريدة المبشر 1898، كما راسل عدة صحف، التحق بجريدة الحق سنة 1912 وبعدها بسنة أسس جريدة ذو الفقار، وبعد سنة 1923 توجه نحو فن المنمنمات ويعتبر مؤسس المدرسة الجزائرية في هذا الميدان، من آثاره مخطوط علماء الجزائر للمزيد نظر: ناصر الدين سعيدوني والشيخ بوعمران :معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، الجزائر، 1995، ص 231-233 .

²²⁹ إبراهيم المياسي : المرجع السابق، ص 143، 144 .

إحياء وبعث التراث الفكري والحضاري للشعب الجزائري، حيث عرفت الجزائر مع مطلع القرن 20 نهضة فكرية وثقافية مخاطبة للعقل وتعمل على بناء الذات وتبحث عن الذاكرة الجماعية، فظهرت عدت دراسات كتبها جزائريين سلطت الضوء على قضايا تاريخية جزائرية أهمها : تأليف ابن عمار سنة 1902، وابن مريم سنة 1907، ورحلة الورتلاني سنة 1908، وموسوعة الشيخ الحفناوي سنة 1907 بعنوان "تعريف الخلف برجال السلف" ²³⁰ .

كما ساهم الشيخ محمد ابن أبي شنب في نشر بعض المخطوطات وترجم بعضها إلى الفرنسية أهمها : الرحلة إلى الحجاز، أربع معاجم لسير العلماء والأولياء ²³¹ .

_ ظهور زعماء مصلحين سواء متأثرين بدعوة الإصلاح في المشرق أو متأثرين بالفكر الغربي من خلال الحضارة الأوربية، وهم كوكبة من المفكرين والمصلحين أهمهم : الشيخ عبد القادر المجاوي، احد قادة الإصلاح المحافظين بمدينة الجزائر، الشيخ عبد الحليم بن سماية، المولود بن الموهوب، الذي كان له الدور الكبير في النهضة الجزائرية من خلال نشاطه العلمي وتدريسه ونشره لمقالات اجتماعية وثقافية في الجرائد والمجلات، وعلى إثرها ولدت الحركة الإصلاحية خلال العقد الثاني من القرن 20 بقيادة الشيخ عبد الحميد ابن باديس وزملائه أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، الأمين لعمودي، العربي التبسي، المبارك الميلي ... ²³² .

_ إنشاء النوادي والجمعيات الوطنية الجزائرية ذات المرامي السياسية والاجتماعية والثقافية ، وقد عملت هذه الجمعيات والنوادي عمل المدارس من تربية وتوجيه وتعليم، كما كانت

²³⁰ أحمد مريوش: دراسة حول: ظروف ومعالم اليقظة الجزائرية 1870-1914م، المدرسة العليا

للأساتذة، غير منشورة، الجزائر، 2007، ص 27 .

²³¹ ابراهيم المياسي : المرجع السابق، ص 141، 142 .

²³² ابراهيم المياسي : المرجع نفسه، ص 134-138 .

ملتقى الأحاديث السياسية السرية وملتقى اجتماعي ورياضي وثقافي، وكذلك نادي للكشافة... إلخ، فهي في ظاهرها جمعية ثقافية لكن أهدافها الحقيقية سياسية .

ومن أهم هذه الجمعيات التي تأسست مع مطلع القرن 20 هي :

أ- **الجمعية الرشيدية** : وهي أول جمعية حقيقة برزت إلى الوجود مع بداية عام 1908 ، وهي جمعية ودادية لقدماء تلاميذ المدارس العربية الفرنسية لمدينة الجزائر، هدفها تقديم المساعدة لأعضائها، وخاصة تشجيعهم على التعلم، وقد كان لهذه الجمعية عدة فروع في أنحاء الجزائر، وكان الفرع المتواجد بمدينة الجزائر يضم 251 عضوا في سنة 1910 م²³³ ، ومن ابرز شخصياتها : ابن التهامي، والدكتور ابن بريهمات، بالإضافة إلى بعض الأعضاء الشرفيين من الفرنسيين²³⁴.

ب - **الجمعية التوفيقية** : تأسست هذه الجمعية سنة 1908 م بالجزائر العاصمة، وتم تجديدها سنة 1911 م، وكانت تهدف الجمعية على العموم على جمع أولئك الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم وتطوير أفكارهم العلمية والاجتماعية، وكان الدكتور ابن التهامي بلقاسم رئيسا لهذه الجمعية ومساعديه كلا من السيد صوالح محمد أستاذ بثانوية الجزائر العاصمة، والسيد برانكي محمد المعلم²³⁵.

ج- **جمعية الطليعة** : وهي أول جمعية رياضية أسسها الشبان مع بداية عام 1895 م، وقد تكونت من خريجي المدارس الفرنسية من أطباء ومعلمين ومحامين، وكان من ابرز أعضائها الدكتور بن التهامي، ومحمد صوالح، أما عن أهدافها فنتلخص في تكوين النشء الجديد

²³³ أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص162 .

²³⁴ أحمد صاري: شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر،

2004، ص111 .

²³⁵ Archives de la préfecture d'Alger, dossier n° =231

تكويننا سليما و إظهار الجدارة للعناصر الجزائرية في جميع أنواع الرياضات، كما أرادوا بذلك إبراز إمكانيات الشباب الجزائري الفكرية والرياضية²³⁶ .

د- نادي صالح باي : تأسس في عام 1907 م في قسنطينة باسم الدراسات الأدبية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية، كان رئيسها موظف فرنسي يدعى " أريب "، بالإضافة إلى أعضاء آخرين أمثال ابن موهوب، ومصطفى بشطارزي، ومحمد بن باديس، بلغ أعضاء النادي في عام 1910 م ما يقارب 1700 عضوا، منهم 500 عضوا مسجلين للدراسة، وكانت لها فروع كثير في عدد من المدن الجزائرية²³⁷ .

في الأخير نجد انه منذ الاحتلال الفرنسي الغاشم على الأراضي الجزائرية وما صحبه من سياسات تعسفية تهدف على استنزاف ونهب الثروات الجزائرية من جهة، ومن جهة ثانية تثبيت وجودها بالجزائر، وهذا بمجموعة من القوانين الجائرة والممارسات القمعية في حق الشعب الجزائري الأعزل من نهب وقتل ونزع للأراضي ... الخ .

وفي المقابل استطاعت المقاومة الجزائرية أن تقف في وجه العدو معبرة عن رفضها للوجود الاستعماري بأراضيها، ورغم أنها لم تستطع إخراج العدو إلا أنها تمكنت من إبطاء أو تأخير التوسع الفرنسي وتوغله نحو المناطق الداخلية بالجزائر، ورغم هذا كله لم يمنع الجزائريين من أن يقودوا مقاومة بشكل آخر وهي المقاومة السياسية وفق آليات وطرق جديدة.

وهكذا على العموم نرى أن بلدان المغرب العربي قد عانت ويلات الاستعمار، جراء سياساته الوحشية والقمعية والممارسات التعسفية على الفرد المغاربي وإحكام سيطرتها على

²³⁶ الجمعي خمري :المرجع السابق، ص 104 .

²³⁷ Mahfoud kaddache:histoire du nationalisme,tome 02.S.N.E.D,Alger,1981.

جميع الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية لبلدان أقطار المغرب العربي، وتسييرها وفق ما يناسب مخططاتها، ونتج عن هذا كله آثار وخيمة على البلدان المغاربية .

وفي الجهة المقابلة استطاعت هذه الأقطار الثلاثة في أن يعبروا عن حالة رفضهم للوجود الاستعماري لبلدانهم، وذلك بطرق مختلفة ومتنوعة كان من أهمها المقاومة المسلحة في بادئ الأمر التي جاءت كرد فعل طبيعي، وبعدها المقاومة السياسية التي انطلقت بالخصوص مع مطلع القرن العشرين لمجموعة من اعتبارات ذكرناها سابقا .

الفصل الأول :

عبد الكريم الخطابي وثورة الريف

مازالت شخصية الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي تجذب إليها العديد من الكتاب والباحثين والمؤرخين ورجال السياسة والأدباء وممن انكبوا حول هذه الشخصية التاريخية بالمزيد من الاهتمام والبحث، كتلك التي تناولت نسب الامير ومولده ونشأته، وتناولهم لشخصيته في أبعادها البيوغرافية والتاريخية والسياسية، سواء في الكتابات المغاربية أو الأجنبية حول هذه الشخصية الفريدة من نوعها، وتبقى الكتب الأجنبية الأعمق من بين ما كتب عن شخصية الامير الى حد الآن، وتركيزها على ثورة الريف خصوصا وأبعادها ودلالاتها ومكان قوتها و ضعفها .

أما فيما يخص حياة الامير عبد الكريم الخطابي في المنفى فنكاد نقول أن المصادر منعدمة فيها، والإشكال المطروح :

- ما هو نسب الامير عبد الكريم الخطابي؟ ومتى كان مولده؟
- كيف كانت نشأة الامير عبد الكريم الخطابي؟
- ما علاقة آل الخطابي بالإسبان؟
- كيف استطاع الامير مع مجموعة من الفلاحين والمزارعين الريفيين من القضاء على الإسبان وتأسيس جمهورية الريف؟
- كيف كانت نهاية جمهورية الريف؟، وحياة الامير في المنفى فيما بعد؟ .

المبحث الأول: مولد ونشأة الأمير عبد الكريم الخطابي

تعتبر شخصية الامير عبد الكريم الخطابي من الشخصيات التاريخية، التي كان لها اثر كبير في نفوس المغاربة خصوصا وأحرار العالم عموما، ولعل ابرز دليل على ذلك كثرت الدراسات العلمية بنوعها العربية والأجنبية حول مولد الامير وحياته و كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي والاسباني ببلاد المغرب الأقصى، وهو ما سنركز عليها الآن .

أولا: شجرة نسب الخطابي

قد نسب بعض المؤرخين عائلة عبد الكريم الخطابي إلى الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب، لكن هذه الدعوة لم يتم التعبير عنها بقوة وتأكيدا بشدة إلا من طرف محمد بن عبد الكريم الخطابي²³⁸.

وفيه من يفند هذه الفكرة ويقول أن نسب عبد الكريم الخطابي ينتهي إلى نسب أضخم وجاه أعظم، فهو ينتسب إلى النبي (ص) محمد ابن عبد الله محرر البشرية وهاديها، صاحب الشريعة السمحة²³⁹، وحل جد عائلة عبد الكريم الخطابي الأول الذي جاء من مدينة ينبع على ساحل البحر الأحمر بالحجاز عند قبيلة بني ورياغل، التي تحتل في الريف المنطقة الممتدة من الحسيمة إلى ترغسيت، وذلك خلال القرن الثالث للهجري (9م)، وعاشت عائلة الأمير عبد الكريم الخطابي في أغادير وأصبح لها تأثير في قبيلة بني ورياغل،

²³⁸ محمد سلام أمزيان: **عبد الكريم الخطابي وحرب الريف**، مطبعة المدني، القاهرة، 1971، ص 9 .

²³⁹ محمد عبد المنعم إبراهيم المحامي ومحمد عبد الوارث الصوفي: **الأمير عبد الكريم الخطابي بطل**

شمال إفريقيا، ط1، المكتبة العلمية ومطبعتها، القاهرة، 1958، ص 16 .

وتجاوز هذا التأثير في بعض الأحيان حدود بني ورياغل إلى قبائل ريفية أخرى خلال الحرب العالمية الأولى²⁴⁰.

وكان بعائلة عبد الكريم الخطابي تواضعا عجيبا فبالرغم من أن الأشراف من مدة قريبة كانوا لا يدفعون الضرائب، إلا أن أجداد عبد الكريم الخطابي كان لديهم إيثار كبير وفريد، فكانوا رغم ثبوت هذا النسب يؤدون الضرائب ويسارعون في سدادها، وكان حبهم للنبي (ص) كامنا في نفوسهم، وقد ظهر في تعلقهم باسمه الشريف، فكانت العائلة تسمي أكثر من أخ باسم محمد، فالأمير بن عبد الكريم الخطابي يبدأ اسمه بمحمد بالضم وأخوه يبدأ اسمه كذلك بمحمد وإن كان الميم تنطق بالفتح للتمييز²⁴¹.

ولقد نقل الاسباني غوريد يوبي مانويل كلام ابن عبد الكريم الخطابي الذي أشار فيه إلى أصل أجداده قائلا فيه: "نحن من أجادير ننتمي إلى بني ورياغل، ننحدر بشكل مباشر من أولاد سيدي عبد الكريم بن حجاز الذين يسكنون على ضفاف البحر الأحمر، استقر أجدادنا ببني ورياغل في السنة الثالثة للهجرة"²⁴²، وحاوره الفرنسي ماثيو روجير محمد بن عبد الكريم الخطابي في سنة 1927 الذي قال له بالحرف الواحد: "لقد استقر أجدادنا ببني ورياغل منذ 900م"²⁴³، وقد أشار أيضا هارت ولمان إلى أن الأصل العربي لآل عبد الكريم الخطابي، ويقول أن انتمائهم إلى منطقة الحجاز التي كان ينحدر منها الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد دحض الشيخ التيفاني وسي محمد الشمس

²⁴⁰ AYACHE ,GERMAIN :Les origines de la guerre du RIF .S .M.E.R.Rabat Publications de la sorbonne ,Paris , 1981 .P158 .159.

²⁴¹ محمد عبد المنعم إبراهيم المحامي ومحمد عبد الوارث الصوفي: المصدر السابق، ص 16 .

²⁴² غويد بوي مانويل: المغرب مراحل التهدئة، ط1، مدريد، إسبانيا، 1932، ص 72 .

²⁴³ روجر ماثيو: مذكرات الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، ترجمة عمر أبو ناصر، منشورات العباسية، المغرب الأقصى، 2005، ص 55 .

الرأي الأخير بدعوة عدم وجود أي أدلة واضحة تثبت الأصل العربي لآل عبد الكريم الخطابي، وأشار إلى أن اسم الخطابي قد جاء من "آيت خطاب" الأمازيغية وليس من الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب²⁴⁴، ولا نعرف عن عبد الكريم الأب الشيء الكثير، فقد ولد حوالي 1860م، بضيعة أجادير ولا نعرف كيف درس ووصل إلى مرتبة الفقيه بشكل واضح في قبيلته²⁴⁵.

لقد كان والد السيد عبد الكريم رجل علم ودين وتقوى، انعقدت له زعامة قبيلة بني ورياغل واشتهر بين بني قومه بالحلم والتفقه في الدين والعدل في الفصل بين الناس، وكان لمضرب الأمتل في القوة والشجاعة والعطاء وقد كان للقبيلة استقلالها وحرمتها، فرغم الاحتلال الفرنسي الاسباني لها لم تدنس أرض القبيلة بأجنبي مستعمر، وكان المجاهدون من القبيلة دائما يقومون بشن الغارات البحرية بين الحين والآخر على المستعمرين بزعامة عبد الكريم الخطابي الأب، ولهذا نشأ هذا الرجل المجاهد على تربية أولاده على حب الحرية وعلى التمسك بأهداب الدين ويعمل على تحفيظهم القرآن الكريم وتعليمهم أحكام العبادات والكتابة²⁴⁶.

ولقد قال محمد بن عبد الكريم الخطابي في سيرته الذاتية "أن أبي كان قائدا عسكريا، وقد كان هو وسي محمد أخماديش من صناهجة الوحيدين الذين اتحدوا مع السلطان المولى عبد العزيز في مواجهة الثائر الروكي بوحمارة"²⁴⁷، وقد علق على ذلك هارت وقال: "إن إثارة النسب لإثبات السلف لامعا أو مشهورا كان ممارسة شائعة بين البربر"²⁴⁸ أما قويد فقد قال

²⁴⁴ غويد بوي مانويل:المصدر السابق، ص 79 .

²⁴⁵ AYACHE ,GERMAIN :op ,cit ,P158,159.

²⁴⁶ . محمد عبد المنعم إبراهيم المحامي ومحمد عبد الوارث الصوفي: المصدر السابق، ص 17 .

²⁴⁷ خ.ف. سالا فرنكا : جمهورية الريف، مطبعة كازارا، ملقا، 2004، ص 28 .

²⁴⁸ دايفد و ولمان :عبد الكريم وحرب الريف، ط1، مطبعة واكوس تاو برشلونة، 1971، ص 90 .

"إن والد ابن عبد الكريم كان فقيرا ولا يحمل أسلحة وقد تفرغ للكتابة في الأسواق"²⁴⁹، لكنه ناقض نفسه فيما بعد وقال: "كان يملك في سنة 1905 بندقية من نوع موزير، وفي السنة الموالية كان في حوزته بندقية صيد"، أما المؤرخة مادريكا ماريا روسا فقد قالت: "إنه مغربي متقاعد فقيه وقاض بقبيلته، ضل وفيا للسلطانيين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ"²⁵⁰، كما يضيف أيضا المؤرخ مارتينيز كامبوس حول عبد الكريم الأب قائلا: "إنه شخص ذو شخصية حقيقية بين المغاربة الإسبان المتأخمين للسواحل، وأن الخدمات التي قدمها للإسبان قد رقت إبنه في حياتهما"²⁵¹، وقد أيده في هذا الطرح المؤرخ ولمان عندما لمح على علاقته بالإسبان ونفوذه في قبيلته إذ قال "أنه رجل ذو مكانة و نفوذ"²⁵²، وذهب أيضا في هذا الطرح مدعما ومناصرا المؤرخ بانيل ريشارد فقد قال: "أنه كان مواليا لإسبانيا ويحصل على معاش منها"²⁵³.

وكان للقاضي عبد الكريم اعتبارا عند الحكام الإسبان بحجرتي نكور وباديس، فقرروا ربح المهادنة، أما هو فقد أدى به التفكير في الحالة العامة وفي مركزه القيادي في أهله إلى أن يعتني بتزويد أولاده بتعليم متين، فأرسل إبنه البكر محمد إلى القرويين بفاس ربما شعورا منه بأنه مؤهل بخلافته بمركزه العلمي والقيادي، وأرسل إبنه الثاني أحمد إلى إسبانيا لتعلم هندسة المعادن لإحساسه بضرورة استثمار الثروات المعدنية في المنطقة بخبرة أهل البلد،

²⁴⁹ غويد بوي مانويل: المصدر السابق، ص 79 .

²⁵⁰ مادريكا ماريا روسا: محمد بن عبد الكريم الخطابي، التناقضات الأساسية لتقدم الانثروبولوجي، ط1، غرناطة، إسبانيا، 1996، ص 15 .

²⁵¹ ماتيسوس كامبوس كارلوس: إسبانيا المقاتلة القرن العشرين في المغرب، ط1، مطبعة أكويلا، مدريد، إسبانيا 1969، ص 240 .

²⁵² دايفد و ولمان: المصدر السابق، ص 90 .

²⁵³ بنيل ريشارد: حرب الريف، ط1، غرناطة، إسبانيا، 1996، ص 35- 47 .

نتج عن ذلك انتقاد من طرف العامة لأنه لم يكن يعبأ بالانتقادات لأن ما كان يهمله هو العمل على إعداد أولاده لقيادة الأمور من جديد بعمل نافع في حياة العامة .

وبالرغم من هذا كله كان عبد الكريم الأب مستهدفا من طرف القوات الاسبانية لأنه كان وطنيا ومدافعا عن القضية المغربية، بدليل أنه قتل مسموما بإعاز من الإسبان²⁵⁴، ولما أحس الرجل بدنو أجله دعا إبنيه له وقال لهما إنني ذاهب بعد أيام معدودات إلى ربي وخالقي وصيتي لكم أن تدافعوا عن بلادكم لأن الإسبان أعدائنا وأعداء الله، وقد بيتوا العزم على تلويت وطننا بأحذية جنودهم، وأنتم تعرفون كم بذلنا من مساعي لثنيهم عن هذا العمل الدنيء ولذلك فواجبكم المقدس هو الذود بكل ما تستطيعون من قوة عن حوزة هذه البلاد، إنني أعرف حق المعرفة ضالة الوسائل التي يمتلكها شعبنا، ولكن على الرغم من ذلك لا ينبغي أن نستسلم قبل استهلاك ما عندنا من وسائل، وإذا إنهزمت هنا واستطاع الإسبان احتلال هذه البقعة فمن وراء ظهوركم تراب المغرب الكبير، تلجئون إليه ولا تستسلمون للإسبان على أية حال من الأحوال " ²⁵⁵.

ومن هذه الوصية يتبين لنا مدى شجاعة وطنية عبد الكريم الخطابي الأب وعمله على تحرير البلاد من براثن المستعمر الأجنبي وإن كلف هذا حياته أو حياة أولاده، وكذا شدة رفضه للاستسلام للإسبان والانصياع لها مهما كانت الأحوال، كل هذا يكذب الادعاءات التي كانت تقول أن الخطابي الأب قد كان مساعدا ومعاوننا للإسبان أو أنه كان يميل لهم على حساب شعبه .

²⁵⁴ محمد العربي المساري : محمد بن عبد الكريم الخطابي من قبيلة إلى الوطن، ط1، المركز الثقافي

العربي، دار البيضاء المغرب، 2012، ص25 .

²⁵⁵ محمد العربي المساري: المرجع نفسه، ص25، 26 .

ثانيا: مولد ونشأة عبد الكريم الخطابي

هناك اختلاف واضح بين المؤرخين والدارسين في تاريخ ازدياد محمد بن عبد الكريم الخطابي في صورة دقيقة، ومن خلال الكورونيل الاسباني روبويس دي زاياس يتضح لنا بأن عمره كان في 1909 حوالي 22 سنة يعني أنه قد ولد سنة 1887م²⁵⁶، أما كل من محمد بن عمر بن علي العزوي الجرنائي، وولمان، ومحمد اشتاتو، والسعيد زريوح، والجرمان عياش يؤكدن أنه ولد سنة 1882، فيما ذهب ديفيد هارت أنه ولد عام 1881²⁵⁷، ويرى مانويل لاكنيش، والمؤرخة الاسبانية ماريا روسا بأنه ولد سنة 1883²⁵⁸.

والعديد من الدراسات الحديثة تجمع على أن محمد بن عبد الكريم الخطابي ولد عام 1882 في مدينة مليلة، وترعرع في حجر والده حيث درس مبادئ العلوم على يد والده وأتم تعليمه الأولى بمدارسها، كما حفظ عن أبيه القرآن الكريم وتعلم مبادئ الكتابة وأحكام العبادات، ثم أرسله والده للدراسة بتطوان، وعندما بلغ محمد بن عبد الكريم سن العشرين أرسله والده مع عمه عبد السلام إلى جامع القرويين بفاس لدراسة الثانوية، ونال من مدارسها إجازة في العلوم الدينية²⁵⁹، ثم قفل راجعا إلى مليلة والتحق بمدارسها الاسبانية فظهرت أنذاك بوادر نبوغ الأمير ونجابته وحاز على شهادة من مدارسها الثانوية في مدة قليلة وبرزه عن أقرانه في تحصيل العلوم بكل جد و نشاط، ثم واصل نشاطه العلمي فسافر إلى اسبانيا والتحق بجامعة "شلمنكا" وتحصل منها على شهادة الحقوق والآداب ولقب بالدكتور فيها،

²⁵⁶رفائيل كساسي دي لافكا : ستة قواد من الحرب الأهلية الاسبانية، ط1، مطبعة فينيكس، طوليدو، إسبانيا، 1998، ص 155 .

²⁵⁷خ.ف. سالافرنكا:المصدر السابق ، ص 28 .

²⁵⁸دايفد و ولمان: المصدر السابق ، ص 90 .

²⁵⁹رشدي الصالح ملحس : سيرة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بطل الريف ورئيس جمهوريتها ط1، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصر، د.ت، ص 25 .

وفي أيام العظلة الدراسية انكب على دراسة تاريخ العرب في الأندلس وساح في بلدانها وشاهد آثار أجداده بها التي لا تزال تنتطق بعظمتهم وحضارتهم، فتنبعت في نفسه عواطف قومية كانت سبب للانتقام من أعداء أمته فيما بعد واختارته السلطات الاسبانية معلما للمراكشيين بمدرسة صغيرة كان يقيم فيها عام 1907 وبقي معلما إلى سنة 1913 م وهي السنة التي عين فيها قاضيا _ منصب أبيه سابقا _ بمكتب الشؤون الأهالي، ثم قاضي للقضاة وهو المنصب الذي بقي فيه إلى سنة 1918 بمليلة، فكان نعم القاضي العادل وفصل الحق وله أحكام تشهد له بطول الباع وسمو النفس ورجاحة العقل لكنه هرب إلى أجادير بدعوة من أبيه عبد الكريم، واستمر إلى جانب اشتغاله بتدريس والقضاء بالعمل في الصحافة في جريدة " رسالة الريف " telegramia del rif التي كان يديرها الاسباني كانديدو لوبيرا بمليلة، فحرر الأمير صفحتها العربية سنة 1915 م²⁶⁰.

وكان لتقربه من الإسبان تأثيرا بالغا على شخصيته وكيفية نضرتة إلى الأمور من زاوية أخرى وكذا تأصلت في نفسه فكرة تحرير الوطن والجهاد في سبيل استقلاله، و يلاحظ مدى الاختلاف بين المغاربة والإسبان فأراد الوقوف على حقيقة نواياهم وسبب تواجدهم ببلاده، لذا واصل الخطابي عمله مع الإسبان واستطاع فرض شخصيته بينهم إلى أن تأكد من عزمهم على مواصلة التوسع والسياسة الدنيئة على شعبه، الأمر الذي سيعطي منحى آخر لعلاقة محمد بن عبد الكريم الخطابي مع الإسبان²⁶¹، بحيث كان يطرح الأمير فيها أفكاره_ أي الصحافة_ التي كانت غالبا ما تقتصر على دفاع عن العمل الاسباني بالمغرب واعتبرها كوسيلة لإنقاذ المغرب من العلمانية المتخلفة، والرفع من مستواه الاقتصادي والثقافي وتحقيق

²⁶⁰ جلال يحي : المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال، ج4 ، دار النهضة العربية ،بيروت، لبنان، 1981، ص127، 128 .

²⁶¹ صالح الخرفي : عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، خمسون صورة ووثيقة تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص155 .

التنمية المثلى، ويعارض فيها للاستعمار الفرنسي في توسعه بالمغرب الأقصى²⁶²، أما فيما يخص أخلاقه فقد كان ضحوك الوجه لين العريكة، يحب المبادرة و يكره التواني، قليل الكلام مع كثير العمل، ويشغل في اليوم أكثر من 16 ساعة دون أن يظهر عليه دلائل الملل أو الكسل، فهو ذو شخصية بارزة وإرادة قوية، كما أن الأمير ابن عبد الكريم الخطابي رجل حر الضمير، نقي الإخلاص وثيق الإيمان، ديمقراطي النزعة مجبول على حب الاستقلال.

وللأمير أيضا خبرة واسعة في الأحوال العصرية ومعرفة كافية في الأساليب العلمية والفنية تدل على رجحان العقل ونضوج الفكر، هذه الميزات وتلك الصفات هي التي رفعته إلى درجة الأبطال النوابغ الذين اختارتهم العناية الإلهية بين الحين والآخر لإنقاذ البشرية المتألّمة، وقد أظهرت الحوادث والأيام اللاحقة أن الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي هو نابغة هذا العصر وبطله العظيم من ظلم فادح وشر مستطير²⁶³.

ولقد تأثر محمد بن عبد الكريم الخطابي أثناء دراسته بجامعة القرويين بفاس بالفكر السلفي الذي كان سائدا في المشرق العربي في الربع الأخير من القرن 19، وكان هدفه هو الدفاع عن الأمة الإسلامية من الأخطار التي كانت تهددها والتي تتجلى في الامبريالية الأوروبية المتعطرسة والحركة الاستعمارية، ومن أهم الشخصيات التي تأثر بها هي شخصية جمال الدين الأفغاني وفكر الجامعة الإسلامية، وكذا محمد عبده وفكره الإصلاحية، وشكيب ارسلان.. الخ

وكان يرتكز على عدة مبادئ أساسية أهمها :

_ مواجهة الظلم

_ الدخول في معارك ضد الاستعمار الأوروبي.

²⁶²خ.ف. سالا فرنكا:المصدر السابق، ص 30 .

²⁶³ رشدي الصالح ملخص : المرجع السابق، ص 27،28 .

_ الرجوع إلى القرآن و سنة رسول الله (ص).

_ معارضة المقاومة السلبية .²⁶⁴

كل هذه الأفكار المذكورة وغيرها انعكست على شخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي وعمل على تطبيقها على أرض الواقع مباشرة بعد مغادرته لمدينة مليلة في جانفي 1919 م، بحيث كانت سببا في تغيير وجهة نظره نحو المستعمر والقيام بالحرب ضده فيما بعد .

²⁶⁴ هارت دايفد :مقاومتان بربريتان للإستعمارين الفرنسي والاسباني بالمغرب، ط 1 ،غرناطة،إسبانيا ،1996، ص 51 .

ثالثا : بداية اتصال آل الخطابي بالإسبان

أ- معاش الفقيه عبد الكريم ومساعدته للإسبان :

كان الفقيه عبد الكريم (الأب) يبني إستراتيجية سياسية تزامنا مع تواجد إبنه محمد وأحمد بمليلة للدراسة الثانوية، حيث عمل على تثبيت سلطة السلطان المغربي بالريف، وكذا قبول معاهدة الحماية التي كانت بين فرنسا والسلطان، كما كانت له اتصالات مع التجار الأوروبيين ومع السلطات العسكرية الاسبانية بمنطقة الحسيمة²⁶⁵، وكان يحصل من الإسبان منذ عام 1908م، على معاش زهيد يلبي حاجيات أسرته يقدر ب 500 بسيطة شهريا²⁶⁶، وفي 21 ماي 1913 حصل من الحكومة الاسبانية التي كان يرأسها النبيل رومات نوميس على صليب الاستحقاق العسكري، أحمر اللون _ الدرجة الثانية _ بتعويض إضافي قدره 75 بسيطة شهريا، مع اقتطاع 9 بالمئة منها كضريبة لخزينة الدولة، وكان يحتفظ ب 68.25 بسيطة شهريا .²⁶⁷

وكان يحصل أيضا على مبالغ مالية إضافية على شكل منح وهدايا بسبب واجباته اتجاه إسبانيا ووعوده بقيادة حكيمة تخدم المصالح الاسبانية بالمغرب، وهكذا فقد أرسل إليه قائد مليلة الجنرال كوميز خورندا عن طريق ابنه محمد حوالي 500 بسيطة في 22 أوت 1914، وفي 20 أكتوبر من نفس السنة زوده أيضا بأكثر من 250 بسيطة ليحصل بعدها أثناء مناسبة عيد ديني إسلامي 500 بسيطة، وتثبت بعض المصادر أن العلاقة الطيبة التي كانت بين الإسبان وعبد الكريم الأب قد قادت هذا الأخير إلى قبول مخطط القوات الاسبانية التي كانت تهدف إلى تحقيق إنزال بحري مبكر بخليج الحسيمة من 14 إلى 15 يونيو من

²⁶⁵ مادريكا ماريا روسا : المرجع السابق ، ص 15 .

²⁶⁶ رفائيل كساسي دي لافكا :المصدر السابق ، ص 161.

²⁶⁷ عملة اسبانية، بسيطة واحدة مع بداية القرن العشرين تعادل اليوم حوالي 500 بسيطة أو 3 أورو .

عام 1913، لكنها تراجعت بسبب تدهور الأوضاع في الجبهة الغربية حيث تم تعزيزها في 9 يونيو 1913 بقوات من قيادة مليلة التي كانت من المفترض أن تنفذ المخطط المذكور²⁶⁸.

وقد أشاد المؤرخ لرافائيل كاساسي دي لانكا إلى ذلك وقال: "وفي سنة 1913 كان القائد العام لقيادة مليلة كوميز خورندا يقترب من تحقيق إنزال بحري بخليج الحسيمة بمساندة الزعماء الرئيسيين لبني ورياغل من آل عبد الكريم (الأب وإبنه)، لكن حكومة رومانونيس والقائد العام الجنرال ألفو ضيعة الفرصة، وللإشارة أن تعاون آل عبد الكريم المذكور كان يتم في الوقت الذي تقاثل فيه عناصر من مختلف القبائل الريف ضد الحملات الإسبانية، والتي استشهد في احد معاركها المجاهد محمد أمزيان في 15 ماي 1912²⁶⁹.

وبهذا كان الإسبان شديد الحرص على توثيق الصلات مع آل الخطابي وتقربهم أيضا من ابنه البكر محمد الذي عينوه قاضيا في مليلة ثم قاضيا للقضاة، ومنه فإن مركز العائلة في القبيلة وسائر الريف وفي أعيان المخزن كان يؤهلها للتأمل في حالة البلاد المهتدة بالغزو الأجنبي²⁷⁰، وتشير بعض المصادر بأن الفقيه عبد الكريم الخطابي (الأب) قد تعرض للأذى من قبل بعض الزعماء الرئيسيين في بني ورياغل بسبب صداقته وتعاونه المكشوف مع الإسبان، وأن مساعدته لهم لتحقيق إنزال بحري بالحسيمة سنة 1913 كان بمثابة انتقام من أعدائه، وقد ذكر المؤرخ سالفرانكا ما يلي: "لقد اتهمه الزعماء البارزين ببني ورياغل بالخيانة بسبب حماسه الخاص مع اسبانيا، وقاموا باقتحام منزله بأجادير واحرقوه وأرغموه على الهروب بأسرته واللجوء إلى الحسيمة وبعد ذلك قرر الأسبان حمايته،

²⁶⁸ كوميز خورندا :مؤشرات عملياتنا بالمغرب، ط1، المطبعة الوطنية، مدريد، إسبانيا، 1976 ،ص28.

²⁶⁹ رفاثيل كاساسي دي لانكا :المصدر السابق، ص 156 .

²⁷⁰ محمد العربي المساري : المرجع السابق، ص 27 .

حيث قاموا بترحيله من قبيلته وتهجيريه إلى تطوان التي مكث بها من سبتمبر سنة 1911 إلى ماي 1913²⁷¹.

كما صرح أيضا قبطان المدفعية أرسينو مرتينيز ديكامبوس والنائب بلكورطيس الاسباني: " أن عبد الكريم الخطابي الأب الذي كان سيقودنا للإنزال البحري بالحسيمة كان من الرهائن والمدراء الذين ذهبوا معنا إنه من الأشخاص الذين عانوا من نكسة كبيرة عندما لم نقم بالإنزال في 1913، وأن أسرته قد عانت من انتقام الموروس الذين ذهبوا إلى منزله...²⁷²، ويبدو من خلال النصين السابقين أن عبد الكريم الأب وباقي أسرته قد تعرضوا لضغوطات وعدوان من قبل بعض العناصر من بني ورياغل مرتين، الأولى قبل إصدار مخطط القوات الاسبانية الذي كان يهدف إلى تحقيق إنزال بحري بالحسيمة في يونيو 1913 م، والثانية بعد التراجع عن تنفيذه من نفس الشهر وقد كان لذلك بطبيعة الحال من العوامل التي غيرت موقف الفقيه عبد الكريم الخطابي تجاه الإسبان من الحرب العالمية الأولى (1914_1918) والتي تميزت بالانتشار المكثف للعملاء والجواسيس الألمان بالريف الين كانوا ينشطون في توزيع الأموال على بعض زعماء الأهالي، بهدف إرسال حركات ضد مناطق الحماية الفرنسية بالمغرب²⁷³.

ب_محمد بن عبد الكريم الخطابي موظف بمليلة :

التحق محمد بن عبد الكريم الخطابي الابن بمدينة مليلة بعد حوالي 24 سنة، فقد خصص له مدير جريدة تلغراما الريف عمودا بها يكتب فيه يوميا باللغة العربية إضافة إلى

²⁷¹ خ.ف. سالا فرنكا:المصدر السابق، ص 31 .

²⁷² رفائيل كساسبي دي لافكا :المصدر السابق، ص 166 .

²⁷³ رشدي صالح ملحس :المرجع السابق، ص 27، 28 .

تعليم الضباط الإسبان العربية²⁷⁴، ويدقق السيد صارو أن ابن عبد الكريم الخطابي كان محرار بالجريدة ولم يكن مديرا كم ذكر احد الباحثين، كما انه لم يكن المحرر الوحيد بالعربية في الجريدة، ويصعب تحديد المواد التي نشرها هو شخصيا لأن اغلبها كانت ترجمة نصوص وارده في القسم الاسباني ثم إن النصوص هي لعدت أشخا²⁷⁵، لقد كان محمد بن عبد الكريم الخطابي كاتباً وأمين سر في المفاوضات بمكتب الشؤون الأهلية بمدينة مليلة منذ سنة 1907، ثم أستاذا مساعدا بكلية اللغة العربية ومدرسا بمدرسة ابتدائية ثم قاضيا، وفي 28 يونيو 1913 عين قاضيا للقضاة ولم يكن عمره يتعدى 36 سنة، وقد توقف عن تدريس اللغة العربية بأكاديمية مليلة بعد التعين الأخير واخذ يدرس بها الامازيغية ما بين 1913 إلى 1915 م²⁷⁶.

إذا فإن ابن عبد الكريم الخطابي الذي جعلته الظروف يقتحم العمل السياسي وهو في ريعان شبابه في العقد الثالث من عمره، كان قد احتك مباشرة بحقائق الحياة السياسية في بيئته ومارس القضاء والتعليم والصحافة، وتأهل بذلك لينظر إليه الوسط الذي ينتمي إليه بوصفه رجل جدير بالاعتناء .

ج/الجوائز والمدايل التي تحصل عليها الخطابي بمليلة :

كانت سنة 1912 سنة عظمه ومجد لأسره آل عبد الكريم الخطابي، أما في الجهة المقابلة بالنسبة إلي باقي الريفيين كانت سنة نكبة وأحزان وتحصر كثير بفقدان رفيقهم في الكفاح وزعيمهم المجاهد محمد أمزيان، لكن هذا لا يعني أن محمد بن عبد الكريم الخطابي لم يحزن ولم يتنمر بموت بطل الريف الأول محمد أمزيان، وقد حصل محمد بن عبد الكريم

²⁷⁴ جلال يحي : المرجع السابق، ص 128 .

²⁷⁵ محمد العربي المساري : المرجع السابق، ص 30 .

²⁷⁶ رفائيل كاساسي دي لافكا : المصدر السابق، ص 161 .

الخطابي على ميداليات بقيمة عالية رفته إلى مراتب عليا بإسبانيا²⁷⁷، ويقدر عددها ثلاثة مرتبة حسب تاريخ توزيعها الزمني كما يلي :

- ميدالية فارس إزابلة كاثوليكا القشتالة، وحصل عليها في جانفي 1912 م.
- ميدالية الاستحقاق العسكري (ملكية)، وقد تحصل عليها في 18 ماي 1912 بعد مرور ثلاثة أيام على استشهاد الشريف محمد امزيان، نال بأمر ملكي ميدالية صليب الاستحقاق العسكري، أبيض اللون-الدرجة الأولى -بسبب تعاونه المخلص مع الإسبان بأكاديمية اللغة العربية .
- ميدالية الاستحقاق العسكري (حكومية)، وقد تحصل عليها في 21 ماي 1913 م من الحكومة الاسبانية التي كان يترأسها رومانونيس على صليب الاستحقاق العسكري أحمر اللون -الدرجة الأولى²⁷⁸.

أما فيما يخص مداخيل محمد بن عبد الكريم الخطابي من وظيفته كأستاذ مساعد بكلية اللغة العربية بمليلا سنة 1907 إلى سنة 1913 حوالي 600 بسيطة في السنة، وقد حصل على تعويض إضافي قدره 50 بسيطة شهريا من جائزة الاستحقاق العسكري التي سلمت له من طرف حكومة رومانونيس في 21 ماي 1913، وكان راتبه من منصبه قاضي قضاة يبلغ حوالي 6000 بسيطة أي أن مجموع دخله حوالي 6600 بسيطة في السنة، مع حذف ما يقارب 500 بسيطة كضرائب، ويحتفظ ب 5500 بسيطة أي أن معدل أجرته شهريا حوالي 550 بسيطة، وهي أجرة محترمة²⁷⁹، ويتضح مما ذكرنا سابقا بأن علاقة عبد الكريم الخطابي بالإسبان مع بداية القرن العشرين إلى 1915 كانت طبيعية،

²⁷⁷ ينظر الملحق رقم : 01 .

²⁷⁸ خدمة للتاريخ العسكري - القيادة العامة لمليلا - وثائق عبد الكريم -السجل 2، الحافظة رقم 04

،إطلع عليها المؤرخ كاساسي دي لافكا، وذكرها في كتابه، المصدر السابق، ص162 .

²⁷⁹ المصدر نفسه، 162 .

علاقة صداقة وتعاون وتبادل المصالح، ففي هذه المرحلة تكونا ابني عبد الكريم الخطابي الأب بتطوان ومليلة تكوينا اسبانيا بالإضافة إلى التكوين المغربي الامازيغي والعربي الإسلامي، ورشح الابن الأكبر محمد كي يتقلد مناصب عليا بمليلة ويحصل على جوائز مهم، ولقد لقياً على إثرها احتراماً واعترافاً من قادة الجيش الاسباني ومن حكامها الذين عولوا على والده الفقيه لاجتياح الريف من جهة أخرى بمنطقة الحسيمة، لكن أحداث الحرب العالمية الأولى من 1914-1918، وانضمام تركيا إلى الحلف الألماني (دول المحور)، وتأييد الريفيين له ضد الحلف الفرنسي البريطاني (دول الوفاق)، والانحياز الإسبان له بالإضافة إلى ضغوط زعماء قبيلة بني ورياغل على عبد الكريم الخطابي لتحديد موقفه من الاستعمار، أدى ذلك إلى إفراز تطورات جديدة وهي توتر العلاقة بين عبد الكريم الخطابي والإسبان وهو ما سنتحدث عنه في المطلب الموالي .

رابعاً: توتر العلاقات بين آل عبد الكريم والإسبان :

_ أ / الأسباب :

لقد بدأت العلاقات تتوتر بين آل عبد الكريم الخطابي مع الإسبان منذ صيف 1914 م لعدت أسباب يمكن أن نوجزها في نقاط تالية :

1- ضغط بني ورياغل على آل عبد الكريم الخطابي :

إن آل عبد الكريم الخطابي قد تعرضوا للإنتقاد بالخيانة من طرف قبيلة بني ورياغل، بسبب حماسهم وتعاونهم المفرط مع الإسبان، أسفر ذلك هجوم على منزله بأجدير، وإحراقه، وهروبهم إلى الحسيمة للإحتماء بأصدقائهم الذين رحلواهم أيضاً إلى تطوان حفاظاً على أرواحهم بدعم من القوات الإسبانية، حيث إستقروا بها من سبتمبر 1911 إلى ماي 1913، مقابل مساعدتهم للقوات الإسبانية لتحقيق الإنزال البحري بالحسيمة، لكن ذلك لم يحدث، وذلك بتراجع القوات الإسبانية عن تنفيذه، وبمراجعة آل عبد الكريم الخطابي أوراقها من جديد، بحيث أخذوا يسحبون تعاونهم مع الإسبان تدريجياً بلا عنف لإستعادة ثقة واحترام الأهالي وبعض رجال بني ورياغل الناقلين عليهم²⁸⁰.

2/ إنضمام للخلافة العثمانية (دول الوسط):

إن الريفيين لم يكونوا محايدين من أحداث الحرب العالمية الأولى حيث كانوا يؤيدون دول الوسط²⁸¹، بقيادة ألمانيا وذلك لسببين اثنين :

²⁸⁰خ.ف. سالافرنكا:المصدر السابق، ص31 .

²⁸¹ كانت تتكون من النمسا والمجر، ألمانيا، الإمبراطورية العثمانية، ثم إنضمت إليها فيما بعد بلغاريا .

1 /- انضمام للإمبراطورية العثمانية التي يجمعها معهم نفس الثقافة والدين لقتال إلى جانب الحلف المذكور منذ أكتوبر 1914، حمسهم لإرسال مقاتلين متطوعين للجهاد بأوربا أو بتوجيه حركات ضد فرنسا فوق الأراضي المغربية التي إحتلتها .

وقد نتج عن ذلك ظهور أفكار سياسية جديدة لدى محمد بن عبد الكريم الخطابي يمكن أن نوجزها في النقاط التالية :

- العداء للفرنسيين الذين يقمعون المغربيين .
- إعلان عن تأييده كباقي الريفيين للحلف الألماني (دول المحور) .
- إعلانه عن خيبته وأمله وأسفه من الإسبان بالريف سواء كانوا عمال أو عسكريين، الذي من شأنه يؤدي إلي إجتياح أراضي الريف بهدوء .
- الكآبة وعد الثقة بالأسبان حيث قال في إحدى المناسبات -أي الخطابي -: "إنهم لا يعتبروننا أبدا مثلهم، ويعاملوننا دائما كالكلاب " .

2/نشأت بعض المخابرات والعملاء الألمان بالريف، بحيث تشير بعض المصادر أن محمد بن عبد الكريم الخطابي قد حاول تحقيق أفكاره السياسية على أرض الواقع، وبدأ بالاتصال سريا مع بعض العملاء والجواسيس الألمان الذين كانوا ينشطون في الريف للبحث عن مقاتلين متطوعين لنقلهم للقتال بأوربا إلي جانب ألمانيا، أو لتنفيذ عمليات عسكرية ضد فرنسا بأراضي المغرب على المناطق المتاخمة لريف، وكان أشهرهم " فارلي" الذي إتصل بمحمد بن عبد الكريم وبوالده بهدف تمويل حركة تتكون من قبائل بني ورياغل بالهجوم على الفرنسيين²⁸² .

²⁸² جرمان عياش :أصول حرب الريف، ترجمة : محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التمساني خلق ،الشركة المغربية المتحدة، الرباط، المغرب، ص 231-250 .

وتفيد بعض المصادر على أن عبد الكريم الخطابي قد حصل من الألمان على بعض الأموال، وكذا بعض الأسلحة الخفيفة إلى قبيلة بني ورياغل التابعة إلى الشركة التجارية الألمانية "مانيسام"، التي كانت تشحن عبر السفن التهريب الهولندية²⁸³.

ب/تغير العلاقة بين آل الخطابي وإسبان :

من أهم ملامح تغير العلاقة بين الإسبان وال عبد الكريم هي استقالة محمد بن عبد الكريم الخطابي من المناصب الإدارية التي منحت له من طرف الإدارة الاسبانية، بحيث لم يفلح هذا الأخير من الحفاظ على علاقته الطيبة بآل عبد الكريم، فمحمد بن عبد الكريم بدأ يدير ظهره للإسبان بمليلة خاصة بعدما واجه طلبه للحصول على الجنسية الاسبانية بالصمت الإداري في سنة 1915م، وفي نفس السنة توقف عن عمله أيضا كمحرر التلغراما، وكذا استقالته من كلية اللغة العربية بمليلة التي كان يدرس بها اللغة العربية ثم الامازيغية الريفية (الشلحة) فيما بعد.

وكذلك من بين الملامح توتر العلاقة بين الإسبان هو الموقف المعارض الذي تبنته عائلته آل عبد الكريم من موقف المحايد التي تبنته اسبانيا في الحرب العالمية الأولى، إذ نجد أن الحكومة الاسبانية التي كان يرأسها إدواردو داتوا، بحيث كانت لها مواقف محايدة من الحرب العالمية الأولى، لكن موقف رومانونيس كانت على عكس ما ذهب إليه صاحبه، بحيث نشر بيان للعموم وسماه "الحياد القاتل"، وأشار فيه على ضرورة انحياز اسبانيا إلى فرنسا وإنكلترا في الحرب، لكن حكومة إدواردو داتوا سرعان ما أعلنت موقفها المحايد السلبي من الحرب في اكتوبر 1915 م²⁸⁴.

²⁸³ خ.ف. سالا فرنكا:المصدر السابق، ص32 .

²⁸⁴ مانويل كالبان خمينيس :إسبانيا بإفريقيا -تهدئة المغرب- الخدمة الجغرافية للقوات المسلحة، ط1 ، مدريد، إسبانيا، 1965، ص85 .

ونتيجة ظهور بعض الأصوات بإسبانيا الداعمة لمساندة دول الحلفاء في الحرب، تحرك زعماء القبائل الريف ومنهم الفقيه عبد الكريم الخطابي الأب وابنيه، الذين كانوا في اتصالات سرية مع عملاء وجواسيس الألمانية إلى إرسال مقاتلين متطوعين إلى أوروبا لدعم دول المحور، أو تنظيم حركات عسكرية بالمغرب في المناطق التي سيطرت عليها فرنسا²⁸⁵.

-ج/محاكمة قاضي قضاة :

إن التحركات محمد بن عبد الكريم الخطابي ووالده، وقبيلة بني ورياغل، وباقي قبائل الريف لمساندتهم لدول الوسط، إحتج عليها المقيم العام الفرنسي بالمغرب الجنرال ليوتي، وأرغم السلطات الإسبانية الاستعمارية على التدخل لإحالة محمد بن عبد الكريم الخطابي على التحقيق أمام القضاء الإسباني في منتصف 1915 م²⁸⁶.

ويخبرنا الأمير عن سبب اعتقاله بقوله: " فأرسل والدي للإسبان مهددا انه إذا لم تعدل إسبانيا عن سياستها الحمقاء والكف عن إيذاء الأهالي المنطقة التي يحتلونها شرقا وغربا، فإنه سيحاربهم في القبض عليا ... وهذا هو السبب الأول الجوهرى في القبض ... أما السبب الثاني فهو احتجاج فرنسا على الإسبانيين بتوجيه تهمة لي وأنا قاضي قضاة بمليلة بأن ميولي ضد الحلفاء تتفق مع سياسة الحياد الإسبانية التي كانت تلتزمها يومئذ مع أني قد توليت القضاء بإسم خليفة تطوان أي خليفة سلطان مراكش، حسب معاهدة الحماية المعروفة بالمعاهدة الثلاثية عن فرنسا واسبانيا و مراكش ."

²⁸⁵ كانت دول الوفاق تظم في البداية كلا من صربيا، روسيا، فرنسا، بريطانيا، ثم إنضمت إليها مجموعة من الدول الأخرى كبلجيكا، والجبيل الأسود، اليونان، البرتغال، ايطاليا، رومانيا، اليابان، الصين ، البرازيل، بنما، والولايات المتحدة الأمريكية .

²⁸⁶ خ.ف. سالا فرنكا:المصدر السابق، ص32،33 .

وقد تألف مجلس حربي عسكري لمحاكمة الأمير برئاسة الجنرال "أى اسبورو" الاسباني قائد القوات الاسبانية بمنطقة الريف، وقد سئل الخطابي أثناء محاكمته: "هل حقيقة ميولك ضد الحلفاء؟ فقال نعم، فقبل له ما سبب ذلك؟ فأجاب: "ألان الدولة العثمانية دخلت الحرب باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية وهي تقف إلى جانب ألمانيا، وأنا مسلم مراكشي، والخليفة نداني بالجهاد ضد الحلفاء لتحرير بلادنا التي احتلتها فرنسا واسبانيا، "وسئل وأنت ما علاقتك بالخلافة؟ فأجاب: "إنها خلافة المسلمين كلهم في مشارق الأرض ومغربها ولذلك أنا معهم ... فضحك الجنرال -أى اسبورو - ثم قال له : يا عبد الكريم أنا اعلم انك رجل نبيل ومن أسرة نبيلة معروفة، ولكن ألا تعلم أن دولة اسبانيا ملتزمة بالحياد وأنت قاضي القضاة في منطقة الحماية، فرد عليه الخطابي : هذا لا يمنعني من القيام بواجبي الوطني"²⁸⁷ .

وهكذا تم إدخال محمد بن عبد الكريم الخطابي في شهر أكتوبر 1915 م إلى السجن بمليلية، وعزل عن منصبه كقاضي قضاة²⁸⁸، وأما والد محمد بن عبد الكريم الخطابي قد راجع أوراقه بعد اعتقال ابنه الأكبر محمد، وتخلّى عن تعاونه مع الإسبان الذين حرموه من المعاش منذ اعتقال ابنه، حيث كشف نشاطه ببني ورياغل ضد فرنسا وحلفائها، وتعامل بشكل مكشوف مع عملاء ومخابرات الألمان، الذين كانوا يوزعون بالريف الأموال مقابل الوقوف إلى جانبهم في الحرب، وكذلك بالتوجيه الضربة القاضية لفرنسا بالهجوم عليها في المناطق التي تحتلها بالمغرب وبالخصوص بالمناطق المتاخمة لمنطقة الريف ، ويتضح من ذلك من خلال برقية مشفرة وجهها القائد العسكري الاسباني بالحسيمة إلى القائد العام لقيادة مليلة الجنرال " أيسبورو " بتاريخ 13 فيفري 1916 م، أي بعد حوالي أربعة أشهر من اعتقال الأمير قال فيها: " أن الفقيه عبد الكريم يواصل منح معاشات، ويشغل بنشاط لإحداث

²⁸⁷ محمد عبد المنعم إبراهيم المحامي ومحمد عبد الوارث الصوفي:المصدر السابق، ص32، 33 .

²⁸⁸ وثائق عبد الكريم :السجل 02، الحافظة 04، الصحيفة رقم :49، كاساسي دي لافكا :المصدر

السابق،ص165 .

الانشقاق في العائلات ... وقد قرأ آيات قرآنية علي ... وأصدقاء اسبانيا بضمهم إليه حيث أكد لهم تحريم دينه (الإسلام) أخذ المعاش من الإسبان²⁸⁹.

وعلى العموم نلاحظ ان علاقة آل الخطابي مع الأسبان قد عرفت منحى عدائيا، لأسباب قد ذكرناها سابقا، بعد ان كانا مع بعضهما البعض في تصالح نتيجة لمصالح إدارية اقتضتها الضرورة والظروف المحيطة، ذلك مما أدى الى تغير أسلوب الإسبان تجاه آل الخطابي واعتبارهم العدو الأول والمباشر بالمنطقة، مما يشكل تهديدا لوجودهم بالمغرب الأقصى، وانطلاقا من هذه الاعتبارات عمد الإسبان على ملاحقتهم ومتابعتهم قضائيا، (سجن الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي)، وتجريدهم من جميع الحقوق الإدارية والوطنية، ومعاملتهم بكل الأساليب التعسفية والقمعية قصد إنهاء وجودهم بالمغرب الأقصى.

²⁸⁹ وثائق عبد الكريم: السجل 03، الحافظة 10، الصحيفة رقم: 110، كاساسي دي لافكا: المصدر السابق، ص 165 .

المبحث الثاني : مقاومة الريف

كلما حل يوم 21 جويلية من كل سنة إلا وتذكر المغاربة والعالم اجمع الإنتصارات التي حققها الامير الخطابي مع مجموعة من المزارعين والفلاحين بمنطقة الريف في إحق الهزيمة للإسبان في معركة أنوال، هذه الأخيرة التي أرخت لبداية سلسلة من الانتصارات المتتالية التي حققتها المقاومة الريفية، والإشكال المطروح كيف ساهم الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي في بلورة المقاومة الشعبية في وجه الأطماع الاسبانية؟ وكيف تمكن من تنظيم مقاومة شرسة لم يتم القضاء عليها إلا بتحالف القوى الاستعمارية الكبرى باستعمالها أساليب لا إنسانية؟ كل هذه الأسئلة سنحاول الإجابة عليها في هذا المبحث، كما سنحاول البحث عن أسباب فشل مقاومة الريف وتداعياتها على الصعيدين الداخلي والخارجي .

أولا :تأثر الخطابي بثور عبد المالك الجزائري

فالأمير عبد المالك الجزائري هو الابن الثاني قبل الأخير من أبناء الأمير عبد القادر، لا يصغره من إخوانه إلا أخوه عبد الرزاق، فقد ولد الأمير عبد المالك بدمشق سنة 1868 م، وهناك تعلم وتأثر بحركة الجامعة الإسلامية وكان يحسن إلي جانب اللغة العربية اللغة التركية والفرنسية، ودخل في نهاية القرن 19 إلى صفوف الجيش العثماني وارتقي إلي رتبة مقدم Lieutenant colonel، مع رتبة مساعد في معسكر السلطان، والتحق بطنجة مرورا بمصر سنة 1906، كما كان قائد للشرطة الدولية لطنجة، وإجتمع بأسرته بطنجة سنة 1912 م²⁹⁰ .

وعندما سمع الأمير عبد المالك بثورة الشيخ بوعمامة بالجنوب الغربي الجزائري، إلتحق بها محاربا للفرنسيين، وعندما ألقى بوعمامة سلاحه سنة 1904، التحق بجيش السلطان

²⁹⁰ أبو القاسم سعد الله : " وثائق جديدة عن ثورة عبد المالك جزائري بالمغرب "، المجلة التاريخية المغربية، عدد 1، تونس، جانفي 1970، ص54 .

المراكشي عبد العزيز وعين في حدود سنة 1909 مفتشا عاما للشرطة الشريفة العلوية بطنجة، وقد تظاهر عبد المالك الجزائري في بداية أمره بولائه لفرنسا، إثناء عمله بالشرطة بطنجة، إذ مع بداية الحرب العالمية الأولى بعث ببرقية ولاء "إلي رئيس الجمهورية الفرنسية" وهذا عندما كان بفرنسا يتداوى من مرض الربو الذي أصابه، ولكنه سرعان ما أعلن تمردَه على فرنسا بعد عودته إلى المغرب الأقصى بوشاية من الإسبان²⁹¹.

كما عاش الأمير عبد المالك الجزائري أحداث المشرق العربي، والقضية المغاربية وكان مؤمنا كثيرا بفكرة الجماعة الإسلامية، وبفكرة الجهاد وخصوصا بعد أن تلقى الأمير عبد المالك الجزائري التأييد الألماني العثماني له، وأثناء عودته من فرنسا اتفق في مدريد مع السفير ألمانيا الكونت دي راتبور على خطة مشتركة لفتح جبهة القتال ضد فرنسا، وتعهدت له ألمانيا والدولة العثمانية بالمساعدة إذا نجحت الخطة على إقامة مملكه واحده تضم المغرب والجزائر، وكل هذه الظروف فتحت أمام الأمير عبد المالك أفاقا لامعة أمام مطامحه التي كانت تحدوه ليصبح أمير إفريقيا الشمالية²⁹².

وفي أواخر سنة 1914 ترك الأمير عبد المالك طنجة بناء على الاتفاق المذكور سابقا، وتوجه إلى داخل المغرب لتنظيم قواته وفتح الجبهة المذكورة سابقا، وقد توجه أولا إلى جباله وكاد أن يلقى عليه القبض من طرف القوات الفرنسية لولا تدخل قائد بني منصور العياشي القلال الذي حماه من الشيخ الريسوني الذي كان ضد الأمير عبد المالك²⁹³.

²⁹¹ BARDIN .PIERRE :Algériens et tunisiens dans l'Empire ottoman de 1848 a 1914 ,ED, du CNRS ,Aix –en –Provence ,Paris ,1979 ,P180 .

²⁹² أبو القاسم سعد الله :الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص243 .

²⁹³ أبو القاسم سعد الله : المجلة التاريخية المغاربية، عدد 1، المرجع السابق، ص54-56 .

وعندما انطلقت حركة الأمير عبد المالك أرسل الرسل والمناشير إلى المغرب الأقصى والجزائر مبشرا بثورته، ولم يكن عمله مقتصر على هذين القطرين فقط بل أرسل الرسل والمناشير إلى جنوب تونس لدعوة زعمائها إلى الجهاد المقدس²⁹⁴، وحاول ربط صلة بابن أخيه الأمير خالد من جهة ومن جهة ثانية ربط علاقته مع الأمير علي باشا، وكان هذا الأخير قد عين نائب قبل انطلاق حركة أخيه عبد المالك بالمجلس الوطني العثماني، وأصبح المتحدث باسم حركة عبد المالك في المشرق وموضع سره هناك²⁹⁵، وقد سافر الأمير علي عدت مرات إلى أوروبا أين التقى مع المغاربة المهاجرين وتتنقل معهم إلى برلين و جنيف واسطنبول وتعاملوا مباشرة مع مكتب الاستعلامات للشرق الأدنى²⁹⁶، وبهذا اصدر مكتب وكالة وولف (Wolff) رسائل ومنشورات دعائية على انطلاق ثورة عبد المالك الجزائري، ومنها رسالة موجهة من الأمير عبد المالك إلى أخيه الأمير علي التي يتحدث فيها عن انتصاراته العسكرية ضد فرنسا وتحريره لدار البيضاء واتخاذها عاصمة له .

وفي بني مسقارة ألف الأمير عبد المالك أول قوة عسكرية لمقاومة الفرنسيين في المغرب الخاضع للإدارة الفرنسية، وكان جيشه يتألف عندئذ من جنود نظاميين وشعبيين، كما كان يعمل في معسكره ألمان وأتراك، وكان رئيس البعثة الألمانية لديه هو السيد هيرمان، أما

²⁹⁴ أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه، ص 60 .

²⁹⁵ رسالة الأمير عبد المالك لأخيه الأمير علي، ينظر إلي، أبو القاسم سعد الله : المرجع نفسه، ص 57.

²⁹⁶ مكتب استعلامات الشرق الأدنى كان تابعا لوزارة الخارجية الألمانية، إستحدثته ألمانيا في إطار اهتماماتها بالعالم الإسلامي في سنة 1905، بعد زيارة الإمبراطور الألماني للدولة العثمانية وبلاد الشام في نهاية القرن 19، ينظر، محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا 1954-1975، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر ابن يوسف بن خده، الجزائر، 2009، ص 76 .

رئيس البعثة العثمانية لديه هو الأمير حسن، كما كان في معسكر الأمير عبد المالك بعض الجنود الهاربين من الفيالق الفرنسية²⁹⁷.

وهناك اعتبارات جعلت من حركة الأمير عبد المالك تبدوا من خلالها أنها ذات أبعاد مغاربية، انه جزائري، واتخاذة للمغرب الأقصى الحديث العهد الاستعماري منطلقا لتحرير جميع أقطار المغرب العربي، يأتي منه كإيمان بوحدة المنطقة من الناحية الدينية والتاريخية والمصيرية و الجغرافية، وهو نفس الشعور الذي نظر به المراكشيون والأمير عبد الكريم الخطابي بالخصوص إلي حركة الأمير عبد المالك الجزائري، الذي أعلن ثورته ليدعم المقاومة في المغرب الأقصى²⁹⁸.

كما يمكن أن نترجم شعور المراكشيون بوحدة المقاومة في المنطقة هو التفاهم حول الأمير عبد المالك من جهة، ومن جهة ثانية أنهم لم يكونوا يعيشون آنذاك بمعزل عن الأحداث بقية أقطار المغرب العربي، وهذا بخلاف ما يؤكد العديد من الكتاب الفرنسيين، من أن المغرب الأقصى له شخصية قائمة بذاتها تفصله عدت موانع عن العالم العربي والإسلامي، وهذه السياسة هي التي تبنتها فرنسا بهدف عزل المغرب الأقصى عن المغرب العربي وكذا العالم العربي والإسلامي²⁹⁹.

كما نجد الأمير عبد المالك قد ربط بين شمال مراكش (منطقة الريف وجباله) والمناطق المجاورة لها أين تتواجد القوات الفرنسية التي كان بها الأمير عبد المالك على صلة وثيقة مع قبائلها، وكانت بها فرق وفصائل مقاومة أزججت القوات الفرنسية وجعلتها في

²⁹⁷ أبو القاسم سعد الله : المجلة التاريخية المغاربية، عدد 1، المرجع السابق، ص، 56، 57 .

²⁹⁸ Roger ,le Tourneau :**Evolution politique de l’Afrique du Nord Musulmane ,1920 –1960** ,A ,Colin,Paris ,1962 .p175 .

²⁹⁹ شارل أندري جوليان :إفريقيا الشمالية تسير، المرجع السابق، ص163 .

حالة طوارئ دائمة، خاصة خلال السنوات الممتدة بين 1915 إلى 1917م، ولهذا نجد أن الجنرال ليوتي عمل كل ما بوسعه لعزل ثورة عبد المالك عن الجزائر، نظرا لخطورة الوضع الذي أصبحت تشكله ولهذا نجد أن الجنرال ليوتي أمر بسد المنافذ نحو الجزائر في ماي 1916 م، ووضع وحدات عسكرية متحركة بمنطقة تاوريرت taourirt، فأقام حزام امن محكم في قطاع نهر ملوية بين خط سكة الحديدية ومصب النهر، كما نجد أيضا أن الجنرال ليوتي قد تفقد بنفسه في الشهر جوان المنطقة الواقعة بين تاوريرت وغرسيف والدبدو ومهاريجة ووجه نشاط الوحدات العسكرية نحو نهر الملوية، ووضع قيادات عسكرية جديدة في الدبدو أطلق عليها اسم الوحدات المنطقة الملوية الوسطه³⁰⁰.

ونجد أن الأمير عبد المالك الجزائري قد وطد علاقته مع قبائل الريف وزعمائها، ومنها علاقته مع محمد بن عبد الكريم الخطابي زعيم ثورة الريف قبل أن يتصل بأبيه عبد الكريم بشيخ قبيلة بني ورياغل، إذ أصبح محمد بن عبد الكريم الخطابي على صلة وثيقة بعبد المالك الجزائري بل أكثر من ذلك بحيث عين كرجل للاتصالات الأمير عبد المالك الجزائري مع القوات المركزية الاسبانية بهدف الحصول على العتاد والأسلحة³⁰¹، وفي مطلع جويلية 1915 م حضر العميد الألماني فارل farle إلى مليلة واتصل بمحمد بن عبد الكريم فأوصله هذا الأخير بأبيه عبد الكريم بضيعة أجادير، بحيث طلب هذا العميد الألماني من عبد الكريم أن يعد قوة من ألفين مقاتل مقابل عرض مالي يضعها تحت يد الأمير عبد المالك الجزائري³⁰².

³⁰⁰ محمد بلقاسم : المرجع السابق، ص 79 .

³⁰¹ أبو القاسم سعد الله :الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص 240 .

³⁰² AYACHE ,GERMAIN :OP ,cit ,P209,211 .

وعلى اثر هذه الاتصالات طلب المارشال ليوتي من السلطات الاسبانية أن تلقي القبض على محمد بن عبد الكريم الخطابي وأبيه³⁰³، وهكذا تم محاكمة الخطابي الابن بتهمة الخيانة كما تحدثنا سابقا وتم سجنه بسجن مليلة، ونتيجة لهذا كله عمل عبد كريم الخطابي الأب على مساندته الصريحة للقضية الألمانية إبتدا من شهر فيفري 1916م³⁰⁴ وقام بنقل الأسلحة والذخيرة للأمير عبد المالك في شهر جوان من نفس العام³⁰⁵، مما جعل الإسبان يطلقون صراح الابن محمد في بداية شهر أوت 1916 م مقابل أن يعلق الخطابي الأب بعدم مساندته لثورة عبد المالك الجزائري وهكذا أرسل عبد الكريم ابنه محمد إلى عبد المالك الجزائري ليطلعه انه لا يؤيد الألمان والأتراك وانه عاد في وفاق بينه وبين الإسبان³⁰⁶.

وعند وقوع الهدنة بين القوات المركزية والحلفاء سنة 1918 م بدأ الأمير عبد المالك عهد جديد كان أقصى تجربة عليه من العهد الأول فقد تخلى عنه الجميع الأتراك والألمان والإتباع والأنصار، لكن بقيت هناك إتصالات بين عبد المالك والخطابي حتى نهاية 1922 م، كما ازدادت صعوبة الظروف المحيطة بالأمير عبد المالك ابتداء 1921 م، وهي السنة التي أعلن فيها الأمير عبد الكريم الخطابي قيام ثورة الريف ضد الإسبان، وحاول الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي طلب المساعدة من فرنسا واستدراج للإدارة الفرنسية للإعتراف بجمهورية الريف وخصوصا أثناء مجيء الرئيس الفرنسي بفاس سنة 1922 م، لكن الرئيس

³⁰³ ROGER MATHIEU :**Mémoires d' Abd-el-karim, ED, Librairie des champs –Elysées** , Paris , 1927 ,P60.

³⁰⁴ AYACHE ,GERMAIN :**OP ,cit .P221.**

³⁰⁵ J.LADREIT de LACHARRIERE ,” **Abd-el-karim ,instrument et prfiteur du Bolchévisme** “ , IN REVUE DES SCIENCES POLITIQUES ,4 année , T.XL V III , juillet – septembre 1925 , PARIS .P 445 ,446 .

³⁰⁶ AYACHE ,GERMAIN :**OP ,cit .P236–238 .**

الفرنسي رفض وأعرض عن ذلك³⁰⁷، ثم وجه الأمير عبد الكريم وفدا إلى باريس سنة 1923 بقيادة أخيه أحمد وصهره ابن الحاج محمد بن الحتمي³⁰⁸، يطلب من فرنسا مساعدته لكن السلطات الفرنسية قبلت العرض مقابل أن يحارب الأمير عبد المالك الجزائري ويخرجه من الريف .

وبناء على ذلك بدأت مواجهات المؤلّمة بين الأميرين، بحيث أحس الأمير الخطابي أنه مرغم عليها لا محال حتى يستطيع ضمان اعتراف بجمهورية الريف والضمان لها الدعم المعنوي والمادي، ونتيجة لضعف قوات عبد المالك لجأ إلى المنطقة الإسبانية وطلب مساعدتها وجرى إتفاق بينهم تم بمقتضاه تقديم المساعدة المادية له مقابل القضاء على ثورة الريف، لكن سرعان ما تم عبد الكريم الخطابي القضاء على ثورة عبد المالك الجزائري وأصيب فيها عبد المالك الجزائري بطلقة نارية أردته قتيلا في 6 أوت 1924 م، وادعى الريفيون بأن الإسبان هم الذين قتلوه³⁰⁹.

وغاية ما يمكن الإشارة إليه أن ثورة عبد الكريم الخطابي فيما بعد قد استفادت من الوضع الذي كان بالمغرب من جهة، ومن جهة ثانية استفادة من ثورة عبد المالك الجزائري لتأكيد على استمرارية المقاومة وفكرة الجمهورية التي أسسها فيما بعد، كما أن الأمير عبد الكريم الخطابي قد أبعد فكرة الجهاد مؤقتا عن حركته حتى لا تؤلب ضده اسبانيا أوروبا المسيحية وهذا بخلاف ثورة عبد المالك الجزائري³¹⁰.

³⁰⁷ محمد العلمي : زعيم الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي، مطبعة دار الكتاب، دار البيضاء، المغرب، 1968، ص 24 .

³⁰⁸ ROGER MATHIEU: OP ,cit .P 113- 117

³⁰⁹ أبو القاسم سعد الله : المجلة التاريخية المغاربية، عدد 1، المرجع السابق، ص 56، 57 .

³¹⁰ محمد بلقاسم : المرجع السابق، ص 90 .

ثانيا : تجربة حرب الريف

عرف منذ القدم التوسع الاستعماري صور شتى من أشكال المقاومة الشعبية تعبيرا عن الرفض لمشروعات المستعمرين، ودفاعا عن حريتهم ونمط حياتهم الاجتماعي فنجد هناك من استخدم السلاح البسيط في العصيان المدني واللجوء إلي العنف الغير المنظم في اغلب الأحيان، أما في الجهة المقابل فنجد أن هناك من استخدم الكفاح المنظم القائم على أساس التعبئة الجماهيرية الشاملة والعمل على تحريك الشعب نحو هدف واحد وهو الاستقلال، وهذا ما فعله المغاربة في حرب الريف بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي .

ويعد أن فرضت معاهدة الحماية الفرنسية مع السلطان عبد الحفيظ في 30 مارس 1912 م بحجة إنها أرادت أن تدخل العصرية بالمغرب وحماية السلطان من بعض القبائل المنتشرة والثائرة ضده، وكذا اعتراف فرنسا لإسبانيا بالشمال الغربي وهذا في سنة 28 نوفمبر 1912م، وأصبح المغرب الأقصى بين فكي العدوا الفرنسي في الجنوب والإسباني في الشمال، وخضع بذلك المغرب الأقصى للحماية المزدوجة وبقيت طنجة كمنطقة دولية³¹¹ .

ويمجرد أن أعلن الحماية حتى بدأت المقاومة مسلحة بمنطقة الريف بقيادة احمد الريسوني في إقليم جباله مع نهاية 1912 م³¹²، بحيث استطاع هذا الأخير من تكوين عريضة شعبية حوله من علماء ورجال الدين وباقي رجال القبيلة بهدف مواجهة الاسبانية المتواجدة بالمنطقة لكن سرعان تم القضاء عليه من طرف الحاميات الاسبانية المتواجدة بالريف³¹³، وضل الإسبان يحتفظون ببعض المراكز التي احتلوها بالسواحل المراكشية

³¹¹ روم لندوا : مراكش بعد الاستقلال، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1960، ص 312 .

³¹² محمد علي داهش :”المغرب في مواجهة الاحتلال الاسباني، المنطلقات والأهداف، ثورة الريف نموذجا”، مجلة الفكر السياسي، الأردن، د.ت، ص19 .

³¹³ محمد علي داهش :المرجع نفسه، ص 89 .

Elpresidos منذ معاهدة الحماية الفرنسية الاسبانية على مراكش سنة 1912 م، ولم تستطع اسبانيا بمقتضى هذه المعاهدة فرض حمايتها على الريف والجباله والي سنة 1921م لم تكن اسبانيا قد بسطت نفوذها سوى على بعض القبائل المجاورة لمليلة من الجهة الشرقية للريف، أما من الجهة الغربية فقد أخضعت بعض القبائل المجاورة لتطوان³¹⁴.

وبدأت اسبانيا عملياتها التوسعية خصوصا من جهة منطقة الريف مع مطلع عام 1919 م، ومع مجيء الجنرال ألندي سلازار إلي السلطة الاسبانية بحيث عمل على إنشاء الليف الأجنبي وحصر مهمة على المغرب الأقصى فقط، ونظرا لكون أن حرب الريف قد انطلقت منذ 1909 م إلا أن السلطات الاستعمارية الاسبانية نظرت إليها أنها مجرد مسألة سياسية داخلية بسيطة يمكن حلها بسهولة، بحيث عمدت السلطات الاسبانية على تعيين الجنرال بير نجر على رأس الإقامة العامة بتطوان، وعمد هذا الأخير على توطيد نفوذه بالمنطقة وذلك بالقيام بعمليات تمشيطية بمنطقة الريف وما حولها، ونقل قاعدته إلي النكور بالقرب من الحسيمة في 19 فيفري 1919، باقتحامها وتأسيس قواعد عسكرية بها لكن عبد الكريم الخطابي الأب عمل على مقاطعتهم هو وأبنائه محمد وأحمد لما لها من تأثير في المنطقة الوسطى للريف، فطالب الإسبان بضرورة معاقبتهم³¹⁵.

وكان عبد الكريم الأب وراء مقاطعته للإسبان بحيث كان يعرف سياستهم التوسعية وأطماعهم الاستغلالية بمنطقة الريف³¹⁶، ونتيجة للخلافات التي كانت بينه وبين الإسبان لعدة أسباب قد تحدثنا عنها سابقا، وعلى اثر هذا عمل الإسبان كل ما بوسعهم من القضاء على منطقة الريف وجعلها تحت سيطرتهم، لهذا نرى أن الجنرال سلفستر أحد قيادات الجيش

³¹⁴ ATTILO ,GAUDIO :Rif ,terre marocaine d'épopée et de légende ,ed ,R, julliard ,PARIS ,1962 ,p99 .

³¹⁵ AYACHE ,GERMAIN :OP ,cit .P279 .

³¹⁶ ROGER MATHIEU: OP ,cit .P69 -71.

الاسباني قد قام بجولات مراقب لكل المراكز الاسبانية مدعما سلطتها العسكرية والعمل على استفزاز القبائل بتصرفاته التعسفية والوشاية فيما بينهم، كل تلك التصرفات جعلت القبائل تلجأ إلى عبد الكريم الخطابي طالبة منه محاربة الإسبان، وبدأت القبائل تلتمس مع بعضها البعض محاولة لوضع خطة مشتركة لدفاع والذود عن نفسها شعورا منها بالخطر الزاحف، وهنا بدئ عبد الكريم الخطابي من منتصف شهر جوان 1920 يرسل نداءاته لأهالي الريف بضرورة الدفاع عن أراضيهم والذود عن أعراضهم، وخصوصا بعد أن أقدم الجنرال سلفستر على احتلال المنطقة الشرقية من الريف ومنها بالزحف إلى الوسط بقواته سنة 15 ماي 1920 و بها نحو منطقة دار دريوش³¹⁷ .

وكان تعداد قوات الأمير عبد الكريم الخطابي حوالي 400 مقاتل، وقد كان كلا من أبنائه محمد وأحمد قد أعداها للكفاح و التوجه بها إلى تاغريست³¹⁸، ليس بهدف الحرب بل ربما يريد تخويف الإسبان واحترام حقوق الريفيين، وعسكر بها ما يقارب 22 يوم لكن سرعان ما مرضى الأمير عبد الكريم الخطابي الأب وتوفي في أجدير في 07 أوت 1920 م³¹⁹، وكانت اسبانيا تعتقد انه بالقضاء على عبد الكريم الأب قد خلا لها الجو لإحتلال جميع شمال المغرب الأقصى، لكن سرعان ما حل محمد بن عبد الكريم الخطابي محل أبيه لقيادة الريفيين³²⁰، وعمل الأمير على مواجهة الإسبان بكل ما يملك من قوة عدة وعتاد.

في حين عمدت القوات الجنرال سلفستر بالزحف على الريف في نهاية 1920 م فاحتلت العديد من مناطق الريف الأوسط، واحتلالها لمنطقة أنوال وعسكر بها مع مطلع سنة

³¹⁷ AYACHE ,GERMAIN :OP ,cit .P 300,301.

³¹⁸ PIERRE,FONTAINE : **Abd-el-Karim origine de la rébellion Nord-Africaine** ,ed les sept couleurs ,Paris 1958 .p20,21.

³¹⁹ AYACHE ,GERMAIN :OP ,cit .P 302 ,303.

³²⁰ محمد العلمي :المرجع السابق، ص 20 .

1921م، فأعلنت السلطات الاسبانية المتواجدة بالمغرب أي المقيم العام الجنرال بيرنجر إلى العاصمة الاسبانية عن انتهاء احتلال معظم بلاد الريف³²¹ .

وفي الجهة المقابلة نجد أن الأمير عبد الكريم الخطابي قد بدأ عمله الإصلاحى الممهد لمقاومة الإسبان في الريف، بحيث خطب في السوق الأسبوعى الذى يلتقى فيه رؤساء قبائل الريف قائلاً: "أن وحدة الصف قوة لها وزنها في كل مجال ... وإذا كان أعداء وطننا يتحرون على الباطل فنحن أولى بهذا الاتجاه لندافع عن الحق ... فإننا الآن في موقع المواجهة شأننا أم أبنينا ... فاستعدوا، وإلا فليس لكم أي عزاء..."، فكان رد سكان الريف أن سأله: "بماذا نستعد وحالنا كما ترى؟ فأجاب: بنبذ الماضي كله أولاً والعقيدة ثانياً، وبالنظام والخطة ثالثاً وبعد ذلك يأتي النصر بإذن الله " ³²².

ولهذا إرتكز العمل الإصلاحى للخطابي في ثلاثة أسس:

- الخطوة الأولى العمل على توحيد قبائل الريف و إيجاد لهم صيغة قانونية تحمل على التآخي فيما بينهم، وهذا ما حدث في اجتماع 20 سبتمبر 1920 م، من عقد معاهدة الصلح والتصدي للإسبان³²³، واستطاع الخطابي بحكمته وبعد نظره من توحيد صفوف قبائل الريف التي كانت تعاني من الانقسام والعداوة، والأخذ بالنثار، وتذكر المؤرخة الاسبانية ماريا روسا التي تشيد بدور الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي قائلة: "كانت تلك المناسبة الوحيدة في التاريخ الحديث لبني ورياغل، حيث تركة القبائل النزاع لتتحد داخل صف واحد من أجل إخراج

³²¹ AYACHE ,GERMAIN :OP ,cit .P 309 ,310.

³²² محمد خير فارس :المسألة المغربية، مطبعة الجامعة العربية، القاهرة، 1961، ص 89 .

³²³ أحمد البوعايش :حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، ج1، دار الأمل، طنجة، المغرب، 1974، ص 60 .

المستعمر، ويرجع الفضل في ذلك لعبد الكريم الذي جمعها لمواجهة التدخل الأجنبي...³²⁴.

- الخطوة الثانية على عادة القبائل الريفية الأخذ بالتأثر التي كانت منتشرة بكثرة عمد الأمير عبد الكريم الخطابي على تأسيس جهاز قضائي يهتم بالشؤون الإجرامية يعمل على إدانة ومعاقبة فاعله عرف ب "المزمة"³²⁵.

- وتمثلت الخطوة الثالثة على ضرورة الوقوف في وجه الزحف الاسباني المتوجه نحو بلاد الريف الأوسط، ويتجلى هذا بتأسيس أول نواة للقيادة المقاومة جماعية في 20 سبتمبر 1920، وكانت مكونة من 38 شخصية بارزة أغلبها من قبيلة بني ورياغل³²⁶، تعاهدوا بعد أداء اليمين على المصحف على ما يلي :

- الدفاع عن الدين والوطن والشرف حتى الموت .
- عدم إثارة الضغائن وعدم اللجوء إلى التآمر مهما كانت الظروف و الملابسات .
- الالتزام بتنفيذ الأفكار الشرعية في كل الأحوال³²⁷.

وبعد شروع الخطابي في تنفيذ خطته عمل على مد نفوذه على قبيلتين مجاورتين هما "أيت توزين " و"تمسان" بهدف تأسيس بها قواعد عسكرية خاصة بعد احتلال الاسباني

³²⁴ مريا روسا دي مادريغا :في خندق الذئب معارك المغرب، ترجمة :كنزة الغالي، ط1، مؤسسة الغني للنشر ،مراكش المغرب، 2010، ص322.

³²⁵ أحمد البوعاشي :المرجع السابق، ص60 .

³²⁶ على الإدريسي :عبد الكريم التاريخ المحاصر، ط2، منشورات تيفراز، مطبعة دار النجاح الجديدة،الدار البيضاء، المغرب، 2010، ص60 .

³²⁷ محمد عمر بلقاضي :أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي مذكرات عن حرب الريف، ط2، مطبعة سلمى، الرباط، 2006، ص 94، 95 .

لمدينة "شوفشاون" المتاخمة لهما دون أي مقاومة تذكر سنة 1920 م³²⁸، وجراء هذه الاستعدادات العسكرية من طرف القوات الخطابية قام الجنرال سلفستر بقصف منازل الريفيين من قاعدة النكور والمدعمة بالقوات الجوية والسلاح البحري بين 10 إلى 13 أفريل 1921 م³²⁹، ونتيجة هذا القصف قامت عدت مناوشات ومعارك أهمها "ظهر أوبران" في الفاتح من جوان 1921 م وغنم على إثرها عبد الكريم الخطابي عتاد عسكري استعمله في نشر قواته العسكرية بمنطقة الريف، وكانت هذه المعركة بمثابة البداية الفعلية للثورة الريف³³⁰.

ونظرا للبعد المغاربي لحرب الريف، نجد ان الخطابية قد طلب المساندة والدعم من بلدان المغرب العربي من مؤونة وسلاح وكذا المنع المنخرطين في الجيش الفرنسي التوجه الى الريف، وفي هذا الصدد نجد ان الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي قد وجه رسالته الى بلدان المغرب العربي مما جاء فيها: "إن الشعب الريفي في جهاده المقدس، قد عانى ما عاناه من آلام الحروب ومصائبها بدون أن تحبط همته أو تخر قواه، حتى أيده الله بنصر من عنده و دمر دولة الأسباب الباغية ... يا أيها المسلمون التونسيون والجزائريون، إن الأمر الذي يشق علينا تحمله هو أن نرى أبنائكم يساقون قهرا، كما انه يشق علينا أن نرانا ملتزمين لأجل الدفاع عن استقلالنا، أن نتقابل في ساحة القتال مع إخواننا في الجنس والدين"³³¹.

³²⁸ علي الإدريسي :المرجع السابق، ص 61 .

³²⁹ AYACHE ,GERMAIN :OP ,cit .P 309 ,310.

³³⁰ محمد بلقاسم : المرجع السابق، ص 87 .

³³¹ محمد بلقاسم : المرجع السابق، ص 87 .

³³¹ Rapport du 19 octobre 1925 ; archives d'ex-en province carton 9.h-142.

Voir aussi : Ben Atra Farouk : "Si Mohamed Khattabi précurseur du Maghreb », OPU, Alger 1991, p.70.

ثالثا: معركة أنوال الكبرى

وقعت معركة أنوال الشهيرة في 21 جويلية 1921 م كرد فعل قام بها الجنرال سلفستر إثر انهزامه في معركة ظهر أوبران، لرد الاعتبار لقوته أمر قواته بالهجوم على الريفيين غير انه تكبد خسائر فادحة في منتصف شهر جويلية فانسحب إلى منطقة أنوال وعسكر بها فهاجمه الأمير عبد الكريم الخطابي بقواته التي لم تتعدى خمسة آلاف رجل، وبعد خمسة أيام حاول سلفستر الانسحاب بقواته حوالي 20 ألف إلى مليلة غير انه وجد نفسه محاصرا، وهاجمه الريفيين هجوما حماسيا³³².

وكانت خطة الخطابي تتمثل في منع وصول الإمدادات للعدو الاسباني والعمل على تطبيق حصار على القوات الاسبانية بهدف دفع الجنرال سلفستر للخروج من أنوال، وأمام هذا الوضع قرر هذا الأخير أن يجمع قواته الموجودة بمليلة ويجعلها بمنطقة أنوال³³³ بهدف ضرب قواعد الأمير عبد الكريم الخطابي والقضاء عليه نهائيا³³⁴، ولقد دامت المعركة لمدة ستة أيام، ورجحت الكفة فيها لصالح الأمير بعد أن اصدر الجنرال سلفستر الأمر بسحب قواته من أنوال الذي كان تحت وابل من الطلقات النارية من طرف القوات الخطابي، وبذلك نجحت خطة الخطابي التي كان أساسها قطع التموينات وتركيز الحصار على القوات الاسبانية المرابطة بمنطقة أنوال، وانتهاج حرب العصابات في مواجهة القوات الاسبانية وبهذا استطاع الخطابي مواجهة القوات الاسبانية والقضاء عليها في منطقة أنوال في 26 جويلية

³³² محمد بلقاسم : المرجع نفسه، ص 87، 88 .

³³³ نجيب زيبب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج4، ط1، دار الأمير، بيروت، 1995، ص 30 .

³³⁴ سلمان إسماعيل :من القبيلة إلى الأمة ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي، دار التوحيد للنشر، سوريا، 1998، ص 30 .

1921 م³³⁵، كانت كارثة أنوال Le désastre d' Anoual كما يسميها بعض الكتاب بمثابة "هوة من الوحل والدماء، فرقت بين الريفيين والإسبان إلى الأبد..."، وانطلاقاً من هذه المعركة وغيرها من المعارك الأخرى كبد الريفيون الإسبان خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات واستمرت حتى سنة 1925 م، وأمام هذه الانتصارات التي أحرزها الريفيون فقد أعلنوا دولة الريف أو "جمهورية الريف" في 19 سبتمبر 1921 م³³⁶، ووطدوا أركانها على دعائم استوجبها الحرب من هياكل تشريعية وتنفيذية وقضائية وإدارية، وسنتكلم عنها في المطالب الموالي تحت عنوان جمهورية الريف،³³⁷ وبايعوا محمد بن عبد الكريم الخطابي أميراً عليها في الفاتح من فيفري 1922 م³³⁸.

وفي منطقة المغرب الفرنسي تابع للجنرال ليوتي للأحداث المؤلمة التي واجهتها إسبانيا أمام قوات الخطابي، وكان ينظر إلى تطور الأحداث بحذر شديد وخصوصاً بعد أن مالت الكفة لصالح الريفيين مع نهاية 1923 م ومطلع 1924 م، فقد نظر الجنرال ليوتي إلى انتصارات الأمير الخطابي على أنها لا تهدد مصالح الإسبان في المغرب فقط بل حتى المصالح الفرنسية بها، فبدأ يثير المتاعب للأمير بتحريض القبائل ضده³³⁹.

وفي 27 فيفري 1924 م أرسل المارشال ليوتي بتقرير إلى رئيس المجلس ووزير الشؤون الخارجية السيد نكاري، مما جاء فيه: "أن عبد الكريم يمكنه أن يصير في احد الأيام

³³⁵ روجر ماثيو :المصدر السابق، ص 58 .

³³⁶ محمد بلقاسم : المرجع السابق، ص 88 .

³³⁷ مؤسسات ثورة الريف ينظر :

GABRIELLI,Léon : **Abd-el-Karim et les événements du rif 1924-1926** ,
ED , Atlantides ,Casablanca 1953 ,P42-46.

³³⁸ PIERRE,FONTAINE: OP ,cit .P66 ,67 .

³³⁹ محمد العلمي : المرجع السابق، ص 42 .

عظيما، وانه يرفع لواء الاستقلال الإسلامي، الذي بدأ يرتفع على جبهتنا الشمالية..."، وفي 24 مارس طالب ليوتي من الحكومة السماح له بتخطي واد الورغة، الحد الطبيعي الفاصل بين المستعمرة الاسبانية والفرنسية بهدف إنشاء خط عسكري عازل ضد قوات الأمير عبد الكريم الخطابي لحماية القواعد العسكرية الفرنسية المتواجدة بجنوب المغرب³⁴⁰.

ولما أحست فرنسا بأن قوة الخطابي تزداد يوما بعد يوم وتعاطف دول المغاربة معه وتأيده، سعت القوات الفرنسية على ضرورة التفاوض مع القوات الاسبانية فيما بين شهر ماي وجويلية 1925م، وانتهت المفاوضات فيما بينهم بإبرام معاهدات التعاون في الميدان العسكري والسياسي بهدف القضاء على ثورة الريف³⁴¹، وبتحالف فرنسا واسبانيا، أصبح من الواضح أن انهيار ثورة الريف أمرا منطقيًا ومفروضا بسبب التطور العسكري والتقني للدولتين، وهذا أدى إلى إستسلم الأمير عبد الكريم الخطابي إلى القوات الفرنسية في 27 ماي 1926، ومن ثم نفيه إلى جزيرة لارينيون " LARéunion " بالمحيط الهندي في 27 أوت 1926³⁴².

أما فيما يخص نتائج معركة أنوال بالنسبة للقوات الاسبانية³⁴³، فقد كانت كارثية إذ ما إن وصل خبر الهزيمة الاسبانية انقلبت أوضاع المغرب رأسا عن عقب، وقامت القوات العسكرية بالضغط على الحكومة الاسبانية من أجل فتح تحقيق حول كارثة انهزامهم في معركة أنوال، ولم تجد الحكومة الاسبانية بدا سوى إلقاء اللوم على الجنرال برينغر وهو القائد

³⁴⁰ بول إينزوار: حرب الريف والبرلمان الفرنسي، في خطابي وجمهورية الريف، ندوة بباريس، 18 - 20 جانفي 1973، ترجمة: صالح بشير، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص 136، 137.

³⁴¹ مفاوضات للقضاء على ثورة الريف، ينظر: . P226, 227. OP ,cit GABRIELLI,Léon

³⁴² محمد بلقاسم: المرجع السابق، ص 89، 90.

³⁴³ ينظر الملحق رقم: 02.

العام في مراكش وإحالاته للمحاكمة، ووصل الأمر إلى درجة وقوع مناوشات داخل مجلس الشيوخ الإسبان تتخللها الشتائم والضرب بسبب هذه الهزيمة النكراء³⁴⁴.

وقدرت خسائر اسبانيا في هذه المعركة ما يقارب 19 ألف قتيل وألف أسير، وقد ترتب أيضا قيام بانقلاب عسكري بقيادة الجنرال "بريم ودي ريفيرا" سنة 1923 م، وإنهاء حكم الملكية لكن هذا لم يغير من طبيعة الاستعمار الاسباني بالمغرب شيء³⁴⁵.

أما فيما يخص خسائر الخطابي في معركة أنوال فتقدر بآلاف وخصوصا في الفترة الأخيرة بعد الدخول الفرنسي إلى جانب القوات الاسبانية، لكن استطاع الخطابي أن يحقق انتصارات باهرة من تأسيسه لجمهورية الريف وكسب تأيد عالميا، بحيث خلفت حرب الريف صدى عالمي فوقف الرأي العالمي موقفين متقابلين، فالمعارضة بطبيعة الحال مثلها المجتمع الأوربي على رأسها الحركات الاستعمارية بالدرجة الأولى بالإضافة إلى اليهود الذين كانوا يعتبرون نجاح مقاومة الريف خطرا على تواجدهم في شمال إفريقيا، أما المؤيدين لحرب الريف فأغلبيتهم من الرأي العام الشيوعي، لأنه إستلهم فكرة الجمهورية من الفكر الشيوعي، زيادة على سكان أمريكا اللاتينية -أي من دول العالم الثالث- التي كان يعتبر سكانها بأن الأمير عبد الكريم الخطابي بطلا ثوريا يشبه زعيم الحركة التحريرية في أمريكا اللاتينية بوليفار³⁴⁶.

³⁴⁴ علي الإدريسي: المرجع السابق، ص 75 .

³⁴⁵ PIERRE, FONTAINE: OP ,cit .P 3.

³⁴⁶ الطيب بوتبقالت: عبد الكريم الخطابي، حرب الريف والرأي العالمي، سلسلة شرع، طنجة، المغرب، 1997، ص 18، 19 .

رابعاً: جمهورية الريف

إن الريفيون كانوا يعيشون زمنهم وحاضرهم بكل ما يحملانه من تناقض وعنف ديناميكي، فإذا كانوا متخلفين قياماً مع المترصين بهم في الجانب الآخر من البحر الأبيض المتوسط، فإنهم لم يشذوا على القاعدة، وذلك أن العالم آنذاك ولازال إلى اليوم موزعين بين التقدم والتخلف، وهذا ليس عيباً أن ينتمي الإنسان إلى العالم المتخلف، ولكن العيب كله تبرير التخلف والعمل على الاستسلام له، في التوسل للأجنبي والركوع له، وهذا ما لم يفعله الريفيون .

وقد كان الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي يعتقد بأن أحسن وسيلة لنجاح القضية الريفية هو إيجاد أسس متينة لبنائها ويجعلها حركة قومية عامة يشترك فيها جميع أفراد الشعب في إدارة حركة المقاومة والحكم³⁴⁷، ولهذا بادر بتأسيس جمهورية الريف على أسس عصرية³⁴⁸، في 15 محرم 1430 هـ الموافق ل 19 سبتمبر 1921 م³⁴⁹ والعمل على تسيرها طاقة شبابية متطلعة نحو المستقبل ومصممة على مواكبة مسيرة التطور والنضال، وهكذا نجد أن الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي يرى بأن تأسيس جمهورية الريف خطوة لا بد منها إقتضتها ظروف الحرب التحريرية للإعتبارات التالية :

- جعل حركة التحرير تتخذ صورة خاصة وهي مقاومة الريف للإحتلال الاسباني
- وبذلك لا تتدخل فرنسا مادامت أن حرب ليست ضدها .
- لكي تتمكن المقاومة من تحديد العدو والميدان.
- لتتاح الفرصة لجزء كبير من الشعب في البلاد لإدارة شؤونه بنفسه .

³⁴⁷ روجر ماثيو :المصدر السابق، ص 61 .

³⁴⁸ ينظر الملحق رقم : 03 .

³⁴⁹ علال الفاسي : الحركات الإستقلالية، المصدر السابق، ص 140 .

- لنتمكن المقاومة من إيجاد موطن في ارض ثابتة لمواجهة الغزاة من قاعدة صحيحة في كل الأماكن³⁵⁰ .

أما الأهداف البعيدة من تأسيس جمهورية الريف هو محاولة إيجاد بديل سياسي يقدم الجواب عن إشكاليات الدولة المغربية التي عرف تاريخها الحديث صراعات مزمنة بين المناطق الثائرة والسلطة المركزية³⁵¹، ويظهر أن مشروع الأمير عبد الكريم الخطابي السياسي كان يستتبط دعامة المركزية من روح الدولة الإسلامية في عهد الازدهار، ويؤسس لمقومات الدولة الحديثة بالمفهوم العصري، أما قضية الحكم في حد ذاتها وطموح عبد الكريم الشخصي فيها، فلم تكن مطروحة نهائيا، لأن الهدف الأساسي كان يتمثل في إنهاء الاحتلال فقط، وهذا ما جعله يرفض البيعة التي دعاه إليها أعيان وفقهاء الريف³⁵²، مكتفيا بلقب الأمير بإعتباره أمير الجهاد دون أي مظهر من مظاهر الآبه والعظمة، وقامت جمهورية الريف وتكونت حكومتها من عناصر شبابية المتعطشة لتغيير³⁵³.

وكانت النواة الأولى لهذه الجمهورية هي تك الجمعية الوطنية المكونة من المجلس العام الذي يضم ممثلي القبائل والأهالي، وعقد أول إجتماع تأسيسي لها بتاريخ 20 سبتمبر 1920 م، لمناقشة القضايا المتعلقة بتنظيم الجهاد وإدارة شؤون الريف³⁵⁴.

³⁵⁰ محمد سلام أمزيان : المصدر السابق، ص132 .

³⁵¹ محمد أمزيان :محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف 1926 -1963، ط1، منشورات "اختلاف" مطبعة كوثر، الرباط، المغرب، 2002، ص22 .

³⁵² من الموقعين على البيعة هم : محمد علي الغماري الريفي، علي بن الحاج محمد الخزمي، بلقاسم بن عبد المقدم التسماني، محمد بن عمار التباس، شعيب بن ميمون بن علال الوليشكي، ومحمد بن الحاج محمادي التسماني، ينظر : محمد أمزيان :المرجع نفسه، ص 23 .

³⁵³ محمد عمر القاضي : المرجع السابق، ص133، 134 .

³⁵⁴ روجر ماثيو : المصدر السابق، ص63 .

وقد أعلن هذا المجلس -الذي أسس جمهورية الريف - على خمسة أسس والتي نص عليها الميثاق الوطني وهي :

- عدم الاعتراف بكل إتفاق ينتهك حقوق المغرب أو يرتبط بإتفاق 1912 م .
- الاعتراف بالاستقلال دولة الريف، فلا يبقى للإسبان سوى سبته ومليلة.
- تشكيل حكومة جمهورية دستورية .
- التعويض عن الأضرار التي لحقت بالريفيين منذ بداية المقاومة من طرف الإسبان .
- تبادل الأسرى، وتوحيد علاقات الصداقة مع كل الدول دون أي تمييز بينها، وعقد اتفاقات معها³⁵⁵ .

وفيما يخص طريقة تسيير وتنظيم إقليم الريف، تمثلت في إقرار لنظام جمهوري مقنن بدستور، وهذا ما يبرز لعبقرية الأمير في دمج القبائل الريفية المشتتة والمتناثرة في دولة ذات سيادة³⁵⁶، وتم إنشاء وتنظيم أجهزة الدولة، وتحددت المسؤوليات وفق مبدأ الدستور الذي لم يفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، وجعل من الجمعية الوطنية جهاز مراقبة إما رئيس الدولة الذي هو في نفس الوقت رئيس للجمعية الوطنية قد عمل على تكوين أعضاء الحكومة³⁵⁷، وعلى المسار السياسي الخارجي، بحيث جمعت جمهورية الريف بين الضغط العسكري والعمل الدبلوماسي مما ساعدها على التأثير الايجابي في القسم الهام من الرأي العام الدولي، وبخاصة في الدول المعنية بحرب الريف مباشرة، فقد عبرت تنظيمات سياسية وعالمية بضرورة مناهضة الامبريالية ودعما للقضية الريفية ومناصرتها، غير أن مواقف هذه

³⁵⁵ أمين سعد :الدولة الفيدرالية العربية، ج 3، ط1، مطبعة التقدم، القاهرة، 1986، ص 383 .

³⁵⁶ جاك بيرك وآخرون : الخطابى جمهورية الريف، ترجمة :صالح بشير، ط1، أين رشد للطباعة

والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص 69 .

³⁵⁷ علال الفاسي : الحركات الإستقلالية، المصدر السابق، ص 63- 79 .

التنظيمات لم تكن موحدة فعلى سبيل المثال اختلفت مواقف الأحزاب الاشتراكية عن مواقف الأحزاب الشيوعية والتنظيمات العمالية³⁵⁸.

كما سعت أيضا جمهورية الريف للانضمام إلى عصبة الأمم من اجل محاولة منها للحصول على اعتراف دولي رسمي يقر بوجودها، وعمل على تدويل قضية الريف في المحافل الدولية، وكان الخطابى على بينة واضحة من تحقيق هذا المسعى نظرا لسيطرت الدول الاستعمارية على أجهزة عصبة الأمم وخضوعها هذه الأخيرة لتوجيهات الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى³⁵⁹.

ولعب الجهاز القضائي الدور الأساسي في تسيير الجمهورية إذ سما مركز حكومة الريف في أغادير بالمحكمة، واستمد سلطة الدولة منذ البداية من تحليل الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للريف وذلك بغرض تلبية المتطلبات الرئيسة للسكان³⁶⁰، ووضع الخطابى دستور مكون من أربعين مادة، صادقت عليه هيئة منتخبة تشمل مختلف الطبقات تمثيلا قانونيا، من ضمن ما نص عليه تكوين أربعة وزارات وهي كالاتي:

- المندوب العام للأمير و أسندت لمحمد بودرة .
- وزارت الشؤون الخارجية وأسندت لأزرقان .
- الوزارة الحربية ووضع على رأسها احمد بودرة .

³⁵⁸ محمد أمزيان : "موقف الحزب الاشتراكي الاسباني من حرب الريف 1921 - 1926"، ط2، مجلة

أمل، عدد 8، دار البيضاء، 1999، ص 59 - 72 .

³⁵⁹ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابى آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 24 .

³⁶⁰ جاك بيريك وآخرون: المرجع السابق، ص 69 .

- الوزارة الداخلية عين عليها القائد يزيد³⁶¹ .

كما أقر الدستور بان الإسلام دين الدولة وهو القانون الأساسي ومصدر تشريع الدولة وتحتة تتدرج مجموعة من القوانين الثانوية الضرورية للدولة الحديثة، وقد كان هذا بمثابة إقصاء للعرف السائد من قبل، اقتصرت مصادر تمويل الجمهورية على ما تجمعته من زكاة وصدقات وضرائب متنوعة ومحددة من طرف الدستور³⁶².

وكانت العملة الرسمية للجمهورية هي البيزيتا الاسبانية والنقود الحسينية، أما فيما يخص التعليم فقد شملته إصلاحات الأمير عبد الكريم الخطابي الذي كان يشدد على ضرورة التعليم الابتدائي بأساليب وطرق أكثر حداثة ومواكبة للعصرنة³⁶³، إضافة إلى ذلك فقد اهتم الخطابي بالجيش واعتمد في تأسيسه على سكان القبائل، إذ فرض على كل قبيلة تعبئة نصف عدد ذكورها الذين يتراوح أعمارهم ما بين 16 إلى 50 سنة، وبفضل هذه السياسية أصبح نصف السكان يشتغلوا والنصف الآخر يحارب³⁶⁴، هذا ما سمح له بتأمين جبهتين:

- الجبهة الأولى وهي الجيش والدفاع عن الوطن .

- أما الجبهة الثانية فهي العمال والعمل على تأمين المعيشة³⁶⁵.

³⁶¹ إبراهيم موسى : " تجربة الأمير الخطابي "، مجلة دليل الريف الالكترونية ، العدد 12/02/ 2012،

مراكش، المغرب، ص9.

³⁶² جاك بيرك وآخرون: المرجع السابق، ص 69 .

³⁶³ جاك بيرك وآخرون: المرجع نفسه، ص70 .

³⁶⁴ نفسه، ص74 .

³⁶⁵ محمد عمر بلقاضي : المصدر السابق، ص 125 .

ومن خلال ما سبق نستنتج أن فكرة تأسيس جمهورية الريف كانت قبل معركة أنوال سنة 1921، ولكن أثناء هذه الفترة وجدت ظروف ساهمت في تأسيس جمهورية الريف، ونجد أن الجمهورية قد إتسمت بسمات أهمها:

- أن الخطابى قد جمع فى جمهورية الريف مابىن الإسلام والتراث الامازىغى.
- أن كل إصلاحاته كانت نهضوىة حدىثة هدفها إخراج المجتمع الرىفى من الفوضى التى كان يعىشها إلى حالة القانون والنظام .
- جعل الجمهورية كمستقر أو مركز ثابت تتطلق منه المقاومة للدفاع عن الوطن كاملا.
- تأكىد للعالم كله أن للمغاربة إمكانات وطاقات تمكنها من تسىير شؤونهم بأنفسهم دون تدخل أو مساعدة أى طرف خارجى .
- إن تأسيس الخطابى للجمهورية لم يكن محل صدفة كما قىل أو ضربة حظ، بل كانت له استراتيجيات وغايات محددة ذكرناها سابقا .

المبحث الثالث : المغرب الأقصى بعد حرب الريف

عقب إنتهاء المقاومة المسلحة في الشمال المغربي مع ثورة الريف، بدأ هنا العمل السياسي والذي جسد في بداية أمره، جماعات من الطلاب في كلا من سلا والرباط وفاس وتطوان، تدعوا إلى أفكار سلفية باعتبارها أنها المحرك الأساسي للنضال السياسي، إلى أن إنتظمت في حلقات صغيرة عدة من أول التنظيمات السياسية في المغرب الأقصى³⁶⁶.

أولا : حول نشأة الحركة الوطنية

إذا كان معظم المهتمين بدراسة الحركة الوطنية وبأخبارها أن يربطوا ميلادها مباشرة بانتهاء مقاومة الريف ربطا يكاد أن يكون ميكانيكيا، فإن هناك من رفض هذا التحديد، إعتبار انه يوحي على أن هناك فصل أو شرخ بين الحركتين، الحركة العسكرية والمتمثلة في مقاومة الريف والسياسية والمجسد في الحركة الوطنية، ومن بين الرافضين عبد الكريم غلاب³⁶⁷، وعلال الفاسي³⁶⁸، ثم محمد ابن عزوز حكيم، بحيث يرى هذا الأخير أن المقاومة المسلحة كانت ومازالت تقوم بدورها حينما فكر الحاج عبد السلام بنونة في تنظيم حركة سياسية تعمل في الخفاء تحل محل المقاومة المسلحة، غير أنه لم يحدد تاريخ هذه

³⁶⁶ محمد ضريف : الأحزاب السياسية المغربية، ط1، دار البيضاء، المغرب 1988 ، ص10 .

³⁶⁷ ويقول بالحرف الواحد : "الذي يتوهم أن مؤلف هذا الكتاب يتصور تصورا خطيرا أن الوطنية المغربية إنما بدأت سنة 1925 لم يقرأ الصفحات السابقة من الكتاب وغفل عن إحدى المنهجيات البدائية في البحث " ينظر : عبد الكريم غلاب : المصدر السابق، ص45 .

³⁶⁸ يقول علال الفاسي مبينا ما قام به الوطنيون في المرحلة الممتدة من عقد الحماية الى صدور الظهير البربري : " من أهم الحركات التي بدأت في هذه المرحلة ،الحركات التي كانت تعمل للنشر دعاية المحاربين المغاربة، وتأليب الجماهير لهم " ينظر علال الفاسي :الحركات الاستقلالية، المصدر السابق ، ص127 .

الفكرة بالضبط و لم يجعل لها فاصل زمني، بل إكتفى بتسجيل برنامج عمل الحاج بنونة المكون من خمسة نقاط أهمها:

- المشاركة في الحكومة الخليفية .

- العمل في الحقل التربوي و التعليمي³⁶⁹.

وبستدعي مثل هذا الرأي التوقف قليلا على بعض دلالاته، وكذا النظر إلى البيئة السياسية المنتشرة في المغرب الأقصى عموما وفي تطوان بالخصوص، بحيث أن الفئة الأرستقراطية في تطوان لم يعجبها إنتصارات الريفيين في الجهة الغربية، وقلقها من إندحارات الأسباب المتكررة على يد الخطابى أن يصبح سلطتها لا تتجاوز أسوار تطوان، ومصدر هذا القلق والتخوف راجع بالدرجة الأولى إلى كون هؤلاء المقاتلين الريفيين عبارة عن بدوا متخلفين في نظر الأرستقراطية الحضرية عموما وتطوان بالخصوص، ولهذا لم يكن لديهم الإستعداد لتقاسم سلطتهم ونفوذهم معهم، وهذا مأحس به عبد الكريم الخطابى فعلا من نفور الأعيان الحضريين من ثورته ومن مشروعه السياسى(جمهورية الريف)، وإستنتج عبد الكريم الخطابى انه من الصعوبة بمكان تحقيق أي شكل من أشكال التعاون معهم بل على النقيض من ذلك أنهم سيخلقون له متاعب سياسية وتنظيمية داخل جمهورية الريف إذا ما سعى على إدخالهم فيها، وهو في غنى من ذلك، ولعل ذلك الإحساس بعدم الثقة جعل الخطابى لا يعطي أهمية كبيرة لإخضاع تطوان وفاس ضمن قائمة أولوياته .

وبهذا المعنى بات إقتراب الريفيين من تطوان هو خطر على البلاد يستحسن إيقافه عند حدود الجبال الحاضنة لرجل الثورة، وقد لاحظ ريزيت فعلا وجود عمل سياسى في تطوان يزامن مع العمل المسلح في الريف، مع مطلع سنة 1923، لكن دون أن يجمعهما

³⁶⁹ محمد ابن عزوز حكيم : وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب، ج 1، مطابع الشويخ، تطوان، المغرب، 1980، ص 14.

قاسم مشترك فيما بينهما، بحيث يقول "فلم يكن هناك أدنى تقارب بين الأعيان الأندلسيين في تطوان والقبائل الريفية، سواء على مستوى وجهات النظر أو على مستوى الأهداف"³⁷⁰.

كما نجد أيضا أن الحاج بنونة- رغم اشتهاره بالإعتدال السياسي - وراء مطامع إسبانيا، وذلك بتقديره المبالغ لها بحيث يعتبر أن إسبانيا بلده الثاني بعد المغرب، هذا الأمر جعله محل ثقة لدى الإسبان، وكان من الشأن إنهزام إسبانيا أمام قوات الريفيين بزعامة الخطابى وما إنعكس عنه من آثار سلبية على المستوى السياسي والإقتصادي والإجتماعي، أن يراجعوا حساباتهم في علاقتهم للإسبان وخصوصا الذين وضعوا ثقتهم فيهم، لكن دون جدوى، فمن المفترض أن يكمل العمل السياسي العمل العسكري وبأزره، أصبح يعمل بلا ريب مع السياسة الإستعمارية، بحيث يسمح لها إمتصاص الغضب الشعبي في إسبانيا ويضمن لها تأيد أعيان المدينة، ويفتح لها مجال للإلتقاط أنفاسها من جديد³⁷¹.

³⁷⁰ ر. ريزيت : الأحزاب السياسية في المغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، ط1، نوفمبر 1992، ص 103 .

³⁷¹ Benjelloun abdelmajid : **Approches du colonialism espagnole et du mouvement nationaliste marocain dans l'ex -Marco khlifien** , rabat , Eds , okad , p95.96.

ثانيا :الحركة الوطنية وحرب الريف

لمعرفة علاقة الحركة الوطنية بحرب الريف يجب علينا معرفة، هل كان لإنهزام الخطابى والإستسلام للفرنسيين دافعا للعمل على المسار السياسى؟ وإذا كان الأمر كذلك فالى أى حد استوعبت النخبة الجديدة أسباب الهزيمة وحاولت تجاوز أثارها؟ وهل جاء العمل السياسى كبديل عن العمل العسكرى؟ وما مدى تأثير محمد بن عبد الكرىم الخطابى على العمل السياسى فى المغرب؟.

والإجابة عن هذه التساؤلات كانت على شقين، الشق الأول يؤكد على تأثير حرب الريف على العمل السياسى، أما الشق الثانى فىنبى بالجملة .

الشق الأول يتبناه شباب الحركة الوطنية أنفسهم، وبعض الكتاب والمؤرخين، وهذا ما نلمسه فى آراء روم لاندوا إذا يقول: "إن الباعث على نشوء هذه الحركة الوطنية كان حرب الريف ... فإن جهاد عبد الكرىم ضد قوى كبيرة لقي صدى فى نفوس مواطنيه، أكثر من مجرد ثورة عسكرية، فقد أصبحت تعبيرا عن إحتجاج الإسلام على مادىة الغرب"³⁷²، وإنطلاقا من هذا الرأى يتجسد إلتقاء الشباب الحركة الوطنية مع عبد الكرىم الخطابى فى البعد الدينى والروحى لمقاومة أو حركة الريف، ذلك أن كلتا الحكتين قد ناهضا معا المادىة الغربىة التى تسترى وراءها الإستعمار لنقل فوائد الحضارة الغربىة إلى الشعوب المختلفة، والمغرب الأقصى بالخصوص .

أما كنىث براون يرى أن نقاط الإلتقاء كانت عاطفىة، مؤكدا على أن مقاومة الريف وذكربياتها دخلت فى صلب إيدىولوجىة الحركة الوطنية، بحيث يقول بالحرف الواحد: "مقاومة

³⁷² روم لاندو : تاريخ المغرب فى القرن العشرين، المصدر السابق، ص 189 .

الريف قد ساهمت بالتقاء الشروط الملائمة لولادة هذه الحركة³⁷³، في حين يرى محمد زنير، أن هناك نوعا من تورية الوطنيين تجاه التجربة الريفية، فإنه يلتبس لهم عذارا بحيث يقول: "فأمام العدو الإستعماري وجيشه الرهيب، لم يكن بمقدورهم إبراز أنفسهم كمكملين لعبد الكريم"³⁷⁴، ويضيف عبد الكريم غلاب في أن حرب الريف: "كانت الأمل الذي إنتقت حوله أفكار الشباب، كما كان للنكسة التي أصابت المجاهدين في الريف أثرها العميق في نفوس الشباب الذي أخذ يبحث عن بديل لهذا الجهاد التحرري"³⁷⁵.

أما الشق الثاني فيرون أنه لا توجد أي صلة بين ثورة الريف والحركة الوطنية المغربية، ويرى عبد الله العروي أن محمد بن عبد الكريم الخطابي ظل غائبا عن فكر الوطنيين³⁷⁶، بحيث صرحا قائلًا: "المسألة ليست في معرفة ما إذا كان هذا الزعيم المغربي أو ذاك تكلم ذات يوم عن عبد الكريم أو ألقى محاضرة عنه، فالمسألة متعلقة فيما إذا كان الوطنيين كمجموعة قد درسوا تجربة عبد الكريم بالدقة المطلوبة متوصلين بذلك إلى إستخلاص نتائجها السياسية أو غيرها حسب ما أعلم - قد أكون مخطأ - فإنهم لم يفعلوا شيئا من هذا القبيل، لأسباب متعددة لا تزال بحاجة للشرح، ولم يستخلصوا ما يمكن تسميته درسا حقيقيا إما على صعيد إنتصارات تلك التجربة أو على صعيد إخفاقاتها"³⁷⁷.

³⁷³ مجموعة باحثين : الخطابي وجمهورية الريف، ط 1، ترجمة: صالح بشير، دار ابن رشد، بيروت ،لبنان، 1980، ص 384 .

³⁷⁴ مجموعة باحثين : المرجع نفسه، ص 401، 402 .

³⁷⁵ عبد الكريم غلاب : المصدر السابق، ص 28 .

³⁷⁶ مجموعة باحثين :المرجع السابق، ص 386 .

³⁷⁷ المرجع نفسه، ص 418، 419 .

وقد إستطاع المؤرخ عبد الله العروي رصد هذا الغياب بين الحركة الوطنية وحرب الريف وفق ما لديه من معطيات وأدلة كان يراها على أرض الواقع داخل صفوف الحركة الوطنية .

كما نجد أيضا عبد الكريم غلاب الذي رأيناه سابقا في الشق الأول يؤكد على وجود علاقة بين الحركة الوطنية وحرب الريف، ينفىها الآن بارتياح بحيث يقول أن البورجوازية هي التي قامت بهذا العبء -أي الحركة الوطني- معللا الظاهرة بعاملين أساسيين هما: الأول نفسي والأخر ثقافي، ولا نجد رابطا بينهما إلا بحجم الصدمة التي أحدثتها الاستعمار في نفوس الشباب، سواء بتخاذل الآباء وسلبيتهم، فكان على الأبناء أن يكفروا عما حدث³⁷⁸، ونجد أن عبد الكريم غلاب يستنتج بأن "الحركة السياسية قد تكون البديل الوحيد للحركة الوطنية المسلحة " وفي مواضع أخرى يقول: "الحركة الوطنية ليست بديلا للمقاومة المسلحة"، بل هي "حركة وجدت لتمتص اليأس الذي كان يهيمن على المواطنين المغاربة"³⁷⁹ ويرى سبب هذا الانفصال بين الحركة الوطنية وحرب الريف، أن هؤلاء الريفيين تتعدم عندهم الثقافة، ويسود فيهم "التخلف الفكري"³⁸⁰، لكن رغم صحة ما قاله غلاب إلا أنه لا يمكن تعميمه، فالقيادة العسكرية في الريف كانت هي أيضا مثقفة وواعية بمسؤولياتها، أما مسألة تخلف فكري وإنحصار التعليم فهي ظاهر تشترك فيها جميع البوادي والأرياف بدرجات متفاوتة، ورغم هذا كله فقد عمل محمد بن عبد الكريم الخطابي كما رأينا سابقا في بناء مشروعه السياسي، على ضرورة تطوير التعليم وجعله مواكب العصر، هذا كله يفند الأسباب التي ذهب إليه عبد الكريم غلاب .

³⁷⁸ عبد الكريم غلاب: المصدر السابق ، ص 18 .

³⁷⁹ المصدر نفسه، ص 45، 46، 47 .

³⁸⁰ نفسه، ص 51 .

ومن الواضح أن تقويم الوطنيين للتجربة الريفية لم يتغير مع تأصل أسلوب عملهم السياسي، ونضالهم ضد الإستعمار في الداخل أو في الخارج، ولعل هذا ما يفسر القطيعة من جديد بينهم وبين الخطابي حينما برز على الساحة السياسية مرة أخرى بعد سنة 1947³⁸¹.

صحيح أن أغلب من كتب من الوطنيين عن تاريخ المغرب المعاصر عموماً، وعلى الحركة الوطنية بالذات يشير إلى صدى حرب الريف في الوجدان فقط، ويؤكد على أن تأثير حركة الريف على الحركة الوطنية تأثير عاطفي وجداني ليس إلا، ومما يستوجب علينا معرفته أن أغلب هذه الكتابات الوطنية كانت بعد عام 1947، أي بعد أن فرضت شخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي نفسها على أرض الواقع، كقائد يعمل على توحيد المعركة بين بلدان المغرب العربي ضد الإستعمار، وكزعيم وبطل مغاربي بارز لا يمكن تجاهله أو تجاوزه في المعادلة السياسية للمغرب العربي الكبير .

³⁸¹ محمد أمزيان : محمد بن عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 35 ، 36 .

ثالثاً : السياسة البربرية وموقف المغرب منها (الظهير البربري)

تميزت السياسة الفرنسية في بلدان المغرب العربي بسمات عامة مشتركة تمثلت بالحكم المباشر وإنكار الحقوق الوطنية والتسلط الاقتصادي والإفقار الاجتماعي والاستيطان البشري، فضلاً عن العدوان على الهوية العربية الإسلامية في محاولة لـ"فرنسة" البلاد وإبقائه أسيراً تابعاً لسلطات الإستعمارية³⁸².

وكان العدوان الإستعماري على الهوية العربية الإسلامية أحد أبرز وجوه السياسة الفرنسية في أقطار المغرب العربي، ويهدف من وراء ذلك تحقيق إستراتيجية بعيدة المدى تخدم المصالح الإستعمارية، فبعد أن راهنت السلطات الإستعمارية على الأرض من نهب وسلب أصبحت تراهن على الفرد، وذلك بمحاولة تجريده من لغته وثقافته ودينه وذلك بغرس بؤر ثقافية واجتماعية واقتصادية وفق آليات مخططة تستهدف في مخرجاتها النهائية وضع حالة من الولاء نحو المركز الاستعماري وبذلك يكون الاحتواء التدريجي، والإقصاء عن البيئة الثقافية والحضارية العامة، فضلاً عن البيئة القومية والدينية.

وقد واجه المغاربة هذا العدوان والاحتلال والاستيطان وما رافقه من سياسة تسلطية استحواذية في جميع المجالات، بكل الوسائل المواجهة سواء كانت عسكرية أو السياسية أو الثقافية أو الدينية، للدفاع عن السيادة والهوية الوطنية، وقدمت من أجل ذلك العديد من التضحيات³⁸³ ولعل أخطر ما واجهه المغاربة هو العدوان الفرنسي الذي سعى جاهداً في

³⁸² للتفاصيل أكثر في هذا المجال ينظر: عبد الله البارودي، المغرب: الإمبريالية والهجرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ص. 49 - 51، و، خيرية عبد الصاحب وادي: الفكر القومي العربي في المغرب العربي، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1982، ص 88، 89 .

³⁸³ يحيى بو عزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط 1، دار قسطنطينية، 1980، ص. 296 - 363 .

العمل على إلغاء للهوية الثقافية والدينية لأبناء المغرب العربي بكل الوسائل والأساليب، بحيث بدأت في الجزائر مروراً بتونس، وأنضجته في المغرب، وكان ذلك بإصدارها «الظهير البربري» سنة 1930 م.

أ: فرنسا وسياستها البربرية في المغرب

بدأت فرنسا سياستها العدوانية على الهوية العربية الإسلامية في الجزائر بعد احتلالها مباشرة في سنة 1830 م، بدأت سياسة الفصل العنصري والثقافي والديني: إذ أصدرت قراراً في سنة 1859 يخرج مناطق «القبائل» البربرية من نطاق القضاء الإسلامي، ومهدت لذلك بالإرساليات التبشيرية التي بدأت نشر الدعوات المزيفة عن الأصول التاريخية للبربر مدعية أنهم أورييون مسيحيون في أصولهم، وأن العروبة والإسلام أجنيان عنهم، لا وجود لتأصيل تاريخي إيجابي لهما، بل أتيا في نظرهما على سياسة الدم والسيوف أي كغزاة واستغلت السلطات الفرنسية عوز الجزائريين وفقدهم ، لأخذ أطفالهم وتنصيرهم، وتلقينهم اللغة الفرنسية وثقافتها، واعتقدت أنها الطريقة الوحيدة لتذويب الجزائريين واحتوائهم في البوتقة الفرنسية³⁸⁴. وقد طبقت أيضا سياستها العدوانية على تونس بعد احتلالها سنة 1881 م، والجدير بالإشارة هنا أن الجهود العدوانية الفرنسية في الجزائر وتونس قد واجهت مقاومة عنيفة ضد محاولات «الفرنسة» باستهداف اللغة العربية والدين الإسلامي، وكذلك ضد سياسة التجنيس والإدماج³⁸⁵، وذلك بتمسك الشعب وواجهاته الدينية والثقافية وقواه السياسية والوطنية بدينه ولغته والاستشهاد في سبيل ذلك.

384 محمد عزة دروزة:الوحدة العربية، ط 1، منشورات المكتب التجاري، بيروت، لبنان، 1957،

ص162 - 165.

385 المرجع نفسه، ص 175 - 188.

وانطلاقاً من سياسة قومية عنصرية الإستعمارية وتعصبية دينية وأهدافها إستراتيجية معروفة، أصدرت الإدارة الفرنسية نهجها العدواني، وأصبح بذلك المغرب بعد إحتلاله سنة 1912 م أحد مجالات التطبيق المخطط لإنجاح مشروع العدوان الفرنسي على الهوية العربية الإسلامية بها، إذ أصدرت السلطات الفرنسية المحتلة عام 1914 م قراراً خاصاً بالبربر في محاولة لتشكيل كيانات ذاتية منفصلة عن النسق أو الكيان الاجتماعية والحضارية الموحدة للمغرب، وتوهمت السلطات الفرنسية أن أهالي المناطق الجبلية والصحراوية - وغالبيتهم من البربر - «أن إسلامهم سطحيّ وليس ببعيد أن يتتصروا ويندمجوا معها»³⁸⁶، وإعتبرت السلطات الفرنسية على كون هذه المناطق المغربية بعيدة عن السيطرة المباشرة للمخزن المغربي (الحكومة)، وكثيراً ما ثارت بوجه السلطة لأسباب معروفة، لكنها لم تكن بعيدة عن التمسك بالإسلام وشريعته ولغته على الرغم من سيادة بعض الأعراف القبلية بينهم، وعليه كلفت السلطات الفرنسية مجموعة من منظرها برئاسة جورج سوردون أستاذ الحقوق الإسلامية باستحداث ما أسمته بالحقوق العرفية البربرية لتبحث لها عن صياغة قانونية لأعراف البربر، وإخراجها في صورة من الحقائق، فخرجت أبحاثها ملفقة وجمعت تلك الأعراف بما أسمته السلطة الفرنسية بـ«قانون العرف البربري» سنة 1914 م³⁸⁷.

ويعتبر إصدار بمثل هذا القانون المدني الخاص بالبربر دلالة على نضوج التجربة العدوانية الفرنسية التي استهدفت الهوية الثقافية والدينية والانتماء الوطني المغربي للبربر، وهو اتجاه عدواني عنصري ذو خلفية صليبية تعصبية ويوضح ذلك جودي فروي دمونين، أحد القادة المنظرين للسياسة العدوانية بقوله: «لابد أن نستعمل لفائدتنا العبارة القديمة "فرق تسد" إن وجود العنصر البربري هو آلة مفيدة لموازنة العنصر العربي، ويمكننا أن نستعمله

386 علال الفاسي الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 141، 142. .

387 لقمان صالح أحمد القطان: سياسة فرنسا تجاه البربر وأثرها في الحركة الوطنية المغربية 1930

- 1936، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1987، ص 36.

ضد المخزن نفسه» أما فيما يخص أهداف هذه السياسة العنصرية فقد كتب أحد موظفي السلطات الفرنسية في المغرب مقالاً أكد فيه الإصرار الفرنسي في العدوان على الهوية الدينية بقوله: «يجب أن نحذف تعليم الديانة الإسلامية في مدارس البربر، ويجب أن نعلم البربر كل شيء ما عدا الإسلام»³⁸⁸.

ولهذا نجد أن السلطات الإستدمارية وبدعم وإسناد كبيرين من الحكومة الفرنسية والجمعية الوطنية الفرنسية والمؤسسات الكنسية والثقافية، قد بذلا جهوداً كبيرة لنشر اللغة الفرنسية وثقافتها بين البربر وسعي منها لتتصيرهم وفصلهم عن الوحدة الاجتماعية الوطنية والقومية. وعلى هذا الأساس، أصدرت السلطات الفرنسية ترسانة من القرارات "الظواهر" اللاحقة في سنة 1915م وسنة 1922م حتى سنة 1930م سعياً منها في «تتصير المغاربة وفرنستهم وإحداث تفرقة بينهم تتقد بسببها نار فتنة طائفية وعرقية...»³⁸⁹،

ومن أبرز قرارات السلطات الفرنسية في المغرب كان القرار المرسوم "الظهير" في 16 مايو 1930 باسم "الظهير البربري" الذي تكون من ثمانية فصول، وكانت خطورة ذلك القرار العنصري ليس إخراج البربر عن سلطة المخزن المغربي (الحكومة)، وإنما إخراجهم من إطار التحاكم بالشرعية الإسلامية إلى التحاكم وفق أعرافهم وتقاليدهم، لا بل استئناف ذلك أمام المحاكم الفرنسية. وقد استخلص المغاربة من «الظهير البربري» ثلاثة أمور:

1) فصل قسم من المسلمين المغاربة عن القضاء الشرعي.

388 علال الفاسي: الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 142 ، 143.

389 عبد الوهاب بن منصور: "محمد الخامس والظهير البربري"، مجلة دعوة الحق، العدد 282، الرباط

، المغرب، 1991، ص 58.

(2) إن تحول المسائل القضائية في مناطق البربر إلى المحاكم الفرنسية يعد في نظر المغاربة والقوى الوطنية بمثابة خطوة لتنفيذ سياسة «التنصير» وإعلان «حرب صليبية جديدة».

(3) العمل على تمزيق وحدة السلطة المغربية، وعد ذلك خرقاً صريحاً لمعاهدة الحماية لعام 1912 م³⁹⁰.

ولهذا بدأت السلطات الإستعمارية تضع الظهير البربري قيد التنفيذ، واتخذت لذلك مجموعة من الإجراءات، أهمها تصعيد في نشاط الإرساليات التبشيرية، وزيادة أعداد المبشرين أكثر من ألف مبشر بشكل لم يسبق له مثيل منذ احتلال المغرب سنة 1912 م، وتعيين عدد من رجالها المتعصبين والحاقدين على الإسلام في أهم الوظائف الإسلامية مثل العدلية الإسلامية، ومسؤول مكتب المطبوعات العربية، ومدير التعليم الإسلامي، ومسؤول مكتب الوثائق التاريخية، ليمارسوا نشاطهم العدواني على الهوية القومية والدينية من خلال مناصبهم الحساسة، كما خصص البرلمان الفرنسي الاعتمادات المالية اللازمة لتصعيد حركة التبشير، فيما قامت السلطات الفرنسية في المغرب بتخصيص مبلغ يزيد على ثلاثة ملايين فرنك من ميزانية الدولة المغربية كإعانات للإرساليات التبشيرية، كما خصصت الكثير من إيرادات الأوقاف الإسلامية للأهداف المذكورة سابقاً³⁹¹، ولم تقف السلطات الفرنسية عند هذا الحد، بل اتخذت مجموعة من التدابير لزيادة من وتيرة النشاطات الدينية كالإرساليات التبشيرية والعمل على تسهيل مهامها الدينية داخل المستعمرات، فأقدمت على

390 الملكي المالكي: "تطور الاستعمار الفرنسي لأساليب غزوه للمغرب إلى حدود 1930 م"، مجلة

تاريخ المغرب، العدد 7 - 8، الرباط، المغرب، 1994، ص 152 - 159.

391 لقمان صالح أحمد القطان: المرجع السابق، ص 66، 67.

منع العلماء من مزاوله لمهامهم الدينية والثقافية والتعليمية، وأجبرت البربر على إرسال أبنائهم إلى المدارس التبشيرية بحجة التعليم العصري³⁹².

ومنه كان الظهير البربري لعام 1930 م، وما أعقبه من قرارات مكتملة خلال مرحلة الثلاثينيات منظوراً مستقبلياً يستهدف وحدة النسيج الاجتماعي الوطني والإقليمي والقومي الموحد تاريخياً ودينيّاً وحضارياً، ومن هنا أدركت العناصر الوطنية خطورة هذا الاتجاه الاستعماري، وبدأت في استجماع نشاطها على ضرورة الانطلاق بحركة وطنية منظمة واعية تعمل على انتزاع حقوقها المهضومة وتحقيق حرية البلاد واستقلالها ووحدتها، فضلاً عن الدفاع عن هويتها العربية الإسلامية، وكان ذلك بتأسيس «كتلة العمل الوطني المغربية» وبداية المواجهة الشرسة والواعية ضد المشروع التعصبي التقسيمي الفرنسي المهدد للوحدة الاجتماعية والوطنية وكذلك الإنتماء الديني والقومي والحضاري للمغاربة.

ب: الموقف المغربي من السياسة البربرية

أدى الاحتلال الفرنسي والإسباني للمغرب سنة 1912م، وما تمخض عنه من إجراءات استعمارية سياسية واقتصادية واجتماعية، إلى ثورة الشعب المغربي على الحماية المزدوجة منذ سنة 1912 م، نجد في منطقة الشمال المغربي الخاضع للاحتلال الإسباني قامت الثورة المسلحة بقيادة الشريف أحمد الريسوني واستمرت حتى عام 1924 م³⁹³. وفي سنة 1919 م انطلقت أيضاً ثورة الريف بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي التي إستمر كفاحها حتى عام 1926 م.

³⁹² المرجع نفسه، ص 68.

³⁹³ محمد علي داهش: الشريف أحمد الريسوني. حياة وجهاد، المرجع السابق، ص 43 - 71.

أما في الجنوب المغربي الخاضع للاحتلال الفرنسي، فقد انطلقت الثورة المسلحة سنة 1912 م، واستمرت في مناطق جبال الأطلس والصحراء وجنوب المغرب متلاحمة مع كفاح الشعب الموريتاني ضد الاحتلال الفرنسي حتى عام 1934 م³⁹⁴.

ومع نهاية الكفاح المسلح بسبب عدم التكافؤ في الإمكانيات القتالية، قد أنضج الوعي الوطني على ضرورة العمل السياسي لانتزاع الحقوق الوطنية المغتصبة، كما أن صلابة الكفاح المغربي في مناطق البربر نبه سلطات الاحتلال الفرنسي إلى محاولة بلورة اتجاه بربري معاد للوحدة الوطنية والدينية المغربية، فكان على إثر ذلك إصدار «الظهير البربري» سنة 1930 م محاولة منها لإسكات الكفاح المسلح، ولتمزيق النسيج الاجتماعي الموحد للمغاربة، فضلاً عن سعيها لتشكيل كيانات عرقية ودينية خارج إطار الانتماء الوطني العربي الإسلامي للمغرب، وعلى هذا الأساس، أعلنت سلطات الاحتلال الفرنسي «الظهير البربري» في 16 مايو 1930 م، فقام المغاربة بجهود موحدة ضد هذا المشروع الاستعماري، فكانت بداية انطلاق الحركة الوطنية السياسية في المغرب.

وقد مر الكفاح العربي ضد «الظهير البربري» بثلاث دوائر متزامنة ومتداخلة، لكن جموع الدوائر عبرت عن غضب شعبي عام لها قادها علماء الدين والمتفقون ومن ورائهم الشعب المغربي ونظيره العربي الإسلامي.

تمثلت الدائرة الأولى بالبربر أنفسهم، فقد رأو فيه اعتداء صارخاً على دينهم وشريعتهم ومقدساتهم، وأعلنوا تمسكهم بهويتهم الدينية والوطنية، فعارضوه وقاوموه بقوة وصلابة³⁹⁵. ولعل أبرز مواقف الاستياء والمعارضة للظهير البربري تجمع الحشود البربرية حول المحاكم

394 علال الفاسي: الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 105 - 108 .

395 صفوان ناظم داوود حسن: العراق وقضية التحرر والاستقلال المغربي 1921 - 1951، رسالة

ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2001، ص 21.

التي أقامت السلطات الفرنسية المحتلة، وإعلانهم أنهم لا يريدون إلا الإسلام وتطبيق الشريعة الإسلامية، وأرسلوا الوفود إلى السلطان محمد الخامس (1927-1961م) يطالبون بإرسال القضاة الشرعيين ومحاكم شرعية إسلامية، ونتجت لهذا تعرض البربر لحملة القمع والاضطهاد والاعتقال وصلت إلى أربعة آلاف رجل، ولم تقف مقاومة البربر عند ذلك، بل عملوا على مقاطعة البضائع الفرنسية³⁹⁶.

وقد بدأت الدائرة الأولى تتوسع في محيطها الاجتماعي المغربي، بحيث اتحد البربر والعرب ووقفوا وراء القوى الوطنية لمواجهة السياسة الاستعمارية التي هددت وحدتهم الوطنية وانتماءهم الديني والقومي والحضاري.

ومع وضوح الطابع العدواني الإستعماري على الهوية الدينية والعربية أدى إلى انتقال المواجهة المغربية إلى الدائرة الأوسع وأشمل أي وطنية والدعوة على تعميم اللغة العربية والتعليم الديني الإسلامي واحترام اللغة العربية في الإدارات والمحاكم والعمل على توحيد البرامج التعليمية، لكن السلطات الفرنسية أصرت على تطبيق قرار الظهير البربري، ولهذا فقد تجمع الوطنيون المغاربة ومن ورائهم الشعب في مساجد العاصمة فاس وبقية المدن الكبرى، وأقيمت الخطابات وتأججت المشاعر، وخرجت جموع المتظاهرين إلى شوارع البلاد في أوائل حزيران/ يونيو 1930 م متجهة صوب مقر الحاكم العسكري الفرنسي في فاس للتعبير عن احتجاجهم، وكان رد السلطات الفرنسية المحتلة على المتظاهرين بالعنف والإرهاب والاعتقال لقيادات الحركة الوطنية وقواعدها، وتمخض عن ذلك إعلان الإضرابات العامة، ووقوع صدامات عنيفة بين الشعب والسلطات الفرنسية المحتلة، فيما قامت هذه الأخيرة بإعلان الأحكام العرفية،³⁹⁷ وعلى الرغم من هذا كله تواصلت الاضطرابات والتظاهرات

396 لقمان صالح أحمد القطان: المرجع السابق، ص 78، 79.

397 علال الفاسي: الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 45، 46.

والاصطدامات الشعبية العارمة ضد سلطات الاحتلال حتى أواخر سبتمبر من سنة 1930م، وفي الجهة المقابلة، أصرت السلطات المحتلة على الاضطهاد والملاحقة والاعتقال، فضلاً عن إقتحام المساجد وتدنيسها وإقفالها أمام المصلين³⁹⁸.

أما في منطقة الاحتلال الإسباني، فقد قام الشعب المغربي وقواه الوطنية بالاحتجاج على "الظهير البربري" وتقديم الاحتجاج إلى سلطان المغرب محمد الخامس، وإلى المقيم العام الفرنسي لوسيان، وإلى وزارة الخارجية الفرنسية³⁹⁹، وقد عبر هذا الموقف في الشمال المغربي عن الوحدة الوطنية المغربية على صعيد الشعب وزعماء الحركة الوطنية في منطقتي الاحتلال الفرنسي والإسباني، وكانت هذه كبدية لتتساق العمل الوطني بين المغاربة في سبيل تحقيق الحرية والاستقلال والوحدة المغربية.

استمر الشعب المغربي وزعماء الحركة الوطنية في مقاومة «الظهير البربري» وإصرار السلطات الفرنسية المحتلة على فرضه واستكمالها بقرارات لاحقة، لا بل شددت من قبضتها على المغرب بعد انتهاء مرحلة الكفاح المسلح سنة 1934 م، وأصدرت قراراً آخر في العام نفسه يؤكد سياستها البربرية وسعيها إلى الفصل العنصري والديني، واتخذت الوسائل القمعية لمنع المغاربة من المطالبة بحقوقهم المشروعة وإيصال صوتهم المنتقد والمعارض والمواجه للسياسة البربرية، وعملت على تعطيل الصحف الوطنية؛ كما منعت دخول الصحف والمجلات العربية، على الرغم من محدوديتها. وحذرت من تحركات علماء

398 الحسن بوعياض: الحركات الوطنية والظهير البربري، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، المغرب،

1979، ص 17 ، 18 .

399 لقمان صالح أحمد القطان: المرجع السابق، ص73.

الدين والوعاظ، ومنعتهم من إلقاء المحاضرات الدينية الحرة، خوفاً من تنوير الشعب وتوعيته على سياستها الاستعمارية وفي العدوان على الهوية العربية والدينية خاصة⁴⁰⁰.

وعلى العموم نرى إن الإجراءات القمعية لسلطات الاحتلال الفرنسي لم تكن من عزيمة الشعب المغربي بأجمعه عن الاستمرار في المواجهة وتنظيم الجهود السياسية لتفعيل المواجهة ضد الاحتلال الفرنسي وسياسته في مختلف المجالات.

400 لقمان صالح أحمد القطان: المرجع نفسه، ص 73.

رابعاً : تكون الأحزاب السياسية

نشأت الحركة الوطنية السياسية في شمال المغربي على يد مجموعة من رجالات الحركة الوطنية المغربية أمثال: عبد السلام بنونة، عبد الخالق طريس، محمد مكي الناصري، وآخرون وكان ذلك عام 1926 في مدينة تطوان، وقد اتفقت هذه المجموعة في الأهداف والغايات وأسلوب العمل مع الحركة الوطنية في الجنوب المغربي، وقد تسترت الحركة الوطنية الشمالية وراء واجهات دينية وثقافية، واستمرت بعملها بشكلها سري حتى بداية شهر سبتمبر 1930 حيث ظهرت تحت إسم الهيئة الوطنية الأولى، وكانت قاعدتها الاجتماعية الأولى قد تشكلت من المثقفين، وكبار الملاك ذو التوجه الوطني ثم تحول بعد ذلك إلى اسم "وفد مطالب الأمة".

تحولت الكتلة إلى وفد مطالب الأمة في عام 1931 م، وقدمت باسم "الشعب المغربي"، مطالب إصلاحية إلى الإدارة الإسبانية في 08 جوان 1931 م، إلا أن الإدارة الإسبانية لم تلتفت إلى مطالبهم ولم تعرهم أدنى اهتمام، وخلال الفترة الممتدة من 1931 إلى غاية 1934 م لم يتعد نشاط الحركة الوطنية المجال الثقافي كتأسيس النوادي والجمعيات الخيرية والطلابية، والمجلات الثقافية كمجلة السلام وجريدة الحياة⁴⁰¹، سرعان ما توسعت الحركة الوطنية في الشمال لتشمل جميع الفئات الاجتماعية، وهذا أعطاهم القوة في نشاطها السياسي في الدفاع عن مصالح الشعب أمام الإدارة الإسبانية، وقد جاءت الأوضاع الداخلية الإسبانية بإنعكاسات ايجابية على الشمال المغربي، بحيث كان لها الأثر الكبير في انتعاش الحركة الوطنية في الشمال.

⁴⁰¹ محمد سلام أمزيان :عبد الكريم الخطابي ودوره في اللجنة تحرير المغرب العربي 1947-1956

رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، 1988، ص 13 .

وهكذا أن الجنرال فرنكوا⁴⁰²، اعتمد في تمرده بشمال المغربي لما له من الأهمية الإستراتيجية والعسكرية والبشرية، وبعد تردد لم يطل اقتنع الزعماء السياسيون بضرورة المهادنة ثم التعاون مع العسكريين والتعاضدي عن حشده للآلاف من المواطنين للقتال في صفوفه مقابل الوعود بإطلاق الحريات والسماح لهم بتأسيس الأحزاب سياسية، فقد عرفت الهيئة الوطنية ما ينوي به العسكريون ضد حكومة الجبهة الشعبية الاسبانية، فعملت على استغلال ذلك للحصول على مكاسب وطنية لتخدم مصالح الشعب المغربي، فلهذا نجد أنها بعثت وفدا إلى حكومة مدريد لشرح الأوضاع العامة، وطالبت بضرورة تمتع المغاربة بالحريات الديمقراطية التي تخولهم حق تنظيم أنفسهم لدفاع عن كل ما من شأنه أن يهدد مصيرهم وحرياتهم، لكن الجبهة الشعبية لم تعطي للوفد المغربي ادني اهتمام بل تعرضت رجالات الهيئة الوطنية للملاحقة والاعتقال خصوصا العناصر المعروفة بميولها النقابي وتشديد على جميع تحركات رجالات الهيئة الوطنية، وخاصة بعد احتجاج الخليفة حسن بن مهدي في اليوم الموالي للانقلاب العسكري .

أما كتلة العمل الوطني في الجنوب المغربي الواقع تحت النفوذ الفرنسي كان موقفها مساند ومناصرة للقضية الشمالية (الحركة الوطنية الشمالية) أثناء المباحثات وفدها مع وفدي الحكومة الجبهة الشعبية في باريس ومدريد، ولكن الطرفين لم يصل إلى نتيجة مرضية، كما أسلفنا سابقا⁴⁰³ .

⁴⁰² فرنشيسكو فرنكوا (1892 – 1975) عسكري متشدد قاد اللفيف الأجنبي خلال حرب الريف وجرح فيها، تزعم الحرب ضد الجبهة الشعبية الاسبانية انطلاقا من شمال المغرب (1936 – 1939) وعد بإعادة الملكية وهو ما حدث بعد وفاته سنة 1975. ينظر :محمد أمزيان :محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 42 .

⁴⁰³ علال الفاسي : محاضرات في المغرب العربي، المصدر السابق، ص 215 – 217 .

وجميع محاولات الوطنيين المغاربة لم تكن خافية عن الجنرال فرنكو مما جعله يتبع دبلوماسية جديدة لتهدئة الشعب المغربي في الشمال وإجراء العديد من الاتصالات مع قادتها، فأمر مبعوثيه بإجراء اتصالات مع رجال الحركة الوطنية وتأكيد لهم أن اسبانيا الفرنكية مستعدة لمساعدة المغاربة ومنحهم جميع الحريات الديمقراطية، وهكذا نجد أن الجنرال فرنكو بدأ يتساهل مع رجالات الحركة الوطنية وأعطى لهم حق العمل السياسي والثقافي ومنحهم حرية إصدار الصحف مثل صحيفة الريف، والحرية، ومن جهة أخرى ضلت الاتصالات قائمة بين الوطنيين في الشمال والجنوب بشكل مفتور أو أدق معنى بشكل معنوي لأن الحدود فيما بينهما قد كانت مشددة حالت دون الاتصال المباشر فيما بينهما، لكن الطرفين قد كان متفقين في اغلب المبادئ والأهداف، وهي العمل على حرية المغرب واستقلاله ووحدته في ظل العرش العلوي تحت سلطة محمد الخامس، والتأكيد على التمسك بالإسلام والعروبة طريقة ومنهاجا⁴⁰⁴.

وقد كان من نتائج التقارب ما بين رجالات الحركة الوطنية والجنرال فرنكو أن استطاع الوطنيون على تأسيسي الأحزاب السياسية وهكذا نجد أن عبد الخالق طريس قد أسس الحزب الإصلاحى الوطنى الذى اصدر صحيفتى الحياة باللغة العربية والثانية الحرية، كما أسس محمد المكي الناصري حزب الوحدة المغربية ، واصر صحيفه تحمل اسمه باللغتين العربية والاسباني، وقد كانت الخريطة السياسية خلال العقد الثالث من القرن العشرين توضح بأن هناك تناسق بين الأحزاب الوطنية في الشمال والأحزاب الوطنية في الجنوب كما كان لها موقف موحد في اغلب المطالب والأهداف، خلال المرحلة الممتدة من 1936 إلى غاية 1939 م، ونتيجة التقارب بين الجنرال فرنكو وزعماء الحركة الوطنية بالشمال سمح للعديد منهم تقلد مناصب ثقافية ودينية كالأوقاف والعدل واستمرت الحالة هادئة بين الطرفين خلال

⁴⁰⁴ دوجلاس أشفورد : التطورات السياسية في المملكة المغربية، ط1، دار البيضاء، المغرب ، 1964

الحرب العالمية الثانية (1939-1945 م)، حيث وقف الجنرال فرنكو على الحياد بين دول الحلفاء و دول المحور⁴⁰⁵.

وقد استغل الحزبان (حزب الإصلاح الوطني، حزب الوحدة المغربية) هامشا من الحرية لتتديد بالحماية الفرنسية في منطقة نفوذها وتشنيع بممارستها القمعية في الحين نجدهما قد غضا البصر اتجاه الإدارة الاسبانية، على سبيل المثال لا الحصر، دعا حزب الوحدة المغربية بصريح العبارة: " إلى التعاون والنقد البناء والصدائة الوثيقة بين الشعبين المغربي والاسباني"⁴⁰⁶.

ومن ناحية التنظيمية والتعبوية فإن تأثير الحركات المنتشرة في المشرق العربي وأوربا خلال فترة الثلاثينيات من القرن 20، قد ظهر جليا على الزعيم التطواني عبد الخالق طريس بضرورة تنظيم كتيبة شبابية داخل الحزب، وكان طريس يعتقد أن كتائب الفتيان كدعامة أساسية للحزب تدل على مظهر من القوة، ولذلك نجده يقول: " فكل وطني يلزم أن يكون فتى من الفتيان ولو لم تساعده الظروف على اللباس، يلزم أن تكون بذلته في بيته، إذ كان المصحف ديننا وعقيدتنا فالبذلة مثال عملنا وروحنا، فمن كان من الوطنيين محتفظا ببذلته وممثلا له خير تمثيل كان حاملا لخير شعار للحزب " ⁴⁰⁷.

ومن الأمور التي ركز عليها أيضا طريس بضرورة مبدأ الطاعة العمياء للحزب والقادة⁴⁰⁸ والدعوة إلى هيمنة الحزب الواحد⁴⁰⁹، فمن المؤكد أن وجود حزب منافس للحزب

⁴⁰⁵ دوجلاس أشفورد : المصدر نفسه، ص 68 .

⁴⁰⁶ ر. ريزيت : المصدر السابق، ص 146 .

⁴⁰⁷ محمد أمزيان :محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص45 .

⁴⁰⁸ طالب طريس في حشد من سكان شفشاون بضرورة الامتثال لأوامر الحزب لأنها " الوسيلة التي تمكن من تحقيق ما تريدون " ويضيف في مكان آخر : " أمامنا برنامج سياسي لن نحصل على شيء منه

الإصلاحي الوطني قد يسبب إزعاجا كبيرا لعبد الخالق طريس، إذ نجده يقول بالحرف الواحد: " لا يعقل أن يوجد في هذه الأمة حزبان ولا يسمح ضمير الأمة بوجود حزب آخر يقضي بتشتيت هذه الأمة، وليس هناك غير حزب الأمة والله وللوطن"⁴¹⁰، بل ذهب إلى حد إتهام حزب الوحدة المغربية إلي تعاونها مع الاستعمار ويستند في ذلك إلى ما تلقاه الحزب المكي الناصري من دعم مادي ومعنوي من الإدارة الاسبانية⁴¹¹.

وبالقياس النتائج السابقة فإن تقارب بين إدارة الحماية الاستثنائية الجديدة وزعماء الحركة الوطنية المغربية لم يعد بالنتفع على المغرب والمغاربة بقدر ما أفاد الجبهة الشعبية بقيادة فرانكو في توطيد النظام الدكتاتوري وتحسين صورته أمام الرأي العام العربي في المشرق، وعلى حد قول ريزيت فإن الوفاق: " بين الوطنيين بمنطقة الخليفة والنظام الفرانكفوني كان في وفاق تماما"⁴¹².

أما الزعماء الحركة الوطنية في الجنوب الواقعة تحت السلطة الفرنسية، فقد عمدوا على توسيع قاعدتهم الشعبية وتحويلها إلى حزب سياسي وقرروا بضرورة تشكيل مجلس وطني و

إلا إذا تضامنا وضعفت روح الأناية فينا وأصبحنا عبيد أرقاء لمبادئنا السامية " ينظر : محمد أمزيان : المرجع نفسه، ص 46 .

⁴⁰⁹ وعبر عن هذا الاتجاه طريس وصرح عن معارضته الشديدة عن السماح بتعدد الأحزاب فقال لأحد الجلساء : "فهمت الآن من كلامك انه ستكون بهذه المنطقة عدة أحزاب فهل تعتقدون أن هناك عدة حركات وطنية تتطلب وجود عدة أحزاب سياسية ؟ إذا كان الأمر كذلك فهذا يعني أنكم ستتعنون سياسة التفرقة بخلق أحزاب خالية لا قاعدة شعبية لها " ينظر : محمد ابن عزوز حكيم : المرجع السابق، ص 59 .

⁴¹⁰ محمد أمزيان :محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 46 .

⁴¹¹ ر. ريزيت : المصدر السابق، ص 144 .

⁴¹² ر. ريزيت : المصدر نفسه، ص 137 .

للجنة تنفيذية ينتخب أعضائها بالاقتراع السري، بحيث توج على إثرها 3 جانفي 1937م، بفوز علال الفاسي برئاسة المجلس ومحمد حسن الوزان بالأمانة العامة⁴¹³، وعلى مستوى التنظيمي أدت نتيجة الانتخابات إلى انشقاق الكتلة إلى فصلين :

- الحزب الوطني لتحقيق المطالب المغربية بزعامة علال الفاسي .
- حزب الحركة القومية بزعامة حسن الوزاني .

ورغم أن كلا من هاذين الشخصين قد كانا من بيئة واحدة إلا أنهما اختلفا اختلافا جذريا في فكرهما، فالوزاني بحكم تشبعه بالثقافة الغربية وعلاقته ببعض السياسيين الاشتراكيين الفرنسيين، كان يرى بضرورة الاهتمام بمسألة الدستور، في حين كان علال الفاسي يربط نشاطه السياسي بالنظام الملكي عكس ما ذهب إليه الوزاني⁴¹⁴ .

وقد انبثق عن الحزب الوطني بالجنوب عدت للجان فرعية منها للجان التعليم والإصلاح الديني والاجتماعي والإغاثة الوطنية والتفويض الخلقى والصحافة والدعاية والشباب الوطني وحماية فلسطين والأماكن المقدسه والشؤون الاقتصادية⁴¹⁵، وباستعراض ميادين هذه اللجان نجد أن مسألة الوجود الاستعماري لم تكن أمرا هاما في جوهرها ولم تلقى ما كان منتظرا، سواء من الحزب الوطني أو الحركة القومية، ومضى كلا منهما يمارس نشاطه السياسي على حدى في إطار المشروعية التي تخولها الحماية، ورغم هذا كله لم تسمح

⁴¹³ علال الفاسي : الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 192 .

⁴¹⁴ جلال يحي : عبد الكريم الخطابي، سلسلة أعلام العرب، ط1 ، دار الكتاب العربي، القاهرة ، مصر ، 1968، ص 267 .

⁴¹⁵ علال الفاسي : الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 200 .

السلطات الحماية لقادة الأحزاب بممارسة نشاطهم السياسي فأبعدت محمد حسن الوزاني إلى أقصى جنوب المغرب ونفت علال الفاسي إلى الغابون⁴¹⁶.

شكلت الحرب العالمية الثانية فرصة ثمينة أمام الحركة الوطنية للعمل الوطني بمساعدة الشعب لرفع من حريته ولضمان استقلال المغرب، وخاصة بعد سقوط فرنسا تحت احتلال الأمانى، لكن السلطان قد ابدى تأثره وجدد ولائه بتلك البلاد المغلوبة عن أمرها⁴¹⁷، وبرر احد الكتاب موقف السلطان بقوله: "رغم انه لم تكن لفرنسا هذه الأيام قيمة حتى من حلفائها احتقارا لها ظاهرا... فإن محمد الخامس المؤمن بحرية الشعوب وحقها في استقلالها، لم ينتكر لفرنسا... واطهر في مواساته ونصرتها ما لم يقدر عليه غيره لو كان مكانه"⁴¹⁸.

ويتضح مما سبق أن الحركة الوطنية لم تطالب خلال الفترة الممتدة من 1939 إلى 1942م، بإلغاء الحماية بل نادى بمطالب إصلاحية تحت سقف الحماية، لكن تطورات الحرب العالمية الثانية، وملابسات نزول القوات الحلفاء بالمغرب في نوفمبر 1942، وانعقاد مؤتمر "أنفا" بدار البيضاء، وصدروا قبل ذلك ميثاق الأطلس، كل هذا أسهم بشكل كبير في ارتفاع سقف مطالب الحركة الوطنية، بحيث نجد أن حزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية قد إتفقا على صياغة ميثاق وطني عرف باسم "الجبهة القومية المغربية" في 14 فيفري 1943م، نادى لأول مرة في التاريخ الحركة الوطنية على ضرورة سقوط نظام الحماية في كامل ربوع المغرب.

⁴¹⁶ وامتدت فترت نفي علال الفاسي إلى الغابون من سنة 1937 إلى سنة 1947، ينظر : محمد

أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 50 .

⁴¹⁷ روم لاندو : تاريخ المغرب في القرن العشرين، المصدر السابق، ص 251 .

⁴¹⁸ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 51 .

وفي جهة جنوب المغرب الأقصى كان الحزب الوطني قد تحول مع نهاية مع نهاية الحرب العالمية الثانية إلى حزب الاستقلال الذي دعا بكل صراحة على ضرورة إلغاء الحماية في الوثيقة الاستقلال التي أعلنها يوم 11 جانفي 1944 م⁴¹⁹، ورغم هذا كله كان موقف الإدارة الفرنسية تجاهل هذا البيان، وادعت عدم فهمه، ومنه استوجب على الحزب بصياغة بيان آخر توضيحي يوم 19 جانفي 1944 م⁴²⁰، وقد لقي هذا البيان ترحيبا على المستوى الشعبي، فأحست فرنسا مكامن الخطر وباشرت بجملة من الاعتقالات لزعماء، وبمواجهات مباشرة مع المتظاهرين العزل مما جعل الإدارة الفرنسية تستعين ببعض الشخصيات الحزبية لتهدئة الأوضاع في المناطق التي وقعت فيها المواجهات العنيفة في كل من سلا، وفاس، ودار البيضاء⁴²¹.

وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية عينت فرنسا مقيما عاما جديد وهو "إريك لابون" الذي استهل عهده بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين والعمل على إشراك الوطنيين في وظائف إدارية، وإدخال إصلاحات اقتصادية كان هدفه الأساسي تحييد مطالب النخبة السياسية و تجميدها، غير أن هذه السياسية الجديدة أغضبت المعمرين المتشددون داخل المغرب وضغطت على السلطات الفرنسية على إقالة " لابون" من منصبه وتعيين الجنرال جوان الذي مارس السياسية ذات الوجهين:

- مواصلة استمالة زعماء الحركة الوطنية بترسانة من الإصلاحات السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

⁴¹⁹ علال الفاسي : الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 349 .

⁴²⁰ محمد حسن الوزاني : حياة و جهاد (مذكرات)، ج2، ط1، بيروت، لبنان، 1982، ص 105

، 106 .

⁴²¹ المصدر نفسه، ص 132- 152 .

- ممارسة الضغط والقوة وكذا القمع ضد الصفوف الشعبية بالتنسيق أحيانا مع السلطات الاسبانية⁴²².

وعلى العموم فخلال مدة حكم الجنرال جوان مارس سياسة ذات وجهين، مواصلة استمالة زعماء الحركة الوطنية وذلك بإصدار مجموعة من الإصلاحات الشكلية هذا من جهة، ومن جهة ثانية ممارسة الضغط والقمع ضد صفوف الفئات الشعبية بالتنسيق أحيانا مع السلطات الاسبانية لتكثيل بالمواطنين .

وفي ظل هذه الظروف الحرجة التي كان يمر بها المغرب كان الامير عبد الكريم الخطابي في القاهرة يواصل جهوده مع والوطنين المغاربة لتوحيد الكفاح المغاربي المشترك وحرص الصف لزعماء الحركات المغاربية بشمال إفريقيا .

⁴²² محمد أمزيان :محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص56 .

المبحث الرابع : الخطابى فى المنفى

لقد كانت جمهورية الريف ثمرة نجاح الامير عبد الكريم الخطابى كما وضحنأ سابقا، ولكن سرعان ما تلاشى هذا النجاح بالتحالف بين اسبانيا وفرنسا لوضع حده لهذه الجمهورية ومؤسسها، بانهزام الامير تاركا ورائه صدى كبير لتجربة الريف لى الرأى العام العربى والإسلامى والدولى، لىتم نفى الامير عبد الكريم الخطابى فىما بعد الى جزيرة لارينيون المعزولة بهدف القضاء على اثر الامير بالكامل وبأقل الأضرار، وهذا ما سنناقشه فى هذا المبحث .

أولا : نهاية حرب الريف ورحلة المنفى

أدى التحالف الامبريالى الاسبانى الفرنسى الى وضع حد للامير محمد بن عبد الكريم الخطابى فى إرساء وتثبيت مشروعه السياسى فى الريف، ولهذا نجد أن كلا من فرنسا واسبانيا، قد استخدموا سياسىة المفاوضات وإرسال الوفود تطبيقا للمثل القائل: " ما لم تحصل عليه بالسلاح، يمكن أن تحصل عليه بالدبلوماسية"، ولهذا نجدهما قد جعلأ "غوردن كانينغ" البريطانى وسيطا بينهم وبين الخطابى⁴²³، بهدف إلهاء الخطابى بالمفاوضات حتى تعد كلا من فرنسا واسبانيا نفسيهما لضرب الخطابى الضربة القاضىة، وهذا ما حدث فعلا بعد تأكدهما من أن سقوط جمهورية قد أصبح وشيكا، واستغنوا عن خدمات الدبلوماسية مع البريطانى كانينغ هذا من جهة، ومن جهة ثانية إعداد الرأى العام للساسة المستقبلية لهما التى فى أغلبها تكون وحشية ترحت ذريعة أن الخطابى رفض المفاوضات⁴²⁴.

ونجد أن الإدارة الفرنسية قد دعت الى ضرورة عقد مؤتمر وجدة الذى كان الحلقة الأخيرة من حلقات المفاوضات الخادعة، وقبل الخطابى حضور المؤتمر ومثله فىه الوزير الخارجية

⁴²³ روجر ماثيوا : المصدر السابق، ص 123 .

⁴²⁴ سلمان إسماعيل :المرجع السابق، ص 65 .

أرزقان، والكاتب أحمد، ومعينين حدو بن حمو، والمترجم عبد القادر بوزار الجزائري، أما في الجهة المقابلة قد حضر الممثل عن الفرنسي الجنرال موجان، ورئيس الاستعلامات دوكلو، ومن جهة اسبانيا حضر في هذا المؤتمر الجنرال "أكيار" والمفوض عن الإدارة الإسبانية "أوليبا" ⁴²⁵، واشترطت السلطات الفرنسية والإسبانية أنها لا تتفاوض مع الخطابي إذا لم يقبل بهاذين البندين أو الشرطين:

- الشرط الأول، نزع السلاح من القبائل الريف ونفي الخطابي .
- الشرط الثاني، إطلاق سراح جميع الأسرى والسماح للقوات الاسبانية والفرنسية احتلال بعض المناطق المجاورة للريف .

لكن موقف الخطابي وقبائل الريف الرفض النهائي والقطعي لهذه الشروط، مما أدى الى فشل المؤتمر وتوقف المساعي الإصلاحية والحلول السلمية بينهم، لكن حقيقة الأمر كان هذا المؤتمر مجرد لعبة سياسية من طرف فرنسا واسبانيا لريح الوقت لتطبيق خطتهم العسكرية التي بدأت بالهجوم الاسباني على القواعد العسكرية بالريف، وإجبار قوات الخطابي بتحويل قيادته من تماسينت الى قرية بوصالح ⁴²⁶، وهذا بعد أن تعرضت تماسينت ألي حملة عنيفة من القصف البري والجوي، حيث ألقت 73 طائرة أكثر من ألف طن من القذائف دون احتساب الغازات الخانقة ⁴²⁷، وبهذا أصبح فشل المقاومة محتوما، بحيث سقطت منطقة "تكريست" في يد الفرنسي وأغادير ورأس العابد في يد الإسبان في أوائل ماي 1926 م ⁴²⁸،

⁴²⁵ أحمد سكيرج الأنصاري الخزرجي :الظل الوريث في محاربة الريف، مطبعة كوثر برانت، الرباط، المغرب، 2010، ص 94 .

⁴²⁶ سلمان إسماعيل : المرجع السابق، ص 65، 66 .

⁴²⁷ زكية داود عبد الكريم : ملحمة الذهب والدم، ترجمة : محمد الشركي، منشورات وزارة الثقافة، الرباط ، 2007، ص 263 .

⁴²⁸ أحمد سكيرج : المصدر السابق، ص 56 .

فانسحب الخطابي من الميدان بتسليم نفسه للفرنسيين 27 يونيو 1926م، وقد خلفت التجربة الريفية ورائها صور متباينة لدى الرأي العام العربي الإسلامي والدولي .

وانتهت حرب الريف بعد أن قاد الخطابي المجاهدين في ملحمة الدفاع عن استقلالهم وحریتهم، بشكل شرفي وإيمان قوي وتخطيط عسكري متفوق، ولم يرمي المجاهدين السلاح إلا عندما استنفذت كل وسائل المقاومة، ويقول عن ذلك "روبرت فورنو": "لو كان عبد الكريم همجيا قاسيا لرح الحرب وعندئذ سيفسق له كل العالم على اعتبار انه رجل رائع، ولقد أحقق لأنه كان يريد خوض الحرب وفقا لمقاييس التي كان خصومه يرفضونها" ⁴²⁹.

وعقب انتهاء الحرب الريفية بعث المقيم العام الفرنسي "أستيغ" ⁴³⁰، برقية تهنئة الى السلطان مولاي يوسف فكان جواب السلطان كما يلي: "إن برقيتكم قد غمرتني بالسعادة لأننا نرى في هذا الحدث نهاية التضحيات التي قدمتها فرنسا للمغرب من اجل الأمن وعودة السلام" ⁴³¹، كما نجد أيضا أن سلطان مولاي يوسف قد صرح بمناسبة حضور حفل الانتصار الفرنسي على الخطابي بالعاصمة باريس بمعية باي تونس قائلا: " انه لمن دواعي إمتناني العظيم أن نلبي دعوة حكومة الجمهورية الكريمة للقدوم الى فرنسا، و الانتصار الساحق للجيش الفرنسية ولقواتنا، التي وضعت حدا لتمرد هدد دولتنا، وأعاد الأمن والسلام ألي الامبراطورية الشريفة، ويسعدنا أن نعبر لسعادتكم عن عميق تأثرنا الذي أحسنناه هذا الصباح ونحن نتأمل ضريح البطل المجهول موكب الجنود، إخوة الذين أنجزوا في إمبراطوريتنا جليل الأعمال وبرهنوا على الشجاعة وطاقة التحمل، ويسرنا كذلك أن نعبر لكم عن عظيم عرفاننا لفرنسا، حامية المغرب على ما قامت به من مجهود جبار لتحقيق

⁴²⁹ روبرت فورنو : عبد الكريم أمير الريف ، ترجمة فؤاد أيوب، دمشق، سوريا، د.ت ، ص 203 .

⁴³⁰ عين خلفا للمرشال ليوتي يوم 27 / 9 / 1925 الى غاية 30 / 11 / 1928 .

⁴³¹ **Afrique Française** .Année 36 .N 6. JUIN 1926

مهمتها الحضارية في بلدنا... فنحن و رعايانا لن ننسى أبد مدى التضحيات العظيمة المقدمة من طرف فرنسا، للتعبير عن حقيقة الحماية والتي اعترفنا بها بكل صدق ... أقدم لكم سيدي الرئيس كل تمنياتي لسعادتكم الشخصية، وارفح كأسي لعزة فرنسا و ازدهارها " 432 .

وعلى اثر اعتقال الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، برزت مسألة خلاف بين بلدين فرنسا واسبانيا حول مصير الخطابي، فكان الفرنسيون يريدون بإبقاء الخطابي معتقل بالمغرب أو إبعاده الى فرنسا حتى تهدئ الحالة، بينما أصر الإسبان على ضرورة أن يكون النفي أبديا وبعيد عن البحر الأبيض المتوسط، وإتفقوا على أن لا يتخذ طرف أي إجراءات إلا بموافقة الجانب الآخر، وعلى هذا الأساس تم الاتفاق حول تقرير مصير الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي غادر أسرته من مدينة فاس يوم 27 غشت 1926م، الى دار البيضاء، وفي اليوم الثاني تحركت بهم الباخرة "عبدة " نحو جزيرة "قريول " قرب مدينة مرسيليا 433 .

وفي يوم 10 أكتوبر 1926 م، حملت باخرة أخرى الأمير عبد الكريم الخطابي وأهله، كما حملت شقيقه الأمير أحمد وأهله وعم الأمير عبد السلام الخطابي وأهله الى جزيرة "لارنيون" التي تقع على المحيط الهندي شرق مدغشقر، وأعدت فرنسا هذه الجزيرة لنفي البطل عبد الكريم الخطابي وعائلته، كونها بعيدة عن الجو السياسي للبحر الأبيض المتوسط، وطبيعة موقعها الحصين وانعدام اتصالها بالخارج لوقوعها في قلب المحيط، وكان يحرس باخرة التي نقلت الخطابي فصيلة كبيرة من الجنود الفرنسيين 434 .

⁴³² Afrique Française .Année 36 .N 7.JUILLET 1926 .

⁴³³ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 59، 60 .

⁴³⁴ محمد عبد المنعم إبراهيم المحامي، ومحمد عبد الوارث الصوفي: المصدر السابق، ص 91، 92 .

ثانيا : حياته في المنفى

تكاد أن تكون فترة منفى الأمير عبد الكريم الخطابي التي تجاوزت الأكثر من 20 سنة أن تغيب عن الدراسات المهمة بحياة عبد الكريم الخطابي، بحيث يتم التركيز إلا على الجانب العسكري أو على الجانب مدة إقامته في القاهرة والغياب شبه كلي عن نفيه في جزيرة "لارنيون"، وكانت مرحلة المنفى عند بعض الباحثين ليست لها قيمة في التاريخ النضالي للأمير عبد الكريم الخطابي وليس فيها ما يلفت نظر الباحثين والكتاب، وعلى عكس هذا التصور بل نعتقد أن المنفى كان مرحلة تأمل كبيرا للبطل عبد الكريم الخطابي، بحيث عايش تكالب القوى الاستعمارية على الشعوب المغلوبة على أمرها، ومما لا شك فيه انه كان يستحضر تلك الأعمال البطولية العسكرية والسياسية في الريف، ويدرس بهدوء مكامن ضعفها والأسباب التي عصفت بمشروعه السياسي في تأسيس جمهورية الريف على نمط عصري، وهناك بلورة تصور أكثر شمولية للظاهرة الاستعمارية التي يجب مناهضتها والتحريض عليها في كل مكان .

بالإضافة الى ما سبق كانت له في المنفى فرصة لتتبع ودراسة تجارب الآخرين، وتتبع آثارهم ومسيرة حياتهم، فنذكر على سبيل المثال انه اطلع على مذكرات مصطفى كمال أتاتورك، واهتم بمسيرة هذا الزعيم ويذكر الخطابي أن قراءته لمذكرات الزعيم التركي زادته إعجابا بـ مصطفى كمال في بعض جوانب عظمته وسياسته الإصلاحية العامة في خطوطها العريضة⁴³⁵، وفي المنفى تعرف على بعض المقاتلين الفيتناميين الذين سيقودون النضال العسكري في الهند الصينية في ما بعد ضد فرنسا⁴³⁶، واطلع أيضا على أسلوب الزعيم الهندي "المهاتما غاندي" في صراعه ضد الانجليز، وفي هذا الصدد يقول الأمير: " بدأت

⁴³⁵ محمد بن عبد الكريم الخطابي: في المنفى (مذكرات)، ج2، ط1 د.ت، ص 107 .

⁴³⁶ محمد بن عبد الكريم الخطابي: المصدر نفسه، ص 94 .

أُتبع نشاطه - غاندي - الوطني قبل الحرب العالمية الأولى وأنا في مدينة مليلة، وزاد إعجابي به عندما علمت عن طريق الصحافة انه تخلى عن ملابسه الفرنسية واتخاذ المغزل اليدوي لنسج ملابسه " 437 .

وانطلاقاً من هذه المعطيات تبين لنا أن الأمير عبد الكريم الخطابي لم يكن منعزلاً عن العالم الخارجي في المنفى، إنما ظل وثيق الصلة على ما يدور ويجري من حوله، ويظهر لنا أن مواكبة الأمير لتطورات السياسة العالمية ستفاجئ الزعماء المغاربة المتواجدين بالقاهرة فيما بعد، وبعدها كلن يعتقد هؤلاء بأن الأمير تحول الى تاريخ قد مضى وفات .

ونقلت فرنسا الأمير عبد الكريم الخطابي وأسرتة كما رأينا سابقاً من ميناء مرسيليا على متن باخرة تسمى "أميرال بيير" لتصل الى جزيرة لارنيون في 10 من أكتوبر 1926 م، ونزلت أسرة الخطابي في قصر مورانج الذي يقع بضواحي عاصمة الجزيرة ساندوني، وذلك وفقاً لتعليمات الفرنسية، وكان هذا القصر مهجوراً، بني قبل أكثر من مائة سنة حتى أن الخطابي سماه: "مستعمرة الحشرات والزواحف"⁴³⁸، وفي هذا الشأن يقول أيضاً الأمير: " قضينا ثلاثة أشهر مملة في شاطوا مورانج العتيق، والذي يحضر الى بابه كل صباح الساعة ثامنة دركي مسلح يظل جاساً بعيداً عن الحديقة بضعة أمتار حتى الساعة الواحدة زولاً ثم يختفي ، ويعود من الخامسة الى الثامنة مساءً، وتلك في الأوقات التي يمارس فيها الناس حياتهم الاجتماعية"⁴³⁹ .

ونتيجة لهذه الظروف والحياة الصعبة التي يعيشها الخطابي رأّت السلطات الفرنسية على تغيير سكن الخطابي وأسرتة لعدت مرات، لتستقر أخيراً في إقامة مسماة ب"كاستيل

⁴³⁷ المصدر نفسه، ص 124 .

⁴³⁸ على الإدريسي : المرجع السابق، ص 145 .

⁴³⁹ محمد بن عبد الكريم الخطابي: المصدر السابق، ص 41 .

فلوري" التي كانت تستوعب نوعا ما أسرة الخطابي وتحيط بها مزرعة⁴⁴⁰، وقد تعرض الأمير بن عبد الكريم الخطابي العديد من المضايقة والمراقبة المستمرة، إلا أن ذلك لم يبلغ الى حد الاستفزاز، وكانت جميع مراسلاته مع الخارج تخضع لعملية التفتيش والمراقبة⁴⁴¹، ولا يسمح لأي أحد بزيارته إلا بعد موافقة الحامية الفرنسية المكلفة بحراسته كما أن من المفروض على الإدارة الفرنسية أن تتولى إعالة أسرة الخطابة من الأموال التي استولت عليها من الخزينة الريفية، إلا أنها لم تعطي للخطابي سوى ربع مليون بسيطة⁴⁴²، وهذا المبلغ لم يكن يكفي لإعالة أسرته التي تضم أربعين فرد، مما فرض عليه تدبير مصادر أخرى لسد نفقات أسرته⁴⁴³، وبقي الحال على ما هو عليه، ولما أحس حاكم الجزيرة الفرنسي المسيو "غويكي" بكل هذه الظروف التي يتخبط فيها الخطابي، طلب من دولته مرارا في بار سان تخفف من قيود الأسر للأمير الخطابي وأسرته.

وأخير بعد عشرة سنوات، ومع وصول الجبهة الشعبية إلي الحكم في فرنسا، سمح للأمير بحق التنقل في أنحاء الجزيرة يصحبهم حرس شديد، كما سمح لهم بقراءة الجرائد والمجلات الفرنسية والكتب وانتقلوا بذلك الى مرحلة جديدة فيها نوعا من الفسحة، كما سمح أيضا للأمير الخطابي وأسرته شراء أرض صغيرة لزراعة الزهور العطرية⁴⁴⁴، فشرعوا في استثمار

440 على الإدريسي : المرجع السابق، ص 145 .

441 حاول الامير العديد من المرات الاتصال بأهله في المغرب، بحث صرح قائلا : " طول فترة المنفى كانت تصلني الخطابات بشكل غريب للغاية، أن الخطاب يرسل من مراكش في جانفي مثلا فيصل في أكتوبر أو ديسمبر أو جانفي التالي، كانت الرقابة الفرنسية تعطل الخطابات ..لتحرمني من الاتصال بأهلي و وطني .. " ينظر : مجلة القوات المسلحة، عدد 347، فبراير، مصر، 1960.

442 روجر ماثيو : المصدر السابق، ص 129 .

443 علي الإدريسي : المرجع السابق، ص 148 .

444 محمد عبد المنعم إبراهيم المحامي، ومحمد عبد الوارث الصوفي : المصدر السابق، ص 95 .

المزرعة المجاورة للبيت وفتح متجر بالعاصمة ساندوني تحت إشراف الأمير عبد السلام)
عم الأمير عبد الكريم)، وفي هذه الفترة إتصل الأمير ببعض التجار الهنود الذين وبقيمون
في جزيرة لارينيون ويتاجرون معهم، وهنا أحست أسرة الخطابي بشيء من الراحة وسهل لهم
ذلك الاتصال من بيع محاصيلهم البسيطة التي عملوا جميعا على إنتاجها، وقد ربط
الخطابي وعائلته العديد من العلاقات الوطيدة مع أفراد الجالية المتواجدة بالجزيرة، فساعدهم
هؤلاء على تجاوز الصعاب والشراء أراضي زراعية لإستثمارها أهمها مزرعة "تروي باسان
"trous bassins .

وبعد أن تمكن الخطابي من توفير مصادر الرزق لعائلته، والانتقال الى همه الثاني
هو تربية أبناء أسرته تربية إسلامية بالرغم من وجودهم في وسط مسيحي مغاير للعادات
والتقاليد الإسلامية⁴⁴⁵، لجأ الخطابي الى إلحاق أسرته بالمدارس العمومية بالجزيرة دون أن
يحصل على أي منح من السلطات الفرنسية، ورغم تلقي الأطفال هذا التعليم باللغة الفرنسية
إلا أن الخطابي كان مشددا فيما يخص تعليمهم اللغة العربية والامازيغية، وزيادة على ذلك
تلقينهم التعاليم الإسلامية وتحفيظهم للقران الكريم وأوكل هذه المهم الى عمه عبد السلام⁴⁴⁶.

كما نجد أيضا أن البطل عبد الكريم الخطابي قد وجد فرصة البعد عن العالم المادي،
خلوة واعتكاف وعبادة لعدت سنين أخذ نفسه فيها بالرياضة الروحانية الخاصة حتى يصقل
نفسه، وإحساسه ويعمل على تصفيته خالصة من جميع الشوائب الدنيا ومغرياتها،
وقد كان لهذا الاعتكاف أثاره على الأمير خصوصا وأنه نشأ على العبادة وحب رسول الله

⁴⁴⁵ علي الإدريسي : المرجع السابق، ص 148 .

⁴⁴⁶ علي الإدريسي : المرجع نفسه ، ص 152 .

والصالحين ولم يكن للأمير أن يجاهد وان يحارب هذه الحروب الخالده على صفحات التاريخ لو لم يكن شدد الإيمان، كبير القلب، عظيم الهمة⁴⁴⁷.

وكانت لهذه الخطوات نتائج إيجابية على حياة الأمير عبد الكريم الخطابي وأسرتة في الجزيرة لا سيما بعد أن شرعوا في ممارسة التجارة والزراعة، وأصبحوا ملاك وأصحاب مزارع، وإمتلكوا بيوت شتوية وأخرى صيفية، واندمجوا في المجتمع الجديد بعد أن يئسوا من إمكانية ترك الجزيرة أو أن مقامهم سيكون أبدا فيها⁴⁴⁸.

⁴⁴⁷ محمد عبد المنعم إبراهيم المحامي، ومحمد عبد الوارث الصوفي: المصدر السابق، ص 92، 93 .

⁴⁴⁸ محمد بن عبد الكريم الخطابي: المصدر السابق، ص 62 ، 63 .

ثالثا: محاولات خروجه من المنفى

منذ أن وطئت أقدام الأمير عبد الكريم الخطابي جزيرة "لارنيون" في 10 أكتوبر 1926م، فكر في ضرورة تقديمه طلب الى الحكومة الفرنسية يهدف طلب نقله الى تونس أو الجزائر، ولما زاره ضابطان فرنسيان مع مطلع سنة 1932 م، طلب منهما نقل مذكرته الخاصة بشأن نقله من الجزيرة، الى الرئيس مجلس وزراء فرنسا⁴⁴⁹، لكن بعد مشاورات الحكومة الفرنسية مع الحكومة الاسبانية، ذكرتهم هذه الأخيرة بما تقتضيه إتفاقية 1926، فكان رد السلطات الفرنسية برفض طلب الأمير بحجة أن عودته سيشكل مضايفة كبرى بالنسبة إلي الى جيراننا، وان الحرب بين اسبانيا والريف اكتسبت طابعا عنيفا لا يمكن محو ذكره⁴⁵⁰.

ولما سمعت الصحافة الاسبانية بهذا الخبر نشرته على صفحاتها، وإدعت بأن عبد الكريم الخطابي يريد العودة الى بلاده على أن يصبح خادما وحاميا للدولتين الاسبانية والفرنسية، وبمناسبة هذه الإشاعة بعث عبد الخالق طريس مقال الى صحيفة المساء القاهرية بعنوان " الزعيم عبد الكريم " نافيا الخبر من أساسه ومكذبا إدعاءات اسبانيا قائلا: " أشيع في هذه الأيام أن الزعيم ضاق ذرعا في منفاه، وانه طالب الحكومة الفرنسية إطلاق سبيله مرات عديدة على أن يعود الى موطنه ويعيش مشتغلا بحراثة أرضه مسالما للدولتين الحاميتين فرنسا واسبانيا"، وعلل عبد الخالق طريس ذلك: " للخطابي قصر من أفخم القصور الجزيرة، وأقرت له ماهية شهرية من ميزانية الدولة المغربية " فهو بهذا الاعتبار ليس بحاجة لطلب المزيد، هذا يعطينا دليلا قطعيا بأن طريس لم يكن يعرف الظروف التي كان يعيشها الخطابي التي تحدثنا عليها سابقا، ثم يضيف طريس: " إن عبد الكريم ليس من الغباوة لدرجة

⁴⁴⁹ PIERRE FONTAINE : op,cit ,P150 -152.

⁴⁵⁰ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 65 .

أن يغفل عن أخلاق أمة عاشر عظمائها وعرف طباعها أثناء الرخاء والشدة، فليس من السهل الشعور بأنه يجهل قتل الاسبانيين ونقض وعودهم، وعدم الاكتراث بالعهود التي يلتزمون بها حتى يطلب العودة الى أيديهم و الإقامة بينهم "، ووصل الأستاذ طريس أخيرا الى أن الإشاعة مستحيل تصديقها: " لما عرف عن عبد الكريم من النظر الثاقب، والذهن النفاذ"، وأضاف قائلا: " أما رغبته في النزوح عن منفاه فأضنها طبيعية وله الحق في المطالبة بها، لأن الحرية حق من حقوق الإنسان" ⁴⁵¹.

وفي نهاية سنة 1936 م أثناء وصول الجبهة الشعبية للحكم الفرنسي صادقت اللجنة المستعمرات في مجلس النواب الفرنسي على توصية تقضي بضرورة تحسين ظروف الخطابى وعائلته هذا من جهة ومن جهة ثانية النظر في نقله مع عائلته الى فرنسا ⁴⁵²، لكنها بقيت حبرا على ورق ⁴⁵³، وأثناء الصراع الألماني الفرنسي عرض النازيون في سنة 1936 م على الأمير عبد الكريم الخطابى فكرة تهريبه من المنفى وتمكينه من جديد في شمال إفريقيا، وكان الألمان يهدفون من وراء هذه الفكرة أو العملية للإستفادة من هيبة وأسطورية الأمير الخطابى العسكرية ومدى تأثيره على الرأي العام العربى والإسلامى، بيد أن هذا العرض قد رفضه الأمير إذ لم يرى فيه فائدة ترجى للوطن إنما هو نكاية بفرنسا، ويخدم المصالح الألمانية فقط ⁴⁵⁴، ولنفس الأسباب تقريبا رفض الأمير عبد الكريم الخطابى في السنة الموالية 1937 م عرضا مماثلا تقدمت به المخابرات الإيطالية ⁴⁵⁵.

⁴⁵¹ محمد ابن عزوز حكيم : أب الحركة الوطنية المغربية الحاج عبد السلام بنونة: حياته ونضاله، ج4، ط1، الرباط، المغرب، 1996، ص 222 - 224 .

⁴⁵² PIERRE FONTAINE : **op,cit** ,P156 .

⁴⁵³ GABRIELLI,Léon : **op,cit** ,P214 -216 .

⁴⁵⁴ محمد بن عبد الكريم الخطابى:المصدر السابق، ص 207 .

⁴⁵⁵ محمد بن عبد الكريم الخطابى:المصدر نفسه، ص 213 .

كما قامت لجنة إنقاذ الأمير عبد الكريم الخطابي⁴⁵⁶ التي تأسست مع مطلع سنة 1933 م، بالعديد من المجهودات تهدف لتخليص الأمير من المنفى ونقله الى إحدى البلدان الإسلامية، بحيث عمدت هذه اللجنة على اقتناء سفينة تجارية صغيرة مسجلة بإسم شركة عبد القادر أبو بكر وشركاه، واستطلاع هذا الرجل عبد القادر أبو بكر من أن يربط اتصالات بين محمد الدين الخطيب والأمير عبد الكريم الخطابي بهدف تهريبه من الجزيرة بمساعدة صاحب السفينة لكن هذا العمل كله باء بالفشل، لأن الأمير لم يستجب لعرضه بسبب أن الظروف تجددت في الجزيرة وخصوصا بعد وصول الجبهة الجديدة لحكم فرنسا هذا من جهة، ومن جهة ثانية الرقابة الشديدة على جميع تحركات الأمير⁴⁵⁷.

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية حاولت السلطات الفرنسية العديد من المرات استمالة الأمير عبد الكريم الخطابي الى صفها لمواجهة القوات الألمانية، وفي هذا الصدد يروى لنا الأمير سعيد نجل الأمير عبد الكريم الخطابي أن الحاكم العام الفرنسي لجزيرة لارنيون هو الجنرال ريو نيور: "طالب ذات يوم من الأمير إلحاق ابنه الأكبر، وابن أخيه، وابن عمه بعد أن ينهوا الدراسة المرحلة الثانوية التحاق بالجيش الفرنسي بنية إرسالهم فيما بعد الى الفيتنام ليحاربوا في صفوف القوات الفرنسية، فرفض الأمير الطلب بإصرار وتصميم قائلا له: كيف تريد مني أن أوافق على ارسال أولادي لدفاع عن فرنسا وهي التي نفتهم من

⁴⁵⁶ أسس هذه اللجنة في القاهرة الأستاذ محب الدين الخطيب في بداية عام 1933 م، واستمرت جهودها لتخليص الامير عبد الكريم الخطابي الى غاية 1938 ، وضمت أكثر من 27 شخصية إسلامية من مصر، سورية، العراق، اندونيسيا، أفغانستان، الهند، تركيا، ومن بين الشخصيات البارزه فيها : الملك عبد العزيز آل سعود عصمت انونو، عبد الرحمان عزام باشا ن الشيخ حسن البناء، الامير شكيب أرسلان ، محمد على جناح، احمد سوكارنو وغيرهم، ينظر : محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 68 .

⁴⁵⁷ محمد سلام أمزيان : قصة نزول الامير عبد الكريم في مصر، د.ت، ص 85 .

بلادهم؟ فقال له المحافظ: تعرف أنني أحترمك كثيرا وتربطني بك صداقة وأقول لك بصراحة بأن هذه البادرة هي التي ستجعل فرنسا تعفوا وتنتهي أسرك، فرد عليه الأمير التقي والمجاهد العظيم: أقول لك أنت تؤمن بأن فرنسا هي التي بيدها الأمر، وأقول لك بأن مصيري يتوقف على إرادة الله وليس على إرادة فرنسا، واليوم الذي سيقدر رب العالمين الإفراج عني سيحدث بلا أدنى شك فبهت الرجل وزاد احترامه للأمير البطل «458» .

كما نجد أيضا أن الأمير قد كان موقفه حيادا مع الصراع الفرنسي على الحكم بعد سقوط حكومة فيشي، إذا نجده يقول عن هذا الصراع: "ليس لنا ما يدفعنا الى تأيد فريق على آخر ولكننا مغتبطون لموقف الجنرال ديغول في التمسك بالحرية والدفاع عن مبدئ الديمقراطية"، وبصفة عامة لم يكن الأمير ينتظر خيرا لا من "بيتان" ولا من "ديغول" «459»، وفي سنة 1942 طلبت أيضا المخابرات الألمانية من الخطابي أثناء الحرب العالمية الثانية وبالخصوص بعد سقوط جمهورية فرنسا فيما أراد الهروب من الجزيرة مع ضابط البحرية الألمانية، لكن الأمير رفض هذا المسعى لمجموعة من الاعتبارات ذكرناها سابقا «460»، ورغم طلب الأمير المتواصل للإدارة الفرنسية بضرورة نقله الى تونس أو الجزائر إلا انه كلل جميعها بالرفض بحجة أن عودته ستسبب مضايقه كبيرة للأسبان وأن هذا يعد خرقا للإتفاق الفرنسي الاسباني في منتصف 1926 م . «461»

ومنه على العموم نجد أن حياة الخطابي في المنفى لم تكن فترة فراغ أو خمول كما صن بعض المؤرخين والكتاب تجاهلا منهم لعدم أهمية هذه الفترة من حياة الامير،

⁴⁵⁸ سعيد الخطابي : " جانب من قصة نزول محمد عبد الكريم الخطابي ببور سعيد وهو في طريقه من

المنى الى مرسيليا " ، في جريدة العلم (بومييات مغربية) ، 16 / 4 / 1995 .

⁴⁵⁹ محمد بن عبد الكريم الخطابي:المصدر السابق، ص201- 204 .

⁴⁶⁰ سلمان إسماعيل : المرجع السابق، ص 7.

⁴⁶¹ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء و مواقف، المرجع السابق، ص 65 .

وعلى عكس هذا التصور بل نعتقد أن حياته في المنفى كانت تأمل كبير وخلوة له، التقى فيها بالعديد من الزعماء الحركات التحريرية العالمية، وعاش تكالب الاستعماري على الشعوب المغلوبة على أمرها .

الفصل الثاني :

الخطابي ولجنة تحرير المغرب العربي

إن الدارس للعلاقات التي كانت سائدة بين الحركات الاستقلالية في بلدان المغرب العربي في منتصف القرن العشرين يخلص الى أنها عرفت منحى جديد على اثر الحرب العالمية الثانية، تميزت بتكثيف الاتصالات والتشاور وهذا وعيا بأهمية المواجهة الموحدة للعدو المشترك، وكان من ابرز ما أنجز في أربعينيات القرن العشرين مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي وإقرار هذه الأخيرة بمبدأ أساسي هو التمسك بتحرير جميع أقطار المغرب العربي الثلاثة، كما رفضت فكرة السياسة المزدوجة والدخول فيما يسمى داخل الاتحاد الفرنسي الذي كانت تلوح به فرنسا للأقطار المغاربية الثلاثة، وهذا بفضل مجهودات الامير محمد عبد الكريم الخطابي ودعوته لتحرير شمال إفريقيا، وجمعهم تحت قبة واحدة وهي لجنة تحرير المغرب العربي، والإشكال المطروح :

- ما هي أهم المشاريع والانجازات النضالية التي أسسها الزعماء المغاربة قبل إنشاء لجنة تحرير المغرب العربي ؟
- ما هي الجهود والنشاطات التي قام بها الامير عبد الكريم الخطابي لتأسيس هذه اللجنة ؟
- ما هي أهداف و مبادئ التي كانت تصبوا إليها لجنة تحرير المغرب العربي ؟ .

المبحث الأول: لجوء الخطابي للقاهرة وصداه

بعد أن نفي الأمير الخطابي إلى جزيرة لارنيون سنة 1926 وهو يفكر في طريقة للتخلص من حياة المنفى والرجوع إلى أرض الوطن، لذا فقد أجرى عدت محاولات من أجل ذلك وبعد خطاب طنجة الذي ألقاه الملك محمد الخامس يوم 10 أبريل 1947 الذي أكد فيه على ضرورة استقلال المغرب الأقصى واسترجاع حريتها والعمل على إلغاء معاهدة الحماية على شكل من أشكال النضال، هنا نجد أن القوات الاستعمارية حاولت ترحيل محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى مدينة نيس الفرنسية واستعماله كوسيلة ضغط على ملك المغرب وجعله الورقة الرابحة في ضغطها.⁴⁶²

هذا في الوقت الذي ضعفت فيه الحركات الاستعمارية بعد الحرب العالمية الثانية وظهرت قوتين جديدتين هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، ونتيجة للوضع الجديد فكرت فرنسا في وجود طريقة تمكنها في حفظ مصالحها الاقتصادية والثقافية في مستعمراتها بعيدا عن الأسلوب القديم الذي لم يعد يتلائم مع واقع العالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، لاسيما بعد أن بدأت الحركات التحررية تعبر عن نفسها ونيتها في استعادة حريتها و استقلالها، ولذلك نجد أن الإدارة الفرنسية قد عملت على احتواء تلك الحركات بسياسة أكثر دهاء وبخبت ذلك برد الاعتبار لبعض قادتها وزعمائها المنفيين أو بالتظاهر بتلبية رغبات الشعوب في الحرية .

⁴⁶² عمار بن سلطان وآخرون : الدعم العربي للثورة الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 82 .

أولاً: ملابسات نقل ونزول الخطابي بالقاهرة

وكان محمد بن عبد الكريم الخطابي من الشخصيات التي حاول الاستعمار الفرنسي التقرب إليها ذلك بتحويل نفيه إلى جزيرة لارنيون بالمحيط الهادي إلى إقامته على السواحل الجنوبية بفرنسا، كذلك إغرائه بالسلطة وتعيين أولاده في مناصب إدارية و عسكرية .

كما نجد اهتمام فرنسا بالخطابي لأن زعيمها ديغول كان يعرف أثره السياسي في شعوب المستعمرات ومكانته لدى العرب والمسلمين، ولهذا نجد عند زيارة ديغول إلى إفريقيا واجتمع في " برازافيل " (عاصمة الكونغو) مع أعوانه وأنصاره من الحكام لتوطيد حكم " فرنسا الحرة" وإعداد قواتها للقتال مع الحلفاء⁴⁶³، عرض عليه حاكم الجزيرة لارنيون العقيد كباغوري اقتراح يخص بالإفراج عن الخطابي ويظهر أن ديغول وعده بدراسة الموضوع⁴⁶⁴ نظرا لموقفه من دائرة الحرب (كطرف محايد) ولمصلحة عبد الكريم الخطابي، لكن ديغول أعلن استقالته في جانفي 1946 قبل أن يفصل في أمر الخطابي و أسرته⁴⁶⁵

وفي الجانب الآخر كانت المجهودات العربية رسمية وشعبية من زعماء المغاربة و أعضاء مكتب المغرب العربي، تعمل جاهدة لإنقاذ الخطابي وأسرته، وفي هذا الإطار قام الأمين العام لجامعة الدول العربية عبد الرحمان عزام بنشاط معتبر، بحيث دعي لعقد مؤتمر صحفي في باريس أكتوبر 1946، تناول فيه القضايا العربية المزرية، ثم رفع مذكرة إلى المسؤولين الفرنسيين طالب فيها بضرورة الإفراج عن الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي

⁴⁶³ شارل ديغول : الوحدة 1942 - 1944 (مذكرات)، ط 1 ،ترجمة عبد اللطيف شرارة، مراجعة

أحمد عويدات، بيروت ، لبنان، 1969، ص 46 .

⁴⁶⁴ محمد سلام أمزيان : قصة نزول الامير عبد الكريم في مصر، المصدر السابق، ص 1 .

⁴⁶⁵ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 76 .

وغيره من الزعماء الوطنيين⁴⁶⁶، ثم أكد لجامعة لدول العربية مرة أخرى بصفة رسمية بالإفراج عن عبد الكريم الخطابي وذلك عقب اجتماع عقدته في نوفمبر 1946، فضلا في قرارها تأيد فيه مطالب بلدان المغرب العربي وحققها في الاستقلال⁴⁶⁷.

كل هذه المعطيات السابقة أسهمت في بلورة القرار الفرنسي بنقل عبد الكريم الخطابي وعائلته من المنفى الى فرنسا، وعملت فرنسا قرارها هذا لأسباب صحية لعبد الكريم الخطابي⁴⁶⁸، وفي 10 فيفري 1947 قام العقيد كباغوري بزيارة الأمير عبد الكريم الخطابي إلى بيته ليبلغه عن خبر نقله لفرنسا⁴⁶⁹.

ويذكر لنا غابرييلي بدهشة واستغراب، أنه حينما بعث إلى فرنسا لمهمة استقبال الأمير عبد الكريم الخطابي وأسرته، استفسر عن النظام الذي يشمله أثناء إقامته بفرنسا فتم إبلاغه بأن عبد الكريم الخطابي سيتمتع بحرية مطلقة شأنه شأن باي تونس، بأن يكون حرا في تنقلاته وحرا في استقبال ما يشاء من زواره⁴⁷⁰ ويرجع مونتاني قرار الحكومة الفرنسية بإطلاق سراح الخطابي إلى تحريض حزب الاستقلال، بتشجيع من السلطان ضد الحماية الفرنسية في المغرب حتى كاد أن يشكل خطورة عن تواجهها بها، ولهذا نجد أن لفكرة عودة الأمير عبد الكريم الخطابي الى فرنسا أهداف سياسية بهدف الضغط على السلطان وحزب الاستقلال بورقة شعبية الأمير عبد الكريم الخطابي، وبسرعة تسربت خيوط هذه الخطة⁴⁷¹ إلى القصر، ما كان من حزب الاستقلال إلا أن يعمل على إجهاض هذه التآمرات في مهدها

⁴⁶⁶ محمد سلام أمزيان : قصة نزول الامير عبد الكريم في مصر، المصدر السابق، ص 2 .

⁴⁶⁷ جريدة "الحوادث"، العراق، 25 / 11 / 1946 .

⁴⁶⁸ جريدة الحوادث، العراق ، 13 / 2 / 1947 .

⁴⁶⁹ Le monde , 3 /6 / 1947 .

⁴⁷⁰GABRIELLI,Léon : op ,cit , P217 .

⁴⁷¹ MONTAGNE .ROBERT :Révolution au Maroc . PARIS .EDS . France .
EMPIRE .P 170 -176 .

وفي سياق البحث عن أسباب القرار الفرنسي بإطلاق عبد الكريم الخطابي يرى علال الفاسي أن فرنسا هدفت من ورائه " تهديد جلاله السلطان المغرب ضنا منها أن في إمكانها استغلال الأمير وأخيه في إرغام جلاله الملك على قبول الإنضمام إلى الإتحاد الفرنسيو لكن نزول عبد الكريم الخطابي في القاهرة وضع حدا للطمع الفرنسي فيه⁴⁷²، والاتجاه نفسه يشير إليه عبد الخالق طريس الذي يؤكد: " أن الوطنية المغربية في الشرق قد أسدت للبلاد خدمة من أجل الخدمات، إذ سلبت من يد فرنسا ذلك السلاح الذي كانت تريد تركه مشهورا ضد السلطان والحركة الوطنية وأصبحت هي تهدد به فرنسا" ويضيف بخصوص نجاح نزول الخطابي بمصر: " أرحنا ملكا وسفهننا مناورة و كسبنا دعاية⁴⁷³".

ونجد عبد الكريم غلاب يوضح لنا سبب إطلاق سراح الأمير عبد الكريم الخطابي بهدف إحداث نوعا من الضغط والابتزاز، باستخدام اسم الخطابي في منفاه الجديد للمساومة على القضية الوطنية التي كانت بوادر الأزمة قد ظهرت في آفاقها وخصوصا بعد المطالبة بالاستقلال، و"بعد المواقف الصارمة التي بدأ محمد الخامس يقفها مما يسمى الإصلاحات التي قدمها بيو ثم بلورها "إيريك لابون... و بعد خطاب طنجة التاريخي⁴⁷⁴".

وخلاصة القول يمكن وضع قرار الفرنسي بخصوص إطلاق سراح الخطابي بالدرجة الأولى إلى سياق المستجدات السياسية في عام ما بعد الحرب العالمية الثانية، فقد تغيرت موازين القوى والعقليات وتبلورت أفكار تحررية لا يمكن الاستهانة بها، تنادي بإيجاد حلول مرضية لمسألة المستعمرات، والعمل على نسج علاقات جديدة يفرضها الواقع في التعامل مع رغبات الشعوب المستعمرة في التخلص من الوصاية حتى لا تفلت زمام الأمور كليا، وفي

⁴⁷² علال الفاسي : الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 339 ، 340 .

⁴⁷³ أمحمد بن عبود : مكتب المغرب العربي في القاهرة : دراسة ووثائق، منشورات عكاظ، الرباط،

المغرب، 1992 ، 108 - 110 .

⁴⁷⁴ عبد الكريم غلاب : المصدر السابق، ص 394 .

مثل هذه الحالات تفرض سياسة الاحتواء والاسترضاء على هذه الشعوب المغلوب على أمرها، هكذا كان على فرنسا أن تعد سياسات جديدة الخاصة بمستعمراتها مبنية على معطيات جديدة، فتظاهرت بتلبية بعض مطالب الحركات الوطنية وعملت على رد الاعتبار لبعض القادة والزعماء المنفيين .

ولا شك أن سياسة فرنسا بخصوص قضية محمد بن عبد الكريم الخطابي كانت ذات هدف مزدوج: تحقيق سياسة الاحتواء وفق متطلبات السياسة الجديدة والعمل على إيجاد حل وسط بين الداعين لسياسة الليونة تجاه المغرب وزعمائه وبين الرافضين لأي تهاون في حق من حقوق مكتسبات الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية، كما هو واضح في السياسة الفرنسية أنها لم تتنازل كلياً ولم تمنع كلياً⁴⁷⁵.

⁴⁷⁵ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 87 ، 88 .

ثانيا: عملية النزول وموقف اسبانيا منها

أ: عملية النزول

بعد أن قررت السلطات الفرنسية إطلاق سراح الأمير عبد الكريم الخطابي عمدت أسرة الخطابي على توضيب نفسها لمغادرة الجزيرة و ذلك في 30 أبريل 1947 على متن باخرة تجارية تدعى (كاتومبا) في اتجاه مدغشقر (المستعمرة الفرنسية) حيث قضى بها الأمير الخطابي 3 أيام اجتمع خلالها مع بعض الزعماء الوطنيين وأفراد من الجالية العربية والإسلامية ثم غادر بعدها إلى زنجبار، وهناك استقبلته حشود غفيرة من المواطنين وزعمائهم لما له من شهرة واسعة في نفوس هؤلاء المغلوبين عن أمرهم، بحيث عرضوا عليه قضيتهم و مدى تأييدها بمكانته و نفوذه⁴⁷⁶.

وفي 23 ماي 1947 وصلت السفينة التي نقلت الخطابي وأسرته إلى عدن أين تتواجد المستعمرات البريطانية بها، واستقبله عبده حسين الاهدل من زعماء الحركة الوطنية في عدن، ورحب به وهنئه على مغادرته من الجزيرة ودعاه إلى حفل أقيم على شرفه⁴⁷⁷، و في اليمن عرض عليه منفيو اليمن الشمالي واقع بلدهم تحت حكم الإمام يحيى الذي بطش بهم ونفاهم إلى عدن الواقعة تحت الاحتلال البريطاني، وقد علق عبد الكريم الخطابي على تلك الزيارة القصيرة قائلا: "إنها أفادتني كثيرا من خلال لقائي باللاجئين اليمنيين، أدركت بالقياس أن حكاما كثيرين في الوطن العربي مازالوا يعتقدون أنهم السادة وغيرهم العبيد"⁴⁷⁸.

⁴⁷⁶ محمد سلام أمزيان : قصة نزول الامير عبد الكريم في مصر، المصدر السابق، ص 4.

⁴⁷⁷ " العالم العربي "، مجلة مصرية، عدده خاص عن المغرب العربي، 10 / 7 / 1948، ص 13 .

⁴⁷⁸ محمد سلام أمزيان: قصة نزول الامير عبد الكريم في مصر، المصدر السابق، ص 8.

وبعد مغادرة الأمير عبد الكريم الخطابي أرض عدن أرسل عبده حسين الأهدل برقيات إلى شخصيات مغربية وعربية لها مكانتها على الساحة الوطنية والسياسية⁴⁷⁹ وجاء في برقيته إلى وزير الداخلية المصري مرتضى المراغي: "أنه سيكون عار كبير على مصر إذا تركت الأمير عبد الكريم الخطابي يمر في مياهاها الإقليمية وترابها الوطني ولا تتقذه من الاعتقال كما مر فيها سنة 1926"⁴⁸⁰.

ونجد أيضا بمجرد وصول الخطابي إلى ميناء عدن اتصل محمد على الطاهر_ وهو فلسطيني مقيم بالقاهرة_ بأعضاء مكتب المغرب العربي وأخبرهم برسوا الباخرة وهي موجهة إلى السويس، وبهذا كلف المكتب أحمد بن عبود بالسفر إلى بور توفيق بعدن بهدف إقناع الأمير بضرورة مغادرة السفينة كاتومبا وطلب اللجوء السياسي إلى مصر، وبعد جهود كبيرة ومضنية من أحمد بن عبود أقنع الخطابي بكتابة رسالة إلى الملك فاروق يعبر فيها عن رغبته في طلب اللجوء السياسي إلى مصر، ومع حلول الساعة السابعة تقريبا حصل ابن عبود على موافقة الخطابي، وعلى الرسالة الموجهة إلى رئيس الديوان الملكي المصري وبعد مساعي المكتب واتصالاته برئيس الديوان الملكي السيد عبد الهادي وإخباره بعملية التحرير، اتجه وفد المكتب المكون من الحبيب بورقيبة وعلال الفاسي وعبد المجيد بن جلون وعبد الخالق طريس إلى ميناء بور سعيد وكان وصولهم قبل رسوا سفينة كاتومبا بعشر دقائق⁴⁸¹.

⁴⁷⁹ من أهم الشخصيات التي أرسل إليها الخطابي البرقيات : الملك فاروق، رئيس الحكومة المصرية محمود فهمي النقراشي، والوزير الداخلية وأمين عام الجامعة العربية، ومرشد الإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا ...إلخ، ينظر : محمد سلام أمزيان : قصة نزول الامير عبد الكريم في مصر، المصدر السابق، ص 61 .

⁴⁸⁰ محمد سلام أمزيان: المصدر نفسه، ص 61 .

⁴⁸¹ أحمد بن عبود : المصدر السابق، ص 48 .

وهكذا كان في استقبال الأمير عدد من المسؤولين والشخصيات العربية منهم: محافظ السويس ومندوب الجامعة العربية ورئيس جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا⁴⁸²، الشيخ الخضر التونسي ومحمد بن عبود وممثلوا الجمعيات العربية وحشد من الصحفيين⁴⁸³ وقدم ابن عبود نفسه على أنه ممثل لدى الجامعة العربية ومدير مكتب المغرب العربي⁴⁸⁴ الذي كلفه باستقبال الأمير⁴⁸⁵، رحب به الخطابي وذكر له بأنه كان يسمع عن نشاط الحركة الوطنية في المغرب العربي وعن بعض الزعماء المغاربة من خلال الصحافة، وقال: "كنت أهتم كثيرا بهذه الحركة كاهتمامي بحركات التحرر الوطني في المشرق العربي، فأين تقفون الآن في المغرب العربي بحركتكم الوطنية"⁴⁸⁶

وعلى إثر هذا اللقاء مباشرة عقد له مؤتمر صحفي على ظهر السفينة في ميناء السويس، تطرق فيه إلى موضوعات مختلفة منها حرب الريف التحررية 1921-1926 أوضح فيها أنه قام بواجبه الوطني كجندي عادي في الجيش، أما بخصوص المغرب العربي الكبير فقد أكد أنه "جزء لا يتجزأ من الوطن العربي وأن انضمامه إلى الجامعة العربية يزيدنا قوة وبأسا واستكمال حلقتها" ويضيف قائلا: "إن اتحادنا يجب أن يكون مع جامعة الدول العربية التي نشترك معها في اللغة والدين والجنس والتقاليد وغيرها من الوشائج والروابط الثقافية"⁴⁸⁷.

⁴⁸² أسسها الشيخ محمد الخضر التونسي سنة 1944، وضمت أعضائها من جميع أقطار المغرب

العربي، ينظر: فضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، ط1، بيروت، لبنان، 1956، ص 283.

⁴⁸³ محمد سلام أمزيان: قصة نزول الامير عبد الكريم في مصر، المصدر السابق، ص 14.

⁴⁸⁴ تأسس في القاهرة فيفري 1947.

⁴⁸⁵ محمد سلام أمزيان: قصة نزول الامير عبد الكريم في مصر، المصدر السابق، ص 14.

⁴⁸⁶ محمد سلام أمزيان: المصدر نفسه، ص 15.

⁴⁸⁷ "مراكش"، جريدة مغربية، 11 / 6 / 1947.

كما نجد أن الخطابى قد أوضح بعدائه اتجاه فرنسا واسبانيا قائلا: "طالبنا اسبانيا باستقلالنا وأكرهتنا على استعمال القوة... وهذا هو شعورنا نحو فرنسا فأنا لا أعادي الفرنسيين ولا أخاصم الإسبان، ولكنني عدو لكل مستعمر بلد عربي وأضن أن الاستعمار قد انتهى"، وختم تصريحه بالتأكيد على ضرورة الوحدة بين العرب " نصيحتي إلى العرب لأن يعتصموا بوحدتهم وأن يؤمنوا بأن المستقبل لهم"⁴⁸⁸ وعقب انتهاء المؤتمر الصحفي طلب محمد بن عبود⁴⁸⁹ من الخطابى على ضرورة إقامته في مصر وفوجئ اقتراحه بارتياب وتردد من الخطابى في محادثته له، ومع رفض الخطابى للنزول محمد بن عبود إلى القاهرة ثم توجه بسيارة نحو بور سعيد بصحبة عبد الخالق الطريس وعلال الفاسي والحبيب بورقيبة وعبد المجيد بن جلون لإقناع الأمير بواجب لجوئه إلى مصر⁴⁹⁰، وفي هذا الصدد نجد أن ابن عبود يقول بأن: " الحركة الوطنية قامت بواجبها في توعية الشعب المغربي، وقيادة المعركة يتطلب شخصيتكم وأسلوبكم"⁴⁹¹، وفي الأخير وافق عبد الكريم الخطابى على النزول

488 المصدر نفسه

⁴⁸⁹ ولد محمد بن عبود في تطوان سنة 1911 م، وتوفي في حادثة سقوط الطائرة في باكستان بعد عودته من أول مؤتمر اقتصادي للدول الاسلامية، وذلك يوم 12 ديسمبر 1949 م، و كان الوفد يتكون من ابن عبود، وعلي الحمامي من الجزائر، والحبيب ثامر من تونس، تخرج ابن عبود من الأزهر ثم عينه الخليفة مولاي الحسن بن المهدي سنة 1946 رئيسا للوفد المغرب في اللجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية، وكان له الدور الكبير في إقناع الامير عبد الكريم الخطابى في النزول بالقاهرة ومن مؤسسي لجنة تحرير المغرب العربي، ينظر: أمحمد احمد بن عبود: مركز الأجانب في مراكش، دراسة قانونية لوضعية الأجانب في المغرب قبل عهد الحماية وخلالها، ط2، تطوان، المغرب، 1980، ص 1 .

⁴⁹⁰ مجموعة من أساتذة: لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابى إلى مصر، الأبعاد والدلالات الوطنية والدولية، ط2، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2011، ص 41 .

⁴⁹¹ محمد سلام أمزيان: قصة نزول الامير عبد الكريم في مصر، المصدر السابق، ص 18 .

مادام الأمر يتعلق بالقضية الوطنية شريطة أن يأتي له ابن عبود ب 15 ممدس على الأقل
يسلح بها الرجال حاشيته لمواجهة أي طارئ قد يقع ويكون اللقاء في بور سعيد.

وهناك كان في استقباله مجموعة من المسؤولين أمثال حلمي حسين ممثل الملك
فاروق وفؤاد شربن باشا محافظ قناة السويس وممثل رئيس الحكومة وعدد من قادة الحركة
الوطنية، ومراسلو وكالات الأنباء العالمية، وأخيرا غادر عبد الكريم الخطابي وأسرتة السفينة
بعد اقتحام البوليس المصري لحمايته في يوم السبت 31 ماي 1947 متوجها إلى مكتب
المغرب العربي المتواجد بالقاهرة⁴⁹² وحين نزوله بالقاهرة صرح قائلاً: "رفعت رأسي إلى
السماء حامدا شاكرا خالق هذا الكون... وتنفست الصعداء استنشقت نسيم الحرية في أرض
العرب والسلام"⁴⁹³، واستقبل الخطابي في مكتب المغرب العربي استقبال الملوك لأن نزوله
كان عيدا وانتصارا وميلادا لعهد جديد، فاستقبله كل شباب الحركة الوطنية المغاربة عامة
بحضور رجال الصحافة والإعلام وفي اليوم التالي استقبله الملك فاروق في قصر
العابدين⁴⁹⁴، كما أعلن ولائه للملك محمد الخامس مباشرة في 30 ماي 1947، وهذا ليؤكد
انه لا يشكل تهديد للعرش العلوي ولكي لا يدخل مصر في مشاكل دبلوماسية مع المغرب
الأقصى⁴⁹⁵.

أما عن دور أحمد بن عبود في تحرير ولجوء الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي
تختلف من رواية إلى أخرى فنجده مهما ما رواه عبد الخالق الطريس وعبد المجيد بن جلون
وبدرجة أقل عند عبد الكريم غلاب باهتا عند علال الفاسي وغائبا كليا في رواية فتحي
رضوان، كما يلف الغموض كذلك عن الأشخاص الذين اتصلوا بالسلطات المصرية فيشير

⁴⁹² محمد سلام أمزيان: المصدر نفسه، ص 17 - 36 .

⁴⁹³ محمد صغير الخلوفي : الخطابي في المنفى، مطبعة بني أرناسن، المغرب، د. ت ، ص 56 .

⁴⁹⁴ أحمد بن عبود : مكتب المغرب العربي في القاهرة : دراسة ووثائق، المصدر السابق، ص 49.

⁴⁹⁵ شارل أندري جوليان : إفريقيا الشمالية تسير، المرجع السابق، ص 404 .

عبد الخالق الطريس أن " مهمة الاتصال بالقصر والحكومة المصرية لإقناعها بضرورة استضافة بطل الريف، تكفل بها المجاهد علال الفاسي في حين كلف أحمد بن عبود بمهمة إقناع عبد الكريم الخطابي"⁴⁹⁶، ونجد أن عبد الكريم غلاب يؤكد على أن الذي أجرى الاتصالات مع السلطات المصرية هو أحمد بن عبود⁴⁹⁷، أما علال الفاسي فلم يحدد من فاتح السلطات المصرية بالموضوع، وتختلف الروايات كذلك حول تحديد الجهة التي أوفدت الوطنيين إلى قناة السويس فبينما يسكت عبد الخالق الطريس، يشير علال الفاسي إلى أن وفد السويس كان باسم حزب الاستقلال وحزب الإصلاح الوطني في حين نجد أن عبد الكريم غلاب يؤكد أن الوفد تحرك باسم مكتب المغرب العربي⁴⁹⁸ وهذا ما يؤكد عبد الكريم خطابي بنفسه كما ذكرنا سابقا حينما أشار إلى أن محمد بن عبود قدم له نفسه كموفد عن المكتب لاستقباله.

ومنه كان لأحمد بن عبود الدور الكبير والبالغ في تحرير و لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى القاهرة، وتوجد العديد من المصادر حول هذه الفكرة⁴⁹⁹ وأهمها: الكتيب الصادر ضمن منشورات مكتب المغرب العربي بالقاهرة بمناسبة مرور أربعين سنة على استشهاد وفد المغرب العربي في المؤتمر الاقتصادي حول الدول الإسلامية في كراتشي من 26 نوفمبر إلى 10 ديسمبر 1949 فيها نص الشهادة كما يلي: " لقد سيطر نشاطه الوطني

⁴⁹⁶ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 96 .

⁴⁹⁷ عبد الكريم غلاب : المصدر السابق، ص 396 .

⁴⁹⁸ وفي هذا الصدد يقول عبد الكريم غلاب " وقد انتدب المكتب الشهيد محمد بن عبود بعض أعضاء

المكتب لزيارة السويس، ينظر : عبد الكريم غلاب : المصدر نفسه، ص 396 .

⁴⁹⁹ للمزيد ينظر إلى مقال في دور الشهيد أحمد أحمد بن عبود في تحرير الأمير محمد بن عبد الكريم

الخطابي : مجموعة من أساتذة : لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى مصر، الأبعاد والدلالات

الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص 37 .

على حياته كلها، فلم يقلع عن العمل والتفكير لأجل تحقيق مصالح بلاده، وقد عاش بقية حياته لشيء واحد وهو المغرب العربي، فكانت الوطنية جزء من طبيعته وقد كان أكبر عمل قام به الإشراف على حركة تحرير سمو الأمير عبد الكريم الخطابي والتجائه إلى جلال الفاروق، فقد كان نصيبه في ذلك نصيب الأسد⁵⁰⁰، كما نجد أيضا أن الأستاذ عبد المجيد بن جلون يؤكد عن دور الشهيد محمد بن عبود في تحرير ولجوء الخطابي إلى القاهرة أثناء استجواب له كان سنة 1980 قائلا: "حيث أن الشهيد محمد بن عبود كان مصحوبا أثناء تنقله هذا ببعض ممثلي السلطات المصرية التي كانت قد رافقته كذلك على متن السفينة⁵⁰¹ ومنه نستنتج من خلال المادة التوثيقية التي تطرقت إلى دور محمد بن عبود في تحرير محمد بن عبد الكريم الخطابي ما يلي:

- أن هذا الدور كان دورا فعالا أكدته مصادر ووثائق متنوعة موثقة .
- لقد كان حضور بن عبود في العملية حضورا ملموسا منذ نشأة الفكرة والتخطيط إلى تنفيذها.
- إن دور أحمد بن عبود كان ضروريا لإنجاح العملية خصوصا عندما اقتضت الضرورة إقناع السلطات المصرية بالسماح لمحمد بن عبد الكريم الخطابي اللجوء إلى القاهرة و ذلك بعد نزوله من الباخرة ، ورفض السلطات المصرية السماح له بذلك يوم 31 ماي ليلا، هكذا كان ابن عبود هو مفتاح هذه المشكلة لأنه حصل على موافقة

⁵⁰⁰ عبد المجيد بن جلون : "الثلاثة الذين استشهدوا في كراتشي بمناسبة الذكرى الأربعين"، 21 جانفي 1950، ص 14، 15 .

⁵⁰¹ مجموعة من أساتذة : لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي الى مصر، الأبعاد والدلالات الوطنية والدولية، المرجع السابق، ص44 .

الديوان الملكي المصري في الصباح الباكر في الفاتح من جوان بفضل مجهوداته مع
الديوان الملكي⁵⁰².

أما بخصوص عما جرى على ظهر السفينة كاتومبا، فنجد أن أغلب الروايات قد سكنت
ولم ينسب إلا القليل يتمثل في صعوبة إقناع عبد الكريم الخطابي وترد في كتابة رسالة إلى
الملك فاروق يطلب فيها حق اللجوء بمصر وهذا ما يؤكد لنا عبد الخالق الطريس بقوله: "إن
الأمير بتأثير من ابن عبود بدأ يكتب البرقية المطلوبة للملك فاروق المتضمنة الرغبة في
الالتجاء مرتين، وكلما قرب من إتمامها مزقتها، وبجهد جهيد توصل معه إلى كتابة رسالة
مختصرة يقدم فيها فروض التحية والإجلال إلى جلال الملك فاروق ويحيل البقية من الحديث
على حامله⁵⁰³".

ب : موقف إسبانيا

انتقدت السلطات الإسبانية بشدة قرار فرنسا المنفرد بخصوص نقل عبد الكريم الخطابي
من الجزيرة، وذلك أن أمر البث في مصيره كان مرهونا بموافقة السلطات الإسبانية على
أساس اتفاق قد كان بينهم بتاريخ 10 يوليو 1926 بعد القضاء على الخطابي وحرب
الريف، قد نشرت العديد من الصحف الإسبانية والعالمية موقف الحكومة الإسبانية من هذا
الفعل بمجموعة من النقاط أهمها:

- أن الحكومة الفرنسية قد اتخذت قرارها المذكور بدون إعطاء توضيحات مسبقة حول
الحالة الصحية لعبد الكريم الخطابي، رغم وجوب قيامها بذلك.

⁵⁰² مجموعة من أساتذة : لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي الى مصر، الأبعاد والدلالات الوطنية
والدولية، المرجع السابق، ص 47 .

⁵⁰³ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 102 .

- أمام غياب هذه التصريحات لا يمكن للحكومة الإسبانية أن تحكم عما إذا كان مناسباً لها اتخاذ قرار مماثل أم لا لأنها لم يتم استشارتها.
- تود الحكومة الإسبانية أن تلتفت بحزم نظر الحكومة الفرنسية إلى أن هذه السابقة لا تتوافق والتزاماتها التي تعهدت بها، ولا يستطيع أحد الاعتقاد في أن بلاغا عاديا بقرار اتخذ مسبقا يمكن أن يفسر على أنه التزام بالاتفاق مجددا إذ دعت الضرورة إلى ذلك.
- لا يشير البلاغ الفرنسي إلى الحالة الصحية لبعض الأفراد حاشية عبد الكريم الخطابي المنصوص عليها صراحة في مذكرات 1926 والذين ينطبق عليهم نفس ما ينطبق عليه .
- إن تغيير مكان إقامة هؤلاء دون اتفاق مسبق مع الحكومة الإسبانية يعد خرقا صريحا للاتفاقية

وبناء عليه عبرت وزارة الخارجية أمام المفوضية الفرنسية عن احتجاجها القوي، ومعتبرة أن العمل وفق ما تم الالتزام به يقتضي من الحكومة الفرنسية التشاور أو الاتفاق المسبق بين الحكومتين⁵⁰⁴، ومع نزول الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي التزمت اسبانيا الصمت وأخنقت مظاهر الاحتجاج الإسباني ما دام أن الأمير قد نزل بعيدا عن شمال المغرب⁵⁰⁵ .

⁵⁰⁴ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع نفسه، ص 89 .

⁵⁰⁵ علال الفاسي : الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 345 .

ثالثاً: صدى نزول الخطابي بالقاهرة

كان لنزول الأمير محمد بن عبد الكريم في القاهرة صدى وردود فعل متباينة سواء كانت عربية إسلامية منها أو أجنبية ولهذا نجد صدى نزول الخطابي في البلدان العربية و العالم الإسلامي كان بمثابة ميلاد لعهد جديد وانتصار للحرية وعيدا، فقد رحب الإخوان المسلمين على لسان مرشدهم حسن ألبنا بالأمير عبد الكريم الخطابي وهو في قناة السويس وجددوا الترحيب به بعد نزوله ضيفا على مكتب المغرب العربي بالقاهرة بمجموعة ضخمة من البرقيات، وكتب حسين حمدي في جريدة مصر القناة: "مرحبا بالأمير ومبتهلا إلى الله أن يبقى سيفه ماضيا ليجتث آخر مظهر من مظاهر الاستعمار الغربي" واعتبرت جبهة الدفاع في شمال إفريقيا أن تحرر الأمير عبد الكريم الخطابي "انتصارا للحرية، تقودنا لطرد الاستعمار من بلادنا"⁵⁰⁶ كما نجد أيضا أن مكتب المغرب العربي بالقاهرة قد هلّل بقدم الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي واستقبله استقبال الملوك وأن نزوله كان عيداً وانتصاراً وميلاداً لعهد جديد، ونجد في هذا الصدد عبد الخالق الطريس يقول: "أنا أنقضنا زعيماً وأرحنا ملكاً وسفهننا مناورة و كسبنا دعاية"⁵⁰⁷.

كما نجد أيضا قائد ثورة سورية خلال حرب التحرير الريفية في العقد الثاني من القرون العشرين السلطان الأطرش يقول في برقيته الموجهة الى الامير: "إن تحرير الشعوب العربية والجهاد المقدس هدف موحد، لا ينهى إلا بتحرير آخر قطر من الأقطار العربية... وأن

⁵⁰⁶ برقيات الترحيب من الإخوان المسلمين، برقية حسين حمدي عن مصر الفتاة بتاريخ 1 / 6 / 1947، برقية من رئيس جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية بتاريخ 1 / 6 / 1947، برقية السلطان الأطرش بتاريخ 10 / 6 / 1947، ينظر مجموعة وثائق أمزيان، محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 112 .

⁵⁰⁷ أمحمد بن عبود: مكتب المغرب العربي في القاهرة : دراسة ووثائق، المصدر السابق، ص 51.

الأمة العربية في احتفال عظيم بنجاتكم من ربة الاستعمار الذي ينظر حتفه على يدكم بإذنه سبحانه وتعالى⁵⁰⁸ .

كما تلقى الخطابي العديد من رسائل التهاني من مجموعة المغاربة المقيمين في القدس يضعون أنفسهم تحت تصرف الخطابي، وكذا من قائد الجيش العثماني سابقا فوزي القاوقجي جاء في رسالته: "أن الأمة العربية قدر لها أن تقر علينا بنجاحاتكم وكأنها هي التي انطلقت من أسرها، وذلك أنكم سيدي الأخ العربي الذي ألقى عليها الدرس الأول في كيفية العمل بإخلاص فكنتم القدوة لمن ينشد تحرير الوطن، وإنك أنت الذي برهن للعالم على حيوية هذه الأمة وقيمتها، وفرض على العالم بل على التاريخ احترامها⁵⁰⁹"، أما قادة تحرير الفيتنام الذين التقى مع بعض زعمائهم في جزيرة لارينيون كما ذكرنا سابقا، فأكدوا في رسالتهم إلى الأمير في 7 جوان 1947 أن هذه "العودة ستدق أجراس التحرير لجميع رفاقنا مسلمي شمال إفريقيا⁵¹⁰"، وفي ما يخص موقف فرنسا من نزول الخطابي بالقاهرة فقد استخدمت وسائلها الدبلوماسية والإعلامية لتقديم احتجاجاتها للسلطات المصرية وبدأت الاحتجاجات من القنصل الفرنسي المتواجد في بور سعيد لدى محافظ القناة في صورة استفسار عن اختفاء عبد الكريم الخطابي إثر نزوله من الباخرة لجولة صغيرة.

ويقول مراسل الصحيفة الخاص في باريس بجريدة نيويورك تايمز في العدد الصادر يوم الأحد الفاتح من جوان 1947، إن وزارة الخارجية الفرنسية استقبلت قرار توقف عبد الكريم

⁵⁰⁸ برقية مهدي كبة ، بتاريخ 10 / 6 / 1947 ينظر مجموعة وثائق أمزيان : محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص112 .

⁵⁰⁹ الرسالة بتاريخ 7 / 6 / 1947 ، ينظر مجموعة وثائق أمزيان : محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع نفسه، ص113 .

⁵¹⁰ من رئيس جمهورية الفيتنام إلى الأمير عبد الكريم الخطابي بتاريخ 7 / 6 / 1947، ينظر مجموعة وثائق أمزيان: محمد أمزيان : المرجع نفسه، ص113 .

في بور سعيد وتصريحه بأنه سيختار البلد الذي سيتوجه إليه أثار دهشة في نفوس الفرنسيين وأصدرت وزارة الخارجية بيان أن موقف عبد الكريم الخطابي هذا "مناقض ومنافي لتقاليد الشرف المتعارف عليها خصوصا لدى الشرفاء أمثال عبد الكريم الخطابي"⁵¹¹.

وبعد يومين فقط من نزول الخطابي إلى الأراضي المصرية في 2 جوان 1947 سلم وزير الخارجية الفرنسي السيد بيدو مذكرة احتجاج عاجلة للسفير المصري في باريس السيد ثورت باشا⁵¹²، وطالب السفير الفرنسي في القاهرة السيد ارفنجه M. Gilbert. Arvengas مقابلة رئيس الوزراء المصري للتطرق في مسألة إقامة الأمير عبد الكريم الخطابي في مصر كما نجد أيضا أن السلطات الفرنسية قد قدمت مذكرات إحتجاج للسلطات المصرية يوم 24 جوان 1947 على ما يقوم به عبد الكريم الخطابي من نشاطات سياسية عدائية، ولهذا طلبت الحكومة المصرية من عبد الكريم الخطابي بعدم إبداء نشاط سياسي خلال مدة إقامته بمصر⁵¹³، كما نجد أن الجريدة الفرنسية le figaro الفيجارو عبرت عن شعور الفرنسيين بالخل من الإهانة التي لحقت بفرنسا، وأن الخطابي قد خرق التعهدات والالتزامات التي وعد بها فرنسا أثناء إخراجها من جزيرة لارنيون⁵¹⁴، ووصفت أيضا جريدة لوموند le monde الفرنسية عملية لجوء الخطابي إلى مصر بأنه أمر غير منتظر وأنه خيانة للعهود⁵¹⁵، ونجد الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الفرنسية قد صرح قائلاً: "إن عبد الكريم الخطابي استسلام لفرنسا سنة 1926 والتزم بالبقاء تحت الحكم الفرنسي، وكان سلوكه

⁵¹¹ مجموعة من أساتذة : لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي الى مصر، الأبعاد والدلالات الوطنية

والدولية، المرجع السابق، ص 55 .

⁵¹² " الحوادث " 3 / 6 / 1947 .

⁵¹³ " الحوادث " 27 / 6 / 1947 .

⁵¹⁴ محمد العلمي :المرجع السابق، ص 68 .

⁵¹⁵ Le monde , 3 / 6 / 1947 .

دائماً حسناً وقد احترم كلامه المؤكد بشرفه، والعمل الذي قام به اليوم بعد سلوكه النبيل منذ أن التزم لفرنسا أحدث في نفوسنا دهشة عظيمة⁵¹⁶، أما إسبانيا فكان موقفها أنها التزمت الصمت مادام أن الخطابى قد نزل في مكان بعيد عن شمال المغرب الأقصى، هذا من جهة ومن جهة ثانية اكتفت بالاحتجاجات فرنسا باعتبارها صاحبة النفوذ الأقوى في شمال إفريقيا⁵¹⁷.

ونلمس الموقف البريطاني من الصحف الصادرة عنها أنها كانت مؤيدة نوعاً ما نزول الخطابى بالقاهرة لأن ذلك سيضر بالمصالح الفرنسية المتواجدة في الشمال الإفريقي، ولهذا نجد أن بعض الصحف البريطانية تتكلم أثناء لجوء الخطابى بمصر عن بطولاته في حرب الريف ضد إسبانيا وإقامة جمهورية الريف، والبعض منها يتحدث عن مكانة الخطابى في الوطن العربى والإسلامى فقد ذكرت جريدة الترييون أن مقام الأمير عبد الكريم الخطابى وقيمه في شمال إفريقيا، مبنيان على أساس قتاله الشريف ضد الاستعمارين الفرنسى والإسباني، أما في المنشستر غارديان في إحدى مقالاتها تقول بأن الأمير عبد الكريم الخطابى يتمتع بـ"مقام خطير في السياسة العربية"⁵¹⁸.

ومنه يظهر لنا من تتبع وثائق الخاصة بالبرقيات والمراسلات أن الشعوب الإسلامية عامة والشعوب المناهضة للاستعمار، قد عبرت عن نبلها وصفاء عواطفها ومشاعرها اتجاه الأمير عبد الكريم الخطابى الذى حارب الاستعمار والظلم في سبيل الحرية والكرامة الإنسانية، وفي هذا الصدد نجد المؤلف لاندو يقول: "كانت شخصية عبد الكريم الخطابى

⁵¹⁶ علال الفاسى : الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 344 ، 345 .

⁵¹⁷ علال الفاسى : الحركات الاستقلالية، المصدر نفسه، ص 345.

⁵¹⁸ " الحوادث " 30 / 6 / 1947 .

التي يذكرها للناس والظروف التي أفلت فيها من سجنه مما ملأ قلوب المشرقين بالأمل وعزة المجازفة، ولذلك كانت الحماسة التي تلقت بها الأقطار العربية منقطعة النظير⁵¹⁹.

وهكذا بعد فترة طويلة من السنوات النفي لأكثر من 20 سنة في انقطاع وعزلة مع الذات ليدخل الأمير الخطابي مرحلة جديدة من مراحل الكفاح ضد الاستعمار وذلك بالعمل على توحيد أساليب الكفاح على نطاق واسع يجمع أقطار المغرب العربي كلها، ويعمل على تجسيد وحدة الكفاح المشترك وذلك بالعمل على تفعيل مكتب المغرب العربي وزيادة من فعاليته النضالية إلى تأسيس لجنة المغرب العربي.

⁵¹⁹ روم لاندو: تاريخ المغرب في القرن العشرين، المصدر السابق ، ص 334 .

المبحث الثاني: النضال المغربي المشترك قبل تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي

لا مناص في أن الباحث في الحركات تحررية لبلدان المغرب العربي يجد نفسه أمام ظاهرة الكثرة الأدبية التاريخية، والمذكرات الشخصية، والمقالات الصحفية التي تناولت تاريخ مكتب المغرب العربي بالقاهرة، وتطرق إلى أسباب تأسيسها وطبيعة نشاطها وأهميتها في بلورة الوعي المغربي خلال فترة الحرب العالمية الثانية وبعدها، والدارس لهذا الزخم من الكتابات يلاحظ أن بعض المؤرخين المشاركة بالخصوص قد أرجعوا نشأة مكتب المغرب العربي إلى فبراير 1947 تاريخ انعقاد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة، وقد ذهب البعض الآخر إلى القول أن عبد الرحمان عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية كان صاحب فكرة إنشاء مكتب المغرب العربي بالقاهرة⁵²⁰، غير أننا اكتشفنا من مذكرات زعماء الحركة الوطنية أن مكتب المغرب العربي بالقاهرة لم يكن في حقيقة الأمر سوى امتداد تاريخي وسياسي إلى مكتب المغرب العربي الأول في برلين وفرعه بباريس وبعده جبهة الدفاع في إفريقيا الشمالية .

⁵²⁰ محمد علي رفاعي : الجامعة العربية و قضايا التحرير ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة

، مصر ، 1971 ، ص 147 - 152 .

أولاً: مكتب المغرب العربي في برلين

يعود الفضل في تأسيس هذا المكتب حسب شهادة يوسف الرويسي⁵²¹ إلى مجموعة من المناضلين التونسيين المتواجدين بأوروبا منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية، من بينهم الرشيد الإدريسي⁵²² والحبيب ثامر وحسين التركي، وكان ذلك بتشجيع من الحاج "أمين الحسين" مفتي فلسطين الذي ناصر هذا المسعى المغاربي الموحد منذ بدايته، فوفر لمكتب الناشئ فضاء بالمعهد الإسلامي الذي كان يديره بمدينة برلين⁵²³.

لقد حدد المغاربة أهداف هذا المكتب في العمل من أجل استقلال أقطار المغرب العربي ووحدته في نطاق الوحدة العربية، والسعي إلى كشف جرائم الاستعمار بكل الوسائل

⁵²¹ يوسف الرويسي (ت 1980) أحد مؤسسي الحزب الدستوري الجديد وأحد قياداته حتى خروجه من تونس في ماي 1943 م، هربا من القمع الفرنسي، نشط بفرنسا وألمانيا وإسبانيا هو ورفاقه في 1946 ، وتمكن من اللجوء الى دمشق سنة 1948 أين كون مكتب الحزب الحر الدستوري بدمشق، كان من مؤسسي مكتب المغرب العربي بالقاهرة في فيفري 1947 ، اختلف مع نهج بورقيبة التفاوضي وكان قريب من نهج الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي للمزيد ينظر : عميرة عليه الصغير : اليوسفيون و تحرير المغرب العربي، ط1، المغاربة للطباعة، تونس ، 2007 ، ص 209 .

⁵²² ولد رشيد ادريس بتونس في 27 جانفي 1920 ، بالصاديقية بتونس شارك في نشاط الحزب الدستوري الجديد، ثم هاجر أثناء الحرب العالمية الثانية الى أوربا ، وانتقل الى القاهرة وشارك في تأسيس مكتب المغرب العربي بحضوره لمؤتمر المغرب العربي بالقاهرة 1947 ، للمزيد ينظر :محمد حمدان : أعلام الإعلام في تونس 1860 - 1956 ، ط1، مركز التوثيق القومي، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1961 ، ص 147 .

⁵²³ الرشيد الإدريسي : أربعة رسائل من المرحوم يوسف الرويسي، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 21 / 22، تونس، أفريل، 1981، ص 77 - 80 .

المتاحة، إنا صدروا جريدة " المغرب العربي " وأنشؤوا محطة إذاعية مغربية مستقلة تحمل اسم " إفريقيا الفتاة" بدأت البث نحو شمال إفريقيا في أوت 1943 انطلاقا من إيطاليا⁵²⁴. وبعد انشغال ألمانيا بالحرب على الجبهتين الشرقية والجنوبية وعدم اهتمامها بمكتب المغرب العربي ومستقبله، فإن الوطنيين المغاربة وجدواها فرصة تخلص من الهيمنة النازية على هذه الحركة والمكتب، فعمل يوسف الرويسي في برلين على التكفل بالعمال والأسرى المغاربة في ألمانيا، وكذلك إصدار جريدة تعنى بقضايا شعوب المغاربة وتعمل في الدفاع عن العمال المغاربة وهي جريدة المغرب العربي .

كما نجد أن مكتب المغرب العربي قد وسع من نشاطه، فأصبح يمتد من برلين إلى باريس خلال الحرب العالمية الثانية، حيث اتجه الرشيد الإدريسي وبعده الرويسي إلى باريس ليواصل تجنيد أبناء المغرب العربي هناك والعمل على فتح فروع لمكتب المغرب العربي⁵²⁵ وفي العاصمة الفرنسية اتصل الوفدان بالعمال والطلبة والأسرى، والتقوا بعناصر تابعة لحزب كتلة العمال المغربية مراکش وكذا أعضاء من حزب الشعب الجزائري، ودرسوا إمكانية تنظيم عمل مغربي موحد تجلى تحت إسم "هيئة الحزب الوطني المغاربي"⁵²⁶ وكان من بين أعضاء

⁵²⁴ بوعلام بلقاسمي : مكتب المغرب العربي 1942 - 1947 تطور تيار العمل المغاربي الموحد بين برلين والقاهرة، مجلة الذاكرة الوطنية، تصدرها المندوبية السامية بالتعاون مع المجلس الوطني المؤقت لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مجلة نصف سنوية، عدد خاص، الرباط، المغرب، 2002، ص 56 .

⁵²⁵ أسسوا في باريس فرع لمكتب المغرب العربي و كان يعمل من اجل كسب الطبقة العمالية و الطلبة المغاربة المهاجرين بأوربا وذلك بمساعدة كلا من الحبيب ثامر، حسين تركي، للمزيد ينظر : محمد بلقاسم : اتجاه الوجدوي في المغرب العربي (1910 - 1954)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر ، 1994، ص 317 .

⁵²⁶ يوسف الرويسي : نشاط مكتب المغرب العربي في برلين، المجلة التاريخية المغربية، عدد 7 / 8 ، جانفي، 1997، ص 19 .

اللجنة سي الجيلاني من الجزائر ومحمد الديوري من مراكش⁵²⁷، ثم اجتمعوا بعد ذلك بمجموعة من أعضاء اتحاد عمال شمال إفريقيا، بحيث أخبروهم عن الحالة السيئة التي كان عليها العمال المغاربة وكيف كانوا يستغلون من قبل الهيئات أو كبار الملاك أبشع استغلال، وانتهت هذه الاجتماعات والاتصالات التنسيقية بين العمال والمغاربة في فرنسا إلى نتيجة مفادها هي "أن حل مشكلة عمال المغرب العربي بيد العمال أنفسهم، فهم وحدهم يملكون القوة التي ترغم الألمان على النظر بصورة جدية وحاسمة في وضعهم وذلك دون فرارهم من أماكن الشغل"⁵²⁸، وتهدف هذه المجهودات لإعادة لم شمل المغاربة من جديد تحت مظلة واحدة لمواصلة نضالهم المغربي المشترك حتى في ظل ظروف الحرب العالمية الثانية التي ساعدتهم في إيقاظ فيهم ضمير النضال المغربي المشترك من العبودية والاستغلال الاستعماري.

ومع قرب انتهاء الحرب العالمية الثانية، أي مع بداية ربيع 1944، أعيد تنظيم مكتب المغرب العربي ببرلين ووزعت المهام بين المكتب الرئيسي وفرعه بباريس، وأصبح يحمل صفة الرسمية لأول مرة اسم "مكتب المغرب العربي"، وأصدر المكتب جريدة "المغرب العربي" التي عاشت ما يقارب عام فقط وصدر لها عددان فقط (العدد الأول في فيفري 1945 و العدد الثاني والأخير في مارس 1945) وقد عبرت هذه الجريدة في عددها الأول عن فكرة القومية في المغرب العربي، وعن دور وأهداف من تشكيل المغرب العربي في برلين وفرعه في باريس، أما في عددها الثاني فقد صرحت عن الأخطار المحدقة ببلدانها قائلتا: "... فلينته قاده المغرب ورجاله الى الخطر المحدق بالبلاد ... وليستعدوا من الآن لخوض غمار الكفاح النهائي عندما تدق ساعته، وليكن هدفها من هذا الكفاح هو تحرير المغرب واستقلاله

⁵²⁷ بوعلام بلقاسمي : المرجع السابق، ص 56 .

⁵²⁸ يوسف الرويسي : المصدر السابق، ص 20 .

وتوحيد أجزائه وتحقيق سعادة أبنائه ضمن الوحدة العربية العامة⁵²⁹، وبعد أن أطلقت الحرب العالمية الثانية رحاها من تراجع قوة ألمانيا وضعفها، وسقوط فرنسا إلى نزول حلفاء على شواطئ النورمندي، كل هذا سيدفع بطبيعة الحال إلى مغادرة بعض قادة مكتب المغرب العربي من ألمانيا وفرنسا إلى مناطق وأراضي متفرقة، فمنهم من ذهب إلى اللجوء إلى إسبانيا بين أوت 1944 إلى جوان 1946 أمثال الحبيب ثامر لمواصلة النضال المغربي المشترك تحت مظلة مكتب المغرب العربي، والبعض الآخر ذهب إلى المشرق وخصوصا إلى القاهرة لمواصلة نضالهم من أجل وحدة المغرب العربي⁵³⁰.

أما في برلين فقد توقفت جميع نشاطات مكتب المغرب العربي بسبب انهيار ألمانيا أمام قوات جيوش الحلفاء فخرج منها يوسف الرويسي وعدد كثير من زملائه في أبريل 1945 متجهين جنوبا، لكن سرعان ما ألقت عليهم القوات الأمريكية القبض ولم يطلق سراحه -أي الرويسي- إلا بعد سنة كاملة، كما أصدرت القوات الفرنسية في حقه حكم الإعدام غيبيا مما دفعه إلى اللجوء إلى سورية وبها بادر إلى إحياء مكتب المغرب العربي من جديد⁵³¹.

والملاحظ من هذا النشاط أن أبناء المغرب العربي أدركوا حقيقة قضيتهم عند احتكاكهم بمختلف الجنسيات المتواجدة بالمهجر، واستفادوا من الحرب العالمية الثانية من إيقاظ ضمير الوطني داخل نفوس المغاربة المتواجد في الحرب أو في المهجر، لذلك عملوا على إيجاد آليات تضامن ورص الصفوف للتعريف بقضيتهم في عقر دار أعدائهم.

⁵²⁹ يوسف الرويسي : المصدر نفسه، ص 26 ، 27 .

⁵³⁰ بوعلام بلقاسمي : المرجع السابق، ص 57 .

⁵³¹ محمد بلقاسم : اتجاه الوجدوي في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 321 .

ثانيا: جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية 1944

كان لظهور هذا التنظيم الدور الكبير في بلورة الوعي الوطني لبلدان شمال إفريقيا وزيادة في تكثيف العمل الوحدوي الأثر البليغ، وخصوصا بعد أن عرف مكتب المغرب العربي الأول الذي تأسس في برلين وفرعه في فرنسا فتورا نسبيا، ظهر هذا التنظيم للوجود ليبرهن أن كفاح ونضال المغرب العربي مستمر وسيظل دائما مهما كانت الصعاب والمعوقات، وتشير أغلب المصادر والكتابات التاريخية أن هذا التنظيم يعود تأسيسه خلال الحرب العالمية الثانية على يد الشيخ محمد الأخضر حسين شيخ الأزهر⁵³²، ويذهب فضيل الورتلاني إلى أن تأسيس هذه الجبهة يعود إلى 18 فيفري 1944 أن يقول بالحرف الواحد: "تكتلوا في جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية التي تأسست في 18 فيفري 1944 بالقاهرة تحت رئاسة شيخ الأزهر محمد الأخضر حسين وكاتبه الشيخ فضيل الورتلاني، وضمت أعضاء من جميع أقطار المغرب العربي ومن جميع الهيئات والأحزاب، ووضع لهذه الجبهة قانونا أساسيا يهدف بالدرجة الأولى إلى استقلال هذه البلاد استقلالا تاما لا زيف فيه، ووحدة كاملة شاملة لا نقص فيها"⁵³³، ومن بين الأعضاء الذين تكلم عنهم الأمين العام للجبهة فضيل الورتلاني هم إبراهيم اطفيش، والشيخ إسماعيل على، والأستاذ أبومدين الشافعي، ونجد أن الأستاذ الرشيد إدريس يؤكد أن هذه الهيئة لم تكن لها أي صلة مع الحركات الاستقلالية الأخرى داخل المغرب العربي وأن نشاطها كان محدودا⁵³⁴.

⁵³² أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية (1930 - 1945)، ج3 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، 1988، ص 243.

⁵³³ معمر العايب : مؤتمر طنجة المغاربي، دراسة تحليلية تقييمية، ط1 ، دار الحكمة للنشر، الجزائر ، 2010، ص 48 .

⁵³⁴ الرشيد إدريس : ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، دار العربية للكتاب، تونس، 1981 ، ص 13 .

انضمت إلى هذه الجبهة " رابطة الدفاع عن مراکش " التي تأسست سنة 1943، جموع غفيرة من الطلبة المتواجدين بالقاهرة أمثال عبد الكريم بن ثابت، عبد المجيد بن جلون، وأحمد بن المليح، وعبد الكريم غلاب، والعربي بناني، كما التحقت وفود أخرى أرسل بها المكي الناصري أمثال محمد بن عبد الله، وأحمد الوزاني، وعبد السلام بناني، وأحمد بن عود، ومصطفى عبد الوهاب، والتحق بها من التونسيين الشيخ محي الدين القيبي، وبورقبية بعد وصوله إلى القاهرة⁵³⁵، كما ضمت جميع الهيئات والأحزاب المغاربية وهذا خلاف ما ذهب إليه الرشيد إدريس كون أنها لم تكن لها علاقة بالأحزاب والحركات الاستقلالية داخل المغرب العربي⁵³⁶.

لقد صادقت جميع الهيئات والأحزاب على ميثاق جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا وقد جاء في مقدمته ما يلي: " لما كانت شعوب شمال إفريقيا متجهة نحو جهة واحدة لمحاربة الاستعمار بجميع أنواعه والسير نحو الاستقلال وتثبيت السيادة الموقع على هذا أن يخرجوا هذه الوجهة المتحدة من حيز النظر والعاطفة إلى حيز العمل"⁵³⁷، واتفق أيضا موقعوا هذا الميثاق على عدم إجراء أي تعديل وتغيير ما لم يتفق عليه مسبقا جميع الأطراف الموقعة على الميثاق وكذا العمل على وحدة الشمال الإفريقي ضمن مظلة جامعة الدول العربية، أما فيما يخص أهداف الجبهة ومطالبها فنوجزها في البنود والمواد التي وقعوا عليها أهمها:

- المادة الأولى: في اليوم الأول من ربيع الأول سنة 1364هـ الموافق ل 18 فيفري

1944 تأسست هيئة في القاهرة تسمى جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية .

- المادة الثانية: أغراض الجبهة :

⁵³⁵ علال الفاسي : الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 269 .

⁵³⁶ الفضيل الورتلاني : المصدر السابق، ص 269 .

⁵³⁷ الفضيل الورتلاني : المصدر نفسه، ص 270 .

- السعي بالطرق المشروعة لتحقيق حرية و استقلال شعوب شمال إفريقيا (تونس، الجزائر، مراکش) .

- السعي لضم هذه الشعوب لجامعة الدول العربية .

- المادة الثالثة: دستور جبهة التضامن و تحرير العصابات .

- المادة الرابعة: تسعى الجبهة لتحقيق أغراضها بجميع الوسائل المشروعة كإنشاء

صحف، وفتح أندية، وإيجاد شعب لها في مصر وخارجها إن اقتضى الحال⁵³⁸ .

لهذا نجد أن الجبهة قد ثبتت عدة وسائل لنضالها السياسي، بإبلاغ الرأي العام العربي الإسلامي و الدولي عن طريق إصدار البيانات والمقالات في الصحف، والمجلات فاتخذت من جريدة الإخوان، ومجلة النذير، ومجلة دعوة الحق والهداية الإسلامية، ومصر الفتاة، وغيرها من المجلات الأخرى منابرا بهدف نعت القادة وملوك العرب إلى معاناة شعوب أقطار المغرب العربي كما أقامت العديد من المحاضرات والندوات في مقرات جمعيات مصرية متعددة كجمعية الإخوان المسلمين، وجمعية الشبان المسلمين⁵³⁹، وقامت بنفس الدور تقريبا في العديد من العواصم العربية كبيروت، ودمشق بإرسال العديد من مشايخها وعلمائها أمثال فضيل الورتلاني، والأمير مختار، والأمير سعيد الجزائري والسيد مكي الكتاني المغربي، بهدف إلقاء محاضرات وندوات⁵⁴⁰ .

وما يسجل لهذه الهيئة أنها لعبت دورا هاما في التعريف بقضايا المغرب العربي وتوضيحها ونقلها إلى المشرق العربي، وشكلت الدعاية الإعلامية خاصة على مجلة " النذير

⁵³⁸ المصدر نفسه، ص 208 .

⁵³⁹ المصدر نفسه، ص 380 - 395 .

⁵⁴⁰ يوسف الرويسي : نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق، الحلقة الثانية، المجلة التاريخية المغربية ،

عدد 12، جويلية 1987، تونس ، ص 209 .

المصرية" لتحقيق وحدة ونضال والعمل على توحيد الجهود والمناضلين تحت هذه الجبهة من أجل تحقيق الحرية والاستقلال لجميع أقطار المغرب العربي⁵⁴¹.

أما فيما يخص نشاطها فقد كان غنيا بالنشاطات النضالية والمجهودات السياسية المعتمدة والتي تمثلت أساسا في ربط قضية المغاربة بالقضايا العالمية أثناء تلك الفترة، والعمل على مواكبة كل ما هو جديد لخدمة البلدان المغاربية، وقد كان سلاح الجبهة هو المنتديات الثقافية والفكرية والقلم والمنابر العالمية التي وسعت لها بهدف إيصال أصواتهم وطموح أبناء المغرب العربي وإحياء آمالهم في الإستقلال من وطئة الإستعمار الفرنسي، الذي ألجم أفواههم وجوع بطونهم ولهذا نجد الأمين العام لهذه المجموعة فضيل الورتلاني قد أرسل العديد من المذكرات والمراسلات⁵⁴² إلى مختلف الهيئات المنظمات الإقليمية والعالمية لشرح قضية المغاربة وأوضاعهم تحت نير الوجود الإستعماري .

أول بيان أصدرته الجبهة كان عن مجازر 8 ماي 1945 والذي جاء تحت عنوان " ثورة الجزائر العربية" "أول بيان للدفاع عن إفريقيا الشمالية" مما جاء فيه نشرت الصحف اليومية في صباح 13 ماي 1945 نبأ الثورة في بلاد الجزائر العربية نقلا عن مراسل روتير بباريس يقول أن جماعات مسلحة تابعة لحزب البيان المعروف بعدائه للفرنسيين هبطت من الجبال إلى مدينة سطيف بالجزائر في يوم النصر فأوقعت الاضطرابات في المدينة وقتلت بعض الشخصيات البارزة في الفرنسيين واليهود، وتقدر روتير عدد القتلى من ألك البارزين بخمسين رجلا، ونقول أنه قد وقع قبل ذلك كثير من الاضطرابات في إقليم قسنطينة ولكن حادث يوم النصر كان أشد هولاً...⁵⁴³"، وهكذا نشاهد أن الجبهة قد كان لها الدور الفعال

⁵⁴¹ الفضيل الورتلاني : المصدر السابق، ص 272 .

⁵⁴² الفضيل الورتلاني : المصدر نفسه، ص 291 .

⁵⁴³ المصدر نفسه، ص 291 .

داخل بلدان المغرب العربي، وهذا ما نلمسه في بيانها الأول بشجب الأعمال القبيحة التي قام بها الاستعمار الفرنسي ضد الشعب الأعزل الجزائري.

وهناك للجبهة العديد من المذكرات والبيانات نذكرها في نقاط مختصرة أهمها:

- بيان جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية حول مجازر 8 ماي 1945 بالجزائر الذي تكلمنا عنه آنفا.

- مذكرة إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود عند زيارته لمصر.

- مذكرة إلى دول الجامعة العربية ودول الأمم المتحدة.

- مذكرة إلى دول الأمم المتحدة وإلى الأمم المتحدة.

- بيان حول همجية فرنسا الديمقراطية "النار والدمار في تونس العربية المسلحة".

- مذكرة عن مؤتمر تونس "إعتداء فرنسا على الأرواح والأعراض في تونس".

- نداء الجبهة إلى جميع العرب هيئات وأفراد: "يوم إفريقيا الشمالية بعد يوم فلسطين".

- احتجاج الجبهة على المساومات الاستعمارية في تونس .

- احتجاج الجبهة في ذكرى الظهير البربري بالمغرب .

ونجد أيضا أن الجبهة قد أرسلت إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية مذكرة بشأن إعتداءات المستعمر الفرنسي التي تتعرض لها بلدان المغرب العربي بصفة مستمرة ومما جاء فيه: "حضرة صاحب السعادة عبد الرحمان باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية تحية واحترام وبعد... ترجو جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية من سعادتكم عرض هذه المذكرة الوجيزة على مؤتمر الجامعة العربية الموقرة ولنا كبير الأمل أن تحظى من أنظاره بعيدة المرمى بعناية صافية هي أن شعوب إفريقيا الشمالية العربية تونس والجزائر ومراكش لطالما

عانت من الإحتلال الفرنسي ألوانا من الاعتداء على الأنفس والأعراض والدين الأموال...
«544» .

أما بخصوص المذكرة التي تم إرسالها إلى هيئة الأمم المتحدة جاء فيها ما يلي: " كانت بلاد إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، مراكش تتمتع باستقلالها حتى هاجمتها فرنسا ومدت عليها سلطانها بقوة وأهلها كارهون، استولت على الجزائر باسم الفتح وعلى تونس ومراكش باسم الحماية وأخذت تتصرف في شؤون تلك البلاد تصرف المستبد الغاشم...»⁵⁴⁵

ومما أعطي لجبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية أهمية بارزة في مثل هذه الظروف التاريخية الصعبة أنها حولت إلى قلعة يلجأ إليها أحرار المغرب العربي فاستقبلت الحبيب بورقيبة، الأمير عبد الكريم الخطابي وجماعة مكتب المغرب العربي بفرعه الأوروبي الحبيب ثامر والطيب سليم والرشيد إدريس وحسين التركي أو ببلاد الشام مثل يوسف الرويسي، إذن ففي الوقت الذي تعرضت فيه الحركة الوطنية المغاربية بالعمى من طرف المستبد الاستعماري كانت الجبهة تحمل مشعل الدفاع عن قضايا بلدان المغرب العربي وأصبحت لسانه في كل مناسبة دينية أو تاريخية لدى الحكومات والهيئات الدولية.⁵⁴⁶

ولم تشارك جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية في مؤتمر المغرب العربي في فيفري 1947 الأسباب مختلفة منها: توقيف أمينها العام الشيخ فضيل الورتلاني عن النشاط وسفره في مهمة إلى اليمن، وكذلك نتيجة لطبيعة العلاقات التي كانت تربطها بالإخوان المسلمين في مصر، الشيء الذي لم يرضى له الجامعة العربية، فضلت مناصرة لرجال مكتب المغرب

⁵⁴⁴ المصدر نفسه، ص 283 .

⁵⁴⁵ نفسه، ص 286 .

⁵⁴⁶ فضيل الورتلاني : " المجاهدون يعودون من الآخرة"، جريدة الكتلة المصرية 1946/3/3 .

العربي في إطار القومية العربية فقط، و بدأت الجبهة تختفي عن الساحة السياسية مع نهاية 1947 وبداية 1948 ليخلو الجو والنشاط السياسي لمكتب المغرب العربي.⁵⁴⁷

ومنه إن هذه المحاولات السياسية التي جاءت أعقاب نهاية الحرب العالمية الثانية وميلاد جامعة الدول العربية، في بروز جهود نضالية كانت أكثر تفعيلا ونشاطا داخل بلدان المغرب العربي والمتمثلة في ميلاد هيئة جديدة تعمل ضمن آليات حديثة مواكبة للعصر وهي مكتب المغرب العربي بالقاهرة عام 1947 والمنبثق عن مؤتمر المغرب العربي.

⁵⁴⁷ بوعلام بلقاسم : المرجع السابق ، ص 59 ، 60 .

ثالثاً: مؤتمر المغرب العربي

نتيجة الأحداث التي شهدتها بلاد المغرب العربي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، جعلت بعض زعماء الحركات الوطنية المغاربية وقادة حركة الاستقلالية يدركون عدم جدوى مساندة الاستعمار بالطرق السلمية القديمة كلا على حدى دون تكثيف من العمل الوجدوي والنضال المغاربي المشترك والدعوة على ضرورة توحيد الجهود وتنسيق فيما بينهم⁵⁴⁸. ولهذا الغرض انقسمت الأحزاب المغاربية الثلاثة حزب الاستقلال المغربي وحزب الشعب الجزائري وحزب الدستوري الحر الجديد التونسي على عقد مؤتمر عام لدراسة شؤون المغرب العربي والبحث على أنجع الطرق والوسائل لتنسيق الأعمال وتوحيد الصف وإظهار التضامن المغاربي بهدف خدمة القضية المغاربية وتحقيق الأهداف المنشودة كالاستقلال والحرية.⁵⁴⁹ وعلى اثر هذا تم عقد مؤتمر المغرب العربي بين 15 و 24 فيفري 1947 بالقاهرة وحضره ممثلوا الحركات الوطنية بالمغرب العربي⁵⁵⁰، وقد نجح الوطنيون في توحيد جهودهم وتمكنوا من إقناع شخصيات قومية وعربية وإسلامية⁵⁵¹ بارزة بضرورة المشاركة في هذا

⁵⁴⁸ معمر العايب : المرجع السابق، ص 48 .

⁵⁴⁹ الفضيل الورتلاني : الجزائر الثائرة، المصدر السابق، ص 286 .

⁵⁵⁰ حضره ممثلون عن رابطة الدفاع عن مراكش، وعن حزب الشعب الجزائري والحزب الحر الدستوري الجديد وهم : عبد الكريم ثابت، عبد الكريم غلاب، إدريس السنوسي، عبد المجيد جلون، محمد بن عبد الله، المهدي بن صابر، احمد الوزاني، احمد المليح، محمد الفاسي، أمحمد بن عبود، الطيب سليم، الهادي السعيد، يوسف الرويسي، حسن التركي، الحبيب ثامر، علاه العويني، خليفة حواس، الشاذلي مكي، الرشيد ادريس، الطاهر بن الصالح، احمد المدني، الأمين المدني، الطيب بن احمد، وقد كان كلا من أمحمد بن عبود ومحمد الفاسي الحفناوي عضوين رسميين بالجامعة العربية يمثلان المنطقة الشمالية بالمغرب الأقصى، ينظر : الرشيد ادريس : ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، المصدر السابق، ص 71 .

⁵⁵¹ محمد بلقاسم : الاتجاه الوجدوي، المرجع السابق، ص 368 .

النشاط السياسي ومحاولة حملها على اتخاذ موقف مشترك وجريء لتأييد القضية المغربية وكان في طليعتهم عبد الرحمان عزام الأمين العام للجامعة العربية.

من أهم أعمال الوطنيين المغاربة هو إعادة بعثهم لمشروع مكتب المغرب العربي الذي انشأ في برلين كما ذكرنا سابقا في اليوم الثاني من انعقاد مؤتمر، عالج المؤتمر خلال ذلك العديد من الموضوعات أهمها:

1- الاستعمار الفرنسي والإسباني.

2- تنسيق الحركات الوطنية في بلاد المغرب.

3- مكتب المغرب العربي والجامعة العربية.

4- عرض قضية المغرب العربي على الهيئات الدولية.

5- توحيد جهود المكاتب المغربية في مصر⁵⁵².

وخرج المؤتمر بقرارات تؤكد على العمل المغربي المشترك ضد الوجود الاستعماري فأقروا من خلال الموضوع الأول بطلان معاهدتي الحماية على تونس والمغرب الأقصى وعدم الاعتراف بأي حق لفرنسا في الجزائر وذلك بإعلان الاستقلال التام لبلدان المغرب العربي وبجلاء جميع القوات الأجنبية عنها، واعتبروا أيام احتلال الأقطار المغربية الثلاثة أيام حداد في جميع أقطار المغاربة (5 جويلية، 12 ماي، 30 مارس)، أما الموضوع الثاني فأقروا على ضرورة الاتفاق بين الأحزاب الوطنية المغربية الثلاثة وذوبانها في جبهة واحدة، والعمل على إحكام الروابط بين الحركات الوطنية في المغرب العربي بالاتفاق على غاية واحدة وهي الاستقلال والجلاء، وهذا بتكوين لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية مهمتها توحيد الخطط وتنسيق العمل الكفاح المغربي المشترك إلى جانب توحيد المنظمات العمالية

⁵⁵² يوسف الرويسي : نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق، الحلقة الرابعة، دور مكتب المغرب العربي في دمشق في انعقاد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة، المجلة التاريخية المغربية، عدد 15 / 16 ، جويلية 1979، تونس، ص 106.

والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وتوجيهها توجيهها قوميا، وعلى مستوى الموضوع الثالث أقر المؤتمرين مطالبة الجامعة العربية بإعلان عن بطلان الحماية على تونس والمغرب وعدم شرعية الاحتلال على الجزائر، وتأكيدا لهم على ضرورة عرض القضية المغاربية على الهيئات الدولية لتحقيق الاستقلال التام وضرورة تعيين ممثلين للمغرب العربي بالجامعة العربية وكذا مطالبة الجامعة على نشر الثقافة العربية في كامل بلدان المغرب العربي والعمل على حل مشكلة الطلاب المغاربة بالمشرق العربي بهدف إكمال لدراساتهم.

وأقر الموضوع الرابع عرض قضية المغرب العربي على هيئة الأمم المتحدة والهيئات الدولية للمطالبة باستقلال أقطار المغرب العربي، ونجد أن الموضوع الخامس قد أقر فيه المؤتمرين ما يلي: " تكون رابطة الدفاع عن مراكش والوفد المراكشي في لجان الجامعة العربية ومكتب حزب الشعب الجزائري ومكتب الحزب الدستوري الحر الجديد يسمى: " مكتب المغرب العربي".⁵⁵³

كما اتفق المؤتمرين في عرض القضايا المغاربية على هيئات الدولية وتم المصادقة في هذا الشأن على أهم قراراته:

- أن ترفع الهيئات السياسية المغاربية مذكرة إلى الأمم المتحدة تشرح فيها اعتداء فرنسا واسبانيا على حقوق الشعب المغاربي وحرياته .
- ارسال مذكرات من الهيئات السياسية إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي وحقوق الإنسان تشرح فيها اعتداء فرنسا واسبانيا على كيان المغرب العربي اقتصاديا واجتماعيا.⁵⁵⁴
- شكر الجامعة العربية على كل ما بذلته في سبيل المغرب العربي.

⁵⁵³ الرشيد إدريس : ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة،المصدر السابق ، ص 18 .

⁵⁵⁴ علال الفاسي : الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 378 .

ومنه نلاحظ أن ممثلي الأحزاب المذكورة في الموضوع الخامس والمتعلق بوجود كيان يجمعهم ويوحد صفوفهم في نضال مغربي مشترك رأوا بضرورة إعادة بعث تجربة مكتب المغرب العربي في برلين كما ذكرنا سابقا وكذلك أن جميع قرارات المؤتمر كانت متبوعة بتحليل تاريخية وموضوعية لتبرير اتخاذ ذلك القرار لكنها لم تعطي لنا تصورا واضحا لوحدة المغرب العربي بعد الاستقلال.⁵⁵⁵

في الأخير نخلص إلى أن أهم القرارات التي خرج بها المؤتمر هو ميلاد مكتب المغرب العربي، الذي تأسس عقب هذا المؤتمر في 15 فيفري 1947 منذ هذا التاريخ حل مكتب المغرب العربي محل الأحزاب الوطنية المغربية الموجودة في القاهرة وهو ما سنتناوله في المطالب الموالي⁵⁵⁶.

⁵⁵⁵ محمد بلقاسم : وحدة مغرب العربي، المرجع السابق، ص 64 .

⁵⁵⁶ معمر العايب : المرجع السابق، ص 50 .

رابعاً: مكتب المغرب العربي

إن الأحداث التي شهدتها بلدان المغرب العربي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية جعلت قادة الحركة الاستقلالية على يقين بعدم جدوى مسايرة الاستعمار بالطرق التقليدية القديمة خاصة بعد أحداث 8 ماي 1945 بالجزائر، والقمع الوحشي على قريتي زمردين وبني حسان بتونس في 30 جوان 1946، والأحداث القمعية التي شهدتها مدينة مكناس سنة 1945 جعلتهم يفكرون بجدية في ضرورة تنسيق العمل بين الحركات الاستقلالية المغاربية لتحقيق مشروع استقلال أقطار المغرب العربي، وجسد هذا في مكتب المغرب العربي⁵⁵⁷، وهكذا نجد أن ممثلوا الحركات الوطنية المغاربية بعد انتهائهم من أشغال المؤتمر شرعوا في تنفيذ قراراته المتعلقة بإنشاء مكتب المغرب العربي بحيث افتتح المكتب لتوحيد مكاتب الحركات المغاربية المتواجدة بالقاهرة وضم نظام المكتب على ثلاثة أقسام:

- القسم المراكشي: ضم كل من حزب الاستقلال والإصلاح المغربي.
- القسم التونسي: ضم الحزب الحر الدستوري الجديد.
- القسم الجزائري: ضم حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

ويشير أحد مؤسسي هذا المكتب وهو عبد السلام الهاشمي الطود⁵⁵⁸ بأن عملية تأسيس مكتب المغرب العربي تمت من قبل عبد المجيد بن جلون وعبد الكريم غلاب من المغرب

⁵⁵⁷ معمر العايب : المرجع نفسه، ص 48 ، 49 .

⁵⁵⁸ عبد السلام الهاشمي الطود من مواليد الثلاثينات بالقصر الكبير بالمغرب، درس بالقاهرة عام 1945، وتطوع في الحرب الفلسطينية 1948، وكان ضمن أول بعثة أرسلها الامير عيد الكريم الخطابي الى بغداد، تولى تدريب الدفعة الأولى لجنود جيش تحرير المغرب العربي بالقاهرة، وأرسل رفقة حمادي العزيز الى بلدان المغرب العربي بهدف تنسيق الكفاح المغاربي المشترك عام 1952 .

الأقصى، الرشيد إدريس وعز الدين عزوز من تونس وأحمد بن بلة ومحمد خيضر من الجزائر⁵⁵⁹.

كان الهدف الأساسي من إنشاء مكتب المغرب العربي هو العمل على التنسيق بين الحركات الوطنية المغاربية على أرض الواقع، وتوحيد الخطط لتنسيق عملية الكفاح المغاربي المشترك في ظل نشاط سياسي أو العمل المسلح، لتحقيق المكتب للأهداف المرجوة على أسلوب الدعائي، ولهذا الغرض أنشأ العديد من الفروع بهدف التعريف بالقضية المغاربية وفضح الممارسات الاستعمارية داخل أقطار المغرب العربي.⁵⁶⁰

فقد لخص الكاتب الفرنسي الاتجاه السياسي لمكتب المغرب العربي سنة نشأته التالية أنه مكتب:

- 1_ لا يقبل غير حل واحد: الاستقلال الكامل لدول المغرب العربي الثلاثة التي تختار نظمها السياسية بحرية.
- 2- رفض الاتحاد الفرنسي رفضا تاما في أي شكل كان.
- 3- عدم المفاوضة على أي اتحاد إلا بعد حصول على الاستقلال .
- 4- ليس مكتب المغرب العربي شيوعيا ولا فاشستيا ولا اشتراكيا إنه ديمقراطيا .
- 5- درس مكتب المغرب العربي الإصلاح الاجتماعي الذي يجب اتخاذه في المغرب العربي لكنه ترك تنفيذ هذا المشروع حتى الحصول على الاستقلال التام⁵⁶¹.

⁵⁵⁹ عبد السلام الهاشمي الطود : جذور التنسيق، شهادة مؤسس، أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف، مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 11 / 12 ماي 2007، ص 55 .

⁵⁶⁰ معمر العايب : المرجع السابق، ص 50 .

⁵⁶¹ جاك جاني : " مؤتمر المغرب العربي سنة 1947 وبداية مكتب المغرب العربي في القاهرة :

عملية ابن عبد الكريم "، تعريب احمد بن عبود، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 25 / 26، جوان 1982 ، تونس، ص 11 .

كما عكف المكتب عل إصدار نشرة منظمة تصدر ثلاثة مرات في الأسبوع، مهمتها جمع نشاط الحركات الوطنية التحررية في بلدان المغاربية الثلاثة وفضح جميع ممارسات الاستعمار، والعمل على التعريف بالأوضاع الداخلية لشعوب المنطقة، بالإضافة إلى تنظيم العديد من التجمعات والندوات والنشرات اليومية وكذا الأسبوعية بغرض تحقيق الحرية والاستقلال التام.⁵⁶²

ونجد أن مكتب المغرب العربي قد ركز على قضايا أساسية وجوهرية التي من شأنها تؤكد التوجه الجديد للحركات الوطنية المغاربية داخل المكتب وهي مبدأ الإستقلال التام والدعوة إلى التحرر واسترداد الدولة الوطنية، وشكل هذا التوجه بعدا استراتيجيا في توجهات مكتب المغرب العربي وسعي على تطبيق هذه التوجهات على ارض الواقع، لهذا نجد أن المكتب قد رفع إلى الجامعة العربية بضرورة قبول ورفع المطالبة التي نص عليها في المؤتمر كما ذكرنا سابقا و أهمها في:

- إعلان بطلان الحماية على تونس والمغرب الأقصى.
- إعلان على هدم شرعية الاحتلال الفرنسي على الجزائر.
- تقرير استقلال الأقطار المغاربية الثلاثة.
- تعيين ممثلين عنها _ أي مكتب المغرب العربي _ في مجلس الجامعة.
- عرض القضية المغاربية على كل الهيئات الدولية.
- استعمال وسائل وقوة الجامعة العربية لمساعدة الأقطار المغاربية لتحقيق استقلالها .
- إرسال لجان تحقيق إلى أقطار المغرب العربي⁵⁶³.

⁵⁶² نوال المتزكي : الأحزاب الوطنية المغاربية ومكتب المغرب العربي بالقاهرة، جيش تحرير المغرب العربي 1948 - 1956، أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف، مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 11 ماي 2007، ص 151 .

⁵⁶³ الرشيد إدريس: ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، المصدر السابق، ص 63 - 107 .

من أبرز الأعمال التي قام بها مكتب المغرب العربي هو ترتيب عملية لجوء الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى القاهرة في 30 ماي 1947 التي تكلمنا عنها سابقا وبذلك تعزز المكتب بالقائد التاريخي لثورة الريف وتعززت الدعاية أكثر لقضية المغرب العربي وبلغت أوجها في تلك الأيام⁵⁶⁴، ثم تأسس لجنة تحرير المغرب العربي فيما بعد⁵⁶⁵، ولقد أتاح المكتب فرصة لتداول فكرة الوحدة التي تحتم على ضرورة العمل والتنسيق المشترك بين الأقطار المغاربية الثلاث وبذلك أصبح الإطار المستقبلي والاستراتيجي لشعوب المنطقة⁵⁶⁶.

وتكمن أهمية وجود مكتب المغرب العربي بالقاهرة في استقطابه للعديد من القادة السياسيين والإعلاميين سواء المتواجدين بمصر أو الوافدين إليها من مختلف أنحاء العالم، وبهذا أصبح مكتب المغرب العربي محطة هامة لتمثيل بلدان المغرب العربي وقضاياها في القاهرة التي كانت مركز الإشعاع الفكري والسياسي والإعلامي خاصة بعد أن أصبحت مركز للنشاطات السياسية للبلدان المغاربية .

في الأخير يمكن القول أن مكتب المغرب العربي قد استطاع أن يوحد الجهود والصف داخل الأقطار المغاربية الثلاثة ضمن كيان سياسي واحد يعبروا فيها عن طموحات شعوبهم الواقعة تحت نير الاستعمار، مستعملا في ذلك العديد من الوسائل الدعائية والإعلامية والسياسية غلب عليها الجانب السلمي في كثير من الأحيان ومع وصول عبد الكريم الخطابي إلى القاهرة ساهم في تفعيل وزيادة في نشاط مكتب المغرب العربي وحرص على أن تكون وسائله أكثر وقعا ضد الوجود الاستعماري بحيث دعى الامير عبد الكريم الخطابي على انتهاج سياسة أكثر جرأة وهذا ما نلمسه في لجنة تحرير المغرب العربي التي أسسها

⁵⁶⁴ محمد بن عبود : "وثائق عن بداية نشاط مكتب المغرب العربي في القاهرة"، المجلة التاريخية

المغاربية، عدد 25 / 26، جوان 1982، تونس، ص 123 - 126 .

⁵⁶⁵ معمر العايب : المرجع السابق، ص 50 .

⁵⁶⁶ علا الفاسي : الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 407 .

في بداية جانفي 1948، ودعوته أيضا إلى العمل المسلح وهذا ما سنراه أيضا واضحا في جيش تحرير المغرب العربي .

المبحث الثالث : تأسيس اللجنة تحرير المغرب العربي

إن نزول الامير عبد الكريم الخطابي بالقاهرة شكل تحولا نفعيا ودفعة قوية لتنظيم مكتب المغرب العربي، ثم إعداده لأرضية وحدة الكفاح للمغرب العربي، تركز أساسا على جمع العناصر الثورية المغاربية الذين كانوا يؤمنون بالكفاح المشترك، قصد الخوض في الكفاح المسلح تحت قبة أو شرعية لجنة تحرير المغرب العربي، الذي أسس تحت توصيات مكتب المغرب العربي .

أولا : نشاط الأمير قبيل تأسيس اللجنة

مع وصول الامير عبد الكريم الخطابي بالقاهرة ونزوله بمكتب المغرب العربي، كان في استقباله العديد من الزعماء السياسيين وقادة الحركات الوطنية في الأقطار المغاربية، مع رجال الإعلام والصحافة .

وبعد إجابة الامير على اغلب تساؤلات الصحافة، توجه هو وشقيقه أحمد برفقة احمد بن عبود الى مكتب رئيس الحكومة المصرية محمود فهمي النقراشي باشا، الذي هنئ الضيفين ورحب بهما باسم الحكومة المصرية بنزولهما بمصر، ثم توجه على إثرها الى قصر عابدين في منطقة أنشاص القريبة من القاهرة لتحية الملك فاروق⁵⁶⁷، وتناولا حديث عن قضية بلدان المغرب العربي وما تعنيه من اضطهاد وتعسف على يد المستعمر، أكد له الملك فاروق أن جميع قضايا المغرب بل العرب ككل في يده⁵⁶⁸، ثم عرض عليه الملك

⁵⁶⁷ فاروق الأول (1920 – 1956)، ابن الملك فؤاد الأول، حكم مصر من سنة 1936 الى غاية ثورة الضباط الأحرار في جويلية 1952، توفي في روما، ينظر : محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 116 .

⁵⁶⁸ محمد سلام أمزيان : قصة نزول الامير عبد الكريم في مصر، المصدر السابق، ص 46 .

العلاج في المستشفى الملكي بالقصر تحت إشراف أطباء مختصين⁵⁶⁹، وبعد أسبوعين تقريبا نقل الخطابي الى مستشفى المواساه بالإسكندرية، حيث قضى شهرا كاملا للعلاج⁵⁷⁰، وعاد بعدها الى مكتب المغرب العربي ليواصل نشاطه في مسيرة الكفاح والتحرير، وكان مكتب المغرب العربي قد تأسس يوم 22 فيفري 1947، بناء على توصيات مؤتمر المغرب العربي المنعقد في القاهرة من 15 الى 22 فيفري 1947⁵⁷¹، تحت الرئاسة الشرفية للأمين العام لجامعة الدول العربية عبد الرحمان عزام باشا، وبحضور وجوه عربية بارزة في الميدان السياسي والأدبي .

وعقد الخطابي جلسة عمل مع قادة المكتب المغرب العربي وذلك بعد جميع مراسيم الاستقبال والاحتفالات والندوات الصحفية، ويقول في هذا الصدد الامير: "... بدأت الحديث مع أعضاء هذا المكتب في موضوع يتعلق بتحرير المغرب العربي، والحالة أنني أحس بفرحة كبيرة، إعادة إلينا الحنين الى العمل التحرير ونحن اشد ما نكون قوة وعزيمة، بعد سنوات العجاف بالمنفى، وقررت العمل معهم فوراً دون تحفظ، ودخلت في حديث معهم لمعرفة هدف الذي من أجله أنشؤوا هذا المكتب، فقالوا بكل بساطة :

- إن المكتب أسسناه لدعاية ضد فرنسا .
- المكتب لم يقم بأي عمل جدي لأنه كما قلنا أنشأناه لدعاية فقط .

⁵⁶⁹ " الأهرام " ، 9 / 6 / 19446 .

⁵⁷⁰ خصص في المستشفى جناح خاص للأمير عبد الكريم الخطابي يستقبل فيه وزرائه وهم كثيرون، منهم : وفد من جامعة أدباء العروبة التي قامت بحفل تكريماً على شرفه اشترك فيه بعض الأدباء العرب ولجنة الدفاع عن بطل الريف، كما زاره وفد عن اللجنة الاتحاد العربي في الإسكندرية الذي قدم للخطابي رقعة خطية تذكارية تحتوى على نشيد جمهورية الريف، ينظر : " الأهرام " 3 / 7 / 1947 ، " الأهرام " 9 / 7 / 1947 .

⁵⁷¹ يوسف الرويسي : المجلة التاريخية المغاربية، عدد 12، المرجع السابق ، ص 103 .

وهنا ... إضطرت لبيان الحقيقة لهؤلاء المحترمين جدا، إيماننا مني بأنهم سيستحبون العمل الثوري الذي ينتظره الشعب الراضخ تحت نيران الاحتلال والاستعمار ... والسبب الذي دعاني لبيان هذه الحقيقة يعود الى أنني ما كنت اعرف أن ما يسمى بالمحادثات السياسية والدعائية تنفع وحدها مع العدو الذي احتل بلدنا بالقوة ولا ينسحب منها إلا بالقوة ...⁵⁷² .

ولتفعيل نشاط المكتب، رأى الخطابي انه من الواجب توحيد الأحزاب المغاربية لتوحيد الخطة والهدف والوسيلة في العمل المسلح⁵⁷³ ، فمن البديهي أن تثير هذه الوسيلة تحفظ العديد من أعضاء المكتب المغرب العربي، لكن الامير عمل على رأب الصدع وتقريب وجهات النظر بين الزعماء وممثلوا الأحزاب المغاربية داخل المكتب هذا من جهة ومن جهة ثانية حرص الامير عبد الكريم الخطابي في تجديد الاتصال بالمواطنين الذين حملوا السلاح تحت قيادته السابقة في حرب الريف، ليحرك فيهم الروح القتالية من جديد⁵⁷⁴ ، عكس ما كان يذهب إليه مكتب المغرب العربي واكتفائه بالأساليب الدعائية فقط، وفي هذا الصدد يقول الامير عبد الكريم الخطابي: " ما كنت أعلم أن الدفاع عن الحق أصبح بعيدا عن أداة الدفاع وانه يكتفي بتقديم مذكرات واقامت مظاهرات يتساقط فيها العشرات والمئات من الأبرياء ويبادون كالحشرات، وكان هذا محتوى وطنيتهم الذي طرحوه أمامي ألان مسجلا كالاسطوانة على الألسنة، والواقع أنني فوجئت، ولم أكن أتصور أن الزعماء الوطنيين يلتمسون حقوق الشعب بمكتب تقتصر مهمته بجمع قصاصات الصحف واقامت الحفلات، بينما الحقيقة تقول بصراحة انه لا محيد من توحيد الكلمة وجمع صفوف المواطنين لإستعمال السلاح الوطني⁵⁷⁵ .

⁵⁷² محمد سلام أمزيان : قصة نزول الامير عبد الكريم في مصر، المصدر السابق، ص 45 ، 46 .

⁵⁷³ الصغير محمد الخلوفي : المصدر السابق، ص 89 .

⁵⁷⁴ روم لاندو: تاريخ المغرب في القرن العشرين، المصدر السابق، ص 334 .

⁵⁷⁵ محمد سلام أمزيان : قصة نزول الامير عبد الكريم في مصر، المصدر السابق، ص 45 ، 46 .

وعن هذه التصريحات وغيرها التي توضح موقف الامير الخطابي وتوجهاته القتالية كتبت الجريدة السياسية المصرية تقول: " لا حديث للمغاربة سوى تصريحات الامير عبد الكريم الخطابي، وقد رزق الله هذا الوطن العظيم توفيقا لا احد له، وألقى عليه التصريحات حالة القبول والرضى، ويظهر أن الجواب الوحيد الذي تصده السلطات الاسبانية والفرنسية في المغرب لتجيب على تصريحات أب الوطنية الأكبر، هو طلب اكبر عدد ممكن من القوات والعدة والعتاد، وذلك لا يمر أسبوع واحد حتى تأتي البواخر الى الموانئ المغربية المشحونة بالقوات الأجنبية من فرنسا واسبانيا"⁵⁷⁶، ونجد أيضا أن الخطابي كان يزود الوافدين عليه من حجاج والطلبة بالنصائح والتوجيهات والإرشادات الى إخوانهم داخل الوطن المحتل .

يذكر بير فونتين الذي حاول تقليل من شأن الخطابي وعده مثل غيره من منفيي شمال إفريقيا الحاقدين على فرنسا⁵⁷⁷، ويقول: " أن الصوت الخطابي علا بسرعة فوق كل الأصوات المناهضة للإستعمار الفرنسي " وبأن لهجته " ... كانت تختلف عن اللهجة السياسيين أو انتهازيين الذين تمردوا لأغراض شخصية أو لمساومات محبطة"⁵⁷⁸، ويضيف قائلاً: " أن الامير سرعان ما استعاد شعبيته وتوسعت قاعدة مستمعيه في إفريقيا الشمالية لأنه كان رجل عمل، قاهر الإسبان والمحارب الذي لم يهزم إلا الديماغوجية، لقد دعى الى الثورة بلغة البدوي الواقعي، أن صوته لم يقف عند أسوار المتقفين الغاضبين بل دخل الخيام والأكواخ والبيوت ... فبعد عشرين سنة من اختفائه وجد عبد الكريم أذانا مصغية أكثر عدد من التي كانت تسمعه وهو في شهرته العسكرية "⁵⁷⁹ .

⁵⁷⁶ جريدة " السياسة المصرية "، بتاريخ 12 / 09 / 1947.

⁵⁷⁷ PIERRE, FONTAINE : op ; cit .P 175 .

⁵⁷⁸ *ibid* ,p175 .

⁵⁷⁹ *ibid* ,p176.

وكان مطلب الامير من جميع هذه التصريحات والنشاطات التي قام بها هي الحرية والاستقلال لأقطار المغرب العربي، إذا نجده يقول في إحدى المناسبات: "إذا أهملوا مطالبنا السلمية للأستقلال فإننا سنضطر الى استعمال الوسيلة التي يفهمها الاستعمار الفرنسي الذي عشنا تجربته"⁵⁸⁰، ونجده أيضا يؤكد لمراسل جريدة كونكورد الفرنسية بقوله: "انأ مصمم العزم على محاربة فرنسا إذا كانت ما تزال تصر على المضي في سياستها الاستعمارية في بلادنا، ونحن مستعدون بتحمل المسؤوليات هذا السبيل ... ولا حوار لظروف الحالية، فأما أن يخرج الفرنسيين من المغرب العربي، وأما أن يفصل بيننا السيف، بعد عرض قضيتنا على هيئة الأمم المتحدة، وحينذاك سنرى إذا ما كان المغرب العربي قادرا على التحرير أم انه سيظل رازحا تحت ذل الاحتلال الأجنبي، لقد برهنت الحرب التي خاضتها منطقة الريف المغربية وحدها ضد اسبانيا وفرنسا معا، على ما يستطيع به عرب المغرب في ساحة القتال ضد قوات الغدر والعدوان"⁵⁸¹.

بهذه التصريحات وهذا الأسلوب كان الخطابى يخاطب سلطات الحماية أن تستوعب الأمور دون اللجوء الى استعمال القوة وللغة السلاح، مثلما حدث إبان حرب الريف، ومحنة كلا من فرنسا واسبانيا جراء ذلك، فما بالك إذا قام الشعب في أقطار المغرب العربي بذلك العمل المسلح، ونجد أن الخطابى يعرف جيدا قواعد اللعب الدولية، بحيث انه جعل العمل المسلح بعد عرض قضيته على هيئة الأمم المتحدة، بهدف اقامت الحجة على الممارسات الاستعمارية وإعطاء شرعية دولية للقضية المغاربية .

الى جانب هذه التصريحات نجد أن الخطابى قد إهتم بتوجيه النداءات الى قادة الحركات الوطنية المغاربية لتعبئتهم من اجل تطوير نضالهم السياسى والثقافى، والعمل على خلق جبهة مغاربية لمواجهة الاستعمار بكل أشكاله، واستجاب محمد بن الحسن الوزانى، أمين

⁵⁸⁰ محمد سلام أمزيان : قصة الامير عبد الكريم مع لجنة تحرير المغرب العربي، دت ، ص 18.

⁵⁸¹ مكتب المغرب العربي، القاهرة، نشرة رقم 35، بتاريخ 25 / 06 / 1947 .

عام الحزب الشورى والاستقلال المغربي الى نداء الخطابي وعبر عن ذلك برسالة وجهها الى الامير مما جاء فيها: " إن الشعب المغربي يتتبع باهتمام كبير جميع أخباركم، ويتطلع بإشتياق الى معرفة كل أثاركم وحركاتكم، الأمر الذي يدل على ما تتبوأونه في أفئدة بنيه من مكانة سامية وتمتعون به، ولديهم كافة من العظيم الحب والتقدير والإعجاب، ونريد أن نسجل هذا انه منذ أن حللتم على الرحب والسعة بمصر الشقيقة شعر الشعب المغربي بقوة معنوية ضاعفت عزمته في الجهاد ولا نبالغ إذا قلنا أن العالم العربي نفسه قد شارك المغرب في تلك القوة المعنوية وسرت فيه بوجودكم في الميدان روح الانبعاث وتحفز ووثوب"⁵⁸².

ونجد أن جهود الخطابي لم تقتصر على قادة الحركات الوطنية المغاربية، بل ضلت على صلة مع عدد معتبر من المسؤولين العرب والمسلمين يحاورهم في قضايا الأمة العربية والاسلامية من خلال كتابات ومراسلات، ومن هؤلاء الملك عبد العزيز آل سعود الذي أرسل إليه رسالة مرفقه بمذكرة تتضمن نبذة عن الصراع الإسلامي الاسباني عبر القرون، وعن تصرفات الاستعمار الاسباني في شمال المغرب الأقصى الخاضع لنفوذه، وما يقوم به الساسة الإسبان والعساكر بكل الوسائل لإبادة الإسلام في المغرب، وتعمل على قيام دعاية واسعة النطاق لتخدع البلاد العربية بهدف تنفيذ جميع خططها وتنفصل بالمغرب كما فعلت بإخواننا الأندلسيين، وكان رد الملك محفزا نوعا ما وأكد في رسالة انه في عون جميع العرب لتأمين سؤددهم و سعادتهم⁵⁸³.

⁵⁸² جريدة الرأي العام - لسان حزب الشورى والاستقلال ، يوم 5 / 11 / 1947 .

⁵⁸³ برقية من الملك آل سعود الى الامير الخطابي بتاريخ 13 / 10 / 1947، مجموعة وثائق أمزيان ،

ينظر : محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء و مواقف، المرجع السابق، ص 126 .

كما وجه الخطابى رسالة أخرى الى رئيس الجمهورية السورية شكرى القوائلى⁵⁸⁴، الذى أجاب بكتاب يحمل تمنياته بفوز جميع البلاد العربية واستقلالها وفى مقدمتها بلدان المغرب العربى: "سيؤلف جهاد الخطابى من أجله، غرة فى التاريخ، بل فى التاريخ البطولة العربية الحديثة"⁵⁸⁵.

وفى هذا الصدد نجد أن الخطابى قد دعى جميع أحرار العالم عموماً والشعب الفرنسى بالخصوص بهدف الضغط على حكوماتهم - أى الحكومة الفرنسية - لتخليص المغرب من هاوية لا قرار لها⁵⁸⁶، ونجده يقول: "إذا ما تمادت الحكومة الفرنسية فى تعنتها فنحن نعتمد على أنفسنا بعد اعتمادنا على الله لتخليص بلدنا وتحريرها من أيادى الغاصبين ذلك لأن مستقبل الشعوب التى تدافع عن حرياتنا وكرامتها، لا للمستعمرين الذين يضمنون أنهم يكسبون الوقت بإحداث تغييرات لا أهمية لها وبتصريحات مضللة"⁵⁸⁷.

وفى الجهة المقابلة نجد أن القوات الإسبانية والفرنسية قد عدت العدة والعتاد جراء تصريحات الخطابى، كما رأينا سابقاً، وعمدت على زيادة قواتها داخل بلدان المغرب العربى هذا من جهة ومن جهة ثانية عمدت على فرض الأحكام العرفية وممارسات الإرهاب واعتقال فى كل من وجدته على صلة بالأمير عبد الكرىم الخطابى، بل عمدت السلطات الإسبانية على منع الحجاج منطقة الريف من أداء فريضة الحج خوفاً من التقائهم بالأمير الخطابى

⁵⁸⁴ شكرى القوائلى (1891 - 1967)، رئيس جمهورية السورية من 1943 إلى 1949، من 1955 إلى 1958، وفى عهده تمت الوحدة مع مصر فى إطار الجمهورية العربية المتحدة، ينظر : محمد أمزيان : محمد عبد الكرىم الخطابى آراء ومواقف، المرجع نفسه، ص 126 .

⁵⁸⁵ برقية من شكرى القوائلى الى الأمير عبد الكرىم الخطابى بتاريخ 15 / 11 / 1947، مجموعة وثائق أمزيان ، محمد أمزيان : المرجع نفسه، ص 126 .

⁵⁸⁶ جريدة "الرأى العام"، بتاريخ 5 / 11 / 1947 .

⁵⁸⁷ نفسه .

وان يبث فيهم أفكاره المسمومة في صدور هؤلاء الحجاج -حسب اعتقادهم - ولهذا سعت سلطات الحماية بالمغرب على مسح اثر الخطابي في قلوب وذاكرة الشعب المغربي، وهذا برفض أي احتفالات شعبية بمناسبة تخليص الخطابي من المنفى وإقامته بالقاهرة، وأكثر من ذلك، بل أفتت بكفر على لسان العلماء كل من يهتف بحياة الامير عبد الكريم الخطابي⁵⁸⁸.

ويلخص لنا المؤرخ المصري جلال يحي نشاط الامير عبد الكريم الخطابي في هذه الفترة قائلاً:"باشر الخطابي عمله منذ وصوله الى مصر، واستجاب له الشعب المغربي العربي، وكان بيته في القاهرة محط الوافدين الى مصر، سواء كانوا في طريقهم الى الحج أو قادمين بغرض الدراسة، ذلك لأنه كان يمثل قطبا من أقطاب وقائدا وزعيما ... وكان رئيس دولة ثورية حاربت الاستعمار لعدت سنوات وأملا بالنسبة للكفاحيين والمناضلين سواء من المغرب أو المشرق، وأصبح من الطبيعي والمنطقي أن يزوره الرجال والقادة والزعماء، بصفته مجاهدا وقائدا وأبا روحيا لهم في حركاتهم الوطنية"⁵⁸⁹.

ومنه يمكن القول على أن معنويات الخطابي قد ارتفعت بسبب مساندة ومناصرة المغاربة والعلم العربي والإسلامي والدولي له في قضيته، كما شجعت وسائل الإعلام المختلفة التي تتبع جميع خطواته وتصريحاته وجعلته يتطلع الى القفز بالنضال المغربي الى مرحلة جديدة أخرى من مراحل الكفاح، التي يؤمن بها منذ لجوئه الى القاهرة، وذلك بخلق كيان أو إطار موحد لسير بقضية المغاربة نحو الاستقلال، ألا وهي قيام اللجنة تحرير المغرب العربي .

⁵⁸⁸ رسالة الطيب بنونة الى الطريس ، بتاريخ 14 / 06 / 1947 ، ينظر : محمد أمزيان : محمد عبد

الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع نفسه، ص 124 .

⁵⁸⁹ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي وإشكالية استقلال المغرب، ط1 ، منشورات

فيدبيرانت، الرباط، المغرب، 2003، ص 67 .

ثانيا : ميلاد لجنة تحرير المغرب العربي

رأى الخطابى أن إعداد أرضية لوحدة الكفاح المسلح بالمغرب العربي ترتكز أساسا على جمع كل العناصر الثورية المغاربية، الذين يؤمنون بفكرة النضال المغاربي المشترك قصد خوض في مشروع الكفاح المسلح ، إذا أكد الزعماء المغاربة ذلك وحثهم على ضرورة العمل الموحد لتكتل من اجل النضال المشترك، فهذا الأمر زاد من نشاط مكتب المغرب العربي وأدى الى تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي، يوم 5 جانفي 1948، وهذا بناء على توصيات مؤتمر المغرب العربي في القاهرة .

وعن ظروف تأسيس هذه اللجنة قال الامير عبد الكريم الخطابي: "إني لمسرور جدا أن اتصالي برؤساء الحركات في القاهرة قد أتت أكلها حيث أنهم كلهم تجاوزوا بشأن إنشاء لجنة تحرير المغرب العربي، تضم كل الأحزاب التي تطالب بالاستقلال في تونس والجزائر والمغرب" ⁵⁹⁰.

وهكذا تأسست للجنة تحرير المغرب العربي ⁵⁹¹، بمشاركة الأحزاب المغاربية وعضوية زعمائها وهي: الحزب الحر الدستوري التونسي القديم ⁵⁹²، وحزب الدستوري الحر الجديد

⁵⁹⁰ عبد الرحمان بن عقون : الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1920 - 1936)، ج1، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 26 .

⁵⁹¹ علال الفاسي : الحركات الاستقلالية ، المصدر السابق، ص 349 .

⁵⁹² يمثله محي الدين القليبي، وقد أسس الحزب سنة 1920، الشيخ الثعالبي، وقام على مبدئ المطالبة بنظام دستوري الذي قد أعلن في تونس سنة 1865، واستمد الحزب إيديولوجياته من الفكر الإصلاحى السلفى، كما ربط الثعالبي نطال الحزب الدستوري بالحركة الوطنية في المشرق العربي، ينظر الطاهر عبد الله : الحركة الوطنية التونسية - رؤية شعبية قومية جديدة 1830 - 1956، ط2، بيروت، 1982، ص 60 - 69 .

⁵⁹³ ، حزب الشعب الجزائري ⁵⁹⁴ ، حزب الوحدة المغربية ⁵⁹⁵ ، حزب الإصلاح الوطني ⁵⁹⁶ ،
وحزب الشورى والاستقلال ⁵⁹⁷ ، وحزب الاستقلال ⁵⁹⁸ ، وأسندت للأمير عبد الكريم الخطابي
الرئاسة الدائمة للجنة، بينما شقيقه أحمد نائب دائم لرئيس على أن يتم انتخاب أمين عام
وأمين الصندوق كل ثلاثة أشهر ⁵⁹⁹ ، وأعلن عن ميثاقها في معظم الصحف العربية ⁶⁰⁰ ، الذي
ينص على :

- أ - المغرب العربي بالإسلام كان ، وللإسلام عاش وعلى الإسلام يسير في حياته
المستقبلية .

⁵⁹³ يمثله الحبيب بورقيبة، وانشق هذا الحزب عن الحزب الدستوري القديم أثناء انعقاد مؤتمر بقصر
الهلل يوم 2 / 03 / 1934 ، ويتبنى هذا الحزب الجديد أسلوب التفاوض وسياسة المراحل ، ينظر :
محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 128 .
⁵⁹⁴ يمثله شانلي مكي والورتلاني ، تكون الحزب بعد أن أصدرت السلطات الفرنسية مرسوما بتاريخ 26
/ 01 / 1937 ، حلت بموجبه حركة نجم شمال إفريقيا ، وأعاد مصالي الحاج تشكيلها تحت اسم
جمعية أصدقاء الأمة قبل ان تصبح حزب الشعب الجزائري من جديد، اثر الاجتماع الذي عقده
الوطنيون الجزائريون في نانتر NANTRE قرب العاصمة بباريس ، ينظر :
Claude collot et jean robert henry : op ;cit .P 91 -94.

⁵⁹⁵ يمثله الشيخ محمد اليمني الناصري .

⁵⁹⁶ يمثله عبد الخالق طريس .

⁵⁹⁷ يمثله عبد الحي العراقي وناصر الكتاني .

⁵⁹⁸ يمثله علال الفاسي .

⁵⁹⁹ يونس درمونة : المغرب العربي في خطر، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، مصر ، د . ت ، ص

. 124

⁶⁰⁰ MAHFOUD ,KADDACHE :HISTOIRE DE NATIONALISME

ALGERIENNE ,TOME 2 eme , EDITION ,E.N.A.L. ALGER .P 983.

- ب-المغرب العربي جزء لا يتجزء من بلاد العروبة وتعاونه في دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بنية الأقطار العربية، أمر طبيعي واللازم .
- ج-الاستقلال المأمول لمغرب العربي والاستقلال التام لكافة أقطاره (تونس، الجزائر، المغرب).
- د- لا غاية يسعى إليها قبل الاستقلال .
- هـ-لا مفاوضة مع مستعمر في الجزئيات ضمن الحاضر .
- و- لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال .
- ز- للأحزاب الأعضاء في لجنة تحرير المغرب العربي أن تتدخل في مخابرات مع ممثلي الحكومة الفرنسية والاسبانية على شرط أن تطلع اللجنة على سير مراحل هذه المخابرات أولا بأول.
- ح- حصول قطر من الأقطار الثلاثة على الاستقلال التام، لا يسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية⁶⁰¹ .

وهكذا أن الخطابى وجد جهود مضمينة بهدف تقريب وجهات النظر بين الأحزاب الوطنية وصياغة أفكارها داخل بوتقة واحده وكانت نتيجة هذا الميثاق الذي بين أيدينا، وذلك بإيجاد صيغة توفيقية يجتمع حولها الجميع، ويظهر لنا أن البندين الأولين "أ" و "ب" قد شكل أرضية أساسية للجنة لا يختلف عليها اثنين لكن بقية البنود الأخرى عمل الامير عبد الكريم الخطابى الى إيجاد صيغة توافقية تجمع فيما بينهم، ولهذا تأخر في إعلان ميثاق اللجنة بصيغتها النهائية .

قد أعطى الخطابى أهمية الأولى للإسلام والعروبة في البندين الأولين لأنها تنطلق من إيمانه بأن تاريخ المغرب العربي قائم على أساس وحدة روحية، وبالتعاون مع أقطار العربية

⁶⁰¹ " الأهرام "، 6 جانفي 1948، علال الفاسي : الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 350 ،

أخرى ضمن دائرة الجامعة العربية، بهدف القضاء على سياسة التفرقة التي طبقها المستدمر على المواطنين، و ضد سياسة الكنيسة التي تعمل على إبعاد المغاربة عن دينهم ومقوماتهم الاسلامية، أما عن بقية البنود الأخرى، فقد عبر عن رغبة الشعوب المغاربية في استقلالها التام الذي لا يقبل أي مساومة أو تراجع وفق شروط وضحتها سابقا، وفي البند " ح " أكد على ضرورة مواصلة الكفاح في حالة حصول على قطر من الأقطار على استقلاله الى أن يتحرر جميع أقطار شمال إفريقيا تمام .

قد صادق على هذا الميثاق ممثلوا الأحزاب المغاربية المتواجدون بالقاهرة :

- عن تونس: الحبيب بورقيبة، والحبيب ثامر .
- عن الجزائر: شاذلي المكي، صديق، السعدي .
- عن المغرب: علال الفاسي، احمد بن المليح، محمد العربي العلمي، ناصر الكتاني، عبد الخالق طريس، محمد أحمد بن عبود، محمد اليميني الناصري .

وفيما يخص مكتب اللجنة فقد تكون من السادة :

- الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي، رئيس دائم .
- الامير أمحمد بن عبد الكريم الخطابي، وكيل دائم .
- الأستاذ حبيب بورقيبة، أمين عام .
- أمحمد أحمد بن عبود، أمين الصندوق⁶⁰² .

وأقرت اللجنة لأول مرة التعاون الإيديولوجي للمشروع الوحدوي الثوري المغاربي، وتم تبليغ ميثاق اللجنة الى السفير الفرنسي المتواجد بالقاهرة، والذي ابلغ بدوره حكومته بهذا

⁶⁰² زكي مبارك : المرجع السابق، ص 68 .

الميثاق في الوقت الذي كانت منشغلة بجبهات أخرى في كل من مدغشقر، الهند الصينية،⁶⁰³.

كما أكد الخطابى انه بتكوين اللجنة تحرير المغرب العربى قد خطى خطوة جريئة وهامة لدفاع عن قضية تحرير أقطار المغرب العربى، وتجلى هذا واضحا في نص البيان ذاته، حيث جاء فيه: "...ومنذ الآن ستدخل قضيتنا في طور حاسم من تاريخها، وسنواجه المغتصبين ونحن قوة متكثلة تتكون من خمسة وعشرين مليون، كلها متحدة على كلمة واحدة وتسعى لغاية واحدة هي الاستقلال التام لكافة أقطار المغرب العربى، وسنعمل على تحقيق هذه الغاية بكل الوسائل ممكنة في الداخل كما في الخارج كلما استطعنا الى ذلك سبيلا، ولن نجد المستعمر بعد اليوم لتثبيط عزائمنا وإيقاع الفتن بيننا واستغلال تعدد الأحزاب وتفرق الكلمة لاستعبادنا، لتثبيت أقدامه في بلدنا، فنحن في أقطارنا الثلاثة نعتبر قضيتنا قضية واحدة، وتواجه الاستعمار متحدين متساندين، ولن يرضينا أي حال لا يحقق استقلالنا الناجز و سيادتنا التامة"⁶⁰⁴، ثم دعى الإسبان والفرنسيين في التعقل وإتباع سبيل الحق وإنصاف الشعب المغاربي قبل أن يلجئونا إلى إراقة الدماء كونهم لا يتأخر عن استرجاع استقلالهم بطريقة التضحية و بذل النفس⁶⁰⁵.

وكانت طموحات وأمال الخطابى متفائلة من التزام الأطراف الموقعة على بيان لجنة تحرير المغرب العربى، وان القادة والزعماء السياسيين سيعملون بكل صدق وتجرد من التخلي أو بلورة هذه المبادئ في صياغة جديدة من خلال تحركاتهم ونشاطاتهم، غير انه سرعان ما

⁶⁰³ الرشيد إدريس : ذكريات عن مكتب المغرب العربى، المصدر السابق، ص 141 .

⁶⁰⁴ نص الميثاق موضوع نشاط لجنة تحرير المغرب العربى في القاهرة، ينظر : الرشيد إدريس :

ذكريات عن مكتب المغرب العربى، المصدر السابق، ص 139 ، 140 . .

⁶⁰⁵ بيان اللجنة الذي أعلن عنه الخطابى ونشرته الصحافة، ينظر : " الأهرام " 06 / 01 / 1948،

ينظر الملحق رقم : 04 .

تبين لرئيس اللجنة أن بعض القادة أخذت تصدر عنها مواقف وتصريحات جديدة مخالفة لبنود ومبادئ التي تأسست من أجلها لجنة تحرير المغرب العربي .

وانطلاقاً من توجهات الخطابى وقناعاته، شرع في إرساء قواعد لجنة بالقاهرة أولاً، ثم عمل في ذات الوقت على إنشاء فروع لها في كل من لبنان تحت إشراف المناضل بوعزة الجزائري ، الذي كان يرأس هناك جمعية تحرير المغرب العربي، و في سوريا تحت إشراف المناضل التونسي يوسف الرويسي⁶⁰⁶ ، ولهذا نجد أن نشاط اللجنة قد تميز على نشاط مكتب المغرب العربي، الذي كان دعائياً و إعلامياً بصورة واضحة، فأن اللجنة سخرت جهودها منذ البداية للعمل السياسي والدبلوماسي، وكانت تهدف الى أعمال أكثر ثورية، وهذا راجع بالدرجة الأولى الى اتجاه ومبادئ مؤسسها عبد الكريم الخطابى، الذي كان يؤمن منذ نزوله بالقاهرة بضرورة العمل الثوري العسكري ضد المستعمر⁶⁰⁷ .

وفور إعلان عن تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي، حاولت كلا من روسيا وأمريكا الاستفادة منها واستغلالها في أغراض خاصة في إطار الحرب العالمية الباردة لما لها من تأثير كبير في نفوس العرب والمسلمين بفضل مركز رئيسها الامير عبد الكريم الخطابى، وفي الأسبوع الأول من إعلان عن بيان تأسيس اللجنة اتصل مسؤول بسفارة الاتحاد السوفيتى بالأمير عبد الكريم الخطابى يطلب منه مقابلة ضابط روسى كبير، وهكذا التقى الخطابى بالجنرال الروسى المكلف من ستالين يدعوه على ضرورة وضع خطة وضعها السوفيات، وتقضى بتزويد الامير بالمال والسلاح والمقاتلين من مسلمى الاتحاد السوفيتى، بهدف إعلان ثورته ضد الاستعمار الغربى، مقابل مطلب بسيط يتلخص في منح السلطات

⁶⁰⁶ زكى مبارك : المرجع السابق، ص 69 .

⁶⁰⁷ الرشيد الإدريس : " كيان المغرب وأفاقه، في بناء المغرب العربي "، (ندوة)، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، 1983، ص 17 .

السوفيتية تسهила في منطقة سبته وطنجه بهدف مواجهة العدو المشترك في اسبانيا وهي حكومة فرنكو⁶⁰⁸ ، لكن الخطابى رفض هذه الخطة وعبر قائلاً: "مبدأنا في الكفاح الوطنى مبنى على وعى الشعب وحماسه فى وطننا المغرب العربى، لقد ثبت أن المساعدة الخارجية لا تجدى نفعاً، إذا لم يكن الباعث على القتال روحاً تنبثق من الشعب نفسه، ثم إن تدخلكم سيؤدى بطبيعة الحال إلى تدخل خصومكم التقليديين، ومعنى ذلك أننا سنساهم فى حرب عالمية ثالثة ، وكلنا يعلم نتائجها وعواقبها مقدماً"⁶⁰⁹.

وفى الأسبوع نفسه من إعلان عن تأسيس اللجنة عرضت الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً عن طريق سفير أفغانستان بالقاهرة بأنها ستمده بالمال والسلاح للأمير وله الحرية المطلقة فى اختيار الوسيلة التى يحرر بها بلدان المغرب العربى، مقابل أن يعلن عدائه الصريح لشيوعية، والموافقة على إنشاء قواعد عسكرية أمريكية فى شمال إفريقيا⁶¹⁰ وقبول هذا العرض أيضاً بالرفض وحدد رفضه بقوله: "أما موقفنا من الشيوعية فقد أعلنته العقيدة التى يؤمن بها أهل المغرب العربى، أما موافقتنا على إنشاء قواعد العسكرية، فأملنا بحول الله تحرير بلدنا من كل أنواع وألوان النفوذ والوجود الأجنبى فى أى شكل كان ... وإننا نأمل من الولايات المتحدة الأمريكية أن تفتح عين حليفها فرنسا وتقنعها بالانسحاب من إفريقيا الشمالية "⁶¹¹.

⁶⁰⁸ محمد سلام أمزيان : قصة الامير عبد الكريم مع لجنة تحرير المغرب العربى، المصدر السابق،

ص 39 .

⁶⁰⁹ محمد سلام أمزيان : قصة الامير عبد الكريم مع لجنة تحرير المغرب العربى، المصدر نفسه، ص

39 .

⁶¹⁰ المصدر نفسه، ص 41 .

⁶¹¹ نفسه، ص 41 .

ومنه يمكن القول أن الامير عبد الكريم الخطابي قد استطاع أن يجد كيان أو قالبا يجمع فيه زعماء المغرب العربي تحت مظلة واحدة مع العناصر الثورية المغاربية التي تؤمن بالكفاح المسلح، وهي لجنة تحرير المغرب العربي، بحيث استطاع الامير بن عبد الكريم الخطابي بسياسة توافقية أن يجمع إيديولوجيات المتباينة على توقيع ميثاق هذه اللجنة، بذكاء وحنكة متناهيا، وفق الأهداف والمبادئ المستقبلية التي تدعوا إليها اللجنة .

ثالثاً: أهداف ومبادئ لجنة تحرير المغرب العربي

إن التطورات التي عرفتها قضية المغرب العربي منذ مجيء الامير عبد الكريم الخطابي أعطت دفعا قويا بمختلف الحركات الوطنية المغاربية، خاصة بعد أن لقيت القضية المغاربية دعما ومسانداتاً من الحكومة المصرية وكذا الجامعة العربية، بحيث وفرت الحكومة المصرية الجو الملائم والمناسب لمختلف الزعماء الحركات الوطنية، بهدف توحيد الجهود والتنسيق فيما بينهم لنيل الاستقلال التام، شكل هذا التقارب بين الحركات الوطنية بزعامة الامير على تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي التي تؤمن بفكرة العمل المسلح والنضال المغاربي المشترك وفق ما تم الاتفاق عليه في ميثاقها .

نجد أن ميثاق بمختلف بنوده المذكورة سابقا قد دعى الى عمل مشترك بين الحركات الوطنية المغاربية وفق الوسائل وأساليب عسكرية اقتضت الضرورة على استعمالها بهدف القضاء على الوجود الاستعماري ببلاد المغرب العربي واستقلالها التام⁶¹²، كما أكد الميثاق في بنده الأول والثاني على مبدأ الإسلام والعروبة، حرصاً منه على مقومات الروحية واللغوية والأسس المشتركة في ربط الأقطار المغاربية مع بعضها البعض من جهة، ووبربطها مع العالم العربي والإسلامي من جهة ثانية⁶¹³، ولهذا نجد أن اللجنة قد أضافت عنصر الإسلام وركزت عليه بخلاف قرارات مؤتمر مكتب المغرب العربي الذي ركز على مفهوم القومية العربية .

كما دعت أيضا لجنة تحرير المغرب العربي على ضرورة النضال المغاربي والانتقال من العمل السياسي الذي جسد في مجرد من قصاصات صحفية وحفلات تضامنية الى العمل المسلح والثوري، بهدف مواكبة التحولات التي مست أقطار المغرب العربي وحركاته الوطنية

⁶¹² معمر العايب : المرجع السابق، ص 52 .

خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية، في ظل وجود الحركات أو الموجة التحررية التي مست العالم عقب الحرب الكونية الثانية، وبهذا نجد أن اللجنة قد زاوجت بين العمل السياسي والدبلوماسي وكذلك العمل المسلح، ويرجع اختيار هذا المنهج نظرا لوجود زعماء مغاربة نادوا بالعمل السياسي وفق مبدأ خذ وطالب أمثال الحبيب بورقيبة، الذي كان يريد فتح باب المفاوضات مع السلطات الاستعمارية⁶¹⁴.

وهكذا نجد أن الحركات الوطنية المغاربية ووحدها حول مبادئها المشتركة في ميثاق اللجنة شكلت العمود الفقري الذي أسست من أجله لجنة تحرير المغرب العربي التي كان شعارها الاستقلال التام قبل أي تفاوض، وهو ما مكن القضية المغاربية من جلب اهتمام الرأي العام الدولي، حيث شكل النشاط الدبلوماسي لأعضاء اللجنة بالقاهرة عملا مشتركا ومنسقا بإحكام، سواء على مستوى التخطيط أو التنفيذ، كمستغلين مختلف هيئات الإقليمية والدولية والمدافعة عن حقوق الشعوب المستعمرة .

وعند انعقاد الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة دورتها الثالثة بتاريخ 26 نوفمبر 1948 سارع العديد من أعضاء اللجنة تحرير المغرب العربي المكلفين بهذه اللجنة بالتعريف بالقضية المغاربية في المحافل الدولية، وشاركت اللجنة بوفد مكون من جلول فارس، وأحمد مزغنة، والمهدي بن بركة من أجل توضيح خطورة الممارسات الاستعمارية في بلدان المغرب العربي⁶¹⁵.

وعلى العموم يمكن القول إن الهدف من تأسيس اللجنة تحرير المغرب العربي، كما نص عليه ميثاقها وكما تصوره رئيسها هو تحرير الشامل والعمل على تحرير الأرض والإنسان من السيطرة الأجنبية المباشرة ومن التبعية الاقتصادية والفكرية، ولأجل هذا الهدف كرس

⁶¹⁴ زكي مبارك : المرجع السابق، ص 69 .

⁶¹⁵ الرشيد إدريس : ذكريات عن مكتب المغرب العربي، المصدر السابق، ص 141 .

الامير عبد الكريم الخطابي جهود مضنية وطاقات هائلة قصد تهيئة أرضية ثابتة للعمل، وذلك بخلق روح التعاون والتآزر بين الزعماء السياسيين وتوحيد صفوفهم كخطوة أولى وأساسية قبل الشروع في مرحلة العمل المباشر وهو المواجهة العسكرية ضد القوات الاسبانية والفرنسية معا⁶¹⁶ .

بالإضافة الى هذا كله كان رئيس لجنة الامير عبد الكريم الخطابي يوجه العديد من البيانات الاحتجاج والاستنكار من الممارسات الوحشية للاستعمار الفرنسي والاسباني معا، وتجلى ذلك على سبيل المثال في البيان الذي استنكر فيه اثر اعتقال أعضاء المنظمة الخاصة الجزائرية جاء فيه: "إن لجنة التحرير المغرب العربي المستنكرة للوجود الاستعماري والتعسفات التي أصبح الشعب الجزائري ضحيتها رجالا ونساء، نحتج ضد هذا الظلم المتواصل والمخالف لميثاق الأمم المتحدة وحقوق الإنسان ..."⁶¹⁷، وأكد على ضرورة إطلاق صراح المساجين السياسيين من المعتقلات الفرنسية .

ومن خلال ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي ونداءات رئيسها الامير عبد الكريم الخطابي، يمكننا أن نستنتج أهداف اللجنة في سبيل تحقيق هدفها الأسمى الذي اجتمعوا حوله وهو الحرية والاستقلال التام من الاستعمار وفق أهداف ومبادئ التالية :

- توحيد الصفوف وتقريب وجهات النظر بين الحركات الوطنية المغاربية والقاعدة الشعبية لها في مختلف أقطار المغرب العربي .
- ضرورة الانتقال من العمل الدعائي السياسي الى العمل الثوري المسلح .

⁶¹⁶ محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 155 .

⁶¹⁷ الرشيد إدريس : ذكريات عن مكتب المغرب العربي، المصدر السابق، ص 145 ، 146 .

- البحث عن السند الجماهيري العربي والإسلامي والدعم الدولي لدفاع عن حقوق المواطنين المغاربة⁶¹⁸ .

- إرساء روح التضامن وتوحيد النضال من أجل الدفاع عن مقومات والأسس المشتركة بين أقطار المغاربة واستغلالها لبناء جسر الأخوة وتأزر من أجل التخلص من مآل الاستعمار الاسباني و الفرنسي الغاشمين .

- إرساء مبدأ الوحدة والقوة الذي تجلى في بند الميثاق للجنة"لا تفاوض إلا بعد الاستقلال التام للأقطار المغاربية الثلاثة تونس الجزائر المغرب".

- إعطاء للجنة بعد ثوري مستمر ومتواصل، حتى إن استقل قطر من الأقطار الثلاثة فإنه لا ينبغي أن تتوقف اللجنة عن نشاطها المسلح بهدف تحرير الأقطار الأخرى المتبقية .

- جعل القومية العربية الإسلامية والدفع بها لمؤازرة الأقطار المغاربية العربية الإسلامية بهدف القضاء على الهيمنة الاستعمارية .

وبالرغم من توقيع زعماء الحركات المغاربية على ميثاق اللجنة، وتأكيد تعاونهم مع مشروع الامير، سرعان ما تلاشت لغة التفاهم داخل اللجنة أمام إصرار لكل واحد منهم على نهج طري يراه من منظوره انه الأصلح والأنجع لصالحه ولحزبه ولشعبه، دون الرجوع للميثاق أو الالتفات الى نصائح وإرشادات زعيمها عبد الكريم الخطابي الدعي الى وحدة الكلمة والصف، ومحذرا الانزلاق وراء السياسية الاستعمارية، فاضطر الامير الى مواجهة هذا الموقف بصدر رحب من جهة ومن جهة أخرى عمل على مواجهة الصراع الإيديولوجي بين

⁶¹⁸ الرشيد إدريس: المصدر نفسه، ص141 .

المعسكر الشرقي الشيوعي، والمعسكر الغربي الرأسمالي، و دعوتهما في مساعدة الامير عبد الكريم الخطابي وذلك من اجل تحقيق أهدافه الإستراتيجية داخل أقطار المغرب العربي⁶¹⁹.

ومنه يمكن القول أن الامير عبد الكريم الخطابي استطاع أن يرسم أهدافه ومبادئه وإيديولوجياته، على لجنة تحرير المغرب العربي والتي عبر عنها ميثاقها بشكل واضح، وفق آليات وأهداف اجتمع حولها زعماء المغرب العربي نحو هدف أساسي وهو استقلال أقطار المغرب العربي، لكن سرعان ما اختلف أعضاؤها حول هذه الوسائل والآليات التي يراها كل حدى أنها مناسبة له و لحزبه وكذلك لشعبه رغم اتفاقهم حول مبادئ وأهداف هذه اللجنة .

⁶¹⁹ زكي مبارك : المرجع السابق، ص 69 .

المبحث الرابع: نشاط لجنة تحرير المغرب العربي

بعد أن أعلن عبد الكريم الخطابي عن تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي بدا مباشرة في توجيه النداءات إلى المغاربة بمختلف الفئات والشرائح داخل الوطن أو خارجها ليطلعهم عن أهداف ومبادئ تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي وعن ضرورة الكفاح الخارجي المشترك، كما دعاهم عن ضرورة تحرير الوطن وإنقاذه من يد المستعمر المستبد، وطالب أيضا زعماء وقادة الأحزاب الوطنية بالابتعاد عن النعرة الحزبية ولا يجعلونها وسيلة للتفرقة ولهذا نجده يقول في ندائه إلى أبناء شمال إفريقيا: " وكل من سيسعى في شقاق وخلاف بينكم في صفوفكم سأعتبره خائنا ، لأن المستفيد من ذلك هو المستعمر وحده"⁶²⁰ لهذا نجد أن عبد الكريم الخطابي رفض أي شقاق أو خلاف داخل زعماء المغرب العربي بحيث دعى إلى وحدة الصف والتضامن فيما بينهم وأن لا يشذ عنهم أحد لأنه سيقع في دوامة الإغراءات الفرنسية.

أولا: نشاط اللجنة على الصعيد المغربي والعربي

كان رد فعل السلطات الاستعمارية هي من قيام هذه اللجنة في بلدان المغرب العربي واضحا وتمثلت في عقد العديد من المداولات والمشاورات بين مسؤولين الفرنسيين وإسبان بحيث اجتمع كلا من المقيم العام الفرنسي الجنرال "جوان" مع المندوب السامي الاسباني الجنرال "قاريللا"⁶²¹ في طنجة بهدف تكثيف وتوحيد الجهود بين البلدين ولهذا نقلت العديد من الصحف حول هذا الاجتماع: " إن الخلاف بين دولتي اسبانيا وفرنسا لا يخدم إلا

⁶²⁰ نداء الى شمال إفريقيا بتاريخ 05 / 01 / 1948 ، مجموعة وثائق أمزيان، محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 136، ينظر الملحق رقم 05 .

⁶²¹ تولى منصب المندوبية السامية ابتداء من 12 أبريل 1945، حتى وفاته يوم 24 مارس 1951 م، بتطوان .

مصلحة الوطنيين المغاربة⁶²²، ولهذا طالبوا بضرورة توسيع نطاق المتابعة والمراقبة على جميع التحركات المساعدة والداعمة لعبد الكريم الخطابي، وتجنيد المزيد من الجواسيس وبعض العناصر ذات التأثير الاجتماعي والسياسي مع دعم بعض الباشوات والقادة وشيوخ أطراف الصوفية الموجودين بالمنطقة .

ونجد أيضا الاستعمارية قد عملت على شد الخناق حول أعناق المغاربة ذلك بممارسة العنف والإرهاب السياسي وإهانة المقدسات الدينية وارتفاع درجة الأحكام العرفية بالتدخل العسكري السافر⁶²³، ونتيجة هذه الأعمال الوحشية على سكان المغرب العربي الأقصى بالخصوص، عمد محمد بن عبد الكريم الخطابي رئيس لجنة تحرير المغرب العربي بممارسة الضغط على السلطات الشعبية وذلك بقوة الشعب والمواطنين، حيث دعاهم بالمزيد من الكفاح المشترك بهدف إخراج المستعمر وحرصهم على مقاتلته بكل الوسائل، ونقلت جريدة الأهرام تصريح الخطابي جاء فيه: " بينما تسعى الدول إلى تحسين أحوالها بعد الحرب العالمية الأخيرة، تتطور الحوادث في المغرب من السيئ إلى الأسوأ ولا نكاد نفرغ من الحديث عن مصائب الاستعمار الفرنسي في الجنوب حتى تتسرع اسبانيا إلى إنزال مصائبها هي الأخرى في الشمال، حيث تقع الآن حوادث دامية يذهب ضحيتها الأبرياء، هذا هو ثبات الشعب وجبن الإسبان الفاشيين الذين يطعنون شعب أعزل وهم يعلمون أنه عندما كان لهذا الشعب قوة مسلحة فقد كانت الجيوش الاسبانية تتحدر فرقة تلو الأخرى من أول لقاء...، إن اسبانيا وفرنسا على اختلاف سياستهما متفتتان على المغرب العربي بتنسيق قواتهما ومواصلة العمل للقضاء على العروبة والإسلام في هذه البلاد...إنني أعلن أن الشعب

⁶²² جريدة " الأهرام "، بتاريخ 11 / 02 / 1948 .

⁶²³ " الاتحاد " بتاريخ 11 / 02 / 1948 .

العربي في تونس والجزائر والمغرب مصمم على أن يواصل الكفاح إلى أن يحقق حريته الكاملة واستقلاله الناجز أو يفنى عن آخر رجل ولو بقي وحده في الميدان⁶²⁴.

نتيجة هذه التصريحات التي ألهمت مواطني بلدان المغرب العربي وزادت من عزيمتهم على مواصلة الكفاح المشترك بهدف إخراج المستعمر، عمدت القوات الإسبانية على تكثيف قوتها بمنطقة الريف كونها معقل قوات الخطابي، وأن تحرر الأمير الخطابي من الأسر الفرنسي شد من عزم أبطال هذه البلاد الذين باتوا يعتقدون أن حرب الريف لم تنتهي بعد⁶²⁵.

وهكذا أصبح الوضع الشعبي في بلدان المغرب العربي كالفنيلة الموقوتة داخل صفوف المستعمر المستبد، هذا أوجد القلق داخل الصفوف والدوائر الاستعمارية ولهذا نجد أن المقيم العام الفرنسي جوان قد دعي إلى عقد مؤتمر صحفي في وزارة الخارجية الفرنسية، استعرض فيه حالة المغرب وأكد أن عبد الكريم الخطابي جندي قاتل ببسالة ولم يعمل قط لحساب أحد بل عمل لحسابه وأنا اعتقد بأن السلطان يعرف ذلك⁶²⁶.

وكان الهدف من وراء هذه التصريحات هو الإشادة بقوة وبسالة عبد الكريم الخطابي، هذا خلق خلاف بين السلطان والأمي، و ذلك بالتلميح للسلطان بأن الخطابي يسعى لإقامة حكم جديد بعد إزاحته من العرش وأن حربه الأولى التي هي حر بالريف لم تكن ضد فرنسا أو اسبانيا بقدر ما كانت تهدف إلى انتزاع العرش من يد السلطان ودليل ذلك أنه أسس دولة أو جمهورية مخالفة لنظام السلطان، و بهذه التحريضات الكاذبة استطاع الجنرال جوان أن يقنع أن نشاط الخطابي في القاهرة لا يستهدفهم بالدرجة الأولى كما يستهدف السلطان في حد ذاته.

⁶²⁴ " الأهرام " بتاريخ ، 10 / 02 / 1948 .

⁶²⁵ " الأهرام " بتاريخ 15 / 02 / 1948 .

⁶²⁶ " الاتحاد " بتاريخ 25 / 05 / 1948 .

أما على الصعيد العربي، فأهم قضية أولتها اللجنة تحرير المغرب العربي اهتماما كبيرا هي القضية الفلسطينية لمالها من تأثير كبير على الأمة العربية والإسلامية، لهذا نجد أن فور وصول الأمير إلى القاهرة قد أعلن أن فلسطين بلاد عربية ولا بد أن تبقى عربية، وعمد الأمير رفقة أخيه بإرسال العديد من المتطوعين شمال إفريقيا إلى فلسطين لإحياء أسلوبه العسكري الذي انتهجه بنجاح في حرب الريف⁶²⁷ .

كما نجد أيضا أن الخطابى قد أكد للصحافة الوطنية والدولية أثناء إجتماعه بالأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمان عزام في 9 سبتمبر 1947 قائلا: " إن القضية الفلسطينية تحتل المكانة الأولى والأعمال الآن أولى من الأقوال...و الأيام القريبة ستظهر أعمالنا"⁶²⁸ .

وأكد الأمير عبد الكريم الخطابى أن خطة تحرير فلسطين تقتضى للتنظيم العسكري والتنفيذ الدقيق للخطة، ولهذا عمد على تجنيد العديد من المتطوعين المغاربة في صفوف المقاومة الفلسطينية، وأنهم نظموا أنفسهم تحت قيادات محلية ينتظرون أوامر القائد عبد الكريم الخطابى.

فقد وضع الخطابى شرطا أساسيا لتحقيق النصر المأمول في ضرورة " تضافر القوى ولم جهود الفلسطينيين أولا، وفي العالم العربي ثانيا...في مقدور العالم العربي بمجرد اجتماع كلمته وتوحيد فكرته و لم شمله وأن يصعقهم الله اليهود ويذهب بريحهم إلى الأبد"⁶²⁹، فبالرغم من بساطة المشكلة الفلسطينية وسهولة قضيتها في نظر عبد الكريم الخطابى

⁶²⁷ محمد سلام امزيان : قصة الامير عبد الكريم مع لجنة تحرير المغرب العربي، المصدر السابق، ص 47 .

⁶²⁸ " الأهرام " بتاريخ 10 / 09 / 1947 .

⁶²⁹ مجلة " الأمانة " المصرية، ع 3، المجلد 2، جانفي 1948 ، ص 27 .

وذلك بالعمل على توحيد الجهود والتضافر القوى الفلسطينية خاصة والعربية عامة، لكن هياها ذلك .

وهكذا فإن دفع الأذى عن الفلسطينيين وحل المشكلا الفلسطينية المرهونة بصدق عزيمة العرب وإدراكهم لمسؤولياتهم التاريخية والأخلاقية بالطرق العملية، وهي طريقة الكفاح المسلح ولهذا نجد أن عبد الكريم الخطابي يؤكد على هذا الطرح بقوله: " يضيع فيه الحق إذا لم تسانده قوة ويظاهاه سلاحه وعتاد ويتكئل فيه الرجال شيبا وشبابا... فالواجب يفرض أن نتكلم بالسيف لنُدفع عن الظلم والحيف"⁶³⁰.

وأول خطوة دعى إليها الخطابي في سبيل تحقيق نصرت القضية الفلسطينية تبدأ بالحرب الاقتصادية يعلنها العرب ضد الصهاينة ويحرم التعامل معهم تجاريا واقتصاديا حظرا شاملا وعام وفي هذا الصدد يقول: " ولعل أجرى السلاح في أيدي العرب الآن تنظيم مقاطعتهم مقاطعة كاملة في تجارة والصناعة والتعامل وما إلى ذلك"⁶³¹، بهدف العمل على شل الاقتصاد المغتصب هذا من جهة ومن جهة ثانية توحيد الجهود ورص الصف بين أقطار العالم العربي نحو قضية مشتركة وهدف مشترك هو تحرير فلسطين.

ورغم مجهودات الأمير عبد الكريم الخطابي إلا أنه لم تتح له الفرصة الفعلية في المشاركة في القتال داخل فلسطين، لكنه استطاع أن يوحد صفوف المتطوعين المغاربة لنصرة القضية الفلسطينية، ودمجهم داخل صفوف المقاومة الفلسطينية هذا من جهة ومن

⁶³⁰ مجلة " العالم العربي "، مصرية، ع 04، 10 جويلية 1948، ص 12 .

⁶³¹ مجلة " الأمانة "، المصدر السابق، ص 27 .

جهة ثانية عمد على اتصال مباشر مع العديد من المسؤولين والزعماء لنصرة القضية الفلسطينية أمثال مراسلته للملك عبد الله ملك الأردن⁶³².

وانطلاقاً من هذا كله لم يكن يحبذ عبد الكريم الخطابي فكرة تدخل الجيوش العربية المنظمة في فلسطين، لأن الاختلافات في الرأي ستؤثر على وضعية المقاومة داخل الجيوش الفلسطينية بالتشتت مما يؤدي إلى انتصار الصهاينة بل يرى أن مهمة القضاء على قوات الصهاينة على عاتق الفلسطينيين أنفسهم، ويقتصر دور الحكومات العربية على إمدادهم بالسلاح والمال والعناد و توحيد الكلمة فقط ليس إلا .

ومنه لعبت لجنة تحرير المغرب العربي والناطق عن لسانها عبد الكريم الخطابي دوراً بارزاً على الصعيد المغربي بالنصرة والنصح والدعوة إلى توحيد الصف وتكثيف الجهود من جهة ومن جهة أخرى العمل على إيجاد الوسائل والآليات الجديدة لدحر قوات العدو المتواجدة بالمنطقة والتي جسدت فيما بعد في فكرة جيش تحرير المغرب العربي

أما فيما يخص القضايا العربية فنجد أنه قد أولى عناية كبيرة بالقضية الفلسطينية وأنه لا علاج للمشكلة الفلسطينية إلا بالثورة الشعبية والحرب في وجه العدو إلى النهاية، وأن مسؤولية تحرير فلسطين تقع على عاتق الفلسطينيين أنفسهم وفي المقابل تتكفل الحكومات العربية بالدعم المادي والمعنوي فقط.

⁶³² مما جاء في هذه المراسلة التي أرسلها ملك الأردن للأمير عبد الكريم الخطابي بتاريخ 24 / 9 / 1948 : " فقد سرني أن أحظى بكتابكم وبآرائكم السديدة نحو سلامة الجميع ، وان هذه الكرامة غرست في نفسيتم بيد الخالق العظيم ... أما الجهاد فعادتنا وأما الدعوة الى الوحدة فبدأنا ... " ، مجموعة وثائق أمزيان ، ينظر : محمد أمزيان : محمد عبد الكريم آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 146 .

ثانيا: نشاط لجنة تحرير المغرب العربي خارجيا (دوليا).

يرى الخطابي أن الاستعمار هو السبب الذي أدى لزرع الشقاق بين الدول والأمم، وعمل على خلق تفرقة فيما بينها، ولهذا هو العدو المشترك لجميع شعوب العالم والواقعة تحت نير المستعمر⁶³³ ولهذا وجب على هذه الشعوب أن تتآلف وتتضافر مع بعضها وتعمل على توحيد الجهود وأساليب الكفاح والاستفادة من بعضها البعض في مواجهة العدو الواحد وهو المستعمر.

وانطلاقا من هذه العوامل والاعتبارات نجد أن الأمير عبد الكريم الخطابي قد اهتم بأغلب الحركات التحررية الوطنية أو الدولية، من أهم هذه الحركات نجد حركة الهند الصينية الذي كان في اتصال مع العديد من زعمائها وأثناء تواجده بالمنفى في جزيرة لارنيون، بحيث كان يقدم لهم العديد من النصائح والتوجيهات والعمل على ضرورة توحيد الصف والجهود المبذولة بهدف إخراج المستعمر الفرنسي⁶³⁴ وازداد اهتمام الخطابي بالمقاومة الفيتنامية أكثر بعد نزوله بالقاهرة، فتوثقت العلاقة بينه وبين القادة الفيتناميين الذين أبدوا إعجابهم بالأمير عبد الكريم الخطابي وأسلوبه في مواجهة القوات الفرنسية والاسبانية معا، وفي شجاعة وبطولة هذا الرجل فقد كتب إليه زعيم المقاومة في الفيتنام "هوشي منه" إلى عبد الكريم الخطابي يدعوه على ضرورة تحريض الجنود المغاربة على رفض الذهاب

⁶³³ : محمد أمزيان : محمد عبد الكريم آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 147 .

⁶³⁴ منهم على سبيل المثال الزعيم الفيتنامي " قين شين " الذي زار الأمير في المنفى، ينظر : محمد بن

عبد الكريم الخطابي : في المنفى، المصدر السابق، ص 94 .

إلى الفيتنام للقتال مع الصفوف الفرنسية كما يدعو أيضا عمال الشحن في الموانئ البلدان المغربية إلى مقاطعة البواخر الفرنسية المتواجدة هناك.⁶³⁵

رغم محاولات الخطابى نقل الرسالة هوشى منه إلى بلدان المغرب العربى، إلا أن القوات الفرنسية استطاعت تجنيد العديد من المقاتلين المغاربة فى صفوفها لكن ليس بالشكل الذى كانت تطمح إليه فرنسا، وهكذا سيقى العديد من الجنود المغاربة الذين كانوا فى صفوف القوات الفرنسية فى مواجهة المقاومة الفيتنامية مما جعل القادة الفيتناميين يرسلون مذكرة إلى الأمير عبد الكرىم الخطابى يعبرون فيها عن أسفهم من المجندين المغاربة الذين سقطوا فى أرض الميدان بينما كان من الأفضل لهم أن يقضوا حياتهم فى خدمة بلادهم ووطنهم.⁶³⁶

نجد أن عبد الكرىم الخطابى من جهة قد وجه العديد من النداءات عبر الإذاعة والصحافة والمنشورات إلى المجندين من أبناء شمال إفريقيا بضرورة الالتحاق بجهة الثوار المتواجدين بالقاهرة ريثما تفتح جهة القتال فى المغرب العربى، أما المتواجدين على جبهات القتال بالهند الصينية الى مناصرة الفيتناميين، ولهذا كان للجنود المغاربة الدور الكبير فى انهزام الفرنسيين فى معركة ديان بيان فو⁶³⁷، التى كانت كارثة على القوات الفرنسية⁶³⁸،

⁶³⁵ من الحكومة الفيتنامية الى الامير الخطابى بتاريخ 5 يونيو 1947، مجموعة وثائق أمزيان، محمد أمزيان : محمد عبد الكرىم آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 148، ينظر الملحق رقم 06 .

⁶³⁶ من الحكومة الفيتنامية الى الامير محمد بن عبد الكرىم الخطابى بتاريخ 7 جانفى 1949، مجموعة وثائق أمزيان ، محمد أمزيان : محمد عبد الكرىم آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 149 .

⁶³⁷ استمرت المعركة لمدت أكثر من 55 يوم انتهت بالتدمير الكامل للمعسكر الفرنسى يوم 7 ماي 1954، ينظر : فو نجوين جياب : حزب المقاومة الشعبية، ترجمة : ناجى علوش ومخير شفيق، ط 1 ، بيروت، لبنان، 1967، ص 142 - 145 .

⁶³⁸ محمد سلام امزيان : قصة الخطابى مع اللجنة، المصدر السابق، ص 44 .

وهذا بانسحاب العديد من الجنود المغاربة من ساحة الوغى و تظاهرهم بالهزيمة أو المرض بهدف التحاقهم بصفوف المقاومة بأسلحتهم التي دعى إليها الخطابي، فكانت أعداد من الجنود المغاربة تنتسل من البواخر الفرنسية المارة عبر القناة السويس الى الهند الصينية بهدف إقحامهم في الحرب، ويستقبلهم الامير عبد الكريم الخطابي في القاهرة، حيث أعد لهم سكن خاص الى اليوم المنشود حتى أواخر 1955⁶³⁹، وذلك يتأسس جبهة القتال تعرف بجيش تحرير المغرب العربي .

كما نجد أن الامير الخطابي قد ساند الثورة الفيتنامية أدبيا ومعنويا ووقف بجانبها منددا " بالسياسية الفرنسية الهمجية بالهند الصينية، محذرا من المراوغات الفرنسية في تشتيت القوات الفيتنامية وخلق التفرقة وخلاف داخل صفوف الوطنيين الفيتنام، وأكد الرفض التام والصريح على الحكومة الفيتنامية التي شكلتها فرنسية برأسة الإمبراطور " باوداي "، وأسمتها بالحكومة الوطنية الشرعية، ولهذا يرى الخطابي أن قضية الهند الصينية هي قضية شعب يسعى وراء الحرية والاستقلال وليس وراء أن تقري أبنائها وان تضيع المليارات من الفرنكات فيما لا جدوى من ورائه بل عليها أن تواجه الواقع بالعقل والمنطق، والهند الصينية ستستقل رغم انف الفرنسيين وحلفائها⁶⁴⁰ .

أما فيما يخص القضية الإندونيسية، فأتثناء تواجد الخطابي بالمنفى بجزيرة لارينيون ربطت العديد من الجالية الاسلامية المقيمة في الجزيرة علاقتها من الامير عبد الكريم الخطابي، وكان معظمهم يمارسون التجارة، فبواسطة هذه الجالية كان الاتصال بين الخطابي وزعماء الحركات الوطنية بهذه الجالية الاسلامية السائرة وراء الحرية والاستقلال لبلدانها،

⁶³⁹ محمد سلام امزيان : قصة الخطابي مع اللجنة، المصدر نفسه، ص 43 .

⁶⁴⁰ جريدة " المقطم " جريدة مصرية، بتاريخ 14 / 4 / 1950 .

ومن أهم فصائل هذه الجالية تجار من اندونيسيا، فبعد نزول الخطابى بالقاهرة كتب الامير برقيتين متعلقتين بالقضية الاندونيسية :

- الرسالة الأولى الى فارس الخوري⁶⁴¹، رئيس مجلس الأمن يشكر على " تدخل مجلس الأمن في قضية اندونيسيا وأخذه بمبدئ العدل وحق الشعوب، وهو الأساس الثابت لسلم العالمى"⁶⁴².

- الرسالة الثانية، فكانت الى رئيس حكومة استراليا يشيد بموقفه الداعم للقضية الأندلسية⁶⁴³.

وبمناسبة عقد المؤتمر الآسيوي لمناقشة قضية اندونيسيا في 1949 م⁶⁴⁴، وبدعوة من الهند، أيد الامير عبد الكريم الخطابى الجهود المبذولة في هذا المؤتمر ونداهم باسم أبناء شمال إفريقيا الى إن يتوصلوا في هذا المؤتمر الى القرار الجماعى ايجابى حاسم لموضوع القضية الإندونيسية، وقضايا الهند الصينية وشمال إفريقيا وجميع الشعوب الخاضعة للإستعمار⁶⁴⁵.

أما فيما يخص قضية باكستان، فنجد أن الامير عبد الكريم الخطابى من انتصار الفكر الداعى الى إقامة وطن لمسلمين الهند بعد اقتناعه للاستحالة التعايش مع الهنود

⁶⁴¹ فارس خوري (1877 - 1963)، أديب وسياسى سوري من أصل لبنانى .

⁶⁴² رسالة من الامير الخطابى الى فارس خوري رئيس مجلس الأمن، بتاريخ 6 / 8 / 194 ، مجموعة وثائق امزيان ، محمد أمزيان : محمد عبد الكريم آراء ومواقف، المرجع السابق ، ص 151.

⁶⁴³ من الامير عبد الكريم الخطابى إلى رئيس حكومة واستراليا، بتاريخ 6 / 8 / 1947 ، مجموعة وثائق امزيان ، محمد أمزيان : محمد عبد الكريم آراء ومواقف، المرجع نفسه، ص 151 .

⁶⁴⁴ افتتح المؤتمر أشغاله بتاريخ 21 جانفى 1949 .

⁶⁴⁵ " الأهرام " بتاريخ 20 / 1 / 1949 .

ذو طقوس متباينة ومناقضة للاستلام، وكان من الداعين لهذه الفكرة محمد إقبال⁶⁴⁶، ولهذا نجد أن الامير الخطابي بمناسبة استقلال الهند من بريطانيا يوم 15 غشت 1947، بعث برسالة تهنئة الى الزعيم الباكستاني محمد علي جناح⁶⁴⁷، مما جاء فيها: " باسم الشعب المغرب العربي أهني في شخصكم الكريم دولة باكستان الجديدة راجيا لها التقدم والازدهار و الرقي ... " ⁶⁴⁸.

وبمناسبة عقد مؤتمر الإسلامي العام في باكستان في كاراتشي 1949 تلقى الامير عبد الكريم الخطابي دعوة من رئيس علماء باكستان أن اللجنة التحضيرية للمؤتمر قررت إسناد رئاسة المؤتمر الى شخصكم الكريم لما من مكانة عالية في نفوس العالم الإسلامي⁶⁴⁹، ورغم معرفة الامير لنوايا الطيبة لهذا المؤتمر وصدقه في مواجهة المستعمر وجمع كلمة المسلمين إلا انه لم يستطع تلبية الدعوة نظرا للظروف الخاصة التي لم تساعده في الحضور وعلقت جريدة منبر الشعب المصرية عن ذلك بقولها: " أن هذا الرجل الصادق والمجاهد الصابر والوطني النزيه، هو الأولى من تسند إليه رئاسة التي لم يسعى إليها، ولكنها هي التي سعت، ولو استطاع قبولها لأضفى عليها من دينه

⁶⁴⁶ ونجد أن محمد إقبال (1876 – 1937) الى فكرة إقامة دولة باكستان، ويرجع هذا الاسم باكستان من طرف الطلبة المسلمين الهنود في لندن سنة 1933، ينظر : عمار فروخ : باكستان دولة ستعيش، بيروت، لبنان، 1951، ص 19 – 21 .

⁶⁴⁷ محمد علي جناح (1876 – 1948) ، مؤسس دولة باكستان وزعيمها وأول رئيس لها

⁶⁴⁸ رسالة من الامير عبد الكريم الخطابي إلى رئيس دولة باكستان، بتاريخ 17 / 8 / 1947 ،

مجموعة وثائق أمزيان، محمد أمزيان : محمد عبد الكريم آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 153.

⁶⁴⁹ جريدة " الزمان " بتاريخ 31 / 1 / 1949 .

وتقواه وحرصه العظيم على إعلاء شأن الاستلام والمسلمين، ما يزيد لها إجلالا وخيرا وبركة... " 650 .

بالنسبة لقضية الهند فقد ساندتها الخطابي، فنجده يهنئ جواهر آل نهرو بمناسبة استقلال الهند ببرقية مما جاء فيها: " باسم الشعب المغرب العربي أهني في شخصكم العظيم قيام هندوسان الجديد، فأرجوا لها الرقي والازدهار، ولكم التوفيق والسداد .. " 651 .

⁶⁵⁰ جريدة " منبر الشعب " 3 / 2 / 1949 .

⁶⁵¹ من الامير الى جواهر لال نهرو بتاريخ 17 / 8 / 1947، مجموعة وثائق أمزيان، محمد أمزيان : محمد عبد الكريم آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 154 .

ثالثاً: معركة الاستقلال بين الكفاح المسلح والعمل السياسي .

كانت طموحات وآمال عبد الكريم الخطابي تتجلى في تحقيق وحدة النضال المغربي المشترك تساهم فيه جميع التيارات السياسية والحركات الوطنية المغربية بدون حسابات أو خلفيات أو أنانية، ولهذا باشر مكتب المغرب العربي كما رأينا سابقاً نشاطه في تنسيق محكم لتجسيد مقررات المؤتمر واعتبر عمله مرحلة متطورة في مسيرة النضال والتنمية المغربي المشترك، وبعد أقل من 7 أشهر من لجوء الخطابي بالقاهرة أنشئت لجنة تحرير المغرب العربي التي أسندت قيادتها لبطل الريف عبد الكريم الخطابي، وقد حدد هذا الأخير أهداف ومبادئ تكوين هذه اللجنة بقوله: " منذ أن من علينا الله بالإطلاق سراحنا ...و نحن نواصل السعي لجمع كلمات الزعماء، وتحقيق الائتلاف بين الأحزاب الاستقلالية في كل من مراكش والجزائر وتونس بقصد مواصلة الكفاح في جبهة واحدة لتخليص البلاد من رقبة الاستعمار .. ولقد كانت الفترة التي قطعناها في الدعوة للائتلاف خيراً وبركة على البلاد فاتفقت مع الرؤساء و مندوبي الأحزاب الذين خابرتهم على تكوين لجنة تحرير المغرب العربي... وذكر بميثاق اللجنة الذي يؤكد على الإنتماء الإسلامي والعربي لأقطار المغرب العربي وأن الاستقلال هو هدفه لا تفاوض مع المستعمر إلا بعد اعترافه بالاستقلال التام، وأن حصول قطر من أقطار الثلاثة على استقلاله التام لا يسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية " ⁶⁵².

ويبدو أن حماسة اللحظة كانت مغرية فرغم ما حققه مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي من نجاحات على الصعيد التنسيق والتضامن ظلت القطرية حاضرة بقوة وأدت إلى خلافات سياسية بين الشخصيات والاختلافات في تأويل الأهداف والمبادئ إلى ظهور التنازع والتصدد، فقد اختلف في نهاية الأربعينيات حول مبادئ التفاوض القطري

⁶⁵² علال الفاسي : الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 107 - 110 .

في شأن الاستقلال الذي باشر به الحبيب بورقيبة في تونس، واعتبره عبد الكريم الخطابي منافيا للالتزامات المشتركة التي صادقت عليها جميع الأحزاب الاستقلالية المغاربية في ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي⁶⁵³.

هذا يعطينا دلالة قطعية أن اتفاق بعض الزعماء الأحزاب حول عبد الكريم الخطابي في إطار مرحلي منفي يرمي إلى تكوين نفوذ خاص بهم لدى الأوساط العربية الإسلامية وإلى تحسين صورتهم ومراكزهم أمام المواطنين في الداخل باستغلال رصيده التاريخي والأسطوري الذي يحتفظ به الوجدان الشعبي.

وكان من الطبيعي أنه بعد تأسيس لجنة التحرير أن تحل محل مكتب المغرب العربي ولا وجوب لبقائه مادام أن اللجنة ستقوم مقامه وفق الصيغة المتفق عليها أعضاء اللجنة الموقعين على الميثاق، ولهذا نجد بعض أعضاء اللجنة قد اقترحوا إيقاف النشاط المكتب المغرب العربي لأنه قائم على الحزبية وذلك يكون حجرة عثرة في طريق اللجنة في أداء مهامها في سبيل توحيد المعركة، لكن توجد أصوات أخرى نادى بضرورة الإبقاء عليها عونا للجنة و خدمتها⁶⁵⁴، وبلغ التثبيت أنصارها بمكتب درجة دفعت أحد الناشطين فيه وهو عبد الكريم غلاب إلى القول بأن لجنة تحرير انبثقت من أجل العمل العسكري ترضية للخطابي لم يكن لها نشاط⁶⁵⁵، وهذا اعتراف لمجهودات الخطابي العسكرية داخل اللجنة.

⁶⁵³ أحمد بن عبود : مكتب المغرب العربي في القاهرة أول نواة للوحدة السياسية المغربية، مجلة التاريخية المغربية، ع 41، 42، 1986، ص 47 - 50 .

⁶⁵⁴ محمد اليميني الناصري : تقرير الى مدير الإدارة السياسية بجامعة الدول العربية عن مكتب المغرب العربي، 4 أكتوبر 1948، ص 2، مجموعة وثائق أمزيان، محمد أمزيان : محمد عبد الكريم آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 157 .

⁶⁵⁵ كفاح كاضم عكال الخزعلي : حزب الاستقلال ودوره السياسي في المغرب 1944 - 1956 ، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 1983 ، ص 148 .

ولهذا نجد أن عبد الكريم غلاب قد رسم صورة موحية عن فكرة التحرير وأقطار المغرب العربي كما يراها عبد الكريم الخطابي من جهة وكما يراها الأحزاب السياسية من جهة ثانية حينما قال: " إن الخطابي كان رجلا عسكريا بالممارسة، يؤمن بأن الاستعمار لا يمكن القضاء عليه إلا عن طريق الحرب، وهذه فكرة مغلظة ولكن الواقع والظروف تغيرت لأن نضاله كان في أوائل العشرينيات، أما نحن في أواخر الأربعينيات والخمسينيات، فمن الصعب جدا تحقيق هذه العبارة _ فكرة إعلان الحرب على فرنسا _ والوسائل نفسها أو ما يماثلها التي أعلن بها الحرب على اسبانيا وفرنسا... للعودة للعمل العسكري إذن نحتاج إلى تهيئة الجو السياسي وتوعية الشعب أولا، ولابد من إعداد المناضلين... كنا نقول أن هذه القضية سيأتي وقتها، ولكن الوقت الحاضر ليس بين أيدينا سوى العمل السياسي للتهيئة للعمل العسكري، إلا أن الخطابي كان يقول : إن العمل السياسي ليس سوى مجرد كلام وألاعيب⁶⁵⁶.

ولم تكد تمضي الأشهر الثلاثة الأولى حتى استفحل الخلاف وطغى عدم الانسجام بين الزعماء السياسيين الذين أصبحوا يسيرون في طريق معاكس يؤدي إلى فصم عرى الوحدة المغاربية⁶⁵⁷، فانقسم الوطنيون المغاربة إلى اتجاهين بارزين الاتجاه الأول تزعمه رئيس اللجنة محمد بن عبد الكريم الخطابي وإتباعه الذي اتخذ الأمور أكثر جدية وكانت اللجنة بالنسبة إليه مجرد وسيلة لتحريك الزعماء والمواطنين المغاربة نحو الكفاح المسلح، الاتجاه الثاني فتزعمه رئيس الحزب الدستوري الجديد والأمين العام للجنة الحبيب بورقيبة⁶⁵⁸

⁶⁵⁶ كفاح كاضم عكال الخزعلي: المرجع نفسه ، ص 148 .

⁶⁵⁷ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 159 .

⁶⁵⁸ رخيطة عامر : الثورة الجزائرية والمغرب العربي، مجلة المصادر، العدد 1، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جوان 1999، ص 137 ، 138 .

وهكذا كما ذكرنا سابقا تنازع النضال المغربي بدءا من عام 1949 إلى استراحتين أو

اتجاهين هما :

1- إستراتيجية تجذير ومغربية الحرب:

تزعّمها العناصر الثورية المتمسكة بميثاق لجنة تحرير المغرب العربي وعلى رأسها عبد الكريم الخطابي، وثوريو حركة انتصار الحريات الديمقراطية وكانوا يدعون إلى العمل المسلح وإلى ضرورة توحيد بين الأقطار المغربية الثلاثة، وفي هذا الإطار وضع الخطابي خطة محكمة لتحرير الأقطار المغربية الثلاثة بدت للبعض أنها مثالية وصعبة التجسيد وذلك بالاعتماد على تكوين الضباط وفرق الاتصالات الميدانية والدعاية اللازمة لها⁶⁵⁹، وقد حققت بعناية وجهوده التنسيقية نتائج مهمة في خيار الكفاح المسلح في تونس وإنشاء قاعدة تموين خلفية في طرابلس وإرساء توافق مع المناضلين الجزائريين على مبدأ إعلان الثورة وتعميمها على كامل بلدان المغرب العربي، ولهذا كان موعد انطلاق الثورة التحريرية الجزائرية محفزا لنجاح هذه الإستراتيجية فيما بعد⁶⁶⁰، و في هذا السياق يذهب المؤرخ محمد حربي إلى القول: " إن الوطنيين الجزائريين اتفقوا منذ سنة 1948 على ضرورة الإعلان عن عمل عسكري، ولهذا أوفد الحزب الشعب الجزائري (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) سنة 1949 وفدين إلى تونس والمغرب، فاتجه الوفد الأول إلى طنجة وضم شرشالي وخيضر، أما الوفد الثاني فاتجه صوب تونس وضم كل من درور، أحمد بن بلة، بوقادوم، وهذا لوضع إستراتيجية مشتركة " لإنشاء تنظيم نسبه عسكري، فالتقى الوفد الأول بزعيم حزب

⁶⁵⁹ محمد زبير : صفحات مطوية من الوطنية المغربية من الثورة الريفية إلى الحركة الوطنية، دار

النشر المغربية، دار البيضاء، 1990، ص 28 ، 29 .

⁶⁶⁰ محمد حمادي العزيز : جيوش تحرير المغرب العربي، هكذا كانت قصة في البداية، منشورات

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2004 ،

ص 128، 129 .

الاستقلال علل الفاسي الذي أبدى تهربا من هذا المشروع، أما الوفد الثاني فاتجه إلى تونس والتقى بالكاتب العام لحزب الدستور الجديد صالح بن يوسف الذي اعتبر المبادرة نوعا ما مجازفة و مغامرة متهورة⁶⁶¹.

ومع تطور الأحداث مع مطلع الخمسينيات من القرن العشرين في تونس، كان محفزا لهذا الاتجاه ليحاول مرة ثانية في تجسيد مشروعه على أرض الواقع خصوصا مع انطلاق الحركة المسلحة في تونس التي اتخذت شكل اغتياوات فردية ضد المستوطنين⁶⁶² متأثرة ببعض أفكار الزعيم عبد الكريم الخطابي، لكن دون أن تخرج نهائيا عن الدائرة الواسعة التي كان يسيطر عليها الحزب الدستوري الجديد ذو التأثير السياسي، وفي هذا الصدد يقول عبد الحميد مهري⁶⁶³ في الخلايا الأولى للكفاح المسلح بتونس المتأثرة في بداية الأمر بأفكار الخطابي بقوله: " إن هذه التشكيلة هي التي بدأت المقاومة المسلحة منذ لشهر ديسمبر 1952، لكنها لم تلبث أن التحقت مع التشكيلات الرسمية للحزب"⁶⁶⁴.

⁶⁶¹ Mohamed harbi :le F.L.N MIRAGE ET REALITE ORIGNES A LA PRISE DU POUVOIR 1945 –1962 . JEUN AFRIQUE . PARIS . 1985 . P 54 .55 .

⁶⁶² صلاح العقاد : السياسة والمجتمع في المغرب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، 1977 ، ص، 28 .

⁶⁶³ عبد الحميد مهري من مواليد 3 أبريل 1926 ، بالخروب قسنطينة، عضو مناضل في حزب الشعب الجزائري، وعضو اللجنة المركزية بحركة انتصار الحريات الديمقراطية عام 1953 ، وتم اعتقاله سنة 1954، بعد عدت أشهر يطلق سراحه ويلتحق بالثورة ويصبح ممثل لجهة التحرير الوطني في سورية، عضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية منذ سنة 1956، وعضو في اللجنة التنسيق والتنفيذ ووزير الشؤون شمال إفريقيا بالحكومة المؤقتة 1958، ثم وزير للشؤون الاجتماعية والثقافية في التعديل الحكومي الأول بعد الاستقلال، تقلد عدت مناصب عليا بعدها ، ينظر : رشيد بن يوب : دليل الجزائر السياسي، ط1 ، مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1999، ص 179 .

⁶⁶⁴ عبد الحميد مهري : أحداث مهدت لفتح نوفمبر 1954، الأصالة، العدد 22، 1974، ص12.

كما حاول هذا الاتجاه أيضا من جديد أن يجسد مشروعه في تكوين خلايا تؤمن الكفاح المسلح داخل أقطار المغرب العربي بهدف تحقيق الاستقلال، وفي هذا الطرح يؤكد محمد بوضياف⁶⁶⁵: " إن بعد إعادة تنظيم المنظمة الخاصة سنة 1952 التي أصبحت في علاقات روابط مع حركات التحرر في تونس والمغرب، حل بالجزائر يومئذ ضابطان من الريف المغربي هما: الهاشمي طود وحمادي الريفي، وكان على اتصال بجبهات ثلاثة الأمير الخطابي ومصالح المخابرات المصرية وبعض ممثلي حزب الشعب الجزائري بالقاهرة، كلفهما عبد الكريم الخطابي بالإعداد للعمل الثوري منسق على مستوى الأقطار الثلاثة، وقد اتصل بقيادة الحزب "حركة حريات الديمقراطية"، ولكن لم يجد تجاوب التجاوب المطلوب، ولذلك اتصلا بطريقة غير رسمية بالأخر عبد الحميد مهري عضو اللجنة المركزية للحزب والذي نظم اتصالا بين محمد بوضياف وبين الضابطيين المغربيين وبناء على ذلك قمت باستدعاء ديدوش مراد ليحضر لقائه مع الضابطيين القادمين من المغرب ويبحث عملية تنسيق الكفاح المسلح على مستوى المغرب العربي " ⁶⁶⁶.

⁶⁶⁵ محمد بوضياف (1919 - 1992)، ولد محمد بوضياف يوم 23 جوان 1919 في المسيلة من عائلة عريقة بعد حرب العالمية الثانية يترك الوظيفة العمومية ويلبي نداء الحركة الوطنية، ويناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري ويصبح مسؤولا عن المنظمة الخاصة O.S بناحية قسنطينة، خلال عامي 1953 - 1954 ، وكان العمود الفقري لتجمع أنصار الكفاح المسلح، واختطف مع ابن بلة 22 أكتوبر 1956، وبقي عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية 1956 إلى 1962، وفي عام 1958 يعين وزير للدولة ثم نائب لرئيس الحكومة المؤقتة 1961، وقد عارض فيما بعد هيمنة الجيش وسياسة ابن بلة ، وأسس حزب الثورة الاشتراكية بسبتمبر 1962 ، ليعتقل بعدها في 21 جوان 1963، عاش في المغرب منفيا، ثم عاد إلى الجزائر لرئاسة المجلس الأعلى للدولة، وتم اغتياله في 29 جوان 1992، ينظر : رشيد يوب : المرجع السابق، ص 135 .

⁶⁶⁶ لقاء محمد بوضياف مع جريدة الشعب، العدد 7786 ، 7787، ليومي 16 - 17 نوفمبر 1988 ، ص 5 .

ويؤكد هذا أيضا أحد مفجري الثورة عبد الحميد مهري أن من المفروض حسب خطة التي اتفقت عليها هذه الجماعة المذكورة أننا " أن يبدأ الكفاح المسلح في خريف 1953، ابتداء من المغرب ثم تونس ثم يلتحق بهم الجزائريين، غير أن انفجار مستودع صنع الذخيرة في الأوراس أجل الأمر إلى غاية نوفمبر 1954⁶⁶⁷ ومع انطلاق الثورة الجزائرية حفزت لنجاح هذه الإستراتيجية وهي الكفاح المسلح عبر كامل أقطار المغرب العربي، وفي هذا الإطار تم الاتفاق مع قادة المقاومة في تونس والمغرب مع مطلع 1955، حول تعميم المقاومة عبر بلدان المغاربية الثلاثة ودعمها للقضية الجزائرية، لكن هذا بقي قيد حبر فقط ولم يطبق على ارض الواقع وهذا راجع الى قبول كل من بورقيبة ومحمد الخامس باستقلال المشروط مع بداية 1956⁶⁶⁸.

2- إستراتيجية التفاوض والحل السلمي:

برز هذا التوجه المعتدل مع نهاية الأربعينيات من القرن العشرين، تزعمه رئيس حزب الدستوري الجديد الحبيب بورقيبة وكذا حزب الاستقلال المغربي مع علال الفاسي، ونضرا الى العمل المسلح هو عمل محدود ولا بد من العمل السياسي السلمي، ولهذا أن بورقيبة قد لجئ الى التفاوض مع الفرنسيين وصوغ العديد من الاعتبارات والاتجاهات بهدف تنصله من الإلتزام بالعمل الوحدوي المشترك، وتأكيد أنه وضعياً تونس والمغرب تختلف عن وضعية الجزائر وأن التمسك بالحل المشترك يعجل تحرير هذه الأقطار، و أن لكل قطر خصوصياته لا يعرفها إلا أهلها⁶⁶⁹، وقد كرس التونسيين هذا الطرف في اجتماع لجنة تحرير المغرب

⁶⁶⁷ لقاء عبد الحميد مهري مع جريدة الشعب، العدد 8392، ليوم 1 نوفمبر 1990، ص 1، 2 . ، ينظر عمار بوحوش : المرجع السابق، ص 350 ، 351 .

⁶⁶⁸ عبد الحميد مهري : أحداث مهدت لفتح نوفمبر 1954، المصدر السابق، ص 12 .

⁶⁶⁹ الرشيد إدريس : بناء المغرب العربي، ملتقى نظمه مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ،تونس، أكتوبر 1981 ، المطبعة العصرية، تونس ، 1983، ص 30 ، 31 .

العربي في أبريل 1954 غير أن محمد عبد الكريم الخطابي وممثلوا الوفد الخارجي الجزائري رفضوا المصادقة على هذا المشروع الذي يكرس القطرية داخل أقطار المغرب العربي⁶⁷⁰.

ولهذا يعتبر بورقيبة أن حل القضية التونسية يبدأ بمد جسور التفاهم مع الحكومة الفرنسية ورفع القضية الى هيئة الأمم المتحدة والتلويح بالعمل العسكري دون التعويل عليه في القضاء على العدو عسكريا، وقبل بورقيبة التفاوض مع السلطات الفرنسية وبمبدأ وقف المقاومة المسلحة بمجرد أن اصدر مندريس فرانس وعد تونس بمنحها استقلال ذاتيا وتسليم جميع أسلحتها الى فرنسا، وقوبلت هذه السياسة العديد من الانتقادات وانقسم التونسيون الى فريقين بين بورقيبة وصالح بن يوسف، واعتبر الخطابي سياسة بورقيبة التفاوضية خيانة وطعنا بميثاق لجنة التحرير المغرب العربي .

هذا ما نجده أيضا من جانب المغرب مع محمد الخامس بحب لجااء إلى الحل السلمي وهو التفاوض مع السلطات الفرنسية خصوصا بعد أن وعدته بمنح الاستقلال ذاتيا ورفضه لأي عمل وحدوي مسلح ودخول حزب الاستقلال في مفاوضات رسمية اكس لبيان مع القوات الفرنسية جعلت من الخطابي يرى بأن حزب الاستقلال قد خان الوعود والمواثيق التي وقع عليها في ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي، ونتيجة لهذه المعطيات سبب هناك شرخا في صفوف لجنة تحرير المغرب العربي بين أنصار الحل السلمي وأولئك المعولين على الحل العسكري الشمولي⁶⁷¹، ونجد أن الخطابي قد عبر عن هذه الخلافات بقوله: " لقد كان الخلاف بين الإخوة دائما هو السبب في القضاء على كل آمالنا"⁶⁷² ولو نلاحظ هذه الجملة على وجه تدقيق لوجدنا أنه في قلب الاختلاف والصراع الفكري والإيديولوجي بين أعضاء

⁶⁷⁰ فتحي الديب : جمال عبد الناصر والثورة الجزائرية، ط3 ، دار المستقبل العربي، القاهرة، مصر، 1984، ص 24 _ 32

⁶⁷¹ محمد زبير : المرجع السابق، ص 34 - 37 .

⁶⁷² روم لاندو: تاريخ المغرب في القرن العشرين، المصدر السابق، ص 335 .

وقادة الحزب الوطنية المغاربية، إلا أنه لم يعتبرهم أعداء له بل إخوة وأشقاء وعدوه الحقيقي هو المستعمر هذا دليل على تواضع وصبر وحلم هذا الرجل .

في هذا الصدد نفسه يؤكد الخطابى أن العمل من داخل اللجنة أضحى عديم الفائدة فأثر لانسحاب منها كي يستعيد حريته في العمل على طريقته ويقول: " هذه اللجنة قد انتهت منها لأنني رأيت أن لا فائدة من وجوده وقد حاولت في كثير من الفرص أن أصلح شأنها وأجعلها آلة فعالة لصالح المغرب ففشلت في مساعي وذلك بسبب الغايات المختلفة التي تتنازع الأحزاب والحزبية وهي عناصر متوفرة في هذه اللجنة ... على أن هذه الأحزاب ما هي إلا جزء ضئيل من الشعب المغربي كله⁶⁷³."

رغم مساعي عبد الكريم الخطابى من جديد في إعادة توحيد الصف ولم شمل الأحزاب السياسية إلا أنه فشل من جديد وصادر على إثر ذلك تصريحات حول فشله في المساعي الوحدوية وواقع الأحزاب السياسية بقوله: " من سوء حظي أنني لست لأرى أفكارى هذه تتشنت ولأشهد مصرعها واحدة إثر الأخرى، وقد دخلت الانتهازية وحمى المتاجرة في قضيتنا الوطنية ...، ووجد من بين أعضاء هذه اللجنة من يسعى لتفتيت وحدة قضيتنا وتجزئتها في الوقت الذي كنت أفكر فيه بإدماج بلدان المغرب العربي في مشكلة واحدة، _ و لا أدري كيف _ اتجاه لتقسيم هذه البلدان إلى وحدات منفصلة ... قد تعذبت كثيرا و أنا أرى أنني عاجز عن مقاومة هذا الفساد الطاغي عندما ظهر تماما أنني لا أستطيع المضي في هذا الطريق الملتوي انسحبت وقطعت كل علاقاتي بإخواني الموجودين في مصر ولكنني على صلة بشعبي الموجود في المغرب العربي⁶⁷⁴ ."

وإذا كان عبد الكريم قد قطع علاقته مع أعضاء لجنة تحرير المغرب هذا لا يعني هروبه من مسؤولية الدفاع عن الأقطار المغاربية، بل انصرف إلى التوجيه المباشر للشعب

⁶⁷³ " البلاغ " صحيفة مصرية، 14 / 7 / 1952.

⁶⁷⁴ " آخر الساعة " مجلة مصرية، 18 / 7 / 1952 .

عن طريق المنشورات السرية والنداءات عبر المذياع وإلى تنظيم الوفود من المتطوعين
بالقاهرة بهدف إعدادهم للكفاح المسلح وفق آلية جديدة وهي جيش تحرير المغرب العربي.

الفصل الثالث :

عبد الكريم الخطابي وجيش تحرير المغرب العربي

تجدد الإشارة في بداية الأمر أن ننوه عن دور جمعية ذاكرة الريف واهتمامها كثيرا بموضوع المقاومة وجيش تحرير المغرب العربي، بحيث نظمت في هذا الشأن العديد من الملتقيات والندوات والعروض الفكرية وأصدرت العديد من المقالات، وكذا عملت بالتنسيق مع هيئات أخرى وبعض المجالس على تكريم مجموعة من الشخصيات الداعمة لفكر الخطابى والمرتبطة بالمقاومة وجيش تحرير المغرب العربي أمثال: د عمر الخطابى، أسرة القائد محمد الحاج سلام امزيان، والعقيد الهاشمى وعائلة قيوم والمجاهد احمد المرابط والمؤرخ زكي مبارك...)

ولابد أن نشيد بالدور الهام الذي قامت به مجموعة من الباحثين والمؤرخين الذين أزاحوا اللثام عن العديد من الحقائق أمثال (زكي مبارك، محمد الخوجة، محمد امزيان) ومن أساس شهادات الضابطين الهاشمى العواد ومحمد الحامد عبد العزيز وغيرهما في إبراز دور قيادة محمد بن عبد الكريم الخطابى في إعادة بعث العمل المسلح والعمل على تأسيس جيش تحرير المغرب العربي.

وفي نظري لازالت الى حد الآن أسئلة تخالغ صدري وتحتاج إلى إجابة دقيقة ومضبوطة أهمها:

_ ما العلاقة بين المقاومة السرية في الحواضر وجيش تحرير المغرب العربي الذي إنطلق في الجبال؟

_ ما هو الدور الحقيقي للقادة والسياسيين المعنيين في تأسيس جيش تحرير المغرب العربي؟

_ لماذا تعامل الإسبان بنوع من الحياد مع قادة جيش تحرير المغرب العربي والزعامات السياسية في المناطق الشمالية للمغرب الأقصى على عكس المناطق التي تسيطر عليها فرنسا؟

المبحث الأول: نشأة جيش تحرير المغرب العربي

يرجع الفضل الكبير في تأسيس جبهة واحدة و متحدة لتخوض المعارك والكفاح التحريري ضد الاستعمار في كل من تونس والجزائر والمغرب، إلى المجهودات التي قام بها الزعيم عبد الكريم الخطابي في العمل على إقناع قادة الحركات الوطنية المغاربية المتواجدين في المشرق العربي وفي مصر بالخصوص على ضرورة تشكيل جبهة موحدة (كما ذكرنا سابقا) إلا أن هذا الكفاح التحريري في وجهة نظر عبد الكريم الخطابي يجب أن يتم بأساليب وطرق تختلف عما كانت عليها سابقا وذلك باستعمال القوة والضغط الثوري والكفاح المسلح وهذا ما جعل المؤرخ روم لاندو يقول " لقد احتفظ عبد الكريم بالكثير من نشاطه وروحه المقاتلة بالرغم من سنه ومرور الزمن على تجاربه، وقد أمل الفرنسيين بالخط من شأن السلطان الحاكم والتخلي عنه، لكن هذه الآمال لم تتحقق وفي الحقيقة أن هذه الآمال لم تلبث أن قضي عليها لما أعلن عبد الكريم ولاءه لسيد محمد وتأبيده له في محاولة الحصول على استقلال المغرب .

أولاً: ميلاد جيش تحرير المغرب العربي

انبثقت فكرة تكوين جيش شعبي يضم جميع أقطار المغرب العربي الكبير(تونس، الجزائر، المغرب)، عن روح ميثاق لجنة التحرير، و تأكيد رئيس اللجنة عبد الكريم الخطابي أن الجلاء التام للقوات الغازية عن الأقطار المغاربية الثلاث لن يتحقق إلا بالعمل الثوري المسلح والموحد يجمع الأقطار المغاربية الثلاث لهذا نجد أن عبد الكريم الخطابي قد عمل على تكوين آليات هذا الجيش لتفجير الصراع في الوقت المناسب⁶⁷⁵ ، لذلك نرى أن عبد الكريم الخطابي بعد أن جهز أرضية الكفاح المسلح ووحد جهود المغاربة التي كانت في شتات بدا مباشرة في عمله العسكري وحاول جاهدا إنجاز مخططه الداعي إلى تكوين جيوش تحرير المغرب العربي في كل قطر من أقطاره .

⁶⁷⁵ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 165 .

حيث نجح أحمد بن بلة في مهمته المكلف بها في طرابلس بالاتفاق مع محمد الحمادي والعزيز عز الدين عزوز على إنشاء قيادة موحدة لجيوش تحرير المغرب العربي، العمل على تحضير العمل المسلح وفق المبادئ التي رسمها عبد الكريم الخطابي وتمت المصادقة عليها أهمها:

- 1 تأسيس جيوش تحرير المغرب العربي في كل من تونس والمغرب والجزائر.
- 2 تأسيس قيادة عامة موحدة في الخارج ريثما يتم نقلها فيما بعد الى احد أقطار المغرب العربي.
- 3 تأسيس قيادات خارجية لكل جيش تحرير خارج ريثما يتم إدخالها الى أقطار المغرب العربي فيما بعد.
- 4 إعلان الحرب التحريرية ضد الاستعمار الفرنسي وكذا الاسباني إذ نكثت الحكومة الاسبانية وعودها.
- 5 اعتبار كل واحد من المجتمعين والمؤسسين عضوا في القيادة العامة الموحدة الخارجية وفي القيادة الخارجية لجيش التحرير الوطني مع الأعضاء العاملين في لجنة تحرير المغرب العربي ولجنة دفاعها⁶⁷⁶

ومن خلال هذه البنود الاتفاقية نلاحظ تمسك الخطابي بالخيار القائم على توحيد جهود المغاربة وتعميم الحرب على كامل ربوع المغرب العربي تحت قيادة موحدة⁶⁷⁷، تكونت النواة الأولى لجيش التحرير المغرب العربي من المتطوعين المغاربة في الحرب الفلسطينية سنة 1948 والمجندين في صفوف الجيش الفرنسي للقتال في الهند الصينية، والذين كان عبد

⁶⁷⁶ عبد الله مقلاتي : " عبد الكريم الخطابي والثورة الجزائرية، تجسيد مبادئ الكفاح المشترك لتحرير المغرب العربي "، المجلة التاريخية المغربية العهد الحديث والمعاصر، سنوية، مؤسسة التميمي، عدد 132، تونس، جويلية 2008، ص 34 ، 35 . .

⁶⁷⁷ عبد الله مقلاتي : المرجع نفسه، ص 35 .

الكريم الخطابي يحرضهم على الفرار والالتحاق معه في القاهرة، ومن الطلبة الوافدين الى الشرق بهدف إتمام دراستهم وكذا الحجاج المغاربة، وهذا ما سنتكلم عليه في المطلب الموالي

678

وتفعيلا لقرار إنشاء جيش تحرير المغرب العربي قرر المناضلين المغاربة بالقاهرة بعقد مؤتمر "ضباط المغرب العربي" بالعاصمة المصرية القاهرة، ذلك بمشاركة نخبة منتقاة بدقة ومحدودة العدد لضمان السرية التامة لمثل هذه المبادرات، وقد حضر من تونس عز الدين عزوز ومن الجزائر محمد إبراهيم القاضي ومن المغرب حدوا أقشي ومحمد حمادي العزيز وعبد الحميد الوجدي والهاشمي الطود واحتفظ للجزائر بمقعد إضافي احتله فيما بعد احمد بن بلة بعد التحاقه بالقاهرة .

ويشير الهاشمي الطود أن هذا المؤتمر قد انعقد يوم 21 ديسمبر 1952 بمنزل يقع بحي الزمالك بمدينة القاهرة، وكان ملكية المناضل التونسي عبد السلام الملولي وذلك تحت الرئاسة الشرفية للأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي وأخيه محمد.

وبخصوص أبعاد وخلفيات هذا المؤتمر فقد لخصتها ديباجة هذا المؤتمر عندما قالت: " نظرا لظروف الحركة التي واجهتنا بعد تخرجنا من الكليات العسكرية ونظرا لموقف المتزعمين العدائي اتجاهنا، ونظرا للعبثهم بالقضية واستهتارهم بأرواح أبناء الوطن الأبرياء، ونظرا لعدم اهتمامهم لقرارات التي أخذت تحت عنوان تنسيق الحركات الوطنية في المغرب والذي تم الاتفاق عليه بينهم إثناء مؤتمر المغرب العربي المنعقد في القاهرة من تاريخ 15 الى 22 فيفري 1947، ونظرا لتأكدنا من استغلالهم لنا استغلالا فاحشا في غير مصلحة الوطنية العليا وذلك بجمع الأموال داخل البلاد وخارجها لأغراضهم الشخصية والحزبية، ونظرا للظروف الدقيقة والعصيبة التي تجتازها البلاد في الوقت الحاضر والتي تحتاج حلا حاسما وسريعا لأنقاص الوطن من قبضة الاستعمار والذئاب، ونظرا لفشل كل الأساليب

678 محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 166 .

والمحاولات السياسية والدبلوماسية من مفاوضات واللجوء الى الهيئات الدولية لحلها والمشاركة في الحكم مع المستعمر من قبل الأحزاب المتزعمين، ونظرا لكل ما تقدم صح منا العزم على عقد مؤتمر عسكري لدراسة الوسائل الآتية التي يجب اتخاذها لإنقاذ الوطن:

1_ تنظيم حركة مقاومة عسكرية سرية موحدة في كل من أقطار المغرب العربي(تونس، الجزائر، مراكش) لتحريرها من الاستعمار الفرنسي والاسباني، ومقاومة التدخل الأجنبي في البلاد وتمكين شعب المغرب العربي من تنظيم شؤونه والقيام بها على أسس صحيحة ولقد اتفق على تسمية هذه المنظمة " جيش تحرير المغرب العربي".

2_ تنظيم جامعة سرية متشكلة من المدنيين المتطوعين الذين بنفس غاية جيش تحرير المغرب العربي، تكون مهمتها مؤازرة وإسناد ومساعدة القيادات العسكرية أدبيا، وماديا بجيش تحرير المغرب العربي، ويكون اسمها "جامعة تحرير المغرب العربي"⁶⁷⁹ ويضيف المجاهد محمد حمادي العزيز في هذا الشأن أن هذا الاجتماع كان بمثابة مؤتمر دام أربعة أيام أو جلسات :

_ الجلسة الأولى: تم عقدها ليلة 1952_12_31/1953_1_1 وشملت على مجموعة من النقاط أهمها:
أ- توزيع المسؤوليات:

-الرئيس: عز الدين عزوز، تونسي، خريج الكلية العسكرية السورية .

- نائب الرئيس: محمد حمادي العزيز، مغربي، خريج الكلية العسكرية العراقية.

⁶⁷⁹ أسامة الزكاري : "محمد بن عبد الكريم الخطابي وجيش تحرير المغرب العربي" ، ط 1 ، مؤسسة سيدي مشيش العلمي، الخطابي وحركات التحرير المغاربية، أعمال الندوة المغاربية تخليد للذكرى 48 لوفاة المجاهد عبد الكريم الخطابي، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، فيفري، 2011 ، ص 111 ، 112 .

- المقرر: محمد إبراهيم القاضي، جزائري، خريج الكلية العسكرية العراقية .

- الاتصال: الهاشمي الطود، مغربي، خريج الكلية العسكرية العراقية.

وتم توزيع هذه المسؤوليات حسب الأقدمية وحسب التقاليد العسكرية المعمول بها والمعتمدة مسبقاً.

ب- دراسة تطورات الأحداث:

بعد دراسة تطور الأحداث بالمغرب العربي وخصوصاً بعد اغتيال الزعيم النقيب فرحات حشاد التونسي على يد عصابة " اليد الحمراء " الفرنسية، وما ترتب عنه من مظاهرات في مدينة الدار البيضاء المغربية، وغيرها من أنواع القمع الاستعماري المسلط على المواطنين المغاربة، تم الاتفاق في إطار ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي على ما يلي :

1_ مواجهة الضغوط والمراوغات الاستعمارية بمقاومة وطنية حازمة.

2_ توجيه السياسات الوطنية في بلاد المغرب العربي توجيهها إيجابياً نحو العمل التحرري حتى يتحقق استرجاع الاستقلال لكل منها .

3_ توحيد جهود بلاد المغرب العربي النضالية وتأمين تضافرها وتنسيقها لتحقيق الاستقلال لكل منها.

4_ تأسيس إئتلافات أو جبهات وطنية بين الأحزاب الوطنية في كل قطر من بلاد المغرب العربي لتأمين الوحدة الوطنية.

5_ تأسيس جيش التحرير في كل قطر من بلاد المغرب العربي.

6_ شروع جيش التحرير في عملياته ويضفي المشروعية التحريرية على جميع الأعمال النضالية التي ينفذها المناضلين من جميع الأحزاب النضالية في كل قطر من المغرب العربي.

ج- مشروع العمل العسكري لتأطير جيش التحرير :

تم الاتفاق فيه على ضرورة إضافة بعض المسؤوليات إلى كل من :

- نائب الرئيس : كلف بمسؤولية العمليات والمسؤولية اللوجستيك .

- المكلف بالإتصال : كلف بمسؤولية التدريب .

واتفق على متابعة دراسة جيش التحرير المغربي العربي في اجتماعات قادمة معلومة الآجال

د - دراسة وافية لجيش التحرير في شتى جوانبه، واستغرقت هذه الدراسة ثلاثة

جلسات:

جلسة ليلية 1 جانفي / 2 جانفي 1953.

جلسة ليلية 2 جانفي / 3 جانفي 1953.

جلسة ليلية 3 جانفي / 4 جانفي 1953⁶⁸⁰.

يبدو أن هذا المؤتمر قد منح شحنات نفسية هامة للمشاركين فيه، الشيء الذي زادت من جرعاته ومواقف محمد بن عبد الكريم الخطابي التي ساندت كل القرارات التي خرج بها المؤتمر، ويذكر الهاشمي الطود أن المؤتمرين طلبوا من عبد الكريم الخطابي بضرورة العمل على تكثيف دعمهم لحركتهم في جميع المستويات السياسية والمادية والإعلامية والتأطيرية، واستغلال موقعه الاعتباري داخل ساحة العمل الجهادي على مستوى العالم العربي والإسلامي بهدف إنجاح التعبئة الشاملة حول مشروع حرب التحرير المسلحة، وبهدف نجاح هذا المشروع عمل الخطابي على إطلاق سلسلة من الدورات التدريبية لفائدة الأطر المغاربية منذ بداية 1953 بمساعدة رسمية من الدولة المصرية وتحت المسؤولية المباشرة للهاشمي طود، وخاصة بمعسكر " كوبري القبة" ومعسكر " كتيبة 13".⁶⁸¹

⁶⁸⁰ محمد حمادي العزيز: المصدر السابق، ص 85 ، 86 ، 87 .

⁶⁸¹ أسامة الزكاري: المرجع السابق، ص 112 ، 113 .

ثانياً: تكوين الفرق الأولى لجيش تحرير المغرب العربي

على اثر تلقي رئيس لجنة تحرير المغرب العربي بقبول الشباب المغاربة في انضمامهم الى المدرسة العسكرية ببغداد بدأ الخطابى بار سال بعثة تتكون من سبعة شبان وهذا في شهر سبتمبر 1948 وهم :

- محمد إبراهيم القافي(جزائري) سلاح الهندسة.
- يوسف العبيدي(تونسي) سلاح المدرعات.
- الهادي عمير(تونسي) سلاح المشاة .
- عبد الحميد الوجدي (مغربي) سلاح المشاة.
- محمد حمادي العزيز(الريف المغربي) سلاح المدفعية.
- الهاشمي عبد السلام الطود (مغربي) سلاح المدرعات .
- أحمد عبد السلام (الريف المغربي) سلاح المشاة⁶⁸².

في إطار متابعة تكوين وتأطير جيش تحرير المغرب العربي بالكليات العسكرية بالمشرق العربي حيث وصل إلى العاصمة بغداد الفوج الثاني يوم 17 نوفمبر 1948، برفقة ملحق السفارة العراقية بالقاهرة وكان في توديعه كلا من الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي وشقيقه محمد الخطابي⁶⁸³.

نجد أن عبد الكريم الخطابي في عملية إعداده لتكوين الجيوش التحرير المغرب العربي، انه ركز في تأسيسه على المشاركين في حرب الريف، والمشاركين المغاربة في الحرب الفلسطينية والجنود المغاربة المنسحبين من القوات الاستعمارية، والطلبة المغاربة المتواجدين في المشرق العربي والريفيين والمغاربة القادمين الى الحج، بحيث تمكن من عقد

⁶⁸² محمد حمادي العزيز : المصدر السابق، ص 21 .

⁶⁸³ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 169 .

العديد من اللقاءات معهم بهدف تجنيدهم حول فكرة واحدة وهي الكفاح المسلح من أجل إخراج المستعمر⁶⁸⁴.

كما استطاع يوسف الرويسي إدخال عدد من الشبان المغاربة في المدارس السورية والعراقية، وكان من بين هؤلاء الضابط الجزائري " مداح " و " عز الدين عزوز " التونسي، بالإضافة إلى حفيد عبد الكريم الخطابي " رشيد الخطابي "⁶⁸⁵.

وهكذا توطدت العلاقة بكثرة بين عبد الكريم الخطابي ويوسف الرويسي، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ منور مروش على لسان الرويسي: " إن علاقات عبد الكريم الخطابي شخصيا تحسنت كثيرا، حين علم عبد الكريم الخطابي أن " يوسف الرويسي " نجح في تسجيل طلبه في الأقطار المغربية في الكليات العسكرية في سوريا والعراق... استعدادا للعمل المسلح "⁶⁸⁶.

لكن هذه التوجهات والاستراتيجيات كانت بطبيعة الحال تصطدم مع أفكار وتوجهات بعض الزعماء الوطنيين مثل الحبيب بورقيبة الذي كان من أنصار العمل السياسي السلمي والمتمركز على التفاوض من أجل تحقيق مطالبه وفق مبدأ خذ وطالب⁶⁸⁷، بحيث عمد هذا

⁶⁸⁴ عمر لمعلم : " دور محمد بن عبد الكريم الخطابي في تأسيس جيش التحرير "، مجلة الذاكرة الوطنية ، أشغال الندوات العلميتان "انطلاق عمليات جيش التحرير بالشمال سنة 1955 : مرحلة تاريخية من الكفاح الوطني " و " جيش التحرير المغربي : النشأة والمسار "، مجلة نصف سنوية ، العدد 9، 2012، ص 50.

⁶⁸⁵ منور مروش : "المناضلون المغاربة في القاهرة والكفاح المسلح في الجزائر"، ملتقى حول : جيش تحرير المغاربي (1954_ 1955)، مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 11 - 12 فيفري 2001 ، ص 169.

⁶⁸⁶ منور مروش : المصدر نفسه، ص 159 .

⁶⁸⁷ روني غاليسو : مشروع وتنسيق جيش التحرير المغاربي، ترجمة : لحسن عيساني، ط 1 ، مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2001، ص 71 ، 72 .

الأخير إلى إجراء اتصالات سرية بالسفارة الفرنسية بالقاهرة مقدا الخيار السلمي التفاوضي والخيار العسكري المسلح .

وأمام هذا التوجه التفاوضي الذي انتهجه الحبيب بورقيبة، قام محمد بن عبد الكريم الخطابي في ماي 1948 بتعيين علال الفاسي أمينا عاما للجنة تحرير المغرب العربي، لكن سرعان ما توترت العلاقة بين هذا الأخير وعبد الكريم الخطابي لأسباب أخرى حسب الأستاذ يوسف الرويسي إذ يقول في هذا الشأن : "كان عبد الكريم الخطابي يشك في نوايا المسؤولين السياسيين ، ويرى أنهم غير ملتزمين مطلقا بنهج العمل المسلح في كامل الأقطار المغاربية حتى يتحقق الاستقلال التام".

ونجد أيضا أن الحبيب تأمر قد سار في نفس توجه عبد الكريم الخطابي فأخذ يخطط للعمل المسلح لمقاومة المستعمر، وأبدى رغبته في تدريب الشبان والمناضلين الثوريين التونسيين على استعمال الراديو والشفرة استعداد للمواجهة المسلحة ضد الاستعمار⁶⁸⁸، وهذا العمل كله كان يخدم التوجه العام للأمير عبد الكريم الخطابي وأهداف اللجنة التي كانت تهدف إلى ضرورة لم الشمل وتوحيد الصفوف وتكوين جيش مغاربي لمواجهة المستعمر، بهدف تحقيق حريتها⁶⁸⁹.

وفي شهر أكتوبر 1948م ، غادرت بعثة عسكرية أخرى من القاهرة على متن طائرة عراقية والتحق أعضائها بمختلف المؤسسات حسب التخصصات حيث اهتم الأمير عبد الكريم الخطابي بالشؤون العسكرية وعمل على ضرورة تكوين ضباط محترفين لتحرير المغرب العربي وتكوينهم تكوينا عصريا أملت عليه تجربة حرب الريف القاسية، ورغم الصعوبات التي واجهت قيادته في بداية الأمر من شؤون التنظيم العسكري وقلة الأطر ذات

⁶⁸⁸ طاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 217 .

⁶⁸⁹ زكي مبارك : أصول الأزمة في العلاقات المغربية الجزائرية، ط1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر،

الرباط، 2007 ، ص 80 .

الكفاءة والحنكة العالية لتأطير المجاهدين⁶⁹⁰، إلا أنه واصل مجهوداته لتوسيع دائرة العمل المسلح بتكتيل خلايا عسكرية في كل ربوع المغرب العربي، حيث كلف الأمير عبد الكريم الخطابي الضباط المتخرجين بإجراء اتصالات في كل من المغرب والجزائر وتونس لجس نبض الفعاليات السياسية في عين المكان بعيدا عن أطر مكتب المغرب العربي⁶⁹¹، وهذا الأمر قد وطد صلة الخطابي مع الثوار الجزائريين، ودوره أكد وفد حركة الانتصار بالخارج - الذي ازدرى النضال العقيم للأحزاب السياسية ومن الاختلافات والإخفاقات - ارتمائيه في المخطط العسكري الشامل الذي يسنده الخطابي وتحبذه قيادة الثورة المصرية⁶⁹²، وقد اهتم الخطابي كثيرا بالعناصر الجزائرية المكونة ضمن البعثات الطلابية في الأكاديميات العسكرية الشرقية⁶⁹³ وقد كانت هذه البعثات هي نخر "الجيش التحرير الوطني فيما بعد"⁶⁹⁴.

ولقد أعطت الدفعة الأولى للضباط المغاربة التي كانت تتابع تكوينها في كل من " سوريا" و" العراق" ونزولها بالقاهرة سنة 1951 دفعا قويا لعملية الكفاح ألمغاري المسلح وذلك بإشرافهم على تدريب عدد كبير من الشبان المغاربة في مراكز التدريب بالكليات العسكرية بمصر وهذا بعد نجاح الثورة المغربية في جويلية 1952 وتولى جمال عبد الناصر

⁶⁹⁰ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 70 .

⁶⁹¹ محمد صغير خلوفي : المرجع السابق ، ص 100 .

⁶⁹² عبد الله مقلاتي : " عبد الكريم الخطابي والثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 32 .

⁶⁹³ حسب الإحصائيات التي قام بها الدكتور عبد الله مقلاتي، فان عددهم كان على الشكل الآتي : في الدفعة الأولى عام 1951 جزائري واحد من بين أربعة مغاربة، وفي الدفعة الثانية في سنة 1954 م ،ثمانية عشر مغربيا وثلاثة جزائريين وتونسي واحد وتلتها عام 1955 م، كان عدد دفعات في الأغلب عناصرها جزائريين، ينظر : عبد الله مقلاتي : العلاقات الجزائرية - المغربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية (1954 - 1962)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة قسنطينة، 2007 - 2008، ص 79 .

⁶⁹⁴ عبد الله مقلاتي : العلاقات الجزائرية - المغربية، المرجع نفسه، ص 79 .

لمقاليد السلطة بمصر، وفي هذا الصدد يؤكد لنا المناضل " الهاشمي الطود" وهو أحد الذين تدريبوا في العراق أنه قام بتدريب العديد من أفواج المتطوعين من الشبان المغاربة في الأقطار المغاربية الثلاث تحسبا للعمل المسلح وفي ذات السياق يؤكد أيضا أنه هو من درب الأفواج الأولى من المتطوعين الجزائريين قبل وبعد الثورة التحريرية الكبرى الجزائرية نوفمبر 1954، ومن بينهم " محمد عرعار" وبوعزة، وصحابي، الهواري بومدين، مصطفى الأكل⁶⁹⁵.

وكان الأمير عبد الكريم الخطابي يبعث معظم الطلاب الذين أكملوا دراستهم في مختلف الكليات العسكرية بالشرق العربي إلى أقطارهم الأصلية كمكافئين بتأسيس خلايا عسكرية بها، وتكوين شبكات دقيقة جدا مكونة من رجال المقاومة في الجبال والخلايا السرية في أحياء المدن⁶⁹⁶ وفي هذا السياق نجد أن المناضل عبد الله صنهاجي يؤكد أن اللجنة مع بداية 1952 قامت باتصالات حثيثة مع القيادة المصرية من أجل تسهيل مهمة دخول الطلبة المغاربة للكليات الحربية بهدف أن يكتسبوا خبرات عسكرية والعمل على توظيفها من أجل تحرير بلدانهم⁶⁹⁷، وهكذا استطاعت مختلف الدفعات التي تخرجت من فروع الكليات العسكرية المختلفة سواء المصرية أو العراقية أو السورية أن تكرر قناعتها الثورية وتجسد مشاريعها الوحدوية في الميدان عن طريق الكفاح المسلح في جميع ربوع أقطار المغرب العربي⁶⁹⁸.

⁶⁹⁵ منور مروش : المصدر السابق، ص 158 .

⁶⁹⁶ عبد الله الصنهاجي : مذكرات في تاريخ المقاومة وجيش التحرير، ط1، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1987، ص 133 .

⁶⁹⁷ KARIM MUSTAPH :LA CLASSA OUVRIERE TU NISIENNES ET LA LUT DE LIBRATION NATIONAL (1939 – 1952) .1980 . P 360 .

⁶⁹⁸ طاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 217 .

أدى هذا التوجه العسكري الثوري للأمير عبد الكريم الخطابي في ضرورة إنشاء معسكرات التدريب والتدريب من أجل الدخول في الكفاح المسلح، حيث التف حول هذه الفكرة الشبان الثوريين المغاربة، وبدأت فكرة إنشاء كمودوس، بحيث عمد أحمد بن بلة على إبرام اتفاقية مع المسؤولين المغاربة في مدينة الناظور⁶⁹⁹ على تشكيل كومندوس يتدربون فيه، وكلف العربي بن مهدي بمهمة إعداد العناصر الأولى وتكوينها عسكريا⁷⁰⁰.

قد أدى استقلال ليبيا عام 1952 إلى بناء قاعدة خلفية لوحدة الكفاح المسلح في أقطار المغاربة الثلاث تونس والجزائر والمغرب إذ أصبحت ليبيا مركزا عسكريا هاما للتدريب وتمويل الأقطار المغاربة كما أنها أصبحت منطقة عبور آمنة لتزويد المجاهدين المغاربة بالأسلحة والمؤونة اللازمة⁷⁰¹.

بالإضافة إلى المراكز ومعسكرات التدريب المذكورة آنفا، عمد الأمير عبد الكريم الخطابي إلى استحداث معسكر جديد وذلك في موقع الكتيبة رقم 13 بمعسكر "هاكستيب"⁷⁰² بضواحي القاهرة، الذي وضعته السلطات المصرية تحت تصرف الأمير الخطابي خصيصا بهدف تدريب الشبان المغاربة.

وكانت العناصر التي أنهت تكوينها تسند إليها لجنة التحرير مهمات سرية في بلدان المغرب العربي، لإعداد الظروف الملائمة لتكوين جيش تحرير المغرب العربي، والبعض الآخر يقوم بمهمة التدريب في معسكر "هاكستيب"، وفي الوقت نفسه كانت للأمير عبد

⁶⁹⁹ عبد الله الصنهاجي : المصدر السابق، ص 160 .

⁷⁰⁰ NADIR BOZAR : **ARMEE DE LIBERATION NATIONALE MARCAINE (1955 – 1956)** ; pub lised ; 2002 .P 126 .

⁷⁰¹ طاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 217 ، 218 .

⁷⁰² حسن محمد حسن البدوي : " مذكرات الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي " ، دورية كان التاريخية، ع 5، قطر، سبتمبر 2009، ص 84 ، 85 .

الكريم الخطابي العديد من الاتصالات مع " جماعة العزيمة"⁷⁰³ كانت هذه الجماعة توافيه بجميع التقارير الميدانية حول مراكز العدو واستحكاماته وأسلحته وغير ذلك من التفاصيل الأخرى، وبناء على تلك التقارير وضع عبد الكريم الخطابي معالم خطة حرب التحرير مؤرخة في 5 مارس 1949⁷⁰⁴ .

وانطلاقاً من فكرة وحدة الكفاح المسلح وضرورة تأسيس جيش تحرير المغرب العربي ضمن استراتيجيات التي رسمتها لجنة تحرير المغرب العربي، وتحضير للكفاح المغاربي المشترك المسلح في كافة الأقطار المغاربية الثلاثة، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، كما أن العناصر التي تما تَأطيرها في مختلف الكليات العسكرية بالمشرق العربي لعبة دورا هاما في تدريب مختلف العناصر الثورية التي التحقت بهم سواء بمصر أو بمختلف الكليات العسكرية الأخرى في سوريا والعراق، كان لها الدور الكبير في تجسيد الكفاح المسلح ميدانيا وتوطيد الدعائم العمل الثوري في نفوس الشباب داخل أقطار المغرب العربي .

⁷⁰³ وهي الجماعة التي كانت تتحرك داخل الأقطار المغربية وفق توجيهات الخطابي .

⁷⁰⁴ نسخة من الخطة محفوظة في مجموعة وثائق أمزيان، مطبوعة على الآلة الكاتبة في حدود عشر

صفحات، ينظر : محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 168 ، ينظر الملحق رقم : 07 .

ثالثاً: الاتصال التمهيدي لوحدة الكفاح المغربي المشترك

كان الكفاح المغربي مع بداية الخمسينيات من القرن العشرين في تباين كبير في استراتيجيات الكفاح والنضال المغربي المعتمد، هناك زعماء وطنيين يؤمنون بالتفاوض كوسيلة لتحقيق الاستقلال وهم جماعة بورقبية وطرف آخر يؤمن بالكفاح المسلح كسبيل لتحقيق الهدف المنشود وهو حرية واستقلال الأقطار المغربية وأمام هذا التباين في إستراتيجية هذا النضال المغربي المشترك داخل لجنة تحرير المغرب العربي بين مؤيد للعمل المسلح المباشر من جهة وبين مؤيد للعمل السياسي التفاوضي من جهة أخرى وفق مبدأ أو سياسة خذ و طالب سبيلاً للكفاح⁷⁰⁵، وأمام هذا التباين والجدال العقيم أكد الأمير عبد الكريم الخطابي رفضه للحلول السلمية السياسية وكذا المرحلية مع المستعمر بقوله: " أن الأوان لتعرف الحقيقة أننا أقوىاء علينا أن ننهي هذه المأساة بنهضة شعارها الإتحاد " ⁷⁰⁶، ونتيجة هذه الاضطرابات والتباين داخل أحزاب الوطنية المغربية أدى إلى ظهور طبقة شبانية تؤمن بالكفاح المسلح وأدركت فشل المساعي السياسية مع قوى الاستعمار، لذا عمدت على تفعيل الكفاح المسلح ميدانياً بين الأقطار المغربية الثلاثة: تونس، المغرب والجزائر باعتبارها هو الأسلوب الأنجع لتحقيق آمال المغاربة في الحرية والاستقلال من الهيمنة الاستعمارية لذلك باشرت لجنة تحرير المغرب العربي في عملها لتجسيد مشروعها الثوري الوحدوي عن طريق الاتصالات التمهيديّة والتنسيق على العمل داخل الأقطار المغربية الثلاثة.

في هذا السياق كلفت اللجنة مع بداية 1951 كل من الضباط الهاشمي الطود وحمادي العزيز وعبد الحميد وجدي بضرورة التوجه إلى بنغازي بليبيا من أجل انجاز مهمتين: الأولى

⁷⁰⁵ محمد حربي : الوطنيون الجزائريون والمغرب العربي 1928 - 1954، وحدة المغرب العربي،

ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، 1987، ص 76.

⁷⁰⁶ إدريس الرشيد : ذكريات من المكتب المغربي العربي بالقاهرة، المصدر السابق، ص 160 .

البحث عن إمكانية تأسيس قاعدة خلفية لبلاد المغرب العربي أثناء تحريرها، والمهمة الثانية أن تكون منطقة اتصال وعبور لكل من التونسيين والجزائريين والمغاربة وكذا كنقطة اتصال بينهم و بين الزعماء الوطنيين المتواجدين في المشرق العربي⁷⁰⁷، وفي هذا الصدد يذكر عبد السلام الهاشمي الطود وصية للأمير عبد الكريم الخطابي التي يحذر فيها بقوله " حذاري أن تقول لحزب أنكم اتصلتم بحزب آخر لأنهم كلهم يكرهون بعضهم البعض"⁷⁰⁸ كما نجد أيضا أن عبد الكريم الخطابي أثناء تبنيه لخطة حربية لتحرير أقطار المغرب العربي منذ 1949⁷⁰⁹ قد قطع أشواطاً في تجسيد مخططه فقد أرسل مبعوثيه إلى كل من تونس والجزائر والمغرب للاستعلام وبعده سبل وإعداد الثورة وتنظيم جيوش تحرير المغرب العربي ووجد في المناضلين الجزائريين تغيير معين في قضيته خاصة بعد فشل مشروع الضابط عزالدين عزوز في إعداد الثورة بتونس وإعلان القطيعة مع الحبيب بورقيبة⁷¹⁰، فقد ازدادت الهوة الخلاف مع قادة القوى المغاربية⁷¹¹، وقد استبشر خيراً من بعث حمادي العزيز إلى الجزائر إذ نقل إليه استعداد الحركة الثورية الجزائرية للإعلان عن الثورة والتنسيق معه من أجل وحدة

⁷⁰⁷ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 70 .

⁷⁰⁸ عبد السلام الهاشمي الطود : المصدر السابق، ص 18-20.

⁷⁰⁹ محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 225 - 236 .

⁷¹⁰ AZZEDINE AZOUZ :L'HISTOIRE NE PRADONNE PAS ;TUNISIE ; 1932 - 1969 . L'HARMATTAN ; PARIS . 1981 .P 123 .

⁷¹¹ عبد الجليل التميمي : " تحرير المغرب العربي : تقاطع قناعات ومبادئ كل من الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي والزعيم الحبيب بورقيبة "، مداخلة في أعمال المؤتمر الدولي الخامس حول : نهاية حكم بورقيبة والقيادات السياسية العربية بين الصمود والانحدار، منشورات مؤسسة التميمي، 2005 ، ص

المعركة المغاربية⁷¹²، فقد وافاه الهاشمي الطود ومحمد حمادي العزيز بتقارير مشجعة عن
الوضع في الجزائر⁷¹³.

نستنتج من هذا كله إدراك الأمير عبد الكريم الخطابي بالوضع السياسي العام على
مستوى أقطار المغرب العربي والاختلافات بين الأحزاب، ومدى الحساسيات السياسية بينهم
من جهة، ومن جهة ثانية للعمل على تجسيد مخططاته على أرض الواقع كمرحلة تمهيدية
لتجذير فكرة الكفاح المسلح داخل أقطار المغرب العربي على حساب العمل السياسي السلمي
التفاوضي، وقد أوضح عبد الكريم الخطابي في أكثر من مناسبة أنه لا أمل في المفاوضات
السياسية والحلول السلمية ولا حتى في الهيئات الدولية بقوله: " إن ما رأيناه أمامنا في
ومجلس الأمن من قضايا مصر وفلسطين والهند الصينية لا يلهمني أي ثقة أو بالأحرى
يجعلني محترزا في ما يخص الأمل الذي يمكن أن نعلقه على لجوء إلى المنظمات التحكيم
الدولي، إن مشاكلنا لن تحل إلا بأيدينا سواء بواسطة السلم أو الحرب" . وأمام إدراك الأمير
بحتمية فشل الخيار الدبلوماسي وفقدان الأمل من مختلف المنظمات الدولية لتحقيق
الاستقلال للأقطار المغاربية، وضع بذلك حدا أمام الخيار السياسي والزعامات التي تأيد هذا
الطرح والعمل على تفعيل الكفاح المغاربي المشترك، ولدى عودة عبد السلام الهاشمي الطود
من ليبيا وتقديمه عرض تقييما حول مدى استعداد المملكة الليبية لدعم الكفاح المغاربي
المشترك.⁷¹⁴

⁷¹² عبد الحميد مهري : " أحداث مهدت لفتح نوفمبر " ، مجلة الأصالة، السنة 3، ع 22، أكتوبر -
ديسمبر 1974، الجزائر ، ص 16 ، 17 .

⁷¹³ محمد حمادي العزيز : المصدر السابق، ص 125 .

⁷¹⁴ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 77 ، 78 .

1- تونس :

إن التوجه العام للحزب الدستوري الجديد بزعامة حبيب بورقيبة وهو ذو توجه سلمي تفاوضي ففي منتصف ثلاثينيات القرن (20) العشرين أعلن نهجه السياسي الذي ألقاه في خطابه سنة 1937 بمناسبة انعقاد المؤتمر الثاني لحزب الدستوري الجديد حيث صرح قائلاً " إن الاستقلال لن يتحقق إلا بثلاثة طرق وتتمثل الأولى في ثورة شعبية عنيفة عارمة تقضي إلى الحماية والثانية في هزيمة فرنسا في حزبها ضد دولة أخرى أما الثالثة فتتطوي على حل سلمي مع فرنسا نفسها وتحت إشرافها" ويضيق قائلاً "إن لا خلاص إلا بطرق سلمية تحت حماية فرنسا"⁷¹⁵، غير أن هذا التوجه منافي لأفكار وأمال عبد الكريم الخطابي والثوريين الشباب في تونس أمثال يوسف الروسي إلا أنه عندما وصل الضابطان الهاشمي الطود والوجدي إلى تونس قابله العضوان من الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد التونسي وهما الهادي نويرة والصادق المقدم .

من خلال المباحثات تبين للضابطين موقف الحركة التونسية الوطنية في دعمها للكفاح المسلح للأقطار المغاربية الثلاثة لكن سرعان ما تغير موقفها وهذا ما يؤكد الحمادي العزيز نقلا عن الديوان السياسي للحزب الدستوري بقوله : " نعرفون وضعيتنا ... ونرجو منكم عندما تبدأ المحادثات مع الحكومة الفرنسية أن تساعدونا بالصمت والدعم المعنوي، إن الاستقلال الذاتي سيكون تمهيدا للاستقلال التام أن تبلغوا إخواننا هذا في الجزائر والمغرب" ⁷¹⁶، من خلال هذا التصريح ندرك حقيقة تمسك الحركة الوطنية التونسية بمبدأ النضال السياسي والتفاوضي السلمي، مثلا الزعيم حبيب بورقيبة كما نلمس تراجع عن وعودها التي قدمتها في مؤتمر ليلة القدر 1946 ومؤتمر المغرب العربي في 2 فيفري 1947 وميثاق لجنة

⁷¹⁵ الطاهر بلخوجة : مسيرة زعيم، ط1، دار البيضاء المغرب، 1999، ص 4 .

⁷¹⁶ محمد حمادي العزيز : المصدر السابق، ص 38 .

لتحرير المغرب العربي جانفي 1948 التي تؤكد على وحدة النضال وتجنب الاتجاه القطري الضيق أو التفاوض السلمي مع المستعمر⁷¹⁷.

يرجع سبب تخلي أعضاء المجلس الدستوري عن الموائيق والمؤتمرات التي تعاهدوا عليها في سبيل الكفاح المشترك إلى انسياق وراء تصريحات وزير الخارجية الفرنسي شومان الذي أعلن بتاريخ 10 يونيو 1950 أن الاستقلال هو الغاية التي تسعى فرنسا لتحقيقها وجميع الدول التابعة للإتحاد الفرنسي ومن بينها تونس⁷¹⁸، هكذا نجد أن الحزب الدستوري قد فضل التفاوض السلمي على الكفاح المسلح لكن هذا لم يثني من عزيمة عبد الكريم الخطابي في أن يعول على وطنيين ثورين من شبان تونس الراضين للمفاوضات التونسية الفرنسية بهدف استمرارية الكفاح المغاربي المشترك واستقلال جميع الأقطار المغاربية⁷¹⁹.

2- الجزائر:

أرسل عبد الكريم الخطابي الهاشمي طود والحمادي العزيز إلى الجزائر بهدف إجراء اتصالات سرية بقيادات الحركة الوطنية في مدة لا تتعدى 3 أشهر قام فيها الضابطان من إجراء الاتصالات الضرورية مكنتهم من الاطلاع على مواقف الأحزاب السياسية، وتوطيد الصلة النضالية والجهادية ببعض العناصر الوطنية في الجزائر وتزويد اللجنة بتقارير سياسية وعسكرية ترفع الى عبد الكريم الخطابي مباشرة⁷²⁰.

⁷¹⁷ عبد الله الطاهر : المصدر السابق، ص 96 .

⁷¹⁸ عبد الله الطاهر : المصدر السابق، ص 99 .

⁷¹⁹ محمد حمادي العزيز : المصدر السابق، ص 63 .

⁷²⁰ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 78 .

وقابل في الجزائر عبد الحميد مهري بناء على توصيات الطاهر قبيقة⁷²¹، يؤكد عبد الحميد مهري بقوله: " جاء ذات يوم شابان وطلبا رؤيتي ... إنهما الضابطان عبد السلام الطود والحمادي العزيز جاءا من طرف الطاهر قبيقة، مناضل مؤمن بقضية وحدة المغرب العربي ...، فاتحاني الإخوان بأنهما يحملان رسالة هامة من عبد الكريم الخطابي تحت على الشروع في الكفاح المسلح في كامل أقطار المغرب العربي والاتصال بالعناصر القادرة على الاضطلاع بهذه المهمة⁷²²، ويضيف عبد الحميد مهري قائلاً " أنهم طلبوا منه الاتصال بالأخ أحمد مزغنة فقال لهم عبد الحميد مهري " إذ كانت رغبتكم هي الاتصال بأحمد مزغنة أو غيره فأنا مستعد لأوصلكم إليه وأما إذا أردتم البحث في التحضير للكفاح المسلح فعندي اقتراح آخر فوافقا ... وعندما ذهبت الى الأخ بوضياف وأطلعته على القضية وافق على الاتصال بالأخوين... وابلغنا الإخوة إننا مستعدون وسنكون في الموعد في حالة تحرك تونس والمغرب"⁷²³.

بعد مشاورات طويلة قدم أعضاء مكتب لحركة انتصار من أجل الحريات شروط تمثلت في ثلاث نقاط وهي :

- 1 - مشاركتنا في القيادة السياسية .
- 2- مشاركتنا في القيادة العسكرية.
- 3- يمثلنا في القاهرة محمد خيضر وحسين ايت احمد وفرحي السعيد.⁷²⁴

⁷²¹ الطاهر قبيقة هو كاتب ومثقف ومناضل تونسي، عضو في حزب الشعب والحزب الدستوري، من دعاة وحدة المغرب العربي.

⁷²² عبد الحميد مهري : مسألة الانتقال إلى الكفاح المسلح، جيوش تحرير المغاربي 1948 - 1956

، مؤسسة محمد بوضياف، جزائر، 2001، ص 62 .

⁷²³ محمد حمادي العزيز : المصدر السابق، ص 31 .

⁷²⁴ محمد حمادي العزيز : المصدر نفسه، ص 57 .

يذكر محمد بوضياف في أحد حواراته مع جريدة الشعب بقول: " نظم اتصالات بين محمد بوضياف وبين الضابطين المغربيين وبذلك قمنا باستدعاء ديدوش مراد ليحضر اللقاء مع الضابطين القادمين من المغرب، وبحث عملية التنسيق للكفاح المسلح على مستوى المغرب العربي"⁷²⁵. ويؤكد عبد الحميد المهري ومحمد بوضياف أنه كان من المفروض حسب خطة هذه المجموعة أن يبدأ الكفاح المسلح في خريف 1953 ابتداء من تونس والمغرب ثم تلتحق بهم غير أن انفجار مستودع صنع الذخيرة في الأوراس أجل الثورة الى غاية نوفمبر 1954،⁷²⁶ ويؤكد الضابطان المغربيان أنهما وجدا مساندة كبيرة ودعما كبيرا من طرف الثوار الجزائريين العربي بن مهدي، ديدوش مراد، محمد بوضياف، عبد الحميد مهري وأحمد بن بلة في مغربة الحرب داخل المغرب العربي "⁷²⁷.

كما كانت هناك العديد من الاتصالات بين بن بلة ولجنة تحرير المغرب العربي في بداية 1953 وكانت تهدف الى توحيد جهود الأحزاب المغاربية وتنسيق المواقف لبلورة العمل المشترك يستجيب لتطورات المرحلة الحاسمة⁷²⁸، وقد التقى أيضا احمد بن بلة ومحمد خيضر ومحمد عبد الكريم الخطابي وشقيقه ا محمد واتفقوا على دراسة خطة موحدة لمباشرة الثورة في كامل المغرب العربي وفي شهر ماي 1954 وضعت خطة عمل مفصلة مطابقة لتصور الثوار الجزائريين والضباط المغاربية المساعدين للخطابي وأساسها مباشرة العمل الثوري في إطاره المحدد بهدف تحقيق استقلال بلدان المغرب العربي"⁷²⁹.

⁷²⁵ معمر العايب : المرجع السابق، ص 58، 59 .

⁷²⁶ معمر العايب : المرجع السابق، ص 59 .

⁷²⁷ الهاشمي الطود عبد السلام : المصدر السابق، ص 20 .

⁷²⁸ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 24 - 28 .

⁷²⁹ عبد الله مقلاتي : المجلة التاريخية المغاربية، عدد 132، المرجع السابق، ص 34 .

3- المغرب الأقصى:

كما أرسل عبد الكريم الخطابي كل من الحمادي العزيز وعبد السلام الهاشمي الطود إلى المغرب بعدما أرسلهما إلى تونس والجزائر بهدف إجراء اتصالات سرية وضرورية مع زعماء الحركة الوطنية المغاربية والاطلاع على مواقف وتوجهات الأحزاب السياسية المتواجدة هناك وكذلك توطيد الصلة النضالية بين الأقطار المغاربية الثلاثة ومدى استعدادها للعمل المسلح الوحدوي وذلك تحت لواء جيش تحرير المغرب العربي. بهدف استقلال بلدان المغرب العربي، وكانت بداية تحركات الضابطان على مستوى القاعدة شعبية كخطوة أولى لتجسيد العمل المسلح المغاربي.

من جهة ثانية اتصل الضابطان بزعماء الحركة الوطنية المغربية. وجس نبضها فيهما بخصوص فكر توحيد الكفاح المغاربي المشترك⁷³⁰، تؤكد شهادة الهاشمي الطود أنه عندما دخل مع زميله الحمادي عزيز لإجراء اتصاله بسرية مع الهيئات السياسية المغربية قوبلوا بالرفض والطرده التام ويذكر بالحرف الواحد " اخرجوا عنا"، وربما هذا خوفا من البوليس الفرنسيين⁷³¹، بعدها انتقل الضابطان إلى الدار البيضاء ثم إلى تطوان واستقبلهما الأستاذ أحمد معنينو الذي طلب منهما الترتيب إلى غاية تحضير لقاء لهما مع قادة وزعماء الحزب الثوري والاستقلال سنة 1952 وبالفعل تم عقد هذا اللقاء في مدينة فأس وتم عرض فكرة الكفاح المسلح المغاربي المشترك بين الأقطار المغربية ألا أنه قوبل بالرفض⁷³² وهذا يؤكد لنا عامية تمسك حزب الاستقلال والحزب الشورى والاستقلال بالحلول السياسية والتفاوض السلمي مع الحكومة الفرنسية هذا يؤكد لنا قطعا أن القادة السياسيين للأحزاب السياسية المغربية لم يكن لهم تأييد للعمل المسلح المشترك بين الأقطار المغربية الثلاثة وأن

⁷³⁰ الهاشمي الطود عبد السلام : المصدر السابق، ص 21 .

⁷³¹ محمد حمادي العزيز : المصدر السابق، ص 160 ، 161 .

⁷³² الهاشمي الطود عبد السلام : المصدر السابق، ص 22 .

مرجعيتهم في الكفاح السلمي لنيل الاستقلال والحرية من الاستعمار الفرنسي⁷³³، ويرجع أغلب الظن لانسياقهم وراء هذا التوجه تصريحات وزير الخارجية الفرنسي شومار الذي أعلن بتاريخ 10 جوان 1955 بأن فرنسا تنوي تحقيق الاستقلال الداخلي للدول التابعة للإتحاد الفرنسي والتي من بينها المغرب⁷³⁴.

إلا أن الاتصال الضابطان المغربيان بالسيد أحمد معنينو وهو عضو في حزب الشورى والاستقلال وقد ناقشا معه فكره الكفاح المسلح المغربي وجدا تجاوب من طرف هذا الأخير الذي أيد الفكرة وحاول برمجة لقاء مع الزعماء السياسيين لقادة الحزب الدستوري بهدف دعمه في العمل المسلح المشترك وقد ساندته مجموعة من مناضلي الحزب من ذوي التوجه الثوري المثال الهادي بن الطالب وعبد القادر بن جلول بهدف التحاقهم بصفوف جيش التحرير المغرب العربي في ما بعد وهو بمثابة تأكيد ضمنى لفكرة الكفاح المسلح بين الأقطار المغاربية الثلاثة رغم الاختلاف في التوجهات والآراء داخل أعضاء حزب الشورى، وأمام فشل المفاوضات المغربية الفرنسية وانطلاق المقاومة المسلحة في المغرب أدى إلى اقتناع بعض قادة حزب الشورى بالكفاح المسلح كطريقة مثلى لتحقيق الاستقلال وهكذا ظهرت فئة تدعم الخيار العسكري على الخيار السلمي التفاوضي في كثير من الحالات مع السلطات الفرنسية⁷³⁵.

وعلى العموم استطاع الامير عبد الكريم الخطابي بفضل جهوده المضنية وبمساعدة الضباط المغاربية في كل من تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من تكوين خلايا سرية نشطة

⁷³³ محمد خوجة : جيش التحرير المغرب العربي 1951 - 1956، ومذكرات لتاريخ أم للتمويه، ط1 ، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2007، ص 66 .

⁷³⁴ احمد إسماعيل رشيد : تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ، 1988، ص 110 .

⁷³⁵ احمد إسماعيل رشيد : المرجع نفسه، ص 110 ، 111 .

داخل الأقطار المغاربية بهدف توحيد الكفاح المسلح بشمال إفريقيا والعمل على تأطيرها داخل صفوف جيش تحرير المغرب العربي، وذلك بخلق العديد من مراكز التدريب في كل من العراق وسورية ومصر، وفق تقنيات واليات حديثة تساعدهم في كفاحهم ضد الوجود الاستعماري الغاشم .

المبحث الثاني: الجهود التنظيمية لجيش تحرير المغرب العربي

شكل تواجد عبد الكريم الخطابي بالقاهرة نقلا كبيرا على نشاط مكتب المغرب العربي وفروعه، حيث أنه بعد تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي دعى إلى تكوين جيش تحرير واحد يجمع قادة الأحزاب الوطنية المغاربية والعمل على تنسيق الجهود النضالية فيما بينهم، مع اقتسام الإعانات المالية وتوزيع السلاح بعدالة وأنصاف⁷³⁶، لذلك نجد أن الأمير عبد الكريم الخطابي عمل جاهدا على التنسيق بين لجنة تحرير المغرب العربي والشبان الثوريين المغاربة وتكوينهم داخل جيش تحرير المغرب العربي.

أولا: الجهود التنسيقية بين لجنة تحرير المغرب العربي والمناضلين الثوريين لتفعيل الكفاح المسلح

واصلت الحكومة الفرنسية سياستها المعروفة بسياسة فرق تسد، وذلك بهدف تجزئة المغرب العربي إلى مناطق قطرية ضيقة، اعتمادا على بعض القيادات السياسية التي سارت وراء هذا الطرح، غير أن أصحاب التوجه الثوري المؤمنين بالكفاح المسلح المشترك والمدعم من طرف السلطات المصرية على وجه الخصوص، عمل على إرساء مشروعهم ميدانيا على أرض الواقع في ظل دعم لجنة تحرير المغرب العربي والتي أكدت بعد تأسيسها على بعدها المغاربي الثوري، فاعتبرت أن الاستقلال المأمول لبلدان المغرب العربي هو الاستقلال التام لكافة الأقطار المغاربية الثلاثة وأكدت أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لنيل الاستقلال التام، وفي ظل استمرار الخيارات السلمية والحلول التفاوضية لبعض الأطراف المغاربية، واصلت اللجنة تمسكها بالخيار الثوري والعمل على تنسيق الجهود من أجل إيجاد أرضية تجتمع عليها القوى الثورية المغاربية⁷³⁷.

⁷³⁶ أحمد بشري : الثورة الجزائرية والجامعة العربية، ط1، منشورات ثالثة، الجزائر، 2009، ص 56 .

⁷³⁷ عبد الله مقلاتي : العلاقات الجزائرية - المغربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية، المرجع السابق

في ذات السياق استقل الأمير عبد الكريم الخطابي منذ 1951 بلجنة تحرير المغرب العربي⁷³⁸، وذلك بعد أن قرر أن يقطع صلته بالقيادات السياسية ذات التوجه القطري السلمي، واختار الطريق الثوري المسلح شعارا له، فربط كل اهتمامه بالمناضلين الثوريين المغاربة، وفي هذا الصدد كلف شقيقه أحمد رئيس لجنة الدفاع بالإشراف على أغلب الاجتماعات مع الضباط المغربيين والعمل على تحضير الانتفاضة الشاملة في بلدان المغرب العربي⁷³⁹

في ظل هذه التوجهات أكد حزب الشعب الجزائري_ حركة انتصار الحريات الديمقراطية_ على تدعيمها الكامل لنشاط مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة، فإنها بادرة طرح فكرة النضال الموحد من جديد على مستوى المغاربة بدعم من لجنة تحرير، فعمدت على عقد مؤتمر زدين (ولاية عين الدفلة حاليا) مع نهاية سنة 1948 وبداية 1949، وقال تقرير حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية "... إن المغرب العربي هو وحدة إستراتيجية بالتضاريس والتاريخ والاضطهاد الاستعماري الواحد، وتطلعات جماهيره العميقة الواحدة، لذلك فإن كل عمل تحرري لا يتخذ المغرب العربي ككل كإطار استراتيجي يعتبر عملا انتحاريا....فالجزائر قد تفشل... إذا وضعت من أسبقيات نضالها الاهتمامات المغربية التي تتطلب وحدة وجهات النظر والمشاعر والمصالح لدى المسيرين بالمغرب العربي". وتم التأكيد على اتصال الأمير عبد الكريم الخطابي بحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ونظر الحزب على أن العلاقات مع الحزب الدستوري الجديد وحزب الاستقلال على أنها كانت مطبوعة دائما بعمومية كلامية، فعلى حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية إذن أن يوسع من مهامه نحو الشرق (تونس) والغرب (

⁷³⁸ عبد الله مقلاتي : العلاقات الجزائرية - المغربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية، المرجع نفسه ، ص 45 .

⁷³⁹ محمد الحامدي العزيز : المصدر السابق، ص 86 ، 87 .

مراكش)، فالمنظمة الخاصة مستعدة لإيفاد مسئولين متمرسين للمساعدة على تنظيم هياكل مشابهة في تونس ومراكش لما عندنا (خلايا شبه عسكرية) ويمكن بذلك لأحزاب القيادات الثلاثة أن تنشئ قيادة مغربية تكون هي الوسيلة الأساسية لإنهاء مأساة الاستعمار في المغرب العربي.⁷⁴⁰

وفي القاهرة كان الأمير عبد الكريم الخطابي قد استقبل في شهر سبتمبر 1951 الدفعة الأولى لإطارات جيش التحرير التي كانت قد تلقت تكوينها العسكري في العراق وهو متكون أساسا من التونسيين والجزائريين والمراكشيين⁷⁴¹، إضافة إلى المغاربة المتكونين بالمدارس العسكرية المصرية من طرف مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي منذ سنة 1948، فقد أورد سليمان بن سليمان الذي زار جماعة المكتب ولجنة التحرير المغرب العربي في شهر مارس 1948، إن الدكتور الحبيب ثامر _ عضو المكتب واللجنة _ أخبره عن تكوين مجموعة من التونسيين في مصر على " تقنية أجهزة الإشارة و الراديو T.S.F دون علم بورقوية نظرا لأنه (أي بورقوية) لا يكتم السر⁷⁴²، وتدعيم كذلك مكتب ولجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة، باستقبالهما لكل من السيدين ايت أحمد وأحمد بن بلة خلال سنتين 1951 و1953، وكان المكتب في هذا الوقت مسير من طرف عدلان الفاسي وصالح بن يوسف ومحمد خيضر وحل هذا الأخير بالقاهرة في مطلع سنة 1950، أما اللجنة فكانت

⁷⁴⁰ MOHAMMED HARBI : **les archives de la R évolution Algérienne** ;ed ; J.A.PARIS . 1979 . P 15 – 49 .

⁷⁴¹ REZETTE ROBERT : **Les enclaves espagnoles au Maroc** ; ED ; NOUVELLES . ED . LATINES . PARIS . 1973 . P 241 .

⁷⁴² BEN SLIMAN : **Souvenirs politiques** . COLLECTION mémoire . ED . Cérés productions ; Tunis ; 1989 . P 257 .

مسيرة من طرف الأمير عبد الكريم الخطابي وأخيه أحمد، وكلف الرئيس جمال عبد الناصر فتحي الديب بجميع شؤون المغرب العربي سنة 1953.⁷⁴³

قد ساعدت التطورات الحاصلة في تونس على دفع لجنة تحرير المغرب العربي إلى عقد اجتماع خلال سنة 1952 بالقاهرة قصد الاتفاق مع عناصر الثورة الشبابية المؤمنة بالخيار المسلح على القيام بعمل ثوري يشمل جميع أقطار المغرب العربي مثلما حدث في تونس، فأنشأ علال الفاسي بعد ذلك جيش التحرير المغربي (المراكش) وطلب من قيادة حزب الاستقلال للمغرب الأقصى أن يكون القائد لهذا الجيش هو محمد الدويري ويساعده علال عبد الكبير ابن المهدي الفاسي، لكن قيادة الحزب اقترحت بدل الدويري الدكتور عبد الكريم الخطيب⁷⁴⁴.

كما نجد أيضا أن الأحداث التي عرفت تونس في 3 أوت 1953 قد ساهمت في بلورة وحدة الكفاح المسلح المغاربي وعليه سارعت لجنة تحرير المغرب العربي في تجنيد المغاربة في مهام التنسيق وإنشاء مراكز التدريب والقواعد الخلفية لتجسيد المشروع الثوري الموحد في ظل المعطيات السالفة الذكر.

وفي سبيل إنجاز المشروع المسلح تم الاتفاق في لجنة تحرير المغرب العربي بين كل من عز الدين عزوز ومحمد حمادي العزيز وإبراهيم القافي والهاشمي الطود لدراسة تطورات الأحداث في المغرب العربي، وتوجيه هذه التطورات نحو منحى يخدم المشروع الثوري المغاربي لتحقيق الاستقلال التام، وتنسيق جهود لإرساء جيش التحرير المغاربي ميدانيا⁷⁴⁵.

⁷⁴³ LEBJAOUI MOHAMED : **vérités sur la Révolution Algérienne** ; ED . GALLIMARD . PARIS 1970 .P 125 .

⁷⁴⁴ عبد الكريم غلاب : "من رابطة الدفاع عن مراكش حتى مكتب المغرب العربي"، العالم السياسي ، المغرب، عدد 4، أكتوبر 1982، ص 9 - 17 .

⁷⁴⁵ محمد الحامدي العزيز : المصدر السابق، ص 86 .

وفي ظل هذه الأوضاع الحاصلة في مراكش وتونس وانشقاق جماعة حزب الشعب الجزائري (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) في مؤتمرها الثاني (أبريل 1953) أدى إلى ظهور جماعة أسست اللجنة الثورية للوحدة والعمل، وإن هدفها حماية الحزب من جهة ومن جهة ثانية أن تكون وسيلة ثورية حقيقية من أجل تحطيم الاستعمار الفرنسي إلى جانب الأشقاء في تونس والمغرب الأقصى⁷⁴⁶، وفعلا كان الثوار التونسيين يلتجئون إلى المناطق الشرقية الجزائرية وكانت تقدم إليهم المساعدات والتحق بصفوفهم مجموعة من الثوار الجزائريين منهم السيد العقبي والسيد الأزهر شريط وغيرهم⁷⁴⁷

في خضم هذه الظروف تكونت شبكة تنسيق بين أقطار المغرب العربي بدعم من لجنة تحرير المغرب العربي، فقد جاء عن سيد عبد الحميد مهري أنه اتصل في شهر ماي 1953 بشابين مغربيان هما: الهاشمي الطود، وحمادي الريفي، المبعوثان من طرف الأمير عبد الكريم الخطابي رئيس لجنة تحرير المغرب العربي بهدف تنسيق حركة مسلحة في المغرب العربي كله، وذكر أنهما اتصلا بعدد من المسؤولين في الديوان السياسي(الدستور الجديد) بتونس قبل مجيئهما إلى الجزائر وكانا ينيوان الذهاب إلى المغرب الأقصى، وفي الجزائر تم لهما الاتصال ببعض مسؤولي الحزب منهم السيد محمد بوضياف والسيد سمير مهري، وتم الاتفاق على استكمال البحث بعد رجوعهما من مراكش وإعطاء صورة على الوضع هناك، والاتفاق نهائيا على الخطة التي تتضمن تنسيق الكفاح المسلح في المغرب العربي، وتم ذلك فعلا بعد رجوعهما فقد حملا معهما صورة مشجعة عن الوضع في الجزائر.⁷⁴⁸

⁷⁴⁶ محمد العربي الزبيري : الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البعث، قسنطينة، الجزائر ، 1984 ، ص 151، 152 .

⁷⁴⁷ ينظر : " اجتماع 22 التاريخي - ندوة - "، مجلة الباحث، عدد 2، نوفمبر 1984، الجيش الوطني الشعبي، الجزائر، ص 16 ، 17 .

⁷⁴⁸ عبد الحميد مهري : أحداث مهدت لفتح نوفمبر، المرجع السابق، ص 16 ، 17 .

وبتطور الوضع في المغرب الأقصى ونفي السلطان محمد الخامس في 20 أوت 1953 وتعويضه بالسلطان التابع للإدارة الفرنسية واسمه بن عرفة وتنامي المقاومة المسلحة أسس علال الفاسي جيش التحرير المغربي وجعل لها شبكات لجلب الأسلحة وتدعيم المقاومة بالأموال والمؤونة بالتنسيق مع الدكتور حافظ إبراهيم وعبد الرحمان اليوسفي باسبانيا والبلدان الأوروبية في إطار دعم لجنة تحرير المغرب العربي وتوجهاتها المغاربية⁷⁴⁹ وبذلك توسعت المقاومة في المغرب الأقصى وشملت اغلب المناطق المغربية، وتحديث الإدارة الفرنسية عن المجموعات القتالية المسلحة أنها تدرت في اسبانيا وتنتمي الى حزب المقاومة السري الذي كان مركزه تطوان، وذكرت أن نفس الحزب استقبل مجموعة من المخبرين تلقوا تكوينهم العسكري بالقاهرة بدعم من لجنة تحرير المغرب العربي وأنهم كانوا على علاقة بحزب الإصلاح الوطني والاستقلال⁷⁵⁰ وتكونت عدة مراكز سرية في المغرب الأقصى وليبيا واسبانيا وبعض البلدان الأوروبية الأخرى، نشطت انطلاقا منها عدة وجوه ثورية منهم : أحمد بن بلة، محمد بوضياف، عبد الكريم الفاسي، العربي بن مهدي، الزليطني وكمال ساكر وعبد العزيز شوشان والأزهر شريطي وعبد الله صنهاجي ومحمد المكناسي غيرهم، خلال سنتي 1953 و1954، كانت مهمتها الحصول على السلاح ومستوى المغرب العربي من أجل تفجير كفاح مشترك في إطار تفعيل جيش تحرير المغرب العربي⁷⁵¹ .

وفي الإطار التنسيق المشترك يؤكد الحمادي العزيز " معاهدته بقوله " بأن اتصالات مكثفة نشئت خلال سنتي 1953_ 1954 بين التيارات الثورية المغربية في كل من ليبيا وإسبانيا وسويسرا وفرنسا والمغرب" وقد أخبره أحمد بن بلة بعد عودته من سويسرا بأن

⁷⁴⁹ LEBJAOUI MOHAMED :OP . CIT . P 126 -133.

⁷⁵⁰ REZETTE ROBERT :OP CIT . P 126 .

⁷⁵¹ LEBJAOUI MOHAMED :OP . CIT . P 126 -133.

اجتماعاته مع المناضلين كانت إيجابية مهمة جدا وأن المناضلين الجزائريين يتصلون دائما بالمناضلين المغاربة ... وأن تفجير الثورة أصبح موعده أصبح قريب جدا" ⁷⁵².

ويؤكد ' محمد البجاوي' أن المكلفين بالتنسيق على مستوى المغرب العربي استطاعوا أن يكونوا عدة مراكز وخلايا سرية في كل من " المغرب الأقصى وليبيا" أما على المستوى الأوروبي فنشطت عدة وجوه ثورية مغربية كانت مؤسسة بميثاق لجنة تحرير المغرب العربي وتدافع على وحدة الكفاح المسلح المشترك ⁷⁵³.

في ظل مساعي مواصلة التنسيق وتكثيف الاتصالات عند أصحاب التوجه إلى عقد اجتماعا في شهر جويلية 1954 بمدينة' برن السويسرية ' حضره كل من احمد بن بلة ومصطفى بن بولعيد وعبد الكبير الفاسي، وتأسست في شهر أوت من نفس السنة قيادة خارجية لجيش التحرير المغاربي وقد ضمت القيادة كل من أحمد بن بلة من الجزائر وحمادي العزيز من المغرب وعز الدين عزوز من تونس، وكانت مهمتها القيادة والعمل على التحضير للكفاح المسلح في البلدان المغاربية الثلاثة تونس المغرب الجزائر ⁷⁵⁴.

في إطار التنسيق المغاربي المشترك وتفعيله، برز أحد الوجوه المغاربية الفعالة التي قامت بالكثير من أجل وحدة الكفاح المسلح وهو المناضل التونسي " حافظ إبراهيم" ⁷⁵⁵ المقيم

⁷⁵² محمد الحامدي العزيز : المصدر السابق، ص 138 .

⁷⁵³ محمد الحامدي العزيز : المصدر نفسه، ص 171 .

⁷⁵⁴ نفسه ، ص 172 .

⁷⁵⁵ ابراهيم محمد حافظ تونسي ولد في 14 ماي 1916، بمنطقة باكورة بتونس، زاول دراسته بفرنسا بعد حصوله على البكالوريا بتونس، وتخصص الطب و تخرج منها عام 1943، نشط مع المناضلين أمثال الحبيب ثامر ويوسف الرويسي بفرنسا، ترأس جمعية طلبة شمال إفريقيا عام 1944 م، ساند العمل الثوري الوحدوي، وعلى على ضرورة ربط أواصر المهاجرين المغاربة من اجل المساهمة في النضال ضد المستعمر، وعمل على تنسيق الجهود مع المغاربة الثورين بهدف تحرير أقطار المغرب العربي، ينظر :

في مدريد منذ أوت 1944، بحيث استطاع بفضل مجهوداته الجبارة ربط المناضلين
المغربيين مع بعضهم البعض وتقريب وجهات النظر بين المناضلين المراكشيين أمثال عبد
الكبير الفاسي، وعبد الرحمان اليوسفي، والجزائريين (العربي بن مهدي، محمد بوضياف)،
والقيادة المصرية في تفعيل لجنة تحرير المغرب العربي وتجسيد الكفاح المغاربي المشترك،
وكلف حافظ إبراهيم في تزويد وتمويل المقاومة المغربية بالسلاح فكل جهوده التقنية تهب
إلى فكرة واحدة الكفاح المسلح المغاربي.⁷⁵⁶

في ظل تصاعد المجهودات الوجودية بين المناضلين المغاربة قامت الحكومة الفرنسية
بمعاهدتها انتهاج سياسة التفريق كرد فعل على المجهودات الوجودية المغاربية، فبادر رئيس
الوزراء الفرنسي " منداس فرانس" إلى نقل بورقيبة من منفاه " يفرأ " إلى قصر " لافريتا"
حيث قابله وتم التفاوض معه حول القضية التونسية وبعدها ذهب منداس فرانس إلى تونس
وأعلن أمام الباي بقرطاج ضرورة منح تونس استقلال ذاتي وتشكيل حكومة تفاوضية برئاسة
الطاهر بن عمار في 7 أوت 1954 وبدأت المفاوضات الفرنسية التونسية في 4 سبتمبر
1954 وكان وراء هذا المسعى الفرنسي تشتيت القوى الوطنية في تونس وقطع الطريق أمام
العناصر الثورية الداعية إلى تثوير المغرب العربي ضد الوجود الفرنسي.⁷⁵⁷

على أثر هذه الظروف بادرت لجنة التحرير المغرب العربي في دراسة الاتفاقية
الفرنسية التونسية واعتبر بورقيبة والديوان السياسي أنه خان وتتصل عن المبادئ التي
تعاهدوا عليها في ميثاق اللجنة، وتم عقد اجتماع اضطراري بالقاهرة خرجوا فيه بالقرارات
التالية :

حمزة رؤوف : نبذة عن حياة إبراهيم محمد حافظ، جيش تحرير المغرب العربي 1948 - 1956 ،

مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2001، ص 141 ، 143 .

⁷⁵⁶ حمزة رؤوف : المرجع نفسه، ص 141 ، 143 .

⁷⁵⁷ الطاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 113 .

- فصل الديوان السياسي للحزب ورئيسه بورقيبة من عضوية لجنة تحرير المغرب العربي.

- اعتبار أن سلطات الديوان انتقلت إلى يد الأمين العام الصالح بن يوسف نظرا لدفاعه المستميت على مبادئ الاستقلالية التي وافق الحزب عليها وعلى أساسها انظم إلى لجنة تحرير المغرب العربي .

- يبقى ممثل السيد صالح بن يوسف " ابراهيم طوبال" الممثل الرسمي للحزب الدستوري الجديد في لجنة تحرير المغرب العربي.⁷⁵⁸

جاءت هذه القرارات كرد فعل على السياسة الاستعمارية وبعض القادة الوطنيين المؤمنين بالتفاوض والحلول السلمية، كما جاءت لتحمي وتؤكد التوجه العام للمناضلين الثوريين المؤمنين بالكفاح المسلح بهدف تحقيق الاستقلال التام للأقطار المغاربية الثلاثة (تونس، المغرب، الجزائر)، كما نددت بعض القيادات الوطنية التونسية بهذه الاتفاقيات الفرنسية التونسية مثل صالح بن يوسف الذي عارض وبشدة تسليم الفلاحة أسلحتهم طوعية واصدر يوسف الرويسي رئيس مكتب المغرب العربي بدمشق بيانا يستنكر فيه محتوى هذه الاتفاقية ودعى الشعب التونسي على وجه الخصوص والأقطار المغاربية على وجه العموم بالمقاومة المسلحة من أجل تحقيق الاستقلال التام⁷⁵⁹.

على وجه العموم تمكنت لجنة تحرير المغرب العربي من ربط العديد من الاتصالات مع المناضلين الشبان المغاربة بهدف تأكيد العمل المسلح المغاربي كحتمية للتخلص من براثن الاستعمار القابع على صدور الشعوب المغاربية، وهكذا لم يظهر الكفاح المسلح على الساحة المغاربية بشكل فعلي ومتكامل إلا بعد انطلاق الثورة الجزائرية التي شكلت بالنسبة للكفاح المغاربي المشترك القلب النابض الذي عمل عليه الجناحين التونسي

⁷⁵⁸ الطاهر عبد الله : المصدر نفسه، ص 122 .

⁷⁵⁹ المصدر نفسه، ص 125 ، 126 .

والمغربي في دعم الثورة الجزائرية وتفعيل الكفاح المغربي المشترك ضد المستعمر الفرنسي
والاسباني.

ثانيا: خطة حرب التحريرية

لقد وجد الخطابي الذي تمكن في عشرينيات القرن الماضي من توحيد القبائل صعوبات بالغة في توحيد الأحزاب المغاربية التي كان قادتها يتظاهرون بمسايرته ولكنهم في الواقع كانوا متحفظين من مبادرته ومترددين في المساهمة في توفير الشروط الضرورية لتنظيم للكفاح المسلح مجددا، مما حدا الخطابي إلى انتهاج أسلوب المزاجية بين الحوار مع الفقراء السياسيين والإعداد لخطة متكاملة لانطلاق حرب التحرير بالاعتماد على العمل المسلح المنظم ويرتكز على عمليات قصيرة المدى ويحقق انتصارا سريعا واستقلالاً حقيقياً للشعوب المغاربية.

أعلن الخطابي عن خطته في 5 مارس 1949 والتي تضمنت العديد من التوجهات⁷⁶⁰ وبدأت الخطة بتحديد معالم الصورة التي آلت إليها أحوال شمال إفريقيا ماديا وروحيا وذلك لسبب تسلط حكام لا أخلاق لهم على مقاليد السلطة⁷⁶¹ وتخلي العلماء عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعليه فالواجب يحتم عليه الآن: "تطهير البلاد من مرض اسمه الوهم يخيم فوق وطننا ومعتقده عدوا خارجيا عن الوطن المغربي، والوهم هو الاستعمار الذي تمكن من خيرات الوطن مستغلا اعتقاد الناس في قوته"⁷⁶²، وفي ذات السياق يقول الخطابي: "إن الضعف الذي إعتارنا ناتج عن الوهم وقد أن الأوان لنعرف حقيقة أننا أقوياء، وعلينا أن ننهي هذه المأساة بنهضة شعارها الإتحاد وجعل الهدف الأسمى فوق كل هدف مع اعتقادنا اعتقادا "جازما" بأننا أكفاء لنيل استقلالنا استقلال تاما، بأنفسنا وصالنا إلى هذه

⁷⁶⁰ عمر لمعلم : مجلة الذاكرة الوطنية، العدد 9، المرجع السابق، ص 49 .

⁷⁶¹ نسخة من الخطة محفوظة في مجموعة وثائق أمزيان كما وضعنا سابقا، محمد أمزيان : محمد

عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 168، ينظر الملحق رقم 6 .

⁷⁶² محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع نفسه، ص 168

الحالة لأننا أمنا بضعفنا وغلبنا اليأس فأخذ كل واحد منا يبحث في معيشته وينهج إلى ذلك أقرب الوسائل وللدناءة أفدح من الاحتراف على حساب الشرف والكرامة⁷⁶³ .

بعد هذا التمهيد العام انتقلت الخطة إلى رسم الأركان التي ينبغي أن تقوم عليها لتحقيق الهدف المتوخي، وتنقسم إلى مرحلتين أساسيتين هما: المرحلة الأولى وتتحدد في معرفة البلاد المغاربية " طولا وعرضا وشمالا وجنوبا وشرقا وغربا" بما فيها من جبال وهضاب وأنهار ووديان وغابات ومدن وقرى ومواصلات بمختلف أنواعها، وزوايا الإلتقاء ومخائق الجبال والخنادق وملتقى الأودية، أي معرفة مسرح العمليات وتمشيطها، ومعرفة مراكز العدد وعدد قواته وعتاده الحربي وأنواع الأسلحة وعددها وفي الوقت نفسه يتم البحث عن الرجال المخلصين وتنظيمهم تحت قيادة مختارة تتوفر فيها الشجاعة والأقدام والشهامة وأعدادهم وتدريبهم عند اللزوم واستمالة المغاربة المنخرطين في الجيوش الاستعمارية وكيفية الاحتماء مع القصف الجوي عبر حفر خنادق والانفتاح على الزوايا والطرق الصوفية والاعتماد على عناصر قيادية متمرسة، وكيفية التعامل مع الأسرى في العمليات المسلحة والعمل على تنظيم مصادر التموين للقوات المتحركة⁷⁶⁴ .

أما المرحلة الثانية فتتم بعد نجاح الخطوة الأولى بحيث يقوم المسئولين بتوزيع الأسلحة والذخيرة الكافية استعدادا للهجوم، وقبل الهجوم يتم الاتصال بضباط الجيش من الوطنيين لإقناعهم بالانضمام إلى قوات التحرير فإذا وافقوا عليهم أن يبدوا العمل من مواقعهم حتى يكفوا قوات المجاهدين مشقة الاقتحام، والتعهد لهم بتنفيذ رغباتهم بالترقية حسب كفاءتهم ومؤهلاتهم وفي الوقت التي تقوم فيها القوات الوطنية الأخرى المنخرطة بمواصلة تطهير

⁷⁶³ الرشيد إدريس : نكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، المصدر السابق، ص 160 .

⁷⁶⁴ عمر لمعلم : مجلة الذاكرة الوطنية، العدد 9، المرجع السابق، ص 49 .

المناطق المحررة ومحاصرة المراكز مع قصفها بالمدافع إن وجدت أو بالقنابل اليدوية ليلاً⁷⁶⁵.

كما يؤكد عبد الكريم الخطابي خطته عن ضرورة التحقق من المنتسبين الجدد بصفوف المجاهدين وكيفية التعامل مع الأسرى الحرب والطريقة المثلى للاختباء من قصف الجو من طائرات العدو، وما يجب القيام به إذا استعملت الغازات السامة وأعراض الإصابة بها، وتنتهي الخطة بتقديم نصائح عامة مؤكدة على ضرورة الاعتناء بالأسلحة وإصلاحها وتنظيفها والحفاظ على الذخيرة مع وجوب الاعتناء بصحتهم ونظافتهم والوقاية من الأمراض والمحافظة على الصلاة بإقامتها في أوقاتها⁷⁶⁶.

ومنه فإن خطة الحرب التحرير التي وضعها عبد الكريم الخطابي هي اجتهاده وتصوره الخاص المستنبطة من نظرة واقعية إلى قضية بلدان المغرب العربي الواقع تحت براثن الاستعمار، باعتبارها هي الحل الوحيد للتخلص من الاستعمار.

وعلى العموم تستند خطة حرب التحرير التي وضعها الخطابي على العناصر الآتية هي:

- مسح طوبوغرافيا لميدان المعركة.
- تشكيل وحدات صغيرة منظمة قادرة على سرعة التحرك.
- اختيار قيادة محنكة مقبولة لدى الشعب.
- تشكيل جيش احتياطي منظم.
- الاهتمام بالتموين .
- الاهتمام بهندسة الميدان.

⁷⁶⁵ خطة الحرب التحريرية، ينظر : محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف ، المرجع

السابق، ص 170 .

⁷⁶⁶ المصدر نفسه، ص 170 ، 171 .

- الاهتمام بتنظيم وسائل الاتصال.
 - السرعة في التنفيذ والالتزام بساعة الصفر.
 - عنصر المفاجأة.
 - مواجهة العدو بقطع وسائل الاتصال والمواصلات (الهاتف، الجسور).
 - تنظيم مناطق محررة.
 - الالتزام بأخلاقيات الحرب (احترام الأسرى والرهائن ورجال الدين).
 - استمالة الضباط والجنود المغربيين العاملين بجيش الاحتلال.
- كما بينا أننا فالخطة محكمة وواضحة وشاملة قابلة للتنفيذ في أي وقت وأي مكان، ويبدو أن بعض العناصر القاعدية في جيش التحرير قد توصلت بها وكانت تعمل فعلا بمقتضاها، وإذ كانت الخطة لم تحدد موعد لبدأ عمليات جيش التحرير فإن تصريحات الأمير ونداءاته واتصالاته بأبناء المغرب الكبير المقيمين في المشرق العربي توحى بأن المنطقة موافقة لتوجهاته وخطته ومقبلة على عمل مسلح واسع النطاق، بحيث نجد أن الأمير قد صرح لأحد الصحف الأمريكية نشرته جريدة الأهرام: "أن هناك 25 مليون من سكان شمال إفريقيا متأهبون للثورة وأن خمسة ملايين من الرجال مستعدون لحمل السلاح في حين صدور أوامر بإعداد الثورة، وأن عدد كبير من العاملين في الجيوش الفرنسية والاسبانية سينظمون إلى إخوانهم الثوار عندما يتلقون الإشارة بالانضمام⁷⁶⁷.
- في السياق نفسه أبدى المغاربة المقيمون في المشرق مدى استعدادهم لتلبية نداءات الخطابى والشروع في تنفيذ خطته لتحرير أقطار المغرب العربي، وثناء الخطابى على هؤلاء لتلبية نداءه نحو واجب مقدس بحيث صرح قائلاً: " ننظم أنفسنا ونشكل من المغاربة في

⁷⁶⁷ جريدة " الأهرام " جريدة مصرية، بتاريخ 14 / 03 / 1950 .

المهجر قوة تستهدف أنقاض الوطن من الظالمين المستبدين... وإننا سائررون في التنظيم ونعلم أنكم جميعا على استعداد تام للإسهام في المهمة العظيمة⁷⁶⁸.

كان الخطابى حريصا على هذه الخطة وتجنب في البدئ التسرع في تنفيذها وقام بعدة مساعي لإقناع العديد من الدول العربية والإسلامية على دعمه، ولضمان عدن تخل الأوروبيين في الحرب التي سيخوضها المغاربة ضد الفرنسيين وعلى ضمان الحياد الاسباني عند الإعداد للمواجهات وأثناء انطلاقها مستغلا في ذلك الاتصالات التي كانت تجربها جامعة الدول العربية مع حاكم اسبانيا وعلى الدعم العربي لإسبانيا في أروقة الأمم المتحدة ضد العزلة السياسية التي فرضت عليها من قبل العديد من الدول الأوروبية⁷⁶⁹.

وبعد أن عرض الخطابى خطته الحربية التحريرية على أنصار أعضاء لجنة تحرير المغرب العربي التي يتأسسها، وأخذ يروج للأفكار التي تتضمنها تباينت واختلفت وجهات النظر بين الأطراف، لقد كان منهم يرى الثورة المسلحة فورا ومنهم من يتعرف بأهمية الدعاية والاتصالات الخارجية، ومنهم من يرى التريث والاستعداد، ورأى الامير أن يتحدوا كلهم على رأيه وهو الثورة العامة الشاملة في وقت واحد وكان ذلك أمرا مستحيلا⁷⁷⁰، وكتب المؤرخ المغربي محمد زبيبر في سياق الموضوع: " كان هناك سوء فهم أساسي بين الزعماء الوطنيين وبين الأمير عبد الكريم الخطابى حول الدور الحقيق الذي كان على هذا الأخير أن يلعبه، فبالنسبة للوطنيين كان عبد الكريم الخطابى قيمة تاريخية وأسطورة يجب استغلالها، لكن أن يضعوا أنفسهم تحت إمرة عجوز يتطلع بالقيادة وتكون له الكلمة الأخيرة، فتلك المسألة لم تكن مطروحة، كان على الخطابى في نظرهم الاكتفاء بدور صوري فخري، دور الشيخ الحكيم الذي يصغون إليه باحترام وإجلال دون أن يكونوا ملزمين تجاهه بأي أمر من

⁷⁶⁸ محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابى آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 173 .

⁷⁶⁹ عمر لمعلم : مجلة الذاكرة الوطنية، العدد 9، المرجع السابق، ص 49 .

⁷⁷⁰ الرشيد إدريس : ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، المصدر السابق، ص 19 .

جانبه، لم يكن البطل الريفي يهدف إلى الدخول في هذه اللعبة، فشخصيته القوية لم تكن تتيح له القيام بهذا الدور المحمي، إنه كان يريد الاطلاع كليا بمسؤولياته كزعيم قائد⁷⁷¹.

وفي مطلع الخمسينيات تعمق الصراع داخل مكتب ولجنة تحرير المغرب العربي وزادت الخلافات فيما بينهم نظرا لتباين وجهات النظر والإيديولوجيات وكذا أساليب وطرق الكفاح، هذا ما جعل الأستاذ عبد المجيد بنجلون الذي تولى منصب المرحوم محمد بن عبود في رئاسة مكتب المغرب العربي يقول: " ...ليس هناك جديد سوى أن المكتب أقفل وقد اقفلناه بعد قدوم الطبيب سليم والشاذلي مكي، وقد كسر الأول، ونحن ننظر باب غرفة الحبيب بورقيبة، وكسر الثاني باب غرفة المرحوم محمد بن عبود أخيكم رحمه الله، باضطرارنا إلى استدعاء البوليس وإغلاق النشاط بعد قليل، وقد اتصلنا بالأمير عبد الكريم الخطابي وأفهمناه كل شيء و هو الآن راض عنا وغازب عليهم، ولكنه لا يريد أن يخطو خطوة إيجابية فإن لم يفعل فعلنا نحن⁷⁷² ".

في السياق نفسه يقول عبد الكريم الخطابي: "من سوء الحظ أنني عشت لأرى أفكارى هذه تشتت ولأشهد مصارعها واحد إثر الآخر، فقد دخلت الانتهازية وحمى المتاجرة في قضيتنا الوطنية ووجد من بين أعضاء هذه اللجنة من يسعى لتفتيت وحدة قضيتنا وتجزأتها، ففي الوقت الذي كنت أفكر فيه في إدماج بلدان المغرب العربي في مشكلة واحدة نشأ ولا أدري كيف اتجاه تقسيم هذه البلدان إلى وحدات منفصلة ...وقد تعذبت كثيرا وأنا أرى أنني عاجز عن مقاومة هذا الفساد الطاعي، وعندما ظهر تماما أنني لا أستطيع المضي في هذا الطريق الملتوي انسحبت وقطعت كل علاقاتي بإخواني الموجودين في مصر، ولكنني على صلة بشعبي في المغرب العربي"⁷⁷³ وبالفعل ضلت هناك صلة بين الأمير عبد الكريم

⁷⁷¹ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 74 .

⁷⁷² أمحمد بن عبود : مجلة التاريخية المغربية، ع 41، 42، المصدر السابق، ص 113 ، 114 .

⁷⁷³ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 75 .

الخطابي والشعوب المغاربية من خلال النداءات التي يوجهها إليهم واللقاءات الدائمة التي تتم بينه وبين المغاربة الوافدين إلى مصر، يوجههم ويرشدهم ويختار منهم الرجال الصالحين للكفاح المغاربي المشترك وقد لعبوا دورا فعّالا في جيش تحرير المغرب العربي فيما بعد.

ثالثاً: أهم الشخصيات الداعمة للكفاح المغربي المشترك:

شهد المغرب العربي حركة غير مسبوقة في الكفاح المغربي المسلح، والعمل الوحدوي المشترك والدخول لعدد شخصيات البارزة خاصة الطاقات الشبانية الهامة داخل جيش تحرير المغرب العربي مما زاد من نشاطه داخل الأقطار المغربية الثلاثة إيماناً منهم بعقم النضال السياسي وأن حلهم الوحيد في القضاء على الوجود الاستعماري هو الكفاح المسلح، ولهذا وجدوا أن مطامعهم تتوافق مع مطامح الامير عبد الكريم الخطابي .

وكان لزاماً علينا أن نذكر بعض الشخصيات المغربية التي كان لها الدور الفعال في جيش تحرير المغرب العربي وبذلت قصارى جهدها في سبيل تحقيق الاستقلال للأقطار المغربية الثلاثة كلا من تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، ومن أهم هذه الشخصيات نذكر منها :

1_ أحمد بن بلة (1916_2012):

ولد احمد بن بلة عام 1916 بمغنية في وسط عائلة فلاحية بسيط، تلقى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه، ليدخل فيما بعد الى التعليم الثانوي لكنه لم يكمله⁷⁷⁴، وانخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري الذي كان يقوده مصالي الحاج وتحول بعد سنوات قليلة إلى قطب رئيسي فيه⁷⁷⁵، كما جند في صفوف الجيش الفرنسي إبان الحرب العالمية الأولى، وعاش التكالب القوى الاستعمارية وتأثر بالحركات التحررية مما ساهم في نمو الوعي السياسي والوطني لديه، جعله يؤمن بضرورة الإسراع بالعمل المسلح، وعين على إثر

⁷⁷⁴ أحمد بن بلة : مذكرات احمد بن بلة، ترجمة: العفيف الأخضر، ط2، دار الآداب، بيروت، لبنان ، 1979، ص 5 ، 6 .

⁷⁷⁵ عبد الله مقلاتي : أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1 ، منشورات بلوتو، الجزائر، 2010 ، ص 93 .

تأسيس المنظمة الخاصة على رأس الخلية السرية المتواجد بالقطاع الوهراني⁷⁷⁶ وبحلول الشهر ماي 1950 ألقى القبض عليه بسبعة سنوات سجن، لكنه سرعان ما فر منه رفقت المناضل أحمد محساس عام 1952، اتجه على إثرها نحو القاهرة⁷⁷⁷.

بذل " أحمد بن بلة" جهود كبيرة ومضنية بهدف إيجاد الدعم اللوجستيك للثورة الجزائرية⁷⁷⁸، فوجد في أفكار وأيدولوجيات الامير عبد الكريم الخطابي ملاذا له، واستطاع أن يكسب عطف الرئيس المصري جمال عبد الناصر في مساندة الثورة الجزائرية ماديا ومعنويا، بهدف العمل على تثوير المغرب العربي من جهة، ومن جهة ثانية ضمان استمرارية الدعم المغاربي للثورة الجزائرية ومؤازرتها⁷⁷⁹.

وكانت إستراتيجية احمد بن بلة هي العمل ضمن إطار المغرب العربي أو شمال إفريقيا بين أبناء المنطقة الواحدة بهدف التنسيق والعمل الوحدوي المشترك ضد القوات الاستعمارية، وبفضل احمد بن بلة تم إنشاء قيادة عسكرية مشتركة تهدف على ضرورة التعاون والتنسيق داخل أقطار المغاربية الثلاثة⁷⁸⁰، فكانت على الجانب الجزائري تكليف احمد بن بلة كمنسق عام في الخارج، أما محمد بوضياف كلف بالتنسيق في الداخل، وأسندت مهمة جلب الأسلحة والتعريف بالقضية الجزائرية الى العربي بن مهدي، أما فيما يخص الجانب التونسي فقد كلف الطاهر الأسود بين المشرق والمغرب العربي، وعين حافظ ابراهيم على المستوى الخارجي للجهة الغربية لأوروبا، وعلى إثر هذه الاستعدادات اندلعت المقاومة في كل نم تونس(1952) والمغرب الأقصى(1953)، بينما تأخرت العناصر الشبانية الجزائرية عن

⁷⁷⁶ المرجع نفسه، ص 93.

⁷⁷⁷ احمد بن بلة : المصدر السابق، ص 5 .

⁷⁷⁸ عبد الله مقلاتي : أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 50 ، 51 .

⁷⁷⁹ احمد بن بلة : المصدر السابق، ص 6 ، 7 .

⁷⁸⁰ احمد بن بلة : المصدر السابق، ص 10 .

الركب الثوري بسبب اكتشاف أمر المنظمة الخاصة سنة 1951، واعتقال أغلب قياداتها هذا مما شكل انتكاسة كبرى للثورة الجزائرية⁷⁸¹.

وفي خضم مشروع لجنة تحرير المغرب العربي الداعي بإنشاء لجهة مسلحة ضد العدوان الاستعماري الغاشم، كان التوجس يقيم في نفوس التونسيين والمغربيين للكفاح المسلح ورفضهم التام له، وفي ظل هذه التوجسات انطلقت الثورة الجزائرية عام 1954 ليستبشر بها الامير عبد الكريم الخطابي والعناصر الثورية بالمغرب العربي بحيث رأو فيها نجاح لمشروع الكفاح المسلح و مغربة الحرب، ويرجع ذلك الى مجهودات احمد بن بلة الحثيثة في سبيل المغرب العربي⁷⁸².

وبهدف إنجاح الى ما يصبوا إليه احمد بن بلة والعناصر الثورية عمد على ضرورة شراء الأسلحة وتهريبها ونقلها الى الجزائر لاستمرارية الثورة الجزائرية، ويقدم هذه الأسلحة - خصوصا الأسلحة القادمة على سفينة دينا- ، انطلقت المعارك الكبرى بين القطاع الوهراني والريف المغربي تنسيقا وتنظيما في أكتوبر 1955، لكن سرعان ما تم إلقاء القبض عليه - أي احمد بن بلة- على متن طائرة مغربية تم اختطافها من طرف القوات الفرنسية مع رفاقه في أكتوبر 1956، ليطلق صراحه فيما بعد في 19 مارس 1962، ويعين أول رئيس للجمهورية الديمقراطية الشعبية في 5 جويلية 1962 الى غاية الانقلاب العسكري أو كما يسميه البعض بالتصحيح الثوري 1965، الى أن وافته المنية رحمه الله عام 2012 بالجزائر.

2_ عزالدين عزوز (1918_1983):

ولد عزالدين عزوز بتونس عام 1918، كان احد قادة الكشافة التونسية في بادئ أمره ليلتحق في ما بعد كمتربم بالشرطة، وفي عام 1945 شارك في مؤتمر العالمي للشباب

⁷⁸¹ عبد الله مقلاتي : أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 93 .

⁷⁸² المرجع نفسه، ص 93_ 95 .

بلندن كمثل عن الشبيبة التونسية هناك وبفضل وحنكة هذا الرجل وشجاعته استطاع أن يقف في ووجه الاستعمار الغاشم حتى في عقر دارهم بالرفض التام للاستعمار، وهذا ما نلمسه في خطابه الذي ألقاه في هذا المؤتمر⁷⁸³ .

وفي إطار تأسيس لجيش تحرير المغرب العربي أرسل عزالدين عزوز للدراسات العسكرية بالمدرسة السورية عام 1947 بدعم من مكتب الغرب العربي بدمشق برئاسة يوسف الرويسي، كما شارك في الحرب الفلسطينية 1948 إلى جاني الجنود المغاربة التي أرسلها الامير عبد الكريم الخطابي⁷⁸⁴ .

التقى عزالدين عزوز بالأمير عبد الكريم الخطابي وأخيه لأول مرة بالقاهرة، وفي هذا الصدد قد صرح قائلاً : "التقيت بالأمير عبد الكريم الخطابي وأخيه امحمد لأول مرة في ديسمبر 1949، وقد تملكني إحساس جارف وأنا التقي هذا البطل لشمال إفريقيا الشهير والنبه الذي مازال على كبره يبدي طاقات كبيرة لا يززع بمستقبل المغرب العربي"⁷⁸⁵ ، وفي إطار تأسيس لجيش تحرير المغرب العربي كلفه الامير عبد الكريم الخطابي بضرورة السفر إلى تونس رفقة الهاشمي الطود لجلس نبض الزعماء السياسيين، ومعرفة مدى استعدادهم للكفاح المغربي المشترك، وناضل عزالدين عزوز كغيره من أبناء المغرب العربي بهدف تحرير الأقطار المغاربية، وبعد استقلال تونس اعتزل الحياة السياسية إلى غاية أن وافته المنية في 1983⁷⁸⁶ .

⁷⁸³ عميرة عليه الصغير : اليوسفيون وتحرير المغرب العربي، ط1 ، المغاربة للطباعة، تونس، 2007

، ص 230

⁷⁸⁴ AZZEDINE AZZOUZ :op, cit , p 119-120 .

⁷⁸⁵ Ibid , p 129-132.

⁷⁸⁶ Ibid , p 139

3_ عبد السلام الهاشمي الطود (1930 - 2011) :

ولد الهاشمي الطود سنة 1930 بمدينة القصر الكبير، وتابع بها دراسته الابتدائية، كما درس القرآن الكريم تحت إشراف الأستاذ الغالي الطود، وواصل دراسته الثانوية بمعهد مولاي المهدي تحت إدارة الشيخ المكي الناصري بمدينة تطوان .

هاجر بعدها الهاشمي الطود الى المشرق العربي القاهرة بالخصوص رفقة ابراهيم القاضي عام 1945، كما تطوع أيضا للقتال في صفوف الجبهة المصرية في الحرب الفلسطينية عام 1948 تحت قيادة الشهيد احمد عبد العزيز⁷⁸⁷ .

وبعد تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي في جانفي 1948 وصدور ميثاقها الموقع من طرف الحركات الوطنية المتواجدة بالقاهرة الداعية على ضرورة تكوين جبهة عسكرية موحدة في مواجهة العدوان الاستعماري، وفي ضل هذه الظروف أرسله الامير عبد الكريم الخطابي في بعثة طلابية بالكليات العسكرية بالعراق رفقة مجموعة من الطلاب أهمهم حمادي العزيز، وعبد الحميد الوجدي⁷⁸⁸، وقد تخرج منها الهاشمي الطود برتبة ملازم ثاني تخصص مدرعات عام 1951، وعند انتهاء تكوينه بالعراق انتقل الى القاهرة رفقة أصدقائه ليضع نفسه تحت تصرف الامير عبد الكريم الخطابي رئيس لجنة تحرير المغرب العربي وفي خدمة مشروع الثورة التحريرية المغاربية المشتركة⁷⁸⁹ .

كما كلف كل من الهاشمي الطود وحمادي العزيز من طرف لجنة تحرير المغرب العربي بالتوجه الى بنغازي (ليبيا) بهدف انجاز مهمتين هما :

⁷⁸⁷ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 70 .

⁷⁸⁸ حمادي العزيز : المصدر السابق، ص 172 .

⁷⁸⁹ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 72-75 .

- المهمة الاولى: تمثلت في البحث عن إمكانية تأسيس قاعدة متقدمة لبلدان المغرب العربي في الحرب التحريرية لتكون جسر الذي يصل قيادة القاهرة بهذه البلدان في بنغازي.

- المهمة الثانية : الدخول الى كل من تونس والجزائر والمغرب الأقصى بهدف الاتصال مع ممثلي الأحزاب السياسية المغاربية واستطلاع رأيهم في مشروع الثورة التحريرية المغاربية المسلحة⁷⁹⁰ .

استطاع الهاشمي الطود رفقة حمادي العزيز، من ربط الاتصالات في كل من المغرب والجزائر وتونس ولكن للأسف كانت النتائج مخيبة للآمال ماعدا مناضلي الجزائر الذين أكدوا على لسان محمد بوضياف المضي قدما في مشروع مغربة الحرب داخل أقطار المغرب العربي الثلاثة، وفي منتصف أكتوبر عاد الهاشمي الطود مع زميله ليقدم تقريرا مفصلا للأمير عبد الكريم الخطابي⁷⁹¹ .

في عام 1960 دخل الهاشمي الطود نهائيا في المغرب الأقصى ليستقر به ليلتحق فيما بعد بالصفوف القوات المسلحة الملكية برتبة نقيب، وعين قاضيا للتحقيق بالمحكمة العسكرية عام 1961، ليتم اعتقاله فيما بعد عام 1965 من قبل السلطات العسكرية المغربية بتهم واهية انتهت محاكمته بالبراءة، وبعد المحاولة الانقلابية الفاشلة بالصخيرات يوم 16 جويلية 1971 إصدار أمر اعتقال الهاشمي الطود رغم انه كان طريح الفراش، لكن القيادة تراجعت عن اعتقاله بعد تدخل الرائد احمد الحلو، ليدخل بعدها كمدرس بالكلية العسكرية في مادة التاريخ منذ 1974 الى أن تقاعد منها برتبة عقيد سنة 1995 .

⁷⁹⁰ عبد الله مقلاتي : العلاقات الجزائرية - المغاربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية، المرجع السابق، ص 62.

⁷⁹¹ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 79 .

4_ عبد الكريم الخطيب (1921_2006) :

عبد الكريم الخطيب من الشخصيات السياسية الثورية البارزة داخل وخارج أقطار المغرب العربي، ولد الخطيب يوم 2 مارس 1921 بالمدينة الجديدة بالمغرب الأقصى، والده السيد عمر الخطيب من أصول جزائرية كان يشتغل ترجمانا إداريا⁷⁹²، و تربي في أحضان جده الفقيه محمد الكباص، فواصل الخطيب دراسته الثانوية بالرباط في ثانوية "بليسي كورو" حيث تحصل على البكالوريا عام 1940⁷⁹³، ليلتحق لدراسة الطب بجامعة الجزائر عام 1941، ثم واصل دراسته بسورية عام 1945 ليعود كأول جراح مغربي افتتح عيادته الطبية بالدار البيضاء عام 1951 .

وفي مطلع 1952 انخرط في بداية العمل السياسي الفعلي، ودعمه لحركة المقاومة بالأموال وذلك بجمعها من التجار والميسوري الحال، لينخرط بعدها في صفوف جيش تحرير المغرب العربي وترأسه المجلس الثوري بها الذي كان يتشكل من 27 مقاوما بمركز الناظور⁷⁹⁴، وقد كان للدكتور الخطيب صلات متينة مع القيادات الثورية الجزائرية أمثال محمد بوضياف، والعربي بن المهدي الذي التقى بهما في تطوان وبدعمهم بما يحتاجان إليه من مال وسلاح، كما عمل على تجسيد فكرة الكفاح المغاربي المشترك على ارض الميدان وذلك باتفاقه مع بن بلة حول الجهود التنسيقية في توحيد معركة بين منطقة الريف والغرب

⁷⁹² محمد يعيش : المهاجرون الجزائريون ودورهم في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر (1930_1962) ، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2009_2010، ص150 .

⁷⁹³ حميد خباش، نجيب كمال : الدكتور عبد الكريم الخطيب، مسار وحياة، تقيم نلسن مانديلا ، إشراف محمد خليدي، حميد خباش، ط1 ، مطبعة فبديرانت، 2001 ، ص 36 .

⁷⁹⁴ محمد يعيش : المرجع السابق، ص 155 .

الجزائري، لتتطلق هته العمليات في الفاتح من أكتوبر 1955، لتشمل العديد من المراكز المتقدمة للقوات الفرنسية في منطقة الريف ومناطق أخرى بوهان⁷⁹⁵.

وهكذا على العموم نلاحظ أن الامير عبد الكريم الخطابي قد اعتمد بالدرجة الاولى في سبيل انجح مشروعه المتمثل في الكفاح المغاربي المشترك والعمل على مغربة الحرب على عناصر شبابية من جهة، ومن جهة ثانية على العناصر التي كفرت وذاعت ذرعا من الحلول السلمية التفاوضية، كما انه اعتمد على عناصر محلية داخل الأقطار المغاربية الثلاثة بهدف تحرير بلدان المغرب العربي بسواعد أبنائها، وفي السياق ذاته عمد عبد الكريم الخطابي على تكوين هذه العناصر الثورية تكوينا عسكريا حديثا، وذلك بإرسالهم الى الكليات العسكرية الحربية في كل من سورية، والعراق، ومصر، واستحداث العديد من المراكز التدريبية في كل من مصر، بنغازي (ليبيا)، والناظور (المغرب الأقصى).

⁷⁹⁵ المرجع نفسه، ص 150 .

المبحث الثالث: نشاط جيش تحرير المغرب العربي

تقف كل من الأقطار المغربية الثلاثة في خندق واحد ضد المستعمر الفرنسي والإسباني للمغرب أثناء الثورة التحريرية، إذ فتحت البلدان المغربية حدودها وقدمت تسهيلات فيما يتعلق بأمور الأسلحة والذخيرة والمؤونة أو نقل الجرحى والمتعبين من المجاهدين عبر الحدود بحثا عن العلاج أو التماسا للراحة أو إيواء اللاجئين من المجاهدين المغاربة، فقد أصبحت الأراضي التونسية والمراكشية وبخاصة الأشرطة الحدودية المشتركة والامتدادات الطبيعية التي وجدت الثورة فيها منذ انطلاقتها وسندا ثوريا ومرتكزا وملجأ آمنا، وكانت قواعد خفية حقيقية متقدمة في كل من تونس والمغرب دعما وسندا للقضية الجزائرية .

أولا: جيش تحرير المغرب العربي في تونس

1_ المقاومة الأولى :

احتلت تونس كما هو معلوم بعد احتلال الجزائر وفقدت تونس من سيادتها كذلك عبر مرحلتين هما: فقدت السيادة الخارجية في معاهدة باردو عام 1881 ثم فقدت سيادتها الداخلية اثر اتفاقية المرسى عام 1883، وبعد نضال الشعب التونسي وتلاحمه المشترك الطويل والحافل مع أقطار المغرب العربي، استرجعت تونس استقلالها كذلك عبر مرحلتين: اتفاقيات سنة 1955 التي استرجعت بها الاستقلال الذاتي الداخلي، ثم استرجعت استقلالها التام في 20 مارس 1956 ومن بداية انطلاق المقاومة الى غاية الاستقلال التونسي ظهر خلاف على أشده بين تيارين أو فريقين هما: التيار الثوري مع صالح بن يوسف، والتيار السلمي التفاوضي مع بورقيبة، بحيث اعتبر الثوري صالح بن يوسف أمينا عاما للحزب الدستوري الجديد إن الاتفاقية المبرمة مع فرنسا عام 1955 هي خطوة الى الوراء، بينما اعتبرها بورقيبة وإتباعه من الحزب الدستوري الجديد من مؤتمر الحزب الذي عقد في صفاقس أيام 15 و 18 نوفمبر واعتبر أنه مرحلة للاستقلال التام" وبالفعل دخلت تونس مع

بورقيبة في مفاوضات مع " غي موليه" الفرنسية التي أكدت على منح تونس لاستقلالها بموجب بروتوكولات 20 مارس 1956 نطاق التعاون مع فرنسا.⁷⁹⁶

بدأت الاضطرابات في تونس جراء السياسة القمعية الفرنسية ضد الوطنيين التونسيين وذلك عقب القطيعة مع حكومة شنيق والإدارة الفرنسية عام 1951، إذ قامت السلطات الفرنسية باعتقال عشرات الآلاف من التونسيين و الزج بهم في السجون والمعتقلات مثل محتشد " رمادة" و"جلال" و" زعرور" و" المحمدية" و"سرفيار" إضافة إلى الثكنات ومقرات الجندارمة والسجون المدنية والعسكرية، ضف الى ذلك استعمال العنف والمحاكمات الجائرة، ففيما بين جانفي 1952 إلى ماي 1953 حكم حوالي 2600 تونسي أصدرت بحقهم أحكام قاسية⁷⁹⁷ وقد تمكن صالح بن يوسف الأمين العام للحزب وصالح بدره من الفرار إلى مصر والإفلات من أيدي المستعمر وقد أدت الاضطرابات الى سقوط العديد من القتلى في كل من العاصمة التونسية وبنزرت والحمامات والقيروان وسوسة و صفاقس، وكانت أحداث تونس العنيفة شارك فيها أغلب أطراف الشعب التونسي من عمال وطلبة ونساء حيث في بنزرت هاجمت مجموعة وطنية مسلحة مراكز دوريات العسكرية الفرنسية أسفر عنها مقتل أحد الضباط الفرنسيين .

كما قام النقابي فرحات حشاد دورا فعالا في تأطير مختلف المظاهرات الى زيادة في ضرورتها وتنظيمها بفعل نشاطات القيادة النقابية العمالية حيث امتدت المظاهرات إلى الجنوب التونسي خاصة صفاقس، والعمل على قطع أسلاك الهواتف وتحطيم الجسور

⁷⁹⁶ Philippe ; tripier : **Autopsie de la guerre d'Algérie** ;ed ; France empire . PARIS 1972 . P 226 .

⁷⁹⁷ مجموعة باحثين : موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (1881 - 1964)، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس ، 2008، ص 154 - 156 .

وتخريب الطرق خاصة الطرق المواصلات الرابطة بين تونس وقابس وقفصة وجرجيس وغيرها⁷⁹⁸.

في خضم هذه الاضطرابات شرع فريق من الوطنيين والمناضلين التونسيين من خلال التيارات وعامة الشعب التونسي المؤمنين بفكرة الكفاح المسلح وهم أصحاب مرجعية الكفاح المسلح عبر كامل أقطار المغرب العربي وإتباع ايدولوجيا مغربية الحرب للخطابي في تكوين نواة سرية للحركة المسلحة، فعمدوا على جمع الأسلحة ودرّبوا الرجال على حمل السلاح والالتحاق بالجبّال وتكوين جيش تحرير تونسي وهم الطاهر الأسود، بلقاسم البازمي وعلي بوشنب المرزوقي وأحمد الأزرق ومصباح الجربوع والساسي البوحي وعمار بني وسعد بعر⁷⁹⁹.

وعلى اثر هذه العمليات تكونت حركة المقاومين المعروفة بحركة "الفلاقة" في جانفي 1952، من خارج الأحزاب ودون الإذن منها ونشطت خارج أوامرها دون تمويلها، حتى وإن عمل الحزب الدستوري على تطهيرها وتوجيهها دون اعتراف رسمي بها، وقد انخرط في هذه المقاومة أكثر من 2700 مجاهد تحت قيادة الأزهر الشرايطي والطاهر الأسود جهة قفصة والكاف، والطيب الذلاق جهة الشمال الغربي، والحسن عبد العزيز ومصباح جربوع وأحمد الأزرق منطقة تطاوين و مدنين⁸⁰⁰.

ومع اشتداد المقاومة واقترب موعد انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة في شهر ديسمبر 1952 أقدمت المنظمة الفرنسية السرية اليد الحمراء باغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد يوم 5 ديسمبر من نفس السنة قبل سفره إلى نيويورك بهدف عرض القضية التونسية على الجمعية العامة للأمم المتحدة، ونتجت لهذا الفعل الشنيع الذي أثار في نفوس التونسيين

⁷⁹⁸ الطاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 117 ، 118 .

⁷⁹⁹ الطاهر عبد الله : المصدر نفسه، ص 121 ، 122.

⁸⁰⁰ الشريف الهادي محمد : المرجع السابق، ص 135 - 137 .

جميعا والمغاربة عامة، سعد رفاقه الوطنيين إلى الجبال لحمل السلاح⁸⁰¹ مما أدى إلى إلهاب المقاومة خلال الفترة الممتدة من 1953 إلى 1954 اضطرت على إثرها السلطات الفرنسية إلى تغيير طارئ بإنشاء حكومة جديدة بقيادة محمد مزالي⁸⁰² وأوكلت إليه مهمة القيام بمجموعة من الإصلاحات في 4 مارس 1954 ومن أهمها إطلاق سراح المساجين وإلغاء المحتشدات، وفي هذا الإطار سعى جاهدا محمد المصمودي مندوب الحزب الدستوري الجديد دورا كبيرا باتصالاته المتكررة مع الحالة الصحية المجرية للرئيس الحزب بورقيبة الموجود بالمنفى بهدف التخفيف عنه وربط العلاقات بين الحكومة الفرنسية وبورقيبة الذي ابدى هذا الأخير استعداداه في إمكانية التعاون مع فرنسا لتصفية الجانب الوطني الثوري من المتطرفين الداعيين لفكرة لوحدة الكفاح المسلح ومغربية الحرب.⁸⁰³

2_ المقاومة الثانية (1954_1956) مغربة الحرب:

مع مطلع 1954 تم الاتفاق بين الأقطار المغاربية الثلاثة على إعلان الثورة التحريرية الموحدة في كل من تونس والجزائر والمغرب، اتبعه قرار تأسيس جيش التحرير في كل قطر مغربي، على أن تنطلق العمليات المسلحة لهذا الجيش في نفس التوقيت⁸⁰⁴. وهكذا مع منتصف 1954 اكتملت الوحدة النضالية وحركات التحرير في المغرب العربي، فقد انطلقت المقاومة المغربية مزامنة للمقاومة التونسية واشتعلت الثورة الجزائرية في 1954، عملت السلطات الفرنسية على إيجاد حلول سلمية في جينيف لإنهاء حرب الهند الصينية بعد كارثة "بيان بيان فو" وعزمت الحكومة الفرنسية بإخراج بلادها من المأزق، فأمر بنقل بورقيبة من منفاه "بقراو" إلى قصر "لافيرتي" بالقرب من باريس في 16 جويلية

⁸⁰¹ الطاهر عبد الله : المصدر السابق، ص126 ، 127 .

⁸⁰² محمد مزالي هو احد وزراء حكومة شنيق .

⁸⁰³ الطاهر عبد الله : المصدر السابق، ص126 ، 127.

⁸⁰⁴ عمر لمعلم : مجلة الذاكرة الوطنية، العدد 9، المرجع السابق، ص 50.

1954، وتقابل هناك مع منديس فرانس بهدف دراسة القضية التونسية، فأعلن مباشرة منديس فرانس خطابا رسميا أمام باب قرطاج بضرورة استقلال تونس الداخلي وشكلت حكومة تفاوضية برئاسة الطاهر بن عمار في 7 أوت 1954 وبدأت على أثرها المفاوضات التونسية الفرنسية في 4 سبتمبر من نفس السنة⁸⁰⁵. وأثناء المفاوضات طلبت السلطة الفرنسية من بورقيبة أن يسلم الثوار أسلحتهم إلى السلطات الفرنسية .

وبعد توقيع الاتفاقيات في 3 جويلية بين الحكومة التونسية والفرنسية مع ادغارفو بعد سقوط حكومة منديس، كان وقتها المناضل صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدستوري الجديد وقد أعلن في تصريح له أثناء ترأسه الوفد التونسي بمؤتمر بانونغ: " أن الشعب العربي في تونس يرفض المعاهدة التي وقعها تونس مع فرنسا...إن الاتفاقية تنص على أن فرنسا لها الحق وحدها في التعرف في مصيرنا الخارجي والدفاعي، وإن الدولة التونسية تلتزم بأن تسخر لفرنسا البلاد وأهلها وثروتها إذ ما احتاجت فرنسا لذلك بموجب اتفاقيتها...هكذا أصبحت البلاد داخلة في وحدة مع فرنسا التي طالما قاومها الشعب التونسي⁸⁰⁶، فعارض الاتفاق كذلك الحزب الحر الدستوري القديم ولجنة صوت الطالب التونسي وقيادة الاتحاد العام للفلاحة التونسية ودوائر جامع الزيتونة وجانب من الحزب الدستوري الجديد تزعمه صالح بن يوسف الذي عاد إلى تونس في 13 سبتمبر وشن حملة شعواء ضد اتفاقيات 3 جوان 1955 معتبرا إياها خطوة إلى الوراء لأنها اعترفت بالاستعمار بما لم تعترف به معاهدة بارادو⁸⁰⁷ 1881، وأكد صلاح بن يوسف: " تونس جزء من المغرب العربي ومن الأمة العربية

⁸⁰⁵ الطاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 132 - 134 .

⁸⁰⁶ الطاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 135.

⁸⁰⁷ عميرة عليه الصغير: المرجع السابق، ص 13- 23 .

الإسلامية"، يقابله موقف بورقيبية ذو توجه نحو الغرب " ارتباطا وتكافلا مع فرنسا ومستقبل تونس في العالم الحر⁸⁰⁸.

هكذا ظهر تياران أن لديهما رؤيتان مختلفتان في مفهوم الاستقلال والوصول إليه، تيار يمثله الاتجاه القومي المطالب بالاستقلال التام لتونس ووحدة الكفاح المغاربي المشترك ويمثله صالح بن يوسف وأتباعه الثوار أما التيار الثاني فهو صاحب فكرة الحلول السلمية التفاوضية وقبل باتفاقية 3 جويلية 1955 يمثله بورقيبية وأتباعه السياسيين⁸⁰⁹ ومن جهة أخرى اعتبرها علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال أعظم خيانة وقعت في شمال إفريقيا، كما صرح الأمير عبد الكريم الخطابي تعقيبه على الاتفاقية التونسية مع الحكومة الفرنسية بقوله: " أنها لا ترمي إلى استقلال البلاد لكن تعيق هذا الاستقلال وتعتبر هذه المشاركة إخلالا بميثاق لجنة تحرير المغرب العربي "، أما حركة المقاومة فقد عرفت أيضا تباينا في الموقف من الاتفاقية بين المستجيب لدعوة بورقيبية بضرورة توقيف الكفاح المسلح و تسليم السلاح أمثال لزهر الشرايطي والساسى الأسود ومصباح الجربوع، وبين الراضين للاتفاقية والداعين للكفاح المسلح ومغربة الحرب أمثال الطاهر الأسود ومجموعة رضا بن عمار، وحمادي عرس، مع العلم أن هذه الأطراف كانت موحدة في المقاومة الأولى 1952_1954 سألقة الذكر، أمام الاختلافات حول مفهوم الاستقلال وايدولوجيا الكفاح انقسمت وتباينت⁸¹⁰.

3_ من جيش تحرير وطني تونسي إلى جيش تحرير مغاربي:

في ظل تصاعد الصراع بين الاتجاه التفاوضي السلمي مع بورقيبية والتيار الثوري المسلح مع صالح بن يوسف، كان قد تكون بتونس جيش التحرير بقيادة الطاهر الأسود، وجاء ذلك مع ظهور معطيات جديدة على الساحة العربية منها ثورة 23 جويلية بمصر،

⁸⁰⁸ عميرة عليه الصغير: المرجع نفسه، ص 24 .

⁸⁰⁹ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 96 ، 97 .

⁸¹⁰ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 184 .

اندلاع الثورة التحريرية بالجزائر هذا بالإضافة الى السلك الثوري مع صالح بن يوسف المنادي بالاستقلال التام وتوحيد الكفاح المسلح مع الثورة الجزائرية وجيش التحرير المغربي (المراكشي)، أما في الجهة المقابلة فنجد بورقيبة يقول " أن ما يربطنا بالعرب ليس إلا من قبل الذكريات التاريخية، وأن مصلحة تونس أن ترتبط بالغرب وفرنسا بصورة أخص وأن مرسيليا أقرب لنا من بغداد أو دمشق أو القاهرة.." وفي مناسبات أخرى قال : "أن اجتياز البحر الأبيض أسهل من اجتياز صحراء ليبيا" ⁸¹¹.

ومع هذه الظروف الصعبة وجه الطاهر الأسود ⁸¹² قائد جيش التحرير التونسي بيانا لشعب تونس في شهر فيفري 1956 قائلاً فيه: "أنا نعلن على رؤوس الملاً للشعب التونسي والشعب الفرنسي والعالم بأسره أننا أحدثنا على بركة الله جيشاً تحريراً وطنياً تونسياً مهمته تحرير وطنه العزيز من قاذورات الاستعمار وأذئابيه وقد قررنا ضم هذا الجيش المبارك إلى جيوش إخواننا الجزائريين والمغاربة" ⁸¹³.

⁸¹¹ محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 120 .

⁸¹² الطاهر الأسود، ولد الطاهر بن محمد صالح الأسود اليزيدي بالحامة سنة 1911 م، في قبيلة الخرجة، تلقى تعليمه محدوداً بالكتاب و تم تجنيده سنة 1930 / لمدة ثلاثة سنوات على مختلف الأسلحة، وأتقن استخدام المدفع " 75 مم"، ثم عاد إلى الحياة المدنية لينخرط في الحزب الحر الدستوري التونسي القديم، ثم إلى حزب الدستوري الجديد، وأصبح من العناصر الفعالة فيه لكنه عرف بميوله الراديكالي، وشارك في المقاومة التونسية الأولى من 1952 إلى 1954 وفي المقاومة الثانية مع صالح بن يوسف ضد التوجه التفاوضي السلمي من 1954 إلى 1956 ليسلم نفسه إلى السلطات التونسية في أواخر 1956، توفي 20 مارس 1996، ينظر : عروسية تركي : " عام مرة على وفاته : الطاهر لسود ... بين بورقيبة بن يوسف وعبد الناصر ..أية علاقة ؟"، مجلة الوطن، تونس، جوان 1997، ص 9 - 13 .

⁸¹³ عروسية تركي :المرجع نفسه، ص12 .

كما حث البيان وحذر الشعب التونسي على القيام بواجبهم اتجاه الوطن في هذا الصراع الفاصل ضد الاستعمار، وحذرهم من الوقوف إلى جانب أذئاب المستعمر في وجه الحركة الثورية المسلحة، ويوضح البيان أيضا مدى استعداد الكفاح التونسي إلى جانب المقاومين الجزائريين والمغاربة لنصرة فكرة الكفاح المغربي المشترك وذلك بالقيام بمجهودات تنسيقية بين الأقطار المغاربية في إطار لجنة تحرير المغرب العربي، وجاء البيان نتيجة ارتياح الطاهر الأسود للإمكانيات اللازمة التي ستوفرها له مصر في حالة إحياء المقاومة بتونس من جديد بالتنسيق مع رجال الثورة بالجزائر، وهذا بعد الاجتماع الذي تم بينه وبين عبد العزيز شوشان من جهة وفتحي الديب وإسماعيل الصادق من جهة أخرى بمزرعة شحن الأسلحة بالقرب من طرابلس بتاريخ 24 نوفمبر 1955⁸¹⁴، ونتيجة لهذا كله كون الطاهر الأسود عدة فروع لجيش التحرير التونسي ونظمت قيادات على مستوى الحدود التونسية الجزائرية، أي من جبال "خمير" شمالا إلى قفصة جنوبا وجبال مطامطة والطاهر ومدنين وتطاوين في الجنوب الشرقي قبل أن يغادر ابن يوسف تونسي متوجها إلى طرابلس، كان هذا قد عقد اجتماع في بيته في جانفي 1956 لقيادات جيش التحرير وحضره من الجانب التونسي ابن يوسف وعلى الزيطني والطاهر الأسود والطيب الزلاق ومن الجزائر عباس الغرور وسعيد عبد الحي ومن المغرب (مراكش) مجموعة من قيادات جيش التحرير المغربي بقيادة محمد البصيري⁸¹⁵.

في إطار الإعداد والتنسيق بين المقاومة التونسية والجزائرية سافر الطاهر الأسود إلى القاهرة مع مطلع 1956 والتقى هناك بفتحي الديب وجمال عبد الناصر وأحمد بن بلة وعباس والمهدي عبود وقد وضع خطة النضال المسلح الموحد⁸¹⁶، وتمت الاتصالات الفعلية

⁸¹⁴ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 132 - 139 .

⁸¹⁵ الطاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 157 .

⁸¹⁶ عروسية تركي : المرجع السابق، ص 12

بين هذه القيادة لبعث قيادة موحدة لحركات التحرر في إطار ما يسمى جيش تحرير المغرب العربي الذي صدر أول بيان له⁸¹⁷ في شهر أكتوبر 1955، الممضي من طرف حركة المقاومة المغربية وجبهة التحرير الوطنية الجزائرية وتأخر الإمضاء التونسي إلا مع بداية سنة 1956 .

وفي 24 فيفري 1955 انعقد اجتماع في القاهرة تحت الرعاية المصرية ضم الأقطاب الثورية الثلاثة الطاهر الأسود وبشير الصباح من تونس وأحمد بن بلة وعباس لغرور من الجزائر وعبد الكريم الخطيب من المغرب تقرر فيه بعث قيادة جديدة موحدة لجيوش الأقطار المغاربية والتزام بمواصلة الكفاح المسلح بهدف تحرير كامل أقطار المغرب العربي وتلتزم مصر من جهتها بتمويل وتمويل المقاومة المسلحة عن طريق رئيسها جمال عبد الناصر.⁸¹⁸ كما خرجوا من هذا الاتفاق على ضرورة ارسال عناصر من الجيش للتدريب على أساليب القتال وفن الحرب في الخارج، وبعد وصول صلاح بن يوسف إلى طرابلس واستقراره بها مؤقتا بدأ جيش التحرير التونسي في التنسيق مع جيش التحرير الجزائري بغية العمل المشترك وقد وقعت معارك كبيرة بين الجيش التونسي والجزائري من جهة والجيش الفرنسي في عدة أماكن وخصوصا في النقاط الحدودية وكان الجيشان الجزائري والتونسي يقاتلان جنبا إلى جنب خاصة في منطقة أم العرائش والرديف في سبيل تحقيق فكرة الكفاح المغاربي المشترك بغية تحرير الأقطار المغاربية الثلاثة⁸¹⁹، وهكذا في خضم حصول تونس على استقلال ذاتي، تكونت وحدات عسكرية مشتركة جزائرية تونسية لمحاربة الاستعمار وأعوانه في كل من تونس والجزائر⁸²⁰ .

⁸¹⁷ ينظر الملحق رقم : 08 .

⁸¹⁸ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 170 - 172 .

⁸¹⁹ الطاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 158 ، 159 .

⁸²⁰ محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 123 .

التقى على إثرها ابن بلة مع ابن يوسف عدة مرات في القاهرة و طرابلس وتكونت لجنة تنسيق بينهما مع نهاية سنة 1955 وكان عبد الناصر المدعم الأساسي لحركات التحرر في المغرب العربي عن طريق ممثله فتحي الديب⁸²¹ وقد نسق الديب اجتماعا له مع الطاهر الأسود القائد العام لجيش التحرير التونسي في طرابلس بتاريخ 24 نوفمبر 1955⁸²² وفق خطة عسكرية مضبوطة تم بموجبها تقسيم البلاد التونسية إلى ست مناطق عسكرية : منطقة الجنوب العسكري، منطقة قابس، منطقة صفاقس، منطقة سوسة، منطقة الكاف، منطقة تونس⁸²³، وتمت الموافقة على خطة النضال المسلح الموحدة بالقاهرة بتاريخ 24 فيفري 1956 من طرف زعماء حركات التحرير بالمغرب العربي⁸²⁴.

كما وضعت المقاومة التونسية إستراتيجية لمحاربة الفرنسيين وشمل نشاطها من أواخر سنة 1955 إلى صائفة 1956 كامل الشريط الحدودي مع الجزائر وكامل الجبال الجنوب التونسي وشارك فيها حسب بعض المصادر 1500 مقاتل بين جانب التونسيين والجزائريين⁸²⁵، ومن أبرز المجاهدين اليوسفيين الطاهر الأسود، الطيب زلاق، محمد قرفة وعبد اللطيف زهير، الطاهر بوعمراني والهادي الأسود، على درغال وعمار بني والطاهر الغري..الخ استطاعت هذه الفصائل أن تعلن الحرب على الوجود الفرنسي بتونس وكلفته خسائر فادحة في الأرواح والمنشآت القاعدية العسكرية.⁸²⁶

⁸²¹ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 132 - 134 .

⁸²² فتحي الديب : المصدر نفسه، ص 170 - 174 .

⁸²³ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 132 - 139 .

⁸²⁴ محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي، المرجع السابق ، ص 124 .

⁸²⁵ محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي، المرجع نفسه ، ص 125 .

⁸²⁶ محمد زروال : المامشة في الثورة، ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص

ومن أهم هذه الفصائل المشاركة : فصيلة الطيب الزلاق وأحمد الشريف وتتشكل من حوالي 100 مقاتل مقسمة إلى أربعة فرق وكانت تتشيطان في منطقة بوشيقة وبني خمير و جبال الوسط، وكذلك فصيلة عبد المجيد التي كان بها حوالي 100 مقاتل في جبال بني خمير وجهة الكاف، القصرين، و شمال فريانة والهمامة وفصيلة علي درغال بن علي اللموشي مكونة ما بين 40 الى 60 مقاتل في جبال مرابط أم العرائش وقفصة، أما فصيلة محمد الجبالي بن عمر التي كان بها حوالي 200 مقاتل مقسمة إلى 7 فرق⁸²⁷، هناك إلى جانب فرق أخرى مثل فرقة عبد الله بن زاير، فرقة حسن بن عبد الحفيظ، وفريد عثمان أحمد ومحمد بن خليفة المباركي⁸²⁸،..وكان الطاهر الأسود مفتشا وقائدا عاما للفصائل المشتركة الجزائرية التونسية على رأس قوة متألفة من حوالي 180 مقاتل، وكان شعار الفصائل الجهادية تحت راية وحدة مصير في تحرير المغرب العربي والعمل على تنسيق بين المقاومتين الجزائرية و التونسية متبادلا بما فيها كلمة السر⁸²⁹.

وأكدت المصادر الفرنسية بناء على المعلومات التي جمعتها من أسرى الحرب أن اتفاق حصل بين الأمانة العامة لجيش التحرير التونسي بقيادة الطاهر الأسود وجبهة التحرير الوطنية الجزائرية مفادها مايلي :

1_ عبد الحي السعيد⁸³⁰ له السلطة ومهمة الاتصال مع القيادة العليا والتنسيق .

⁸²⁷ محمد زروال : المصدر نفسه ، ص 123 - 126 .

⁸²⁸ حبيب حسن اللولب: التونسيون والثورة الجزائرية، ط1، ج2، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر 2009م ، 438 - 448 .

⁸²⁹ عميرة عليه الصغير: المرجع السابق، ص 42 ، 43 .

⁸³⁰ عبد الحي السعيد من مواليد 1927، ببلدة قمار بوادي سوف، التحق بالزيتونة وتخرج منها، وكان من طلائع الأولى لثورة نوفمبر 1954، شارك في عدة معارك ضد الاستعمار مما جعل قادة الأوراس يحملونه مسؤولية تنظيم الثورة بتونس أوائل 1955، فأصبح يمثل جيش التحرير الوطني الجزائر بتونس ،

- 2_ ضرورة التدخل الكثيف للجزائريين بتونس .
- 3_ لا يتصل المقاومون الجزائريون إلا بشعب الأمانة العامة لتلقى المعلومات والإعانات.
- 4_ فقط المتطوعين الذين يعتمدهم الطاهر الأسود يمكن إدماجهم في الوحدات الجزائرية .
- 5_ الفصائل المشتركة يجب أن تكون تحت قيادة جزائرية .
- 6_ الإعانة والدعم يضمنه اليوسفيون لتسريب السلاح .
- 7_ اليوسفيون يكونون بدورهم فرقة المسلحة والتنظيم السياسي والعسكري يكون مماثلاً لتنظيم الجزائريين .
- 8_ المقاومون الجزائريون بتونس يمكن أن يوفروا السلاح والذخيرة لليوسفيون.
- 9_ الجزائريون يلتزمون بتقديم الإعانات المالية للقيادة بالعمليات المشتركة.
- 10_ يجب إشعار الجزائريين عندما يدخل اليوسفيون في تمرد شامل⁸³¹.

وذلك بتزويد الداخل بالسلاح والعتاد والرجال، ينظر: سعد العمامرة والجيلالي العوامر : شهداء الحرب

التحريرية بواد سوف، مطبعة النحلة، بوزريعة، الجزائر، د. ت ، ص 41 ، 42 .

⁸³¹ عميرة عليه الصغير: المرجع السابق، ص 109 ، 110 .

ثانيا: جيش تحرير المغرب العربي في المغرب الأقصى

1_ بدأ المقاومة في مراكش والتنسيق المغربي :

أدت التطورات الحاصلة في العشرينيات من القرن العشرين في ترسيخ الكفاح المسلح بصفة عامة داخل الطبقات الشعبية وخصوصا بعد الحرب العالمية الأولى نتيجة تصلب السياسة الاستعمارية التعسفية من جهة ونتيجة تلاحم الحركات الوطنية المغربية من جهة ثانية لكن القيادات السياسية في ذات الحركات مع مطلع الخمسينيات من القرن العشرين أصبحت تقليدية تجاوزها الدهر واستقرت مهمتها وأدت دورها في تهيأت الرأي العام وإعداد فكرة الاستقلال والعمل على تحرير جميع أقطار المغرب العربي⁸³².

في هذا الإطار كان قد أتى إلى المغرب الأقصى كل من الهاشمي الطود وحمادي الريفى المبعوثين من طرف الأمير عبد الكريم الخطابي في شهري ماي وجوان 1952 في مهمة استطلاعية لمعرفة مدى قدرات الحركات الاستقلالية في الأقطار المغربية الثلاثة تونس والجزائر والمغرب الأقصى على تنظيم الكفاح المسلح المشترك الذي يجمع بين البلدان المغربية.

وعندما عادت البعثات الطلابية⁸³³ أصبحت تحت تصرف لجنة تحرير المغرب العربي لخدمة الأهداف التي على أساسها تأسست وخلال مدة شهرين تقريبا كانت كلها

⁸³² محمد الميلي : المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب، ط2، دار الكلمة للنشر ، بيروت، لبنان، 1983 ، ص 21 .

⁸³³ وهم سبعة طلاب :

- 1- محمد إبراهيم القاضي، جزائري، سلاح الهندسة .
- 2- يوسف العبيدي، تونسي، سلاح مدرعات
- 3- الهادي عمير، تونسي، سلاح مشاة .
- 4- احمد عبد السلام الريفى، مغربي، سلاح مشاة .
- 5- عبد الحميد الوجدي، مغربي، سلاح مشاة .

اتصالات بتمثلي الأحزاب الوطنية المغاربية المتواجدة في القاهرة من أجل تنظيم جيش التحرير المغرب العربي، وتأسس جبهة المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، انتهت هذه الاتصالات بعد اجتماع تحت رعاية إحدى لجان الجامعة العربية بالإسكندرية في صيف 1951 حضره أمينها العام وبتراأس الاجتماع الأمير عبد الكريم الخطابي بحضور القادة السياسيين: علال الفاسي وأحمد بن سودة عن المغرب ومحمد خيضر والشاذلي مكي عن الجزائر والرشيدي ادريسي عن تونس⁸³⁴، ورأت لجنة تحرير المغرب العربي لتحقيق الأهداف السابقة وذلك بتكليف الضباط عزوز التونسي⁸³⁵ وحمادي العزيز (الريفي) والهاشمي الطود وعبد الحميد بالهاشمي من المغرب بقيام عمليات استطلاعية على بلدان المغرب العربي لتعرف على المناخ السياسي ودراسة إمكانيات وتحويل ليبيا إلى قاعدة متقدمة في طبرق وبنغازي وطرابلس لإقامة معسكرات التدريب وجمع الأسلحة وإيواء المجاهدين المتطوعين بعد مدة استغرقت ما يقارب شهرين عاد الهاشمي الطود إلى القاهرة ليقدّم النتائج المهمة التي كلف بها الأمير عبد الكريم الخطابي أما حمادي الريفي وعبد الحميد بالهاشمي بقيا في طرابلس⁸³⁶.

ويذكر حمادي الريفي أن العلاقة توطدت بينه وبين بن بلة وبعض الضباط المغاربية بوضياف وبن مهدي ديدوش مراد ومنهم ضباط تونسيين أمثال عزوز الذي كلف بإعداد الثورة في تونس إنطلاقا من ليبيا، وبعد عقد عدة اجتماعات في شقة عزوز بالقاهرة اتفق

6- الهاشمي الطود، مغربي، سلاح المدراعات .

7- محمد حمادي العزيز الريفي، مغربي، سلاح مدفعية

ينظر : زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 70 ، 71.

⁸³⁴ محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 139 .

⁸³⁵ AZZEDINE AZOUZ :op ;cit ; p 131 -139.

⁸³⁶ . محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 139

هؤلاء الضباط بحضور بن بلة على ضرورة تأسيس جيوش لتحرير المغرب العربي على النحو التالي :

- 1 : جيش تحرير تونس.
- 2: جيش تحرير الجزائر .
- 3: جيش تحرير المغرب.
- 4: تأسيس قيادة عامة موحدة في الخارج ريثما يتم نقلها إلى أي قطر من أقطار المغرب العربي.

5: تأسيس قيادات خارجية لكل جيش تحرير في الخارج ريثما يتم نقلها داخل كل قطر .

6: إعلان الحرب التحريرية ضد الاستعمار الفرنسي وعلى الاستعمار الإسباني، فيما إذا نكثت الحكومة الإسبانية بالوعد التي وعدت بها الجامعة العربية واتخذت موقفا معاديا للحركة الوطنية المغربية، وتناولت الاجتماعات كذلك مسألة شراء الأسلحة وسبل نقلها إلى المغرب العربي برا وبحرا⁸³⁷ .

ومن خلال جهود تنسيق المغاربة لتثوير المغرب العربي والذي يفهم من الاتصالات السالفة الذكر أن تعميم الكفاح المسلح ينطلق سنة 1954 وفي هذا يذكر فتحي الديب أن اتفاق مسبقا كان قد حدث بين قادة اللجنة الثورية في الجزائر مع بعض قادة العمليات في مراكش على تفجير الثورة في مراكش مع نفس التوقيت مع الثورة الجزائرية، إلا أن التصور الخاطئ للمراكشيين بصعوبة قيام الجزائريين بخطوة تفجير الثورة جعلت المراكشيين يترددون لكن الثورة الجزائرية اندلعت فتفاجأ المغاربة المراكشيون واستبشروا في توسيع نطاق العمليات وإمكانية التنسيق مع قادة الثورة الجزائرية⁸³⁸ .

⁸³⁷ AZZEDINE AZOUZ :op ;cit ; p144,145 .

⁸³⁸ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 56 .

وحول نشاطات المغاربة المسبقة رفع السيد جون فوجور مدير الأمن العام بالجزائر خلال شهر أفريل 1954 إلى سلطاته تقريرا مطولا بعنوان الكومندوس⁸³⁹ الشمال إفريقي يحدث من خلاله عن وجود مجموعات منظمة في مصر وليبيا بما في ذلك المغرب الاسباني قائلا " إن هذه المجموعات الإرهابية مسيرة من طرف الأمير عبد الكريم الخطابي وأخيه أمحمد الخطابي وأنها تدعمه ماديا ومعنويا من السلطات المصرية والليبية والجامعة العربية حيث ضمنت لها التكوين العسكري والعناية وأن السادة خيضر وآيت أحمد و بن بلة يولون كل الاهتمام بهذه المسألة"، ويضيف التقرير أن تنظيما تم إنشاؤه باسم جيش التحرير بطرابلس متكون شباب مغاربة وأن هناك مراكز للتدريب أنشئ بغرب الإسماعيلية به 25 رجلا في طور التكوين سيواصلون بعد ذلك تدريباتهم بلبيبا، لقد هيا عبد الكريم الخطابي إذن منظمة لها تكوينا بدائيا لكن دقيق⁸⁴⁰.

بدأت بوادر العمل الفدائي المسلح في المغرب الأقصى - وكان من المفروض أن يبدأ في الجزائر بأفراد المنظمة الخاصة - قبل عزل محمد الخامس ونفيه في أوت 1953 وهذا يؤكد المنبت الشعبي ومجمل عمل الحركة الوطنية في مراكش منذ مطلع القرن العشرين، وليس بعد عزله كما شيع له في بعض الكتابات المغاربية "كتاب المخزن"، أما عن

⁸³⁹ كانت قد تكونت مجموعة مقاتلة من طرف علي الزليطني بلبيبا بعد اغتيال فرحات حشاد في ديسمبر 1952 م، باسم " كومندوس فرحات حشاد"، غير أن هذه المجموعة قد قضت عليها القوات الفرنسية على الحدود التونسية الليبية، وانعقد خلال أيام 21 الى 30 ديسمبر 1952 م، ندوة ضباط شمال إفريقيا بالقاهرة التي رفعت انشغالاتها بضرورة تعميم الكفاح المسلح على كامل أقطار المغرب العربي، غير أن هذا التوجه لم يلقى ترحيبا من طرف الزعامات السياسية المتواجدة هناك باستثناء ممثل الجزائر محمد خيضر، ينظر :

AZZEDINE AZOUZ :op ;cit ; p 174 – 180.

⁸⁴⁰ STORA BENJAMIN : **Algérie – Maroc , histoires parallèles , destins croisés** , ED .BARZAKH . Alger ;2002 . P 42.43.

الأدبيات المراكشية فإنها بصفة عامة عندما تتحدث عن فترة الخمسينيات من القرن العشرين وما بعدها فإنها تقتصر على ذكر العموميات أو تلتزم الصمت، إن تحدثت فإنها تتحدث بمجاملة ومداهنة ملصقة كل الأعمال والأحداث بمولانا الملك أو سيدنا على حد قول مصالي الحاج⁸⁴¹.

ومع مطلع سنة 1951 تمكن الثوار المغاربة⁸⁴² من إضافة قواعد عسكرية وخلايا المقاومة بدار البيضاء في 7 أبريل التابعة لحزب الاستقلال لكنها كانت تفتقر للأسلحة وأهم الأعمال السياسية الثورية المغربية في قواعد حزب الاستقلال قد تبلور من مظاهرات التي تمت في منطقة جرداء الحدودية مع الجزائر، والتي قادها العمال المغاربة سنة 1948 بسبب القضية الفلسطينية، وقد سلط الفرنسيون قمعاً رهيباً على المتظاهرين تم خلالها تقتيل عدد كبير من المغاربة، ثم تأتي مذبحة " الكاريير سانتال" شهر ديسمبر 1952، ويقدر عدد ضحاياها بسبعمئة شهيد حسب بعض المصادر المغربية⁸⁴³.

واثر اغتيال النقابي فرحات حشاد بتونس على عصابة اليد الحمراء نظم المغرب الأقصى مظاهرات يومي 7 و 8 ديسمبر بالدار البيضاء والتي راح ضحاياها أكثر من 60 مغربي و 6 من الأوروبيين لتليها مظاهرات أخرى قادة مجموعة من الوطنيين المغاربة بمدينة وجدة في 16 أوت 1953، ليتفاقم العمل العدائي ضد الفرنسيين بعد نفي السلطان محمد الخامس، والعمل على قتل السلطان الخائن -في نظرهم- ابن عرفة يوم 11 سبتمبر 1953 من طرف المناضل علال بن عبد الملك الذي قتل في نفس اليوم، وقد أقدم مجموعة من الثائرين على إخراج القطار السريع الرابط بين الدار البيضاء والجزائر العاصمة من السكة يوم 7 نوفمبر، إضافة إلى تفجير السوق المركزي بدار البيضاء عشية عيد رأس السنة مع

⁸⁴¹ محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 145 .

⁸⁴² زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 101- 117 .

⁸⁴³ محمد الميلي : المرجع السابق، ص 23 ، 24 .

نهاية 1953، والذي أدى إلى خسائر بشرية أغلبها فرنسية قدرت بـ 18 قتيل وأكثر من 40 جريح⁸⁴⁴.

2_ من جيش تحرير وطني مغربي إلى جيش تحرير المغرب العربي:

بعد أن تم تشكيل شبكة المقاومة في المغرب الأقصى تحت وصاية حزب الاستقلال وتنظيم العديد من العمليات العسكرية بالمغرب الأقصى، أخرجها تفجير السوق المركزي بدار البيضاء المذكور سابقا، فرّ قادة المقاومة إلى المنطقة الشمالية والمغرب الإسباني كان منهم كان منهم المجاهد عبد الله الصنهاجي الذي لعب دور كبير في تأسيس الجيش تحرير المغربي حيث حل بالقصر الكبير ونظم مجموعة من المقاومين يقدرون بحوالي 34 مقاوم، في الوقت الذي حدثت فيه أزمة بين هذه المجموعة وحزب الاستقلال بتطوان غير أن هذه المسألة لم تكن لتأثر على علاقتها بالثائرين الجزائريين⁸⁴⁵، وحل المجاهدون بتطوان هروبا من المنطقة الجنوبية خلال شهر جويلية 1954 منهم الحسين برادة، بلحاج العنابي ومحمد الأنصاري وداحوس الصغير، السيد بونعيلات وحسن صفي الدين وخلال سنة 1953 ارتبط المجاهدين بمجموعة من المناضلين منهم عبد الرحمان اليوسفي وعبد اللطيف بن جلون وعبد الكبير الفاسي وأحمد زيادي، والتقوا بهم في تطوان وفي هذه الفترة كانت لهذه العناصر المناضلة بتطوان قد ارتبطت بعناصر الثورة الجزائرية في أواخر 1954 ومطلع 1955 على رأسها محمد بوضياف عن طريق حسين القادري الذي أرسلته قيادة الثورة الجزائرية للاتصال برجال المقاومة بالمغرب⁸⁴⁶.

يذكر الدكتور عبد الكريم الخطيب الذي كانت له اتصالات سابقة بالعناصر الثورية في الجزائر، وكان منتما للمقاومة بالمغرب الأقصى والمكلف بجميع المساعدات بفرنسا

⁸⁴⁴ STORA BENJAMIN: **op ;cit** ; p 40.

⁸⁴⁵ STORA BENJAMIN :**ibid** ; p 40 .

⁸⁴⁶ محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 147 ، 148 .

للمقاومة أن عبد الكبير فارس طلب منه التنقل رفقة إلى مدريد حيث تم لهما الالتقاء مع بن بلة والدكتور حافظ إبراهيم اللذان طلبا منه الالتحاق بتطوان لحل المشاكل الموجودة هناك فالإخوان مستأوون من أحمد زياد المسئول عن علاقتهم بالإدارة الإسبانية لأنه يعرقل عملهم وتسبب في تأخير باخرة السلاح دينة" العروسة" إذ أخبر السلطات الإسبانية بمجيئها وبذلك انتقل عبد الكريم الخطابي إلى تطوان حيث التقى بالمقاومين الذين عرفهم بالدار البيضاء⁸⁴⁷.

وقد استطاع الخطيب في إقناع الزيايدي بالسفر إلى القاهرة أما هو فقد عاد إلى اسبانيا حيث وجد في انتظاره في مدريد بن بلة وحافظ إبراهيم وعبد الكبير الفاسي الذين طلبوا منه السفر على التو إلى القاهرة لإطلاع المسؤولين في القاهرة على الأمر وإبلاغهم أن لا يرسلوا الباخرة حتى يصل زياد إلى القاهرة، وهكذا بعد أن وصل الخطيب إلى القاهرة اتصل بعلال الفاسي واخبر فتحي الديب وعزت سليمان بما يجري في المنطقة ولما وصل زياد إلى القاهرة زج به إلى السجن العسكري بالقاهرة⁸⁴⁸ وعاد بعد ذلك الخطيب إلى فرنسا، لكن بعد فترة قصيرة طلب منه عبد الكبير الفاسي مرافقته إلى مدريد حيث عقد هناك اجتماع مع عبد المنعم النجار الملحق العسكري المصري الذي طلب من عبد الكريم الخطيب مسؤولية تولي قيادة جيش تحرير المغرب العربي بحضور حافظ إبراهيم وعبد الكبير الفاسي وعبد الرحمان اليوسفي، كون الخطيب أنه غير متحزب ووطني مراكش وعضو في حركة المقاومة السرية بالدار البيضاء وكذلك ذو أصول جزائرية بهذه الصفة فهو يحضى بثقة الجزائريين من جهة والمراكشيين من جهة أخرى⁸⁴⁹.

⁸⁴⁷ محمد خليدي و حميد خباش : جهاد من أجل التحرير، الدكتور عبد الكريم الخطيب والدكتور حافظ إبراهيم ، منشورا إفريقيا، الرباط، المغرب ، 1999 ، استجواب للدكتور الخطيب، ص 10 - 56 ، استجواب للدكتور إبراهيم، ص 57 - 87 .

⁸⁴⁸ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 100 .

⁸⁴⁹ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 179 .

وعند عودة الخطيب إلى تطوان عمل على تشكيل لجنة تطوان تتكون من سبعة أعضاء هم: الخطيب وحسن صفي الدين، سعيد بونعيلات، حسين برادة، عبد الرحمان اليوسفي، الغالي العراقي، والدكتور مهدي بن عبود، وتشكل مجلس للشورى من 27 عضوا يرأسه الخطيب نفسه محمد العنابي ومحمد المكناسي ومحمد الداخوسي وابراهيم فردوسي وأحمد شنطر...الخ، وكان مهمة المجلس استشارية، كما عمد عبد خطيب على تكوين مراكز تكوين مرتكز لتدريب الجيش كلف فيه عباس المساعي بتدريب العسكري وعبد الله الصنهاجي بالتموين وتكونت لجنة عليا مغربية جزائرية فيها : بن بلة وبوضياف وخيضر وآيت أحمد وبن مهدي إلى جانب الجزائري، الخطيب وعبد الرحمان اليوسفي وحسن صفي الدين وبونعيلات والبرادة والعراقي عن الجانب المغربي.

هكذا تكونت لجنة التنسيق لجيش التحرير المغاربي في جويلية 1955 بالناضور بعد العديد من اللقاءات جرت في مدينتي الناضور وتطوان من طرف أربعة أعضاء:على الديردي(بوضياف) وأحمد بن محمد بن عبد القادر(بن مهدي) وعبد الله(عبد الرحمان الصنهاجي) وعباس بن عمر(المساعدى)⁸⁵⁰، مهمة هذه القيادة القيام بحركة مسلحة ويبدو أن اللجنة قد رفضت عليها مهمة تزويد ولاية وهران بما تحتاجه من أسلحة ومؤونة خصوصا بعد أن تمكنت الثورة الجزائرية من الحصول على كمية مهمة من الأسلحة وعن شواطئ الناظور في أواخر مارس 1955 في سفينة أو باخرة "دينا"⁸⁵¹ التي كانت تحمل الشحنة

⁸⁵⁰ محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 149، 150 .

⁸⁵¹ للاطلاع أكثر على قصة السفينة "دينا" ينظر :

BOUZAR NADIR :L'Odysée de dina ; ed ; bouchéne .ENAL . ALGER .

1993 . P 124 .

الأولى من الأسلحة بدعم من القوات المصرية للقيام بحركات تحريرية في المغرب العربي⁸⁵² وترى أن تكون بداية العمل التنسيق الكفاحي المشترك فيما بينهم _ أي بين المغرب والجزائر_ يوم الأحد 2 أكتوبر 1955، وهو اليوم الذي أصدرت فيه اللجنة أول بيان لها باسم جيش تحرير المغرب العربي الممضي من قبل حركة المقاومة المغربية وجبهة التحرير الوطنية الجزائرية غير أن هناك من يقول أن فترة الكفاح المشترك قد حددت في الفترة الممتدة ما بين 15 إلى 30 أوت 1955، وتقرر تكوين قيادة عسكرية مشتركة في المغرب العربي باسم القيادة العسكرية لشمال إفريقيا، نظم مندوبي الأقطار المغاربية الثلاثة (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) وتم اتخاذ قرار جماعي بمواصلة الكفاح المسلح في جميع الأقطار ما لم تلبي سلطات الاستعمارية مطالبهم وعهدت القيادة العسكرية العليا للظاهر الأسود⁸⁵³.

أما عن عملية التسليح فقد دعم جيش تحرير المغرب العربي بسفينة دينا في 30 مارس 1955 التي رست بشاطئ كابويا _ رأس الماء_ cap deau بالقرب من الناظور بفضل مجهودات بن بلة وبوضياف وعبد الكبير الفاسي وغيرهم إلى جانب المخابرات المصرية وعلى متنها 7 من الجزائريين أتموا تدريبهم من بينهم هواري بومدين وحمولة عتاد عسكري من أسلحة وذخيرة ومتفجرات تسلمت الثورة الجزائرية منها 204 بندقية مع معدات أخرى وتسلمت المقاومة بمراكش 96 بندقية مع معدات أخرى⁸⁵⁴، تم إخفاؤها في دار

⁸⁵² زكي مبارك: "المغرب والثورة الجزائرية، دعم شعبي غير محدود و مؤازرة حكومية صريحة"، **الذاكرة الوطنية**، عدد خاص، مجلة تصدرها المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، أكادال، الرباط، المغرب، 2004، ص 25 وقوانين اللجنة وأعضاؤها وتنظيماتها، ينظر في الملحق رقم 09.

⁸⁵³ فتحي الديب: **المصدر السابق**، ص 101 .

⁸⁵⁴ فتحي الديب: **المصدر نفسه**، ص 80 - 86 .

المقاوم حمدون طريق بوضياف⁸⁵⁵ لتسلم إلى المقاومة عشية انطلاقها لتأتي عملية الفخار في ماي 1955 التي غرقت وضاعت أسلحتها ثم عملية النصر بتاريخ 19 سبتمبر 1955 وافرغ شحنتها من العتاد العسكري منها 150 بندقية للمقاومة المغربية، 302 بندقية للمقاومة الجزائرية⁸⁵⁶، تم مغامرة السفينة المشؤومة "أتوس" التي تم الكشف عنها السلطات الفرنسية في البحر في 17 أكتوبر 1956، قبل وصولها لساحل الريفي.⁸⁵⁷

هكذا بدا جيش التحرير المغرب العربي بمراكش المقاومة المنسقة مع الثورة الجزائرية في موعدها في 2 أكتوبر 1955، وكانت حصيلة هذه العمليات بعد هذه العملية بأربعة أيام بمصادرة 380 قطعة سلاح و71 قتيل أغلبهم من الأوروبيين⁸⁵⁸، وتواصلت بعد ذلك المعارك شمال تازة وفاس بين المجاهدين والجيش الفرنسي في العديد من المناطق منها جبل زنلما أزور، مناطق الحدود الجزائرية المغربية قارون، ملال، الجبل الأكل، دار المذبوح... الخ واستمرت إلى شهر أبريل 1956⁸⁵⁹.

وتذكر لنا بعض المصادر أن تقسيمات أركان حرب جيش التحرير كانت على النحو التالي من سلسلة جبال الأطلس وانتهاء بوادي درعة ما يلي:

- _ منطقة بني ورياغل: كان المسؤول عنها حسن اليعقوبي .
- _ منطقة مرنيسة: المسؤول عنها محمد بن البقال .
- _ منطقة بني زروال: المسؤول عنها محمد بن المختار .

⁸⁵⁵ محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 151 .

⁸⁵⁶ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 116 - 120 .

⁸⁵⁷ فتحي الديب : المصدر نفسه، ص 251 - 260 .

⁸⁵⁸ STORA BENJAMIN : op ;cit , p 48.

⁸⁵⁹ عبد السلام السرجان الذهبي : " ذكرى انطلاق جيش تحرير المغرب العربي (أكتوبر 1955 - أكتوبر 1956) "، السجان عبد السلام الذهبي، احد أبطال هذه الانطلاق، يتحدث عن هذا الحدث التاريخي بكل تفاصيل، " ملفات تاريخ المغرب "، عدد 5، أكتوبر 1996، ص 8 ، 9 .

_ منطقة ورغة العليا: المسؤول عنها محمد حجاج .

_ منطقة أسني: المسؤول عنها أحمد العمراني.

_ منطقة خنيفرة: المسؤول عنها ابن المختار البقالي.

_ منطقة مراكش: المسؤول عنها حمد المسقيوي.

_ منطقة زمور: المسؤول عنها محمد بن الميلودي .

ويضيف الحسين برادة إلى هذه المناطق منطقة سي ملال التي كانت تحت قيادة أحمد العمراني قائلاً: " أنها كانت تحت قيادة النذير بوزار ويساعده مصطفى العبدى وعبد الغني الوردغي وادريس الحارثي والحسين الزموري" ⁸⁶⁰، وقد ساعدت في تنامي جيش التحرير المغاربي، الوعود المصرية بعد ثورة جمال عبد الناصر ومساندة مسئولى الثورة الجزائرية مثل بوضياف وبن بلة وبن المهدي وعض الطرف الاسباني واستقباله بصعوبة اللاجئين السياسيين المغاربة والسماح لهم أخيراً بتنظيم مقاتليهم من الكومندوس، بدعم بن مهدي وبوضياف اللذان حلو بتطوان العديد من المرات وقدموا للمجاهدين درس شبه نظري حول واجبات المقاتل والتزاماته الشبه تطبيقية مع مبادئ في حرب العصابات ⁸⁶¹.

هذا ما دفع الحكومة الفرنسية إلى الإسراع في فتح باب المفاوضات مع وفد حزب الاستقلال بداية أوت 1955 في اكس لبيان لحل الأزمة المغربية واعتراف رئيس الحومة الفرنسية ادغارفو بأن محادثات اكس لبيان جنبت اشتعال لهيب الحرب في المغرب العربي بهدف تجزئة قضية المغرب العربي والبدء بالمفاوضات التي باشرتها حكومة إدغارفو مع وفد أحزاب الاستقلال التي توجت بالاستقلال في شهر مارس 1956، مما جعل قيادات جيش تحرير المغرب العربي ترفع مذكرة الى جمال عبد الناصر جاء فيها : " نقر نحن ممثلو جيش تحرير المغرب العربي في مراكش والجزائر عزمنا على مواصلة الكفاح حتى يتم

⁸⁶⁰ الحسين برادة : مسيرة التحرير، منشورات إفريقيا، الرباط، المغرب، 2000، ص 148 .

⁸⁶¹ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 142 - 147 .

حصول أقطار المغرب العربي على الاستقلال التام⁸⁶²، كما تقرر عدم التقييد بأي اتفاقيات عقدت أو ستعقد مستقبلا لا تحقق أمانا شعوبنا في الاستقلال التام والوحدة والانضمام إلى الأمة العربية في المشرق، كما نؤكد معرفتنا للسياسة الفرنسية الرامية إلى تجزئة شمال إفريقيا ونعتبرها قضية واحدة⁸⁶³. كما رفضت جماعة النذير بوزار بتطوان مضمون الاتفاقية الرامية إلى الاستقلال على مراحل⁸⁶⁴ ويؤكد عبد الرحمان الوريدي حسب شهادته على أن فكرة التمسك بمواصلة الكفاح المسلح إلى غاية الاستقلال التام لشمال إفريقيا، لقد لقيت دعما وتأييدا صريحا من طرف رئيس لجنة تحرير المغرب العربي إذ أكد في بيان له " أن الاستقلال الحقيقي للمغرب العربي لن يكون كاملا إلا إذا استقلت إفريقيا الشمالية بأكملها⁸⁶⁵".

⁸⁶² محمد أمطاط : الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830 - 1962، مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر، ط1، دار أبي رزق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2008، ص 335 .

⁸⁶³ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 159 ، 160 .

⁸⁶⁴ روني غاليسو : المرجع السابق، ص 79 .

⁸⁶⁵ محمد حمو الإدريسي : الحركة الوطنية في الشمال ودورها في الاستقلال المغرب والجزائر، ط1،

مطابع البوغان، 1999، ص 196 .

ثالثا: الثورة الجزائرية وتفعيل الكفاح المغربي المسلح

كانت فكرة الكفاح المسلح مرسخة بصفة عامة لدى الطبقات الشعبية بالمغرب العربي نتيجة السياسة الاستعمارية من جهة، ونتيجة انتشار الفكر التحرري وانبعث الكفاح المسلح من جهة ثانية، بالإضافة إلى المقاومة السلبية لمختلف الحركات السياسية الوطنية المغربية قبل الحرب العالمية الثانية، هذه الظروف جعلت فكرة الكفاح المسلح والاستقلال متلازمتين في فكر الشعوب المغربية إيمانا منهم أن ما ضاع بالقوة لا يسترد إلا بالقوة .

هكذا شكل اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية حدثا هاما في بلدان المغرب العربي تفاجأت بها الأحزاب السياسية المغربية التي كانت تشكك في قدرة الجزائريين على الثورة، ورحب ابن عبد الكريم الخطابي مستبشرا واعتبرها حلقة مهمة في مشروعه الثوري، وتتويجا لوحدة المغرب العربي وتحقيقا لفكرة جيش تحرير المغرب العربي، هذا جعل من الخطابي يتأكد بصفة تامة على صدق نوايا الثوار والمجاهدين الجزائريين في موقفهم الجاد في شأن الكفاح المسلح والعمل على إنجاز مشروعه في تحرير جميع أقطار المغرب العربي بالسلاح والنار .

كما نجد أيضا أن يوسف الرويسي ذو التوجه الراديكالي قد وقف إلى جانب الخطابي يدعمه ويؤازر خطته الثورية وأن الثورة الجزائرية جاءت لترضي مطامح ابن عبد الكريم الخطابي الذي يرى أن فيها نجاحا لأفكاره.⁸⁶⁶، ونجد عبد الكريم الخطابي قد طرح بموقفه إزاء الثورة الجزائرية بعد عدة أيام من اندلاعها في ندائه الموجه إلى بلدان المغرب العربي عبر إذاعة صوت العرب، دعى فيها إلى وحدة الصف ضد المستعمر المستبد والقيام بالكفاح المسلح كحل ضروري وخص الجزائريين بالقول: " أيها الجزائريون نحن جميعا ما كنا نود في يوم من الأيام أن تصل الحالة في شمال إفريقيا إلى هذه المرحلة، ولكن رغبة جماعة المفسدين من الفرنسيين في الفتنة هي التي جعلتكم وجعلتنا جميعا ننفجر، فنهضتم تدافعون هذا الدفاع المبارك المجيد، ونزلتم إلى الميدان الذي تريده الجماعة الضالة جماعة المخربين

⁸⁶⁶ مجموعة باحثين : الخطابي وجمهورية الريف، المرجع السابق، ص 418 .

الذين سمو أنفسهم معمرين⁸⁶⁷، ونلمس من هذا النداء التأكيد القطعي للثورة الجزائرية وأن الثورة الجزائرية هي امتداد للعمل المغاربي المسلح في إطار الخطة التي وضعها عبد الكريم الخطابي في وحدة الكفاح المسلح ثم توجه الخطابي بالنصح للمغاربة قائلاً: " اتحدوا ورتبوا صفوفكم ولا تسمعوا لما يعرضونه عليكم من المهادنة فيما هي إلا خدعة وتضليل وكسب للوقت وما هذه الأشياء إلا حيلة تدل دلالة قاطعة على عجز هذه الجماعة وخوفها وعنوانا من عناوين مصيرها الأسود النهائي..."⁸⁶⁸ ثم نوه بكلمة إلى التونسيين نبه فيها عن ضلال بعض الأطراف التي مشت وراء إصلاحات المستعمر وخداع السلطات الفرنسية للقيادات التونسية بهذه المفاوضات الخادعة، ودعاهم بضرورة الكفاح إلى جانب الجزائريين والمراكشيين، والتمس من الأحرار الفرنسيين أن يتفهموا القضايا التحررية للبلدان المغاربية وختم كلمته مؤكدا على ضرورة رص الصف ووحدة الكفاح والحذر من الانسياق وراء خدع المستعمر⁸⁶⁹.

هكذا احدث اندلاع الثورة الجزائرية اضطرابا في مواقف الأحزاب المغاربية خاصة الحزب الدستوري التونسي الذي مضى في التفاوض مع فرنسا والاشتراط على المقاومين التونسيين تسليم أسلحتهم مما جعل اليأس يدب في نفوس القادة الجزائريين والأمير عبد الكريم الخطابي من موقف بورقيبة والأحزاب السياسية المغاربية التي كانت تسعى وراء الحلول السلمية للقضية المغاربية عن طريق المفاوضات الثنائية وتركزت جهود كل من الوفد الخارجي والأمير عبد الكريم الخطابي على بث المبادئ الثورية وضرورة العمل بميثاق لجنة تحرير المغرب العربي الذي وقعوا عليه، والعمل على إسراع في جيش التحرير التونسي

⁸⁶⁷ فضيل الورتلاني : الجزائر الثائرة، المصدر السابق، ص 229 .

⁸⁶⁸ فضيل الورتلاني : الجزائر الثائرة، المصدر نفسه، ص 230 .

⁸⁶⁹ المصدر نفسه، ص 231 ، 231 .

وجيش التحرير المغربي، اعتمادا على العناصر الثورية بدلا من الأحزاب السياسية في توحيد المغاربة وتجاوز الحول السلمية السياسية التفاوضية.

ومع نجاح خطة الخطابى فى تكوين خلايا جيش التحرير فى كل من تونس والمغرب عمل ميدانيا فى إرساء قواعد خلفية فى طرابلس اعتمادا على المناضلين التونسيين الموالين لتوجه الخطابى وعلى رأسهم عز الدين عزوز وعلى الزليطى وعبد العزيز شوشان وكلف ابن بلة بشير القافى والهاشمى الطود سبل إمداد الثوار المغاربة بالسلاح انطلاقا من القاعدة العسكرية الموجودة فى طرابلس، وتوضح شهادة بشير القافى مدى حجم الاستفادة من هذه القاعدة بقوله: "وبدأت أنا اشتغل فى إطار الفكرة التى جاء بها هؤلاء الشبان من القاهرة تحت توجيه الأمير رحمه الله(الخطابى) وكانت الفكرة آنذاك هى محاولة وضع ما يسمى بالكفاح المسلح المشترك خارج الأطر الحزبية، وللأمير الخطابى رحمه الله كان يرى أو يعتقد أن الأحزاب قد استنفذت تقريبا وجودها"⁸⁷⁰، ويشيد بشير القافى بالجهود التنسيقية التى قام بها بن بلة والهاشمى الطود وعبد العزيز شوشان فى سبيل إمداد المقاومة المغاربية بالسلاح وتنظيم شبكات تمريرها عبر الحدود الجزائرية وبواسطة المناضلين التونسيين⁸⁷¹.

كما نجد أيضا روني غالىسو فى شهادة له يقول:"بأن إعداد مخطط عمل جيش التحرير المغاربي تم فى شهر أوت 1955 من خلال لقاء مدريد فى أعقاب جولة محمد بوضياف وتعزيز التنسيق بين أولى الشبكات ورجال المقاومة فى بداية أكتوبر 1955 لضمان مرور الأسلحة والمتطوعين إلى المنطقة الشمالية عقد" علال الفاسى" اتفاقا مع الجنرال "فالينو" المحافظ السياسى الاسبانى الذى طلب بلا مقابل أن يكون على علم

⁸⁷⁰ بشير القاضى : جيش التحرير المغاربي 1948 - 1955، أشغال ملتقى نظمته مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 11 - 12 ماي 2001، منشورات مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004 ، ص169 .

⁸⁷¹ المرجع نفسه، ص 169 .

بالتحضير للثورة⁸⁷²، ونتيجة مجهودات قادة للثورة الجزائرية ودعوات الخطابى وحماس المناضلين المغاربة لإيديولوجيات الخطابى أسر المغرب على ضرورة المضي في الكفاح المسلح والتنسيق العمل الثوري مع الثوار الجزائريين، وتكليف ابن بلة أن ينهض بهذه المهمة محمد حمادي بالإشراف العام على جيش تحرير الجزائري وتوحيد الجهود مع جيش التحرير المغربي⁸⁷³، لكن تأخر ظهور هذا الجيش الى النصف الثاني من سنة 1955 تحت أنصار الامير وتوجيهاته، فاعلم الذين شاركوا فيه هم من فصائل حرب الريف خلال العشرينيات من قرن العشرين⁸⁷⁴، وفي هذا السياق ونتيجة لحوادث أكتوبر 1955 علق " نيوز ويك" الأمريكية : "هاجم أبناء وأحفاد الامير عبد الكريم المحاربون... وهؤلاء المحاربون أحسن تسليحا من المقاتلين السابقين الذين حاربوا فرنسا والإسبان بين 1920-1926"⁸⁷⁵، ويضيف الكاتب الفرنسي "بيير فونتين" صاحب كتاب "عبد الكريم مصدر الثورات في شمال إفريقيا": "أكد بان عبدا لكريم الذي كان يحاربنا وهو شاب في المغرب فقط، عاد اليوم في الشمال وهو الذي يقود الثورات ضدنا في كل هذه البلاد ويهدد بذلك وجودنا فيها، ويقضي على أي آمال في الاستقرار والتحكم والسيطرة عليها، حقيقة انه لا يحارب بنفسه ولكنه هو عقل هذه وروحها..."⁸⁷⁶.

وقد كانت الثورة الجزائرية تهدف الى الاستفادة من البعد المغاربي لكفاح الخطابى ولم ترمي إلى استغلال شخصه بقدر ما هدفت الى خدمة إستراتيجية توحيد المعركة في المغرب

⁸⁷² روني غاليسو: المرجع السابق، ص 72 .

⁸⁷³ محمد الحمادي العزيز : المصدر السابق، ص 199 - 217 .

⁸⁷⁴ محمد بن عمر العزوي : حقائق تاريخية عن تأسيس جيش التحرير بقبيلة أجزاية مع نبذة

تاريخية من تاريخ القبيلة، ط1 ، مطبعة ناداكوم، الرباط، المغرب، 2002، ص 37 - 40 .

⁸⁷⁵ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابى آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 178 .

⁸⁷⁶ محمد سلام أمزيان : عبد الكريم الخطابى وحرب الريف، المصدر السابق، ص 232 .

العربي، وساندها الخطابى فى بذاك بكل قوة ماديا ومعنوية، كما اجتهد زعماء الثورة الجزائرية أمثال بن بلة، بوضياف فى كسب تأيد ودعم الأحزاب الوطنية المغاربية، وفرت المقاومة المسلحة لتدخل فى معركة موحدة تخدم أهداف جزائرية وتعمل على تحقيق الدعم السياسى والعسكرى لمشروع الكفاح المغارى المشترك⁸⁷⁷، ونجد أن الخطابى قد حمل اغلب الأحزاب السياسية التى تجاوزت مشروع وحد الكفاح ومغربة الحرب حملة عدائية شديدة ضدهم، ودعى عناصر المقاومة الى مواصلة الكفاح وتوحيدها مع القوات الجزائرية، ونجد أن محمد خيضر قد عبر عن هذا عندما وصف علاقة الخطابى بالثورة الجزائرية قائلا للقيادة فى الداخل: " إن الخطابى كما تعلوا اتخذ موقفا عدائيا علنيا من جميع الأحزاب السياسية وعلى الخصوص حزب الاستقلال ... وفيما يخص الجزائر كان يطبع موقفه التعاطفى دائما، لذلك كان لنا معه فى كل وقت علاقات جيدة جدا ما عدى خلال الأزمة التى إجتازها هنا (بالقاهرة)، وتسببت فيها مناورات مزغنة والشاذلى⁸⁷⁸ .

هكذا نلمس مدى دعم الخطابى ومساندته للثورة الجزائرية ومباركتها، وهذا راجع للتوافق رغبات ومبادئ الخطابى مع مطامح القيادة الثورية فى الجزائر وذلك بتوحيد الكفاح المغارى المشترك والحقيقة لم يكن الامير عبد الكريم الخطابى على علم واسع بخبايا الثورة التحريرية الجزائرية من خلافات وتباين الحاصل بين جبهة التحرير الوطنى وجمعية علماء المسلمين من جهة، وبين الفصائل المصالية أو الحركة المصالية المناوئة من جهة الثانية وعلاقته الحميمة مع الشيخ البشير الإبراهيمى، والفضيل الورتلانى، واستغلال العناصر المصالية أمثال شاذلى مكى ومزغنة صداقتها معه لضرب جبهة التحرير الوطنى فى الصميم، وهذا جعل من ممثل الوفد الخارجى والجبهة وبعض التشكيلات السياسية على

⁸⁷⁷ بشير القاضى : جيش التحرير المغارى 1948 - 1955، المرجع السابق، ص 170 .

⁸⁷⁸ رسالة محمد خيضر الى عبان رمضان بتاريخ 15 ماي 1965، ينظر :

BELHOCINE MABROK : *Courier - Alger -le Caire 1954 - 1956 et le congrès de la soumam dans la révolution* , Casbah , Alger , 2000 . P 135 .

تشكيل جبهة جزائرية موحدة بدعم من الحكومة المصرية والأمير عبد الكريم الخطابي بشرط اعتراف أولا بجبهة تحرير الوطني هي الممثل الوحيد، ثانيا إيمان بالعمل المسلح كوسيلة للقضاء على المستعمر ووحدة الكفاح المغاربي المشترك، وها كذا تم تجاوز الخلافات مع الشيخ البشير الإبراهيمي وممثلي الحركة المصالية، وصادق الجميع على ميثاق الجبهة التحرير الجزائرية يوم 18 فيفري 1955⁸⁷⁹، ونشر الشيخ فضيل الورتلاني وثيقة الاتفاق عام 1956، ويوضح فيها أول من وقعها هو الامير عبد الكريم الخطابي وشقيقه امحمد، والشيخ البشير الإبراهيمي، وأبو فضيل الورتلاني، واحمد بيوض، والشاذلي مكي، وذكر أن الوثيقة تبقى مفتوحة ليوقعها بقية المسؤولين الجزائريين⁸⁸⁰.

ونتيجة التحالف الحاصل في أكتوبر 1955 بين جبهة التحرير الوطني وحركة المقاومة المغربية، جعلت من الامير الخطابي يشك ويقلل قيمتها ويدخل في صراع مع قيادة الثورة الجزائرية، وعلى ضوء مواقف الخطابي تساءل عبان رمضان مستغربا : " كيف يجوز للأمير عبد الكريم أن يكون ضدنا؟"⁸⁸¹، وأجاب محمد خيضر المتابع لملف العلاقة مع الخطابي عن استغرابه موضحا الكثير من النقاط المسببة لهذا الفتور لمدة ثلاثة أشهر، مرجعا ذلك بأن لإنخداع الخطابي بمبعوثي مصالي، وحساسية العلاقة معه في ظل تحالف الجبهة تحرير الوطني مع علال الفاسي، وأوضح خيضر حقيقتين هما: أن الخطابي لا يرضى بدرج متواضع ويريد منافسة حزب الاستقلال ، وان أعوانه المحيطين به لا يوثق بهم، وأكد خيضر أن الخطابي يقف الى جانب الثورة الجزائرية لكن بحسن نيته وتعامله مع الجميع إنخدع بدسائس أحمد مزغنة وشاذلي مكي اللذان صورى له أن مصالي الحاج هو زعيم الثورة وهو الذي أعلن هذه الثورة و يراقبها، وأكد له بأن مصالي الحاج كلفهما بالسهر

⁸⁷⁹ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 76 - 78 .

⁸⁸⁰ الفضيل الورتلاني : الجزائر الثائرة، المصدر السابق، ص 219 .

⁸⁸¹ انظر رسالة عبان رمضان للوفد الخارجي للجبهة، بتاريخ 08 بتاريخ 1955 ، ينظر :

شخصيا على مصالح الجزائر، ولم اتضح للخطابي انخداعه بهما أفصح بكل صراحة عن خطئه ودعمه لجبهة التحرير الوطنية " 882 .

وخلص محمد خيضر الى أن الخطابي يمثل طرفا مهما في العلاقات المغاربية وورقة رابحة يجب استعمالها بشكل جيد في الوقت المناسب ومن خلال هذه التقارير نلخص، أن القيادة الخارجية كانت تعمل على توحيد وتنسيق العمل والكفاح المغاربي المشترك بمهنية واحتراف ورزانة بين علاقتهما مع الخطابي ومع الأطراف المغاربية الأخرى بهدف دعم قضيتها، وانتبهت الى حقيقة الأطراف المدسوسة في المحيطة بالخطابي، لهذا عملت الثورة الجزائرية من الحفاظ على أسرارها ومخططاتها مع الامير عبد الكريم الخطابي 883 .

وها كذا يمكن القول أن الثورة الجزائرية قد وجدت في الامير عبد الكريم الخطابي الحليف المثالي لها في دعم مشروعها المغاربي الثوري وخاصة خلال مرحلة انطلاق الثورة في كل من تونس والمغرب والعمل على تثوير المغرب العربي المشترك وتفعيل الكفاح المسلح المغاربي في الأقطار المغاربية الثلاثة (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى).

882 انظر رسالة خيضر الى عبان رمضان، ينظر :

BELHOCINE MABROK : **ibid** ; p 96 .

883 للإطلاع أكثر عن حادثة اختراق الشيخ العيادي لمحيط الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي، ينظر

: عبد الجليل التميمي : المرجع السابق، ص 121 - 125 .

المبحث الرابع: تهميش وتصفية عناصر الكفاح المشترك

لقد حقق جيش تحرير المغرب العربي نجاحات باهرة منذ البداية، إذ ساهم في عودة الملك محمد الخامس الى عرشه، وجسد ميلاد استقلال كل من تونس والمغرب الأقصى، وهدد فرنسا في قضية محورية هي القضية الجزائرية، لكن القيادات الحركة الوطنية التونسية والمغربية رأّت بضرورة تجزئة المعركة، وبضرورة الحلول التفاوضية المؤدية الى استقلال ذاتي ثم التام .

وأمام هذه المعطيات فرضت على بعض الحركات المقاومة لأقطار المغرب العربي الثلاثة للكفاح المسلح الشمولي، والانسحاق وراء الحلول التفاوضية السلمية والتشبث العناصر الأخرى الداعمة لفكر وإيديولوجيات الخطابى وبالخصوص الجزائرية على ضرورة استمرار الكفاح المغاربي المشترك والعمل على مغربة الحرب .

أولاً: عوامل فشل إستراتيجية الكفاح المسلح

رغم الجهود المضنية التي قدمها محمد بن عبد الكريم الخطابي ورفقائه من أجل تحقيق إستراتيجية واحدة للكفاح مشترك على مستوى المغرب العربي ورغم النجاحات التي حققتها لجنة تحرير المغرب العربي ومؤطريها إلا أن هذا الطموح لم يتحقق هذا ما جعل عبد الكريم الخطيب يقول: " كنا نسعى إلى تحرير منظمة مشتركة بين المغرب والجزائر وتمتد بين منطقتنا الشرقية ومدينة وهران، وإلغاء الحدود لتأتي لنا بتأسيس حكومة مؤقتة وإقامة إذاعة صوت المغرب العربي....لم نستطع تحقيق أهدافنا لأنها لم نستوعب من طرف رجال الميدان...."884 .

884 محمد خليدي وحמיד خباش: المصدر السابق، ص 56 .

ولقد حققت جيوش تحرير المغرب العربي بخططها العسكرية والسياسية المبرمجة نتائج باهرة، وانبعثت الشعور الملتهب حماسة ثلاثين مليون مغاربي وصدى خلفته المعركة المشتركة من انعكاسات مهمة، وهذا ما أشارت إليه جريدة ليكسبرس الفرنسية بقولها: " إن تضامن المغرب العربي قد بلغ حدا جعلنا كأننا لم نقم بأي شيء على الإطلاق في أقطار شمال إفريقيا، أن وقوع أي حادث في أغادير يحدث له صداه في بسكرة وفي قابس.."⁸⁸⁵، وهكذا استطاع جيش التحرير المغرب العربي أن يحقق نجاحات كبيرة وصدى مغاربي إن لم نقل عالمي في مسيرته النضالية وكفاحه المرير، فإن أسباب إخفاق هذا المشروع وفشله يطرح نفسه بالبحاح .

ومن أهم العوامل المجتمعة التي ساهمت في انكسار جيش تحرير المغرب العربي هي: إدراك الحكومة الفرنسية لخطورة الوضع في الشمال الإفريقي ورصدها مخططات محكمة لضرب جيش تحرير المغرب العربي والعمل على فصل القضايا التحريرية عن بعضها البعض وذلك حتى يسهل علاجها بطريقة تخدم المصالح الفرنسية وقد أكد رئيس الحكومة الفرنسية ادغارفور إن استطاع أن يعالج المشكلة بشمال إفريقيا وذلك بمنح استقلال ذاتي لكل من تونس والمغرب والعمل على إمكانية إدماج الجزائر مع فرنسا،⁸⁸⁶ ولما أحس ادغارفور تهديدا من جديد في 2 أكتوبر 1955 عمل على عرقلتها بمجموعات الإصلاحات وتنحية ابن عرفة في اليوم الثاني وكسر تحالف حزب الاستقلال ورجال المقاومة مع الثورة الجزائرية، فلم تتم الثورة الشاملة وضاعت فرصة كبيرة⁸⁸⁷.

⁸⁸⁵ L'EXPRESS :DU 19 NOVEMBRE 1955.

⁸⁸⁶ إدغار فور : الخفايا السرية لإكس لبيان، ترجمة محمد العفراني، مطبعة النجاح، دار البيضاء ، المغرب، 2005 ، ص 63 ، 64 .

⁸⁸⁷ للإطلاع أكثر ينظر إلى شهادة الدكتور الخطيب: محمد خليدي وحמיד خباش: المصدر السابق، ص 29.

أكدت قيادات الناظور تمسكها بالكفاح المسلح واستمرارها في النضال المغربي المشترك مع القادة الجزائريين وذلك بفضل مجهودات الصنهاجي وعباس المسعيدي لكن تغير الظروف وتزايد الضغوط والمصاعب على القياديين من قبل مسؤولي الحزب والقيادة العليا لحركة المقاومة مما أدى إلى غالي العراقي إلى تهميش دورهما وتسييس قرارات الجيش التحرير المغربي ودخوله في تنافس وانشقاق داخل صفوفه مما جعل قيادات جيش التحرير المغربي الانصياع لقرارات الإجماع الوطني وإيقاف المقاومة مع تأكيدها في نفس الوقت على وفائها لتعهداتها المغربية ودعم الجزائر بكل السبل الممكنة.⁸⁸⁸

رفض قيادات حزب الاستقلال الخيار العسكري الثوري رغم المخاطر التي تتعرض لها المغرب إلا بالبحاح من الثورة الجزائرية وظهر علال الفاسي فتوى عزيمة ولا مبالاة أثناء زيارته لتطوان في الأسبوع الثاني من اندلاع معارك جيش التحرير المغربي العربي لم يسأل حتى عن أحوال الجيش والمجاهدين⁸⁸⁹ وسرعان ما أعلن التخلي عن مبادئ الثورة بمجرد ما أقنعه بوعيد بضرورة التفاوض مع الحكومة الفرنسية حول استقلال المغرب⁸⁹⁰.

أن الحركات الوطنية المغربية اجتمعت لمواجهة السياسة الاستعمارية لا لبعث مشروع الوحدة كما أكده المفكر محمد عابد الجابري، أن هذه الأحزاب لم تصغ مخطط أو مشروع للوحدة ولا نظرة واقعية لمستقبل العلاقات بين الأقطار المغربية الثلاثة بتبني توجه سياسي موحد، وهكذا لم نجد في اجتماع القاهرة في نهاية فيفري 1956 اهتمام بالجانب السياسي ووضع إطار سياسي لوحدة المغرب العربي، بقدر ما اهتمت بتفعيل العمل المسلح

⁸⁸⁸ FAUR EDGAR : **Mémoires** ; T2 . ED . PLON . PARIS . 1984 . P 248 .

⁸⁸⁹ عبد الله الصنهاجي : المصدر السابق، ص 202 ، 203 .

⁸⁹⁰ عبد اللطيف جبرو : **إيكس لبيان " ملفات وحقائق "** ، مطبعة ايكسيل برنت، الرباط، المغرب،

2002 ، ص 91 - 140 .

ومسألة التسليح والخطط العسكرية ومراعات الخصوصيات القطرية.⁸⁹¹، بانضمام التونسيين إلى لجيش تحرير المغرب العربي أعطى دعما قويا، لكن مع إعلان عن نيته الإستقلال التام كان حجة على المقاومين التونسيين خصوصا والمغاربة عموما، ودخل جيش التحرير التونسي في خلافات واستسلام العديد من القيادات وتسليمها لسلطات الفرنسية وهذا ما حدث في المغرب الأقصى، وبنهاية 1956 ترسخت نهاية الخيار الوحدوي لجيش التحرير المغربي.

إن قيادات الثورة الجزائرية وبالخصوص الوفد الخارجي ودعم السلطات المصرية في إنشاء جيش التحرير المغربي والعمل على توحيد الكفاح الجبهة الشمالية الإفريقية عسكريا وسياسيا بأنه الخيار الأنجح لتحقيق الاستقلال في الجزائر وتوحيد المغرب العربي، غير أن قادة الداخل وأمام تجسد الاستقلال التام لتونس والمغرب طرح خيار جديد واقعي ووجهت انتقادات شديدة لإستراتيجية مغربة الحرب⁸⁹²، وأدى هذا الخلاف بين الداخل والخارج كما تعرف إلى اعتقال كل من أحمد بن بلة وخيضر ورفاقهم أدى إلى تراجع إستراتيجية الكفاح الموحد داخل البلاد المغربية الثلاثة .

في الأخير نؤكد أن الثورة الجزائرية قد استطاعت بالتعاون مع السلطات الفرنسية في تكوين جبهة موحدة للقتال وهي جيش التحرير المغربي العربي بدأت بالتحالف الجزائري المغربي والتونسي فيما بعده حركة اليوسفيين، استطاعت هذه الجبهة أو جيش التحرير تحقيق نتائج عسكرية وسياسية أذهلت القوات الاستعمارية بنشاطاتها الحثيثة وعملها الدؤوب والمنظم في ميدان التنسيق والتعاون والتسليح والدعاية والتموين...إلخ، وقد كان لها الدور

⁸⁹¹ محمد عابد الجابري : فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من اجل الاستقلال، وحدة المغرب العربي

ندوة عقدت، باريس، 1986، ط ، م د و ع، بيروت، 1986 ، ص 19 .

⁸⁹² ينظر رسالة من عبان الى محمد خيضر، بتاريخ 13 / 3 / 1956 :

الكبير في استقلال كل من تونس والمغرب وإن كان استقلالهم قد وضع حدا لمواصلة في أتمام المشروع، كما ساهمت السياسة الفرنسية التقييمية والمعارضة السياسية والمصاعب الداخلية في المساهمة في انهياره وفشله، وهذا كله مكن الإدارة الفرنسية من تنفيذ مخططاتها الجديدة في ظل استقلال كل من تونس والمغرب والعمل على إبقاء الجزائر جزء لا يتجزأ من التراب الفرنسي.

ثانيا : تهميش وتصفية عناصر الكفاح المشترك في الجزائر

إن بمجرد تفكير الأمير عبد الكريم الخطابي في الكفاح المسلح والعمل على وحدة المغرب العربي كان ذلك بمثابة تجاوز للزعامات السياسية التي لم تكن لها الجرأة للانتقال من المعارضة السلمية إلى المواجهة المسلحة، ونشير هنا إلى المؤتمر الصحفي الذي عقده علال الفاسي في القاهرة ليرد على تصريحات الأمير الخطابي وأثنى مرة أخرى على أن حزبه لن يلجأ إلى استخدام القوة ضد الفرنسيين: "لأننا أعداء أعمال العنف" وقال: "أما توسط الأمم المتحدة أو أي دولة أجنبية أخرى من أجل قضية المغرب فلن نسعى إليه إلا إذا اعتبرت الحالة ميؤوس منها وعلى أننا لم نياس بعد من فرنسا". وهذا خشية فقدان الزعماء مراكزهم القيادية نظرا لحماسة القاعدة الشبانية واستعدادها للعمل المباشر ضد المستعمر أضف إلى ذلك أن فلسفة الأحزاب السياسية كانت تقوم أساس على مبدأ المفاوضات والعمل الدبلوماسي السياسي وفق مبدأ خذ وطالب"⁸⁹³.

1_ الصراع على القيادة والإيديولوجية:

إن أهم ما فجر الأوضاع عقب عقد مؤتمر الصومام هي فكرة الداخل على الخارج وأولوية العمل السياسي على العسكري، مما جعل جماعة الوفد الخارجي الذين لم يحضروا جلسات المؤتمر وعلى رأسهم أحمد بن بلة ومحمد بوضياف وعارضوا على قرارات وصلاحيات هذا المؤتمر، إذ لاحظوا أن الطابع الإسلامي للمؤسسات السياسية المستقبلية في القرارات الواردة في الميثاق وفي بيان الفاتح من نوفمبر 1954 قد غيبت سهوا أو عمدا هذا من جهة، ومن جهة ثانية ابعدوا من الإدارة التنفيذية لقيادة الثورة المنبثقة عن المؤتمر⁸⁹⁴ ولذلك أصبحوا يصدرن تعليماتهم الى عناصر ناحية سوق أهراس- القاعدة الشرقية فيما

⁸⁹³ محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 176 ، 177 .

⁸⁹⁴ ينظر الى الوثيقة رقم 34 ، في كتاب :

بعد- بضرورة معارضة قرارات مؤتمر الصومام والقيادة الجديدة المنبثقة عنه⁸⁹⁵، وكانت المنطقة الأولى (الولاية الأولى بعد مؤتمر الصومام) موحدة تحت قيادة واحدة إلى سنة 1955 وعلى رأسها المجاهد مصطفى بن بولعيد ومساعديه البشير شيحاني وعباس الغرور، وهؤلاء كانوا أعضاء سابقين بحزب الحركة من أجل الحريات الديمقراطية، وشخصيات أخرى مرتبطة بالمجتمع المحلي أمثال عجل عجول والظاهر نويشي وغزي وعيسي مسعود ومسعود بلعقون وعبيدي الحاج ولخضر وغيرهم من المجاهدين، وظلت الولاية متماسكة إلى غاية اعتقال مصطفى بن بولعيد في 4 فيفري 1955، دخلت الولاية في صراعات ووصلت إلى حدود التصفية والتكتلات⁸⁹⁶ وانقسمت المنطقة إلى ثلاثة أقطاب للمقاومة المسلحة: الأوراس والنامشة وسوق أهراس، وتعاون بعض منها مع الإدارة الفرنسية على حساب الآخر، والتنافس كل أحد منهما في الحصول على الأسلحة عن طريق تونس باعتبارها كانت مكان لعبور الأسلحة المبعوثة من مصر مع بن بلة ويقوم بتوزيعها مع أحمد محساس⁸⁹⁷.

في ظل الخلافات القائمة بين الفصائل المسلحة في المنطقة الأولى وعلى الحدود التونسية، يذكر محمد حربي أن بورقيبة- الوزير الأول- وجد نفسه مضطر إلى البحث عن أطراف يتحاور معها، إلا أن بورقيبة قد شكى من جماعة عبد الحى الذي كان " يمثل دولة داخل دولة" وكانت فكرة جماعة بن بلة الأساسية هي التحذير من السياسيين الذين خولهم

MOHAMMED HARBI : *les archives. Op , cit , p 168 .*

⁸⁹⁵ محمد زروال : إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية - ولاية الأولى نموذجاً -، طبعة خاصة بمناسبة الذكرى 45 لعيد الاستقلال، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 259 - 267 .

⁸⁹⁶ عن الصراعات التنافس على القيادة بالولاية الأولى إبان الثورة، ينظر : محمد زروال : المصدر نفسه .

⁸⁹⁷ محمد حربي : " مؤامرة العموري "، ترجمة : محمد هناد، مجلة نقد، شتاء 2001، عدد 14 / 15

، الجزائر، ص 10 ، 11 .

لهم المؤتمر صلاحيات التحكم في العسكريين،⁸⁹⁸ واستطاع قائد الحارس القومي التونسي محجوب بن علي أن يجد شخصي عمار بوقلاز المكلف بنقل وتزويد المجاهدين بالأسلحة على الحدود الشرقية، غير أن بوقلاز لم يكن متحكم في الأوراسيين ولا في السوفيين التابعين لطالب العربي والبحث عن كيفية تجاوز هذه العقبات⁸⁹⁹.

ونجد أن أحمد محساس المكلف من القيادة الخارجية قد نقد قرارات وموائق مؤتمر الصومام و التي من بينها أسبقية الداخل على الخارج وألوية السياسي على العمل العسكري وكان يرى أن العمل سابقا لأوانه. كما قامت لجنة التنسيق والتنفيذ⁹⁰⁰ المنفردة بقرارها بتعيين مسؤولين جدد في الخارج، مما أحدث أزمات في باريس وتونس والقاهرة⁹⁰¹ لدى بعض المسؤولين الأوائل في الثورة وبالخصوص قيادات منطقة الأوراس المرابطة على الحدود التونسية⁹⁰²، وعند استقرار لجنة التنسيق والتنفيذ بتونس عملوا على تحيئة محساس من مسؤوليته وتجريده منها لأنه رفض مساندة مقررات مؤتمر الصومام وعض ب " عمر أوعمران" ورفاقه عمار بن عودة و ابراهيم مزهودي⁹⁰³.

وبعد اختطاف الطائرة التي كان فيها بن بلة ورفقائه بادر محساس بالعديد من الاتصالات بالخارج والداخل لجمعهم حول اعتبار على أنه الخليفة الطبيعي لبن بلة، وعمل على دعوة عقد اجتماع في الحدود الجبهة الشرقية بمشاركة عمار بوقلاز وعبد الله بلهوشات ومسعود بن عيسى وعمر بن بولعيد والباهي شوشان وللزهر شريط وممثلين لمنطقة سوق

⁸⁹⁸ : محمد زروال : المصدر السابق، ص 259 - 267 .

⁸⁹⁹ محمد حربي : " مؤامرة العموري "، المرجع السابق، ص 12 .

⁹⁰⁰ MOHAMMED HARBI : les archives. Op , cit , p 168 .

⁹⁰¹ محمد عباس : ثوار عظماء، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 154 ، 155 .

⁹⁰² محمد حربي : مجلة نقد ، عدد 14 / 15، المرجع السابق، ص 12 .

⁹⁰³ الطاهر سعيداني : مذكرات الرائد، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2001، ص 156 .

أهراس وسدراتة وخنشلة وتبسة من خلال اجتماع لهم في 15 ديسمبر 1956، انتهى اجتماعهم بقرارات منها:

(1) عدم الاعتراف بقرارات مؤتمر الصومام بحجة عدم وجود ممثلين عن جميع المناطق الداخلية و ممثلين عن الخارج.

(2) تطهير منطقة تونس بإبعاد جميع العناصر التي سببت الفوضى وعرقلة سير عمل الثورة

(3) يعهد لمنطقة سوق أهراس بأداء مهمة التموين بالسلح لولايات الداخل.

(4) تجديد الثقة في المجاهدين على محساس للقيام بجميع أعمال الجيش السياسية والعسكرية في الخارج وتمثيل جيش التحرير الوطني⁹⁰⁴.

على اثر هذا التغيير اتصل محساس بقيادة " القاعدة الشرقية" التي أرسلت فوجا من المجاهدين من القاعدة قاموا بتنحية ابن عودة وارجع محساس الى منصبه وانعقاد بعدها اجتماع ترأسه علي محساس حضره قادة من القاعدة الشرقية أمثال رابح نوار والأزهر شريط في الولاية الأولى وطالبوا من خلاله محساس البقاء في مكانه وأبدوا استعداداه لحمايته⁹⁰⁵ وهو اجتماع غار الدماء على الحدود التونسية خرجوا فيه بقرارات إلى عدم الاعتراف بقرارات مؤتمر الصومام بحجة أن الولاية الأولى لم تكن عضوا ممثلا هناك، والتطرق إلى الوضعية السياسية العامة بالولاية الأولى بحيث عمل هؤلاء المجاهدون أمثال محساس والسعيد عبد الحي ونائبه عبد الكريم هالي وعباس الغرور والطالب العربي وغيرهم، بدعم من

⁹⁰⁴ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 291 - 293 ،

⁹⁰⁵ الطاهر سعيداني : المصدر السابق، ص 156 .

أحمد بن بلة على ضرورة تكوين قيادة عليا للثورة مستقلة عن القيادة في الداخل والوفد الخارجي في القاهرة على سواء⁹⁰⁶.

إن هذه الأمور هي التي جعلت من أو عمران يأمر أتباعه باغتيال محساس⁹⁰⁷ واستعمال القوة بأمر من عبان فقامت جنوده بمحاصرة محساس حيث القي عليه القبض ووجد من سلاحه وحول الى المحاكمة⁹⁰⁸ لكن الحكومة التونسية قامت بحمايته ومساعدته في الفرار إلى روما ولم يتمكنوا منه،⁹⁰⁹ وبذلك تم تخلص تونس وجماعة التنسيق والتنفيذ من محساس بدافع إيديولوجي وليس تنظيمي كما يعتقد البعض⁹¹⁰.

ويذكر احد الكتاب التونسيين المعارضين أنه بعد حادثة اختطاف الطائرة التي بها الزعماء الجزائريين سنة 1956 استغلت الحكومة التونسية هذه الحادثة وقامت بتصفية العناصر الرافضة إلى الاتجاه البورقيبي في الثورة الجزائرية معتبرة إياهم " عملاء القاهرة" وبدأت عملية مطاردة الثوار الجزائريين واختطافهم بمنطقة الرديف وتوزر ونفطة بمساعدة الجيش الفرنسي، وبعد أن شعر الطالب العربي قائد المنطقة الصحراوية بالخطر الذي يهدده وهو أتباعه التجأ الى ليبيا، إلا أن الحكومة التونسية لاحقتهم في المناطق الليبية بالرمادة

⁹⁰⁶ محمد زروال : اللامشحة في الثورة، دراسة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003 ، ص 306 .

⁹⁰⁷ الطاهر سعيداني : المصدر السابق، ص 158 ، 159 .

⁹⁰⁸ للمزيد من الاطلاع ينظر : محمد خيشان : مهام الوفد الخارجي بجهة التحرير الوطني بالقاهرة

1947 - 1957، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001 - 2002، ص 128 -

. 136

⁹⁰⁹ الطاهر سعيداني : المصدر السابق، ص 158 ، 159 .

⁹¹⁰ أحمد محساس : " عارضت مؤتمر الصومام بسبب قناعات إيديولوجيا ! "، جريدة الخبر اليومية،

العدد 2 / 9 / 1999 .

وحصارهم هناك، وألقت القبض على الطالب العربي وبعض أتباعه وسيق بهم الى السجون التونسية⁹¹¹.

كما قامت القيادة الجزائرية بتونس بالتعاون مع الحكومة التونسية بتهميش وتصفية الكثير من العناصر المشوشة ولم تستثني منهم القلة الجزائرية بالقاهرة وتونس أنصار بن بلة وبوضياف⁹¹² وألقت القبض على كل من السعيد عبد الحي والسعيد بوخالفة ومحمد بن علي وعلى بن محمد وعبد الكريم هالي وكل من عباس الغرور⁹¹³ ومحمد منتوري وتيجاني عثمانى وسيقوا جميعا إلى السجن بالمكان المسمى "نبر" بنواحي سوق الأربعاء⁹¹⁴، كما سيق إلى السجن لزهر شريط الطامح لتولي قيادة تبسة، نظرا لسجله الحافل بالمقاومة بالمنطقة، فقد أبدى معارضة شديدة لقرارات مؤتمر الصومام وقيادته، وأصدرت قيادة الثورة أمرا بالقبض

⁹¹¹ ALEYA SGHAEIR amira : « **les tunisiens et la révolution Algérienne ;1954 –1958** ». IN ACTE DU 1 congrès du forum d'histoire contemporaine sur : méthodologie de l'histoire des mouvements nationaux au Maghreb ; publications de la fondation temimi pour la recherche scientifique et de l'information (F. T . R . S . I) ; Zaghouan ; septembre 1988 . P 119 – 122.

⁹¹² منور مروش : **المرجع السابق**، ص 155 – 165 .

⁹¹³ كان عباس لغرور من طلائع الأوئل لثورة من الفاتح من نوفمبر 1954 ، كلف بالهجوم على مدينة خنشلة، ثم أصبح نائب للبشير شيحاني في قيادة الأوراس الولاية الأولى – قيادة اللمامشة –، سرعان ما تمرد على قيادة الثورة، ولم يعترف بمقررات الصومام ولا حتى بقيادة الولاية الأولى المشكلة من طرف المؤتمر، ليحكم عليه بالإعدام فيما بعد، ينظر : محمد زروال : **إشكالية القيادة ، المصدر السابق**، ص 84 – 208 .

⁹¹⁴ محمد زروال : **اللامامشة في الثورة، المصدر السابق**، ص 377 – 380 .

عليه وبعد مجهودات سلم نفسه في 13 ماي 1957 وجرت محاكمة⁹¹⁵ في مدينة تبرصق يوم 27 جويلية 1957، في محاكمة ترأسها عبد الله بن طوبال وعمار بن عودة نائبه وعمار بوقلاز عضوا ومحمود الشريف عضوا الذي أصبح قائدا على الولاية الأولى في أفريل 1957 بقرار من قيادة الثورة، وصادر حكم بالإعدام في حق لزهر شريط ومحمد بن علي والباهي شوشان وعبد الحفيظ سوفي، ونفذ إعدام لزهر شريط في جبل بوربعة⁹¹⁶، كما اعدم بقية المجاهدين الآخرين أمثال عبد الحي وعباس غرور... الخ⁹¹⁷.

وبناء على شهادة المجاهد على بوغزالة فإن الثورة أقدمت في هذه الفترة 1957 على إعدام 14 إطارا ثوريا في أبناء ناحية واد سوف وحدها و يضيف قائلا أن الروايات تتفق على أن حوالي 52 أو 24 من خيرة إطارات الولاية الأولى قد أعدمتم قيادة الثورة نتيجة معارضتهم لمؤتمر الصومام⁹¹⁸، وعلى إثر هذه الاغتيالات ظهرت أزمة جبل الشعامبي في سنة 1959⁹¹⁹ على الملأ كان عدد هؤلاء المجاهدين حوالي 200 مجاهد قدموا بصفة خاصة من جبال الأوراس والناماشة واغلبهم من المناطق 1 و2 و6 التابعة لولاية الأولى رفضوا أوامر السلطة العليا للثورة وتحصنوا بالجبال في ثلاث وحدات يترأسهم عثمانى جيلالي كانوا يكافحون من أجل الوطن ويدافعون عن الإسلام وشاركوا في العديد من

⁹¹⁵ كان عدد هؤلاء المجاهدين قرابة 200 فرد، بعد اصدر حكم الإعدام عليهم كان تنفيذهم بخروج كل ليلة أربعة منهم حسب الترتيب الأبجدي ليعدموهم، ينظر : مصطفى مرادة : **مذكرات الرائد مصطفى مرادة ابن النوي ، قائد بالنيابة للولاية الأولى التاريخية " أوراس النمامشة " من افريل 1959 الى أفريل 1960، شهادات ومواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى ، إعداد وتحرير : مسعود فلوسي ، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003 ، ص 81 .**

⁹¹⁶ محمد زروال : **إشكالية القيادة، المصدر السابق، ص 380 – 383 .**

⁹¹⁷ محمد زروال : **إشكالية القيادة، المصدر نفسه، ص 208 .**

⁹¹⁸ محمد زروال : **المامشة في الثورة، المصدر السابق، ص 361 .**

⁹¹⁹ مصطفى مرادة : **المصدر السابق، ص 128 .**

المعارك التي دارت على الأراضي التونسية والنامشية وتأثروا لموت زملائهم البشير شبحاني وبين بولعيد واغتاظوا لإعدام زملائهم من المجاهدين الذين طبق في حقهم الإعدام الجماعي من طرف قيادة الثورة أمثال عباس الغرور ولزهر شريط والباهي الحارثي والعموري وعواشيرية ونواورة ومصطفى الأكلح وطلبة مثل زاوش منتوري والطاهر زعرور آثار وخيمة على نفوس المجاهدين المرابطين في الجبل الشعاني⁹²⁰.

وكان من الصعوبة إقناع هؤلاء المجاهدين بالنزول من الجبل والعودة لصفوف جيش التحرير الوطني فكلف كلا من العقيدان محمد على السعيد والحاج لخضر المكلفان بقيادة العمليات العسكرية في قيادة الولاية الأولى بهدف إقناعهم ولكن دون جدوى ثم زارهم وزيران من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية هما كريم بلقاسم وعبد الله بن طوبال مع ذلك بقوا مصريين على قراراتهم وبقائهم في الجبال وعلى اثر عملية إعادة التنظيم للوحدات العسكرية على الحدود التي بادرت بها قيادة الأركان العامة لجيش التحرير وعقد مع نهاية 1959 مؤتمر للمجلس الوطني للثورة الجزائرية بناء على طلب خاص من "العقد العشرة" الذي احدث تغييرا في وضعية أولئك الذين كانوا يسمون بالمشوشين حيث ادمج مجاهدي جبل الشعاني في الوحدات القتالية في جيش التحرير⁹²¹.

⁹²⁰ عبد الرزاق بوحارة : منابع التحرير، أجيال في مواجهة القدر ، ترجمة : صالح عبد النوري ، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين، قصبة للنشر، الجزائر، 2005، 188 - 203 .

⁹²¹ عبد الرزاق بوحارة : المصدر نفسه، ص 188 - 204 .

(2) قضية العموري:

بدأت فصول هذه القضية بعد أول اجتماع لقيادات العمليات العسكرية في 26 أبريل 1958⁹²² حيث عالج عدة إجراءات تخص الضباط من الجيش الفرنسي وتسوية وضعيتهم وإدماجهم داخل صفوف جيش التحرير الوطني في دورات اجتماع المنعقد بـ2 جوان 1958 أثار العموري⁹²³ مشكلة سياسية تتعلق بعمل المؤسسات، وقد وافقت القيادة على ذلك وبعثت

⁹²² حضر الاجتماع كريم بلقاسم وبن طويال، كما حضره أيضا العقداء : محمدي السعيد، العموري، بوقلاز، الرائد بن عودة، قسمت القيادة إلى قسمين :

- قيادة العمليات العسكرية (COM) الشرقية، بتونس، وكانت تحت قيادة العقيد محمدي السعيد، وضمت العقداء محمد لعموري، عمار بوقلاز، عمار بن عودة، وتشمل سلطاتها الولايات، الأولى، الثانية، الثالثة، ومقرها الرئيسي الكاف بالتراب التونسي .

- قيادة العمليات العسكرية (COM) الغربية، بالمغرب، وكانت تحت إمرة العقيد الهواري بومدين، والعقيد دهيلس عضوا، وتشمل سلطاتها الولايتان، الرابعة والخامسة، ومقرها الرئيسي بالناظور بالتراب المغربي المراكشي .

أما الولاية السادسة (فرع الصحراء)، فكانت مرتبطة عضويا بقيادة الغرب، لكن كانت تابعة لقيادة الشرق ، وعين على رأسها احمد بن عبد الرزاق بعد ترقيته إلى رتبة عقيد، ينظر : محمد حربي : " مؤامرة العموري " ، المرجع السابق، ص 15 .

⁹²³ العقيد محمد العموري، من مواليد 3 جوان 1929 ، بأولاد سي علي ببلدية عين ياقوت بالأوراس، في عائلة تمارس الفلاحة، حفظ ما تيسر من القرآن الكريم، وزاول دراسته الابتدائية ببلدته، ثم واصل تعليمه بمعهد ابن باديس بقسنطينة حتى سنة 1947، وعاد إلى بلدته ومارس حرفة التجارة والنشاط السياسي في الحركة الوطنية، القيا عليه القبض من طرف القوات الفرنسية ودخل السجن مابين 1951 إلى 1952، التحق بعدها بصفوف جيش التحرير الوطني 1955، ورقيا سنة 1956 الى رتبة نقيب ، وكان يتحدث باسم الولاية الأولى، وفي أبريل 1957 عين عضوا في القيادة الولائية الأولى مكلف بالجانب السياسي ، ينظر : جمعية رواد مسيرة الثورة في منطقة الأوراس : شهداء منطقة الأوراس، ج1 ، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2002 ، ص 300 ، 301 .

برسالة الى لجنة التنسيق والتنفيذ تطلب خلالها توضيحات حول مشروع الحكومة المؤقتة وحول دور المجلس الوطني للثورة⁹²⁴، ودامت فترة قيادة العمليات العسكرية الشرقية خمسة شهور فيها كثير من غياب الثقة بين عناصرها⁹²⁵ وشهدت تحالف بين العقداء بوقلاز وبن عودة والعموري ضد محمدي السعيد ودخول قيادات العمليات الشرقية في صراعات واتهامات متبادلة فيما بينهم، وعلى هذا الأساس قرر كريم بلقاسم في شهر أوت 1958 نتيجة مفادها إخفاق العمليات الشرقية بتونس، فاستدعى أعضائها إلى القاهرة لمعاقتهم وفي 9 سبتمبر اجتمعت لجنة التنسيق والتنفيذ لتتزل العقوبات على أعضاء القيادة في 13 سبتمبر كالآتي :

_ محمدي السعيد: تعليق كل نشاطاته لمدة شهر والإقامة الجبرية في القاهرة .

_ عمار بن عودة: تعليق كل نشاطه لمدة ثلاثة أشهر مع الإقامة الجبرية في لبنان.

_ عمار بوقلاز: تنزيل رتبته من عقيد إلى نقيب بسبب أثارة الشقاق مع الإقامة الجبرية في العراق .

_ محمد العموري: تعليق كل نشاطاته لفترة غير محدودة وتنزيل رتبته لنقيب بسبب إثارة الشقاق والجهوية اتهم بالعداء للقبائل مع إقامة جبرية بجدة⁹²⁶.

في الفاتح من شهر أكتوبر 1958 أقدمت الحكومة المؤقتة على إنشاء قيادتي الأركان في كل من الشرق والغرب، كلف محمدي السعيد بقيادة الأولى مع بعض الضباط المعاقبين والثانية بقيادة الهواري بومدين لكن بعض القيادات أمثال عواشرية بنفسه يقول: " قلنا لكريم (وزير القوات المسلحة) في أكتوبر 1958 غداة تعيين هيئة أركان الشرقية بقيادة

⁹²⁴ محمد حربي : مجلة نقد، عدد 14 / 15، المرجع السابق، ص 16 .

⁹²⁵ محمد زروال : إشكالية القيادة، المصدر السابق، ص 380 .

⁹²⁶ محمد حربي : مجلة نقد، عدد 14 / 15، المرجع السابق، ص 16، 17 .

العقيد ناصر (محمدي السعيد) ولا يمكن أن يمارس ناصر مهامه قبل عودة الأعضاء الآخرين في قيادة العمليات العسكرية المحلولة (يعني عودة كل من بن عودة و بوقلاز والعموري) " وأكد على ضرورة عودتهم وبيضيف قائلاً: "لا يمكن لمنجلي أن يقود المنطقة الحدودية لأنه لا يفهم الوضعية"⁹²⁷، كما جمع العقيد نواورة قيادة أركانه بمنطقة تجورين في 13 أكتوبر 1958 بغرض رفض أوامر الحكومة المؤقتة لأنها صعبة ومستحيلة التنفيذ وكان كلامه ينم عن استياء كبير في التفرقة في التعامل مع محمدي السعيد والعموري وبوقلاز وأن هذا عمل عنصري وأبلغ الحاضرين بضرورة عودة العموري⁹²⁸.

في خضم هذه الأحداث التقى العموري مع مصطفى لكحل بالقاهرة المعروف باسم جمعي سعدية ذو توجه فكري وحدوي بحيث كان يقدم المساندة للحكومة المصرية ودعم الأمير عبد الكريم الخطابي صالح بن يوسف اللذان كانا يتأملان في تعميم الثورة في كل أقطار المغرب العربي، فتأثر به العموري وبايديولوجياته التحريرية في مغربة الحرب ومساندته لأفكار بعض القادة في مصر الراضين لمؤتمر طنجة وفي تشكيل الحكومة المؤقتة في الجزائر عقب التقاء العموري بفتححي الديب بواسطة مصطفى الأكل⁹²⁹.

وبعد العديد من الاتصالات التي قام بها العقيد العموري والرائد مصطفى لكحل وعقد اجتماع في 12 نوفمبر 1958 برئاسة العموري وحضره كل من نواورة وبلهوشات وصالح السوفي عن الولاية الأولى واحمد راية والشويش عيساني ومحمد الشريف مساعدية عن القاعدة الشرقية وكان جدول الأعمال ما يلي :

⁹²⁷ محمد عباس : " الرائد عبد الرحمان بن سالم، من " دلين داين فو " الى جبال بني صالح "، الشروق اليومي، الجزائر، الأربعاء 11 / مارس 2009 .

⁹²⁸ محمد حربي : مجلة نقد، عدد 14 / 15، المرجع السابق، ص 17 ، 18 .

⁹²⁹ Mohamed harbi :le F.L.N MIRAGE ET REALITE: op , cit ;226 .227.

_ الإبقاء على الحدود والقواعد في يد الولاية الأولى والقاعدة الشرقية بكل الوسائل بما في ذلك اللجوء إلى استعمال القوة إن اقضي الحال والتكفل بقاعدة تونس والمصالح التابعة لهما بما في ذلك مراكز الإيصالات وتعيين شخصية عسكرية على رأس هذه القاعدة .

_ الحجز الفعلي للوزراء (في الحكومة) الحاضرين بتونس وإفادتهم بالشروط المطلوبة أعلاه عليهم أن يوقعوا عليها قبل العودة إلى القاهرة .

_ تعيين لجنة مراقبة مكلفة بالسهر على التسيير الحسن للأموال الخارجية.⁹³⁰

وتم الموافقة على الجدول الأعمال وبدأت المناقشة تدخل الحرس القومي التونسي لإلقاء القبض على المجتمعين وبعد أن أبلغ الواشي عمر قرام أعضاء الحكومة المؤقتة بالاجتماع⁹³¹، تم توقيف هؤلاء المتآمرين بنوفمبر بين 12 و 14 نوفمبر 1958⁹³² .

وتكتب بعض المصادر أن الذي كان وراء هذه المؤامرة المخابرات المصرية وبعض الوحدات القتالية الداعية لوحدة الكفاح المسلح وتم محاكمتهم في 20 فيفري 1959⁹³³ واصدر أحكامها في 28 فيفري أربعة أحكام بالإعدام في حق كل من محمد العموري وأحمد نواورة ومحمد عواشرية وعلى رغداني المدعو مصطفى الأكل، وتسعة أحكام أخرى

⁹³⁰ محمد حربي : مجلة نقد، عدد 14 / 15، المرجع السابق، ص 18 ، 19 .

⁹³¹ ابلغ عمار قرام أعضاء الحكومة المؤقتة منهم ، فرحات عباس وكريم بلقاسم ويوصوف، وعبد الله بن طوبال، وهدام، بمقر الديوان السياسي للحزب الدستوري بحضور الطبيب المعري والباهي الادغم، ينظر : مصطفى مرادة : المصدر السابق، ص 103 .

⁹³² محمد حربي : مجلة نقد، عدد 14 / 15، المرجع السابق، ص 19.

⁹³³ جرت جلسات التحقيق مع المتآمرين في مركز الدندان بتونس، للمزيد ينظر : محمد زروال : إشكالية القيادة، المصدر السابق، ص 401 ، 402.

بالسجن في حق كل من عبد الله بلهوشات والعيساني شويشي ومحمد شريف المساعدة
واحمد دراية ومحمد ملوح وصلاح قوجيل وعبد الحميد زناتي وعمر عقون ومحمود الوالي⁹³⁴

⁹³⁴ كانت المحكمة العليا مشكلة على النحو التالي :

- العقيد بومدين : رئيسا
 - العقيد الصادق : قاضيا .
 - الرائد سليمان : قاضيا .
 - الملازم زرداني عبد العزيز : محلفا .
 - الملازم الاول : فلاح محمد : محلفا .
 - الملازم الاول : معشيش علي : محلفا
 - المرشح روابح أحمد : كاتب الضبط
- بحضور النقيب علي منجلي محافظ الحكومة، ينظر : محمد حربي : " مؤامرة العموري "، المرجع السابق، ص 26 - 35.

ثالثاً: تهيش وتصفية عناصر الكفاح المشترك في تونس

كما هو معروف سلك بورقيبة سياسة المراحل مع فرنسا بهدف حصول تونس على استقلالها، بادر مع السلطات الفرنسية في اتصالات مع بورقيبة سابقاً لتأسيس لجنة تحرير المغرب العربي. وقام بورقيبة باسم اللجنة بزيارة العديد من الأقطار العربية، مما ساعد ذلك على رواج اسمه في الوطن العربي⁹³⁵، بيد أنه لم يلبث أن انفصل عن أمانة اللجنة بعد أن تأكدت لقاءاته بأعضاء السفارة الفرنسية في القاهرة⁹³⁶، وهو كغيره من السياسيين كان يعتقد بأن حل المسألة التونسية سيتحقق عبر النضال السياسي فلم يتوانى بالاتصال بالمسؤولين الفرنسيين، وحينما عاد إلى تونس في سبتمبر 1949 أعلن أنه قد: "حان وقت لأن يقع تغيير الله في الإدارة الفرنسية في تونس"⁹³⁷، فاخذ يجول في طول البلاد وعرضها لإعداد الرأي العام التونسي على تقبل هذا التغيير، ثم سافر إلى فرنسا في أبريل 1950 ليقدم ما يسمى بمشروع "النقط السبع"، وإثر ذلك طرح للصحفيين أن تونس بلد صغير وضعيف بينما موقعه الاستراتيجي مهم، ولذلك فلا يمكن الاستغناء عن الاستناد إلى دولة عظيمة وقوية تحميه من العدوان وهذه القوة هي فرنسا وأضاف قائلاً: " قد كنت صرحت لحاكم التحقيق في

⁹³⁵ محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 179 .

⁹³⁶ طاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 85 .

⁹³⁷ محمد الحبيب شلبي - وكيل المدير العام للحزب الدستوري القديم - مذكرة الى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية عن " القضية التونسية وتطوراتها بعد الحرب الأخيرة " ، بتاريخ 7 / 9 / 1954 ، ينظر : محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 180 .

نيسان أبريل 1938 بأن تونس في حاجة إلى حماية فرنسية سواء بمعاهدة باردو⁹³⁸ أو دونها⁹³⁹.

فضلا عن خرق بورقبيية الصريح لميثاق لجنة تحرير المغرب العربي، فإنه استنكر فكرة وحدة الصراع ضد الاستعمار بحجة وجود خصوصيات تميز الأقطار المغاربية الثلاثة عن بعضها البعض، يتساءل: " لماذا أربط قضية تونس بالقضية الجزائرية، في حين أن الجزائر ليست إلا مستعمرة فرنسية مندمجة اندماجا عميقا، إما المغرب الأقصى فإن العهد المظلم الذي يعيشه... يجعل وجود فرنسا أمرا ضروريا له"⁹⁴⁰.

واستنكر الرأي العام في شمال إفريقيا لموقف تونس من هذه المفاوضات فأصدر الحزب الدستوري القديم شرح فيه أبعاد وخطورة حكومة شنيق التفاوضية⁹⁴¹ كما ندد بأعضاء الحزب الدستوري الجديد، ومن خارج القطر التونسي تلقى الأمير تقارير من رئيس مكتب لجنة تحرير في لبنان يطلب فيها توضيحات بخصوص ما يجري في تونس حتى نرسم خطة عمل والنضال المشترك ضد ما يحاك للوطن من مؤامرات ويبعث له من نيات⁹⁴² وترث الخطابى حتى ينجلي الموقف تماما، فاستغل بورقبيية هذا الانتظار ليبادر بنفسه

⁹³⁸ قصر إقامة بايات تونس وتم فيه التوقيع على معاهدة باردو، وبموجبها فرضت الإدارة الفرنسية الحماية على تونس 1881 م.

⁹³⁹ محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 180 .

⁹⁴⁰ ابراهيم طوبال : البديل الثوري في تونس، ط1، بيروت، لبنان، 1979، ص 75 .

⁹⁴¹ طاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 90 - 106 .

⁹⁴² من بوعزة الجزائري الى الأمير عبد الكريم الخطابي، مجموعة وثائق أمزيان، ينظر : محمد امزيان

: محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 182 .

بكتابة برقية إلى الأمير الخطابي مبررا فيه دوافع المشاركة مع الحكومة الفرنسية بكونها خطة تساعد على نقل الحكم والسيادة إلى أيدي التونسيين أصحاب البلاد⁹⁴³.

على الرغم من إدعاء الحبيب بورقيبة بأن الحكومة المشتركة خطوة لنقل سلطة الى التونسيين، فإن مقاومة الشعب ورفضه المزايدي على القضية الوطنية أدى إلى فشل مهمة الوزارة التفاوضية وبالتالي اشتد القمع والتكيل وقبل ذلك اندلاع العنف في مختلف المناطق التونسية لتبدل بذلك عمليات عسكرية متفرقة سرعان ما تطورت إلى حرب منظمة تقوم بها فصائل من قوات جيش التحرير المغرب العربي بدعم من الأمير عبد الكريم الخطابي وتحت قيادة صالح بن يوسف التونسي⁹⁴⁴.

وكان بورقيبة لا يخفي نواياه الحسنة اتجاه فرنسية، مما دفع من رئيس الحكومة الفرنسية ادغارفور⁹⁴⁵ إلى الاستفادة من ذلك الشعور الطيب وهكذا اجتمع الرئيس الفرنسي مندريس فرانس يوم 16 يوليو 1954 مع الحبيب بورقيبة في لقاء صرح به في قرطاج حول منح استقلال الداخلي لتونس، بدأت مفاوضات الثنائية إلى أن انتهت إلى منح الاستقلال السياسي لتونس⁹⁴⁶.

لكن وجدت الحكومة التونسية مع بورقيبة و الحكومة الفرنسية عقبة تمثلت في وجود فصائل تابعة لجيش تحرير المغرب العربي لا تخضع لأوامر الحزب ومن هنا بدأت المؤامرة القضاء عليه، ففي المرحلة الأولى طلبت القوات الفرنسية من بورقيبة دعوة المقاتلين إلى إلقاء سلاحهم والاستسلام للسلطات الفرنسية لكن الأغلبية منهم رفض تسليم سلاحه حتى

⁹⁴³ من الحبيب بورقيبة الى الأمير عبد الكريم الخطابي، بتاريخ 24 / 05 / 1950، مجموعة وثائق

أمزيان، ينظر : محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع نفسه، ص 182 .

⁹⁴⁴ المصدر نفسه، ص 184 ، 185 .

⁹⁴⁵ تولى رئاسة الوزارة الفرنسية في جانفي 1951، قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية في سنة 1954 ،

⁹⁴⁶ طاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 135 .

يتحقق الهدف الأساسي الذي قام عليه جيش التحرير المغربي العربي لذلك شرع بورقبيبة في تتبع قادة جيش التحرير والضغط عليهم والتتكيل بأفرادها⁹⁴⁷.

وفي ظل المفاوضات التونسية الفرنسية واصل صالح بن يوسف وأتباعه نشاطهم الثوري في سبيل تحقيق إيديولوجيات التي تعاهدوا عليها أثناء تأسيسهم لجنة تحرير المغرب العربي وجيش تحرير المغرب العربي، فطرد بن يوسف من أمانة الحزب الدستوري بإيحاء من السلطات الفرنسية وبخاصة بعد خطابه الثوري في جامع الزيتونة يوم 7 أكتوبر 1959 وما أحدثه من رجة فعلية خاصة وأن المفوضية السامية الفرنسية بتونس طالبت في حينه بعد خطابه مباشرة اتخاذ إجراءات حاسمة ضد بن يوسف لان مستقبل الاتفاقيات الممضاة سوف يكون حالك إذا لم تتخذ قرارات في ذلك" فصدر قرار الفصل من بورقبيبة يوم 8 أكتوبر و 12 أكتوبر باسم الديوان السياسي من الأمانة⁹⁴⁸.

مع تأزم الوضع التحق بن يوسف بليبيا وتحالف مع المعارضة المسلحة بقيادة الطاهر الأسود واستحدث نظام بورقبيبة ما يعرف بلجان الرعاية⁹⁴⁹ وهي فرقة أو نوع من الميليشيات متكونة من 5 أفراد إلى 100 فرد ينشط في المدن يقودها قداماء المقاومون من الفلاحة أمثال عبد العزيز الورداني والساسي الأسود، لزهر الشريطي ومصباح جربوع، محجوب بن علي وظيفتها متابعة المعارضين والمشبهين وإيقافهم ولها حرية التصرف في التعامل مع المعارضة، ملاحقة اليوسفيين وتصفيتهم وتعذيبهم حتى القتل أحيانا وكانت هذه

⁹⁴⁷ محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع نفسه، ص 185 ، 186 .

⁹⁴⁸ عميرة عليه الصغير: المرجع السابق، ص 48 .

⁹⁴⁹ هي عبارة عن مجموعات أو مليشيات من المدنيين المسلحين بأسلحة نارية أو بيضاء، يعملون بالزي المدني، تحت عناصر قيادة قداماء المقاومين البورقبيين"الفلاحة"، ينظر : عميرة عليه الصغير: المصدر نفسه، ص 53 - 57 .

الميليشيات متعاونة مع القوات الفرنسية في ملاحقة عصابات اليوسفيين⁹⁵⁰ ولم يوضع حد لنشاط هذه اللجان إلا في 6 جويلية 1956 بعد انتهاء خطر المعارضة اليوسفية⁹⁵¹.

كما لجأ نظام بورقيبة إلى توظيف القضاء السياسي، حيث أحدث محكمة جديدة بأمر من المحكمة الجنائية الخاصة في تاريخ 28 جانفي 1956، وبأمر من محكمة القضاء العليا والمحكمة الجنائية العليا بتاريخ 19 أفريل 1956 وعرفت هذه المحاكمة بالمحكمة الشعبية⁹⁵² وبدأت العمل في أواخر 1955⁹⁵³ واستمر عملها لمدة ثلاثة سنوات إلى غاية شهر أكتوبر 1956 حيث حكمت في مدة 5 أشهر من شهر ماي إلى شهر سبتمبر 1956 على 212 من اليوسفيين وغيرهم، وصدر في حق اليوسفيين في 3 لأكتوبر 1959 حوالي 53 حكم إعدام نفذت أغلبها وحكم على الكثير منهم بالأعمال الشاقة، وعلى بعضهم بالمؤبد وحكمت على الزعيم المعارض صالح بن يوسف غيابيا بالإعدام مرتين في جانفي 1957 وديسمبر 1958⁹⁵⁴ ويذكر الطاهر عبد الله أن المحكمة أحيل عليها إلى تاريخ حلها أكتوبر 1959 حوالي 1200 مناضل أعدم منهم حوالي 500 شهيد، ومنهم من حكم عليهم غيابيا⁹⁵⁵ وتمكنت السلطات التونسية من إلقاء القبض على الطاهر الأسود بعد أن سلم نفسه في

⁹⁵⁰ المصدر نفسه، ص 54 - 69 .

⁹⁵¹ نفسه، ص 53 .

⁹⁵² المحكمة الشعبية : هي محكمة وضعت بهدف تصفية المعارضة اليوسفية، أعضائها معروفين بولائهم لبورقيبة ، مهمتها النظر في القضايا ذات الصبغة السياسية بالخصوص، ينظر : المصدر نفسه، ص 78 .

⁹⁵³ طاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 163 - 168 .

⁹⁵⁴ ابراهيم طوبال : المصدر السابق، ص 48 .

⁹⁵⁵ طاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 163 - 168 .

شهر ماي 1956 فتحت خلاف بينه وبين صالح بن يوسف في مفاوضات جرت بحضور جزائري حول " تسيير شؤون جيش التحرير داخل تونس لمواصلة الكفاح المسلح" ⁹⁵⁶.

وتمكن بورقيبة في شهر أوت 1961 في التخلص من غريمه صالح بن يوسف وقتله بفرانكفورت بعد فراره إلى ألمانيا 12 أوت 1961 معترفا بجريمته ⁹⁵⁷، وكانت حادثة الاغتيال ضربة قاسية للمعارضة أضحت فاقدة لمغزى وجودها ⁹⁵⁸، بعد استقلال تونس وبعد المؤامرة أو محاولة الانقلاب على النظام في شهر ديسمبر 1962 مع مجموعة من 112 ضابطا من العسكريين والسياسيين الذين تم إلقاء القبض عليهم ومحاكمتهم في جانفي 1963 وتأكيد بورقيبة على أنها كانت خليط قدماء الفلاحة والعسكريين واليوسفيين ويتهم نظام بن بلة بتقديم الدعم لهم وخصوصا بعد استقبال الجزائر لرموز المؤامرة والمناضلين اليوسفيين أمثال إبراهيم طوبال وعبد العزيز شوشان أو تسهيل هروب أحد الضالعين في المؤامرة والمحكوم عليهم غيابيا كالسيد المسطاري بن السعيد ⁹⁵⁹، وهكذا تمكنت الحكومة التونسية بالتعاون مع السلطات الفرنسية من فرض قوتها وسيطرتها بالحديد والنار وبمساندة الاتجاه المسالم التفاوضي والممثل في الحبيب بورقيبة وأتباعه. ⁹⁶⁰

⁹⁵⁶ بشير القاضي : المرجع السابق، ص 176 .

⁹⁵⁷ ابراهيم طوبال : المصدر السابق، ص 48 ، 49 .

⁹⁵⁸ عميرة عليه الصغير: المصدر السابق، ص 95 .

⁹⁵⁹ عميرة عليه الصغير: المصدر نفسه، ص 94 .

⁹⁶⁰ محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 186 .

رابعاً: تهمة وتصفية عناصر الكفاح المسلح في المغرب الأقصى

بالنسبة إلى المغرب الأقصى فقد بدأت المفاوضات بين فرنسا ومحمد الخامس العائد من المنفى وعلى نفس الأسس التي جرت عليها مفاوضات تونس، طالبت القوات الفرنسية بضرورة وقف عناصر جيش تحرير المغرب وعملياتهم العسكرية والتزام الهدوء وحينما تم الإعلان عن استقلال المغرب في مارس ودعوة جيش التحرير على ضرورة تسليم سلاحه واندماجه في الجيش الملكي⁹⁶¹ وإعلان علال الفاسي في القاهرة بمناسبة " نهاية المعارك الحربية"⁹⁶² أن أغلبية قوات جيش التحرير رفضت فكرة الاندماج وأصررت على مواصلة الكفاح واستأنفت كتائب جيش التحرير عملياتها العسكرية في الأقاليم الشرقية والشمالية الغربية في البلاد⁹⁶³ ورفض الخضوع للزعامات سياسية داخل البلاد، ولعبت دوراً خطراً على الحالة السياسية للبلاد ولهذا توجه زعماء حزب الاستقلال إلى الريف لإقناع قادة الجيش بإيقاف القتال، وتسبب هذا في إحداث بلبلة وخيبة أمل بين رجال حرب العصابات الذين كانوا يتوقعون أن يستمروا في القتال من أجل تحرير شمال إفريقيا⁹⁶⁴، أما فكرة استمرار القتال فقد وردت في منشور بعثه الخطابى ووزع على أركان الحرب العليا لجيش التحرير أكد فيها على أن: " الاستقلال الحقيقي للمغرب لن يكون كاملاً إلا إذا استقلت إفريقيا

⁹⁶¹ تكون الجيش الملكي - القوات المسلحة الملكية - غداة الاستقلال، من العناصر المغربية للجيش الاسباني والفرنسي، وكان تحت إمرة ضباط عهد الحماية، ينظر: دراسات عربية (مجلة لبنانية)، " الجيش المغربي: تركيبه، دوره، أصنافه"، العدد 11، 9 / 11 / 1973، ص 102 - 104 .

⁹⁶² عبد الرحيم الوردغي: خفايا السرية في المغرب المستقل 1956 - 1961، ط 1، دار البيضاء، المغرب، 1982، ص 13 .

⁹⁶³ نفسه، ص 13 .

⁹⁶⁴ دوجلاس أشفورد: المصدر السابق، ص 222 .

الشمالية بأكملها"⁹⁶⁵ لكن علال الفاسي خالفه في ذلك إذ صرح القائد " إن كل واحد له الحرية في اختيار الطريق التي تناسبه، وموقف عبد الكريم يتناسب وهذه الحالة"⁹⁶⁶.

هذا مما جعل من الوزارة الداخلية المغربية تصفهم أي جيش تحرير المغربي بالاستعماريين وقطاع الطرق⁹⁶⁷، ووصفتهم صحافة حزب الاستقلال أنهم دجالون وخلقوا للمشاكل⁹⁶⁸، ولكن الأمير عبد الكريم الخطابي حثهم على مواصلة كفاح وعدم تسليم أسلحتهم وإنضمام إلى الجيش الملكي ومما جاء في بيان نشرته صحيفة كفاح المغرب العربي التي يصدرها أنصار جيش تحرير المغرب العربي من دمشق: " هناك جماعة متضامنة مع المستغلين تترصد بكم وتريد أن توقعكم من جديد في قبضة الاستعباد، بعدما حملتم أسلحتكم وأدرتكم ما يجب عليكم أن تفعلوه لأخذ حريتكم واستقلالكم وهذه الجماعة باعت الكرامة والشرف والوطن وسلمت البلاد لطائفة قليلة من المستعمرين بثمن بخس هو تلك المناصب الزائفة الحقيرة والمهينة، وحاذري من السقوط في الفخ المنصوب وإننا على يقين من أن الشعب المغربي سوف يستمر في الكفاح والنضال إلى أن يخرج من بلاد المغرب بل من شمال إفريقيا كلها آخر جندي فرنسي يحمل السلاح مع جماعة المستعمرين"⁹⁶⁹.

وبالرغم من الإغراءات المغربية والضغوطات فإن الجيش التحرير المغربي العربي لم يستسلم، فتسللت كتائب منه إلى جنوب نحو الصحراء لتحريرها وموريتانيا وتنسيق العمليات

⁹⁶⁵ عبد الرحيم الوردغي : المرجع السابق، ص 19 .

⁹⁶⁶ المرجع نفسه، ص 20 .

⁹⁶⁷ دوجلاس أشفورد : المصدر السابق، ص 224 .

⁹⁶⁸ المصدر نفسه .

⁹⁶⁹ كفاح المغرب العربي ، دمشق ، بتاريخ 7 جانفي 1956، مجموعة وثائق أمزيان، ينظر : محمد

أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 188، ينظر الملحق رقم: 10 .

مع جيش التحرير في الجزائر⁹⁷⁰، ولهذا عمدت قوات المخزن بالتعاون مع السلطات الفرنسية على محاصرة كتائب جيش التحرير المغرب العربي المرابطة على تخوم الصحراء بهدف قطع تنسيق العمليات العسكرية مع المقاتلين الجزائريين وبهدف إعادة النظام والهدوء لم يبق أمام العناصر المؤمنة بوحدة الكفاح المسلح إلا الالتحاق بكتائب جبة التحرير الجزائرية⁹⁷¹.

لكن رغم هذه كله تمكنت السلطات المغربية عقب استقلالها من إدماج حوالي 6000 مقاتل من جيش تحرير المغرب العربي (المراكشي) بالرماة المغاربية في الجيش الفرنسي، وبهذه العملية رفعت قوات الجيش الملكي إلى 30 ألف جندي وضعت تحت قيادة الأمير الشاب الحسن الذي أصبح يشغل منصب رئيس قيادة الأركان، كما تمكن الجيش الملكي من تصفية المقاوم عباس المساعدي في شهر ماي 1956 وأدت إلى التحاق ما يقارب 500 مقاتل من جيش التحرير المراكشي بالجيش الملكي⁹⁷².

وفي إطار الكفاح المغاربي المشترك لم يتوقف الدعم المغربي المشترك للجزائر بالسلاح والذخيرة رغم ضغوطات الحكومة المغربية وتحت مراقبة أعين القيادة العسكرية الفرنسية كقوة كانت في القوات العسكرية الملكية، وتشير العديد من التقارير المخابرات الفرنسية إلى أن كثير من الشباب المنتمي إلى مراكز التدريب بالمغرب والمتخرج حديثا قد تسللوا إلى الجزائر وكان تأطيرهم من طرف بعض المراكشيين في منطقة تلمسان وفي جبال القصور، وكانوا يشاركون من حين إلى آخر في صفوف عصابات الفصائل من جيش التحرير متكونة من حوالي 200 مقاتل انطلاقا من مراكز بالتراب الشريف (الملك) وقد لاحظت فرقت المنطقة العسكرية العاشرة (10.RM) إزدياد النشاط الثوري بالغرب الجزائري

⁹⁷⁰ دوجلاس أشفورد : المصدر السابق، ص 225 .

⁹⁷¹ : محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 189.

⁹⁷² STORA BENJAMIN :op ,cit , p 50 .

في إطار الكفاح المغاربي المشترك بين الجزائر والمغرب الذي يفرض زيادة الوحدات القتالية الفرنسية على طول الحدود⁹⁷³.

استمرت عملية تصفية عناصر الكفاح المغاربي المشترك أو جيش تحرير المغربي في سنة 1960، وتذكر بعض المصادر المراكشية أن التصفيات الجسدية والاعتقالات التي تمت فيها بشكل مباشر الى " بن بركة والأعرج و الفقيه محمد ابن إدريس البصري، عن طريق "المنظمة السرية"، والعمل على تصفية بعض القادة المقاومة من أنصار حزب الشورى والاستقلال أمثال ابراهيم الوزاني، عبد القادر برادة، عبد السلام الطود رمضاني، واغتيال عبد الكريم بن عبد الله⁹⁷⁴، بما في ذلك اغتيال احد مؤسسي جيش تحرير المغرب العربي عباس مساعدي بفاس بتاريخ 27 جوان 1956⁹⁷⁵ والعمل على تصفية الثوار "الهلال الأسود"⁹⁷⁶، والعديد من الأدبيات المغربية لا تجيب على الكثير من التساؤلات حول تصفيات الجسدية لبعض عناصر جيش التحرير المغربي، كحالة تصفية عباس مساعدي أو عبد الكريم بن عبد الله مثلا؟ !⁹⁷⁷.

⁹⁷³ JEAN DUCLOS et AUTRES : **les nationalismes maghrébins** , série **études maghrébines** N DU 7 JUILLET 1996 , fondation nationale des sciences politique ; PARIS . P 51 .

⁹⁷⁴ عبد الرحيم الوردغي : **المرجع السابق**، ص 61 .

⁹⁷⁵ محمد القجيري : " **جيش التحرير المغربي وأحرار الريف، ضحايا القصر ومليشيات حزب الاستقلال** " ، الحلقة الثانية، جريدة الأخبار، الجزائر، العدد 23 جوان 2005 .

⁹⁷⁶ هذه المنظمة ظهرت أثناء المقاومة بالمغرب الأقصى الى جانب العديد من المنظمات الأخرى "كاليد السوداء"، "أنصار الحق"، "أسد التحرير"... الخ كلها تدعو المواطنين الى ضرورة العمل الفدائي والمقاومة ، ينظر : زكي مبارك : **محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق**، ص 140 .

⁹⁷⁷ زكي مبارك : **محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع نفسه**، ص 182 .

كل ما لدينا من أدلة وما يفهم من مصادر مراكشية هو أن "المنظمة السرية"، التي أنشأتها بعض العناصر الراديكالية في حزب الاستقلال منهم بن بركة والفيق البصري كانت هي المسؤولة عن كثير من التصفيات في صفوف جيش التحرير المغرب العربي والعمل على دمجها داخل القوات الملكية بعد الإستقلال والعمل على إخضاع ما يقارب 10 آلاف رجل من جيش التحرير المغربي ودمجهم في صفوف الجيش المخزني، ويصبح الحزب الوحيد المسيطر بالمغرب هو حزب الاستقلال⁹⁷⁸، وهكذا تمكنت القوات المغربية التابعة لسلطة الملك الى جانب حزب الاستقلال بمساعدة القوات الفرنسية بالسيطرة على زمام الحكم في المغرب الأقصى في الفترة السابقة من الاستقلال الى غاية 1958، وهي السنة التي سطر فيها الملك محمد الخامس التوجهات الأساسية الكبرى التي ستسير عليها المملكة مع بداية شهر ماي 1958، وهي الفترة التي اندلعت فيها الثورة الشعبية، وهي ثورة الريف الثانية 1958، كانت لها طموح مغاربية أهملتها المصادر المغربية إما عمدا أو خوفا من نظام المخزن، وان تكلموا عليها يَمروا عليها مرور الكرام، أو بصفة دقيقة وجادة أوكد الجزم أنني لم أجد كتابات قد تكلمت عنها بشكل مفصل رغم ضخامة أدبيات المقاومة المغربية خلال فترة الخمسينيات أثناء زيارتي للمغرب، وكانت هذه الثورة مدعومة من الامير عبد الكريم الخطابي بالقاهرة وشنشير لها في الفصل لاحق بشيء من التفصيل .

ومنه نرى انه بعد تأسيس جيش تحرير المغرب العربي وما حققه من نجاحات داخل الأقطار المغاربية الثلاثة، إلا انه قوبل بالإقصاء والتهميش من طرف زعماء الحركة الوطنية التونسية والمغربية على وجه الخصوص، الداعين للحلول السلمية والمفاوضات من اجل الاستقلال، هذا شكل ضربة قاسية في صفوف جيش تحرير المغرب العربي، كما ساهمت السياسة الفرنسية التقسيمية والمعارضة السياسية الداخلية (بورقبية، علال الفاسي، محمد الخامس) والصعاب الداخلية أدى الى حله، مما أنتج معطيات جديدة في المنطقة ومكن

⁹⁷⁸ محمد القجيري : المرجع السابق، عدد 23 / 6 / 2005 .

الإدارة الفرنسية في تنفيذ مخططها وهي الدخول في مفاوضات مع تونس والمغرب الأقصى وتوجيه اغلب طاقاتها وإمكانياتها المادية والبشرية والعسكرية على الثورة الجزائرية .

الفصل الرابع:

عبد الكريم الخطابي واستقلال بلدان المغرب العربي

نتيجة الأفكار الجريئة التي انتهجها الامير عبد الكريم الخطابي التي عبر عنها بشكل فعلي "جيش تحرير المغرب العربي" التي لم تعجب الكثير من الزعامات الوطنية داخل الأقطار المغاربية، التي كانت ترى استحالت المواجهة العسكرية للقوى الاستعمارية، وذلك بعرض مقترح بديل عنها وهو ما عبر عنه الحبيب بورقيبة بسياسة "خذ و طالب" .

ولم تكتفي هذه الزعامات التونسية والمغربية عن رفضها لفكرة الكفاح المسلح، بل ذهبت الى تهميش وتصفية عناصر جيش تحرير المغرب العربي، ودخولها في مفاوضات جادة توجت على إثرها استقلال كل من تونس والمغرب الأقصى، ولكن هذا لم يثني من عزيمة الامير عبد الكريم الخطابي في مواصلة عمله الثوري بعيدا عن الأحزاب المغاربية الأخرى، وباندلاع الثورة التحريرية الجزائرية عام 1954، وجد فيها الامير عبد الكريم الخطابي ضالته مع المجاهدين أو الثوار الجزائريين، وذلك بالتنسيق العملي معهم في إطار العمل الوحدوي لمواجهة المستعمر، والإشكال المطروح :

- ما موقف الامير عبد الكريم الخطابي من مباحثات اكس لبيان؟، واستقلال المغرب الأقصى ؟
- هل كان للأمير عبد الكريم الخطابي دخلا في ثورة الجلاء 1958؟، وما هي أسبابها وأهدافها ؟
- ما موقف الامير عبد الكريم الخطابي من استقلال تونس ؟
- هل كان الامير داعما للثورة الجزائرية منذ انطلاقتها؟، وما هي أشكال هذا الدعم ؟
- ما هي أهم المواقف والشهادات عن الامير عبد الكريم الخطابي ؟

المبحث الأول: الخطابى واستقلال المغرب الأقصى

شكلت مباحثات اكس لبيان محطة بالغة الأهمية في تاريخ كفاح الشعب المغربي لاسترجاع حريته واستقلال بلاده، فهذه المباحثات في رأي بعض القادة السياسيين من الذين شاركوا فيها واتبعوا أهم أطرها وتفاصيلها من بعيد أو من قريب، لم تكن واقع الأمر سوى مجرد مصيدة (أو فخ سياسي) سقطت فيه قيادات وطنية عن حسن نية أو حسب تحليلات خاطئة ومنتسرة فكان من نتائجها الملموسة في إجهاض الثورة المغربية وهي في طور المخاض وحصول المغرب على استقلال أطلق عليه عدة أطراف سياسية ووطنية عدة أوصاف ونعوت مختلفة من بينها: استقلال زائف، استقلال ممنوح وشكلي ومنقوص والى غير ذلك من الأوصاف والنعوت⁹⁷⁹

أولاً: الخطابى ومباحثات اكس لبيان

أ/ مباحثات اكس لبيان

إن دواعي انعقاد مباحثات إكس لبيان فتعود أسبابها الجوهرية الى تقي محمد الخامس 20 اوت 1953 وإصراره على عدم التنازل من شرعيته في الحكم والشروع في الكفاح التحرري تحت مسمى ثورة الملك والشعب التي جعلت من عودة الملك محمد الخامس الى عرشه واستقلال المغرب شرطاً أساسياً تمحور عنه الكفاح المغربي وعبر عنها الثورة بالشعارات التالية: "ابن يوسف الى عرشه والشعب يموت عليه، ابن يوسف أجي غدا والاستقلال لأبدا"

الى جانب هذه العوامل الداخلية لا نغفل أيضاً موقف الفرنسيين الأحرار في كل من المغرب وفرنسا الذين أسسوا جمعيات ونوادي فكرية لتتوير الرأي العام عن حقيقة ما يجري

⁹⁷⁹ زكي مبارك : "موقف محمد بن عبد الكريم وعلال الفاسي من مباحثات اكس لبيان"، مجلة وجهة النظر، العدد 40، 41، 2009، السنة الحادية عشر، الرباط، المغرب، ص 20.

في المغرب، مطالبين بضرورة إيجاد حلول للأزمة المغربية الفرنسية، كما لا يجب إغفال موقف الحكومة الإسبانية من نفي الملك الشرعي بدون إذنها والأخذ برأيها في الموضوع كما تقتضيه الاتفاقية المبرمة بين الدولتين الاستعمارييتين .⁹⁸⁰

كما لا ننسى أيضا الدعم العربي والإسلامي الشعوب المغربية ومساندتها في المحافل الدولية، إلا أن ما عجل بعقد مباحثات اكس لبيان ودفع بالسلطات الفرنسية الى ضرورة البحث عن الأزمة المغربية، قبل استفحال الكفاح المسلح، ونتيجته ما كانت تتخوف فرنسا وقوعه جرى في الميدان في قيام حركة مسلحة أخذت تهدد الوجود الفرنسي بكل أشكاله، كما أخذت تهدد أعوان الاستعمار وعملائها من المغاربة .

وتعتبر أهم سبب دفع بالسلطات الفرنسية على ضرورة العمل الجاد مع المغرب الأقصى في إطار مباحثات اكس لبيان مع الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر وتنسيق الكفاح المسلح بين حركة التحرر الجزائرية والمغربية والاستعدادات لاندلاع جيش تحرير مغربي يجمع البلدين ودور الخطابي في هذا المجال، هذا شكل صدمة داخل القوات الفرنسية والسلطات الاستعمارية وأدركت كل الإدراك الأبعاد العميقة لهذا التحول وما يشكله من تهديد قوي على مستقبل الوجود الفرنسي بكل أشكاله فبادرت الحكومة الفرنسية الى فتح حوار مع الملك المنفي على أساس أنه أصبح معادلة قوية وصاحب الحل والعقد في هذه الأزمة، كما فتحت مباحثات مع كل الأطراف المشكلة للرأي العام المغربي وتلك في مدينة (اكس لبيان) من 22 الى 28 أوت 1955 شارك فيها حوالي 37 شخصية من المغاربة والفرنسيين ويهود ذات الصلة بالأزمة المغربية⁹⁸¹ ومثل الجانب الوطني قيادات من حزب

⁹⁸⁰ محمد بن عزوز حكيم : " موقف شمال المغرب من الاعتداء على العرش يوم 20 غشت 1953 ، ج 1 ، تجديد بيعة الشمال للملك محمد الخامس، مطابع الشويخ، 1994 ، ص 168 .

⁹⁸¹ زكي مبارك : موقف محمد بن عبد الكريم وعلال الفاسي من مباحثات اكس لبيان، المرجع السابق، ص 20 .

الاستقلال وحزب الشورى ولاستقلال مجموعة من الوطنيين ووفد من علماء المغرب، وأفضت هذه المحادثات الى حلول واقتراحات سياسية لتسوية الأزمة المغربية، وتحكمت في بلورتها والتوافق حولها حسابات سياسية وتنازلات أخذت بعين الاعتبار مصالح الأطراف الحاضرة ومن أهم النقاط المستعجلة التي توافقوا عنها هي:

- تنحية ابن عرفة عن العرش.

-تأليف مجلس وصايته تتبثق عنه الحكومة المغربية تفاوض الحكومة الفرنسية في شان مستقبل العلاقات المغربية الفرنسية .

-أبلاغ السلطان محمد بن مضمون هذه الإجراءات للموافقة عليها .

-عودة محمد الخامس الى فرنسا مع التزامه بعدم قيامه بأي نشاط سياسي⁹⁸².

ولقد أحدثت هذه الإجراءات خلافات داخل الصف الوطني وفي هذا الصدد يقول عبد الله ابراهيم: " وخطر ما حدث هو أن البعض من المتحدثين بإسم المغرب المناضل لم يقفوا موقفا القوي المؤمن بطاقات الجماهير المتفجرة ورائه بل وقفوا موقف السياسي بالمعني السياسي للكلمة، موقف من يحاول أن يقسم الخوخة شطرين " ⁹⁸³ .

⁹⁸² وردت هذه التعليمات في الرسالة التي وجهتها الحكومة الفرنسية الى السيد كاترو CATROUX التي كلفت بإجراء مباحثات أولية مع الملك محمد الخامس في منفاه، في جزيرة مدغشقر، ينظر : زكي مبارك : " أزمت المغرب الحاضر كما حذر منها المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي " ، ط1، الندوة الدولية المنظمة بالحسيمة حول " لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى مصر، الأبعاد والدلالات الوطنية والدولية " ، بتاريخ 28 و 29 جويلية 2004، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة فيدابرانت، رباط، المغرب، 2004 ، ص 162 .

⁹⁸³ عبد الله ابراهيم : أوراق في ساحة النضال، ط 1، دار الكتب، دار البيضاء، المغرب، 1975 ،

ب/ موقف الخطابي من مباحثات أكس لبيان

كان من نتيجة مباحثات اكس لبيان أن منحت فرنسا للمغرب استقلاله السياسي، وفق ما نصت عليه اتفاقية اليوم الثاني من شهر مارس 1955⁹⁸⁴، ولم يكن ما حصل عليه المغرب الأقصى لينال رضى الامير عبد الكريم الخطابي حيث صرح قائلاً: " في رأي أن المغرب لم يستكمل استقلاله...واني اعتقد أن هذا الاستقلال لا يمكن أن يكون حقيقيا إلا أن يصبح للمغرب كيانه اقتصاديا مستقلا، وبعد أن يتم جلاء الجيوش الأجنبية عن أراضيه وتنتقل الإدارة كلها الى أيادي الأمة " ⁹⁸⁵، إذ جاء إعلان استقلال بطريقتة التي تم بها صدمة كبيرة في وجدان الامير عبد الكريم الخطابي وعده " مناورة من مناورات الاستعمار " ⁹⁸⁶، وعبر عنها أيضا أن التكافل بين البلدين هو ارتباط دائم بفرنسا ⁹⁸⁷، وهو أمر يتناقض مع مفهوم الاستقلال الحقيقي الذي دعى إليه الامير عبد الكريم الخطابي واتفقي عليه موقعوا ميثاق الكفاح المسلح المغربي المشترك وهو تأمر ضد الحرب التحريرية الجزائرية، ولهذا صب الامير جل غضبه على كل ما ساهم في بلورة هذه المحادثات المزيفة إكس لبيان .

وفي السياق ذاته صرح الامير الخطابي حول مباحثات اكس لبيان في الصحف العربية والدولية قائلاً: "... إن الشعب الفرنسي ليس في نيته أن يحارب مرة أخرى ليخلق هند صينية جديدة في شمال إفريقيا وقد اقتدت الجماعة الرباط بجماعة تونس المستسلمة فأبرمت

⁹⁸⁴ " les entretiens Franco- Marocains d' AIX -les - Bains (22-25 aout 1955) ; les procès - verbaux , in dossiers de l'histoire du maroca (D. H . M)

N 1 JUIN 1966 , p 2 -6 .

⁹⁸⁵ حديث نشرته مجلة " آخر الساعة " ، بتاريخ 24 / 04 / 1957 .

⁹⁸⁶ حديث نشرته صحيفة " التحرير " المصرية ، ينظر : محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي

آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 192، ينظر الملحق رقم: 11 .

⁹⁸⁷ نفسه .

اتفاق اكس لبيان الى حيز العمل والتنفيذ، وأخذت تدلس وتغري عرب المغرب بالكلام المعسول، وهي سائرة في نفس الطريق اتفاق تونس، وستطالب المناضلين بإلقاء السلاح بعدما طلبت منهم الهدوء بحجة أن المفاوضات لا تكون إلا في الهدوء، والهدوء لا يكون إلا بإلقاء السلاح وتسليمه لهذه الجماعة (الرباطية) الجالسة على عرشها حين يتفرغ الأعداء على القضاء على الجزائر، وحذر من السقوط في الفخ المنصوب وأنا على يقين من أن الشعب سوف يستمر في الكفاح والنضال الى أن يخرج من المغرب العربي كله آخر جندي فرنسي يحمل السلاح من جماعة المستعمرين⁹⁸⁸ .

واعتبر الخطابي أن هذه المباحثات إجهاض للعمل الثوري التحرير المغربي ولهذا ظل ناقما على أولئك الذين أجهضوا لهذه الثورة في الوقت الذي كان فيه الفرنسيين أشد الحاجة الى الراحة وللتفرغ للقضاء على الجزائر وساعدوا بشكل خفي بإطلاق أيديهم على الثوار في الجزائر⁹⁸⁹، وفي انسجام تام مع مبادئه لم يتوانى عن توجيهه أصابع الى كل من كان في رأيه سببا في النكبات المغربية، وهم أولئك الذين صدقوا "خديعة المستعمر ولم ينالوا إلا الألقاب في غير موضعها لا يرضاها صاحب الضمير والكرامة"⁹⁹⁰، وعملوا على تحذير إخوانهم المغاربة" بلفظة الاستقلال الموهوم ليتوصلوا الى بغيتهم المنشودة والتربع على كرسي الحكم والمنصب في البلاد"⁹⁹¹، ومنه فإن" مأساة اتفاقية إكس لبيان المشؤومة... حطمت

⁹⁸⁸ نص بيان أورده : طاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 137 - 138 .

⁹⁸⁹ محمد الاممي : " عند البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي "، ط 2، مجلة الأمل المغربية، العدد 8 ، 1999، ص 157 .

⁹⁹⁰ بيان نشرته " صوت الشعب " صحيفة مصرية، 6 / 8 / 1956، ينظر : محمد أمزيان : محمد عبد

الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 193، ينظر الملحق رقم :12.

⁹⁹¹ المصدر نفسه .

أمالنا وقوضت أعمالنا وحكمت علينا بالذل والهوان " ⁹⁹²، وان السنوات التي تلت مؤتمر اكس لبيان "كانت كابوسا ثقيلا حملنا النكسات والنكبات"، على حد تعبير الخطابي ⁹⁹³.

ولفهم موقف الخطابي بشكل صريح حول ومباحثات إكس لبيان، يجب علينا أن نضعها في مبدأ التفاوض أصلا مع المستعمر قبل الاستقلال التام للأقطار المغربية، وسبق أن صرح الامير عبد الكريم الخطابي ونص عليه ميثاق للجنة تحرير المغرب العربي في بنودها " أن لا مفاوضة مع المستعمر في جزئيات ضمن النظام الحاضر " و " مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال "، ولذلك بطبيعة الحال استنكر الامير ما يحاك ضد المغرب في هذه المحادثات، ولمعرفة موقف الخطابي بدقة، ننقل ما أدلى به الخطابي في محادثته مع النائب الفرنسي ونقلتها مجلة الساعة المصرية بتاريخ 24 أبريل 1957، تحت عنوان " تصريحات خطيرة "، مما جاء فيها: " جاءني النائب الفرنسي، على اثر عودة السلطان من منفاه واخذ يحدثني عن مفاوضات اكس لبيان... وهي مفاوضات انتهت بإعلان فرنسا بهذا الاستقلال الذي منحته للمغرب ... قلت له - أي الخطابي: انه استقلال ناقص والموافقة عليه خيانة قال النائب الفرنسي بخبت: كيف نعتبر الذين شاركوا في هذه المفاوضات من اجل الاستقلال خونه ؟

قلت له : لكي أجيبك عن هذا السؤال، أود أن أسألك بدوري: ماذا كان رأي الفرنسيين وأنت واحد منهم، في الماريشال بيتان بسبب مفاوضاته مع الألمان على انهيار فرنسا

قال النائب فرنسي بسرعة: خائن

⁹⁹² رسالة من الامير الى الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد، بتاريخ 11 / 10 / 1960، مجموعة وثائق أمزيان، ينظر : محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 194 .
⁹⁹³ المصدر نفسه .

قلت له : أن الماريشال بيتان بطل معركة فيردان، وواحد من أبطال فرنسا القوميين، وكان يحاول أن ينقض فرنسا بمفاوضته مع الألمان مع ذلك اتهم بالخيانة... ماذا تريدني أن أقول عن المفاوضين المغاربة في اكس لبيان ... انك تجيب بنفسك على هذا السؤال... لم اقل له شيئاً كثر من ذلك - اثر اتهامات النائب الفرنسي التي أدلى بها ضد الامير انه اتهم لبعض المسؤولين المغاربة بخيانة القضية الوطنية -... وكان من رأي ... أن الدخول مع الفرنسيين يعتبر خيانة وطنية كبرى " 994 .

وهذه التصريحات والبيانات لم تكن لترضي الزعماء والحكام المغرب، فتوترت العلاقات بين الخطابي وزعماء والقادة المغاربة الى درجة القطيعة، كما أغضبت أيضا الجهات الرسمية في المغرب دون أن تجد سبيلا للضغط عليه أو إسكاته، وخلال هذه المرحلة سعى لتوطيد علاقته بالزعماء الجزائريين والتونسيين وبعض فصائل المقاومة بالمغرب الأقصى وخصوصا منهم رجالات قبائل الريف الذين ضلوا أوفياء له وساهموا مساهمة فعالية في جيش تحرير المغرب العربي واقتنع منهم كل اقتناع أن معركة هذا الجيش ما هي إلا امتداد للثورة الريفية المجيدة للقضاء على الاحتلال الفرنسي والاسباني 995 .

⁹⁹⁴ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 194 ، 195 .

⁹⁹⁵ زكي مبارك : "موقف محمد بن عبد الكريم وعلال الفاسي من مباحثات اكس لبيان، المرجع

السابق، ص 21 .

ثانيا : الخطابى واستقلال المغرب

كان موقف زعيم الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابى من استقلال المغرب كما تمت في 2 مارس 1956 موقفا يتسم بالرفض والاستنكار بها وحتى باتهام بعض المتفاوضين بالخيانة والاستهانة بالكفاح المسلح لشعب المغرب في سبيل تحقيق الاستقلال التام، وقد أعلن موقفه بشكل صريح في العديد من المقابلات الصحفية بالقاهرة وفي بيانات مختلفة وزعت على الصحف والمجلات المغربية والأجنبية وأرسلت الى المسؤولين المغاربة والى جامعة الدول العربية⁹⁹⁶ وقد أدى هذا الموقف المتمس بنوع من العدائية الى خلق توتر حاد في العلاقات بين الزعيم الريفى والمسؤولين المغاربة والزعماء الوطنيين الذين كافحوا من اجل الاستقلال وفق مبادئ والإيديولوجيات التي يرونها مناسبة لتوجهاتهم .

وكانت المفاوضات حول استقلال المغرب بالنسبة للأمير انتكاسة المجهودات التي قامت بها " لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة والتي نشاطاتها بإعلان تأسيس جيش تحرير المغرب العربي بداية 5 أكتوبر 1955⁹⁹⁷، كما كانت لحظة الكشف عن مدى الاختلاف بينه وبين الزعماء الوطنيين المغاربة الذين انغمروا وانصبوا في التفاوض مع الفرنسيين دون أن يهتموا بالالتزامات التي وقعوا عليها في ميثاق اللجنة .

وفي نهاية الأمر لم يكن محمد بن عبد الكريم الخطابى ينتظر أن تجري الأمور بهذا الشكل وبهذه السرعة في المغرب الأقصى، خاصة وأن الأمور كانت قد بدأت تسير في هذا البلد وفي الجزائر حسب إيديولوجيات الخطابى وقناعاته وأن الكفاح المسلح هو السبيل الوحيد للحصول على الاستقلال التام، وتجربة الأسلوب السياسية أثبتت أنها غير مفيدة في مجابهة الاستعمار، لذلك اعتبر أن ما جرى في فرنسا بالنسبة للمغرب هو بالضبط ما جرى

⁹⁹⁶ مجلة " آخر الساعة "، المصرية بتاريخ 24 أبريل 1957 .

⁹⁹⁷ علا الفاسى : نداء القاهرة ، ط1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب، 1959 ، ص 91.

في تونس، وأن ذلك ليس سوى إجهاض للثورة للمغرب ومؤامرة استعمارية فرنسية للقضاء على الثورة الجزائرية⁹⁹⁸، وبعد أسابيع قليلة على توقيع اتفاقية الاستقلال راسل الامير بتاريخ 30 مارس 1956 مبارك الباكي رئيس أول حكومة ائتلافية جاء في خطابه: "...كان عليكم أن تثوروا على الخونة وتنظموا إلى المجاهدين المغاربة والجزائريين والتونسيين كما يقتضي بذلك الشرف العسكري والكرامة الوطنية وحرمة الرجولة السليمة من الشذوذ... إن المغرب أغرقه الخونة في الاحتلال، وكأن الزمن لم يبتعد عن مؤامرة الجزيرة الخضراء سنة 1906م".⁹⁹⁹

وأكد في تصريح له في مجلة " آخر الساعة" القاهرية بتاريخ 24 أبريل 1957 الذي جاء فيه: " إن المغرب لم يكتمل استقلاله بعد برغم كل المظاهر... واستقلال المغرب لا يمكن أن يكون حقيقيا إلا بعد أن يصبح للمغرب كيانه الاقتصادي المستقل، وبعد أن يتم جلاء الجيوش الأجنبية من أراضيه وتنتقل الإدارة إلى أيدي الأمة... وأنا أعارض كل محاولة لجر المغرب لربطه الى الأحلاف الغربية التي يسعى الاستعمار لربطه بها في الوقت الحاضر، وفي اعتقادنا أن هذه الأحلاف ما هي إلا محاولة للإبقاء على النفوذ الأجنبي الغاصب في بلادنا"¹⁰⁰⁰، وهكذا أعطى الأمير عبد الكريم الخطابي مفهوم صحيح وتام وشاملا لمعنى الاستقلال، وذلك بتحرير جميع أجهزة الدولة من السيطرة الأجنبية وبجلاء الجيوش الأجنبية في أراضيه.

كما نجد في تحرير آخر لعبد الكريم الخطابي يدلي برأيه حول استقلال المغرب وبقاء جيوش الاحتلال فوق ترابه الوطني وداخل البلاد وسيطرة السلطات الاسبانية والفرنسية على

⁹⁹⁸ عثمان بناني : " محمد بن عبد الكريم ومسألة إستقلال المغرب "، مجلة الأمل، العدد 8، السنة

الثالثة، تصدر ثلاثة مرات في السنة، دار البيضاء ، المغرب، 1996، ص 145 ، 146 .

⁹⁹⁹ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 37 ، 38.

¹⁰⁰⁰ عثمان بناني : المرجع السابق، ص 150 .

بعض مدنه وحدد موقفه من هذه القضايا قائلا : " إن المغرب لا يمكن أن يعتبر مستقلا إلا إذا انسحب عنه الجيش الفرنسي ولم يبقى بالإدارة المغربية أي أجنبي وأن تعرب كلها، وأن الاستقلال الذي يتوهم المغاربة عنه أنهم مستقلون ليس إلا مخدرا ناولتها فرنسا للمغرب للتفرغ لمحاربة الشعب الجزائري المكافح، أن فرنسا لا تزال تسيطر بقوتها على الصحراء المتممة للمغرب التي لا يمكن للمغرب أن يحيي بدونها... فمن صالح المغرب أن يكافح في سبيل استقلاله الحقيقي ما دام الشعب الجزائري يقلق راحة فرنسا ويجبرها أن تعيش في ذعر وقلق وليس للجزائريين مساعد أو معين إلا الله سبحانه، أن الثورة المغربية جاءت في صدور الأمة حتى إذا أنت أولويات ثمراتها، تزعمها متخرجو المدارس الفرنسية، فأول ما عملوه هو أنهم حمو فرنسا وأخذوا يشيدون بمجدها وعظمتها ويصرحون في حق الإسلام والعروبة بما يستنقع الإنسان أن يفوه به. ستعلم يوما الأحزاب السياسية المغربية أنها كانت خاطئة في الانحناء أمام الاستعمار بالمغرب، مع أنها تعلمك أن الشعب المغربي لا يزال يحمل من روح الثورة ما يكفيه لمواجهة رواسب وبقايا الاستعمار في بلاده" ¹⁰⁰¹. وهكذا نجد ان هناك تناقضات الصارخة بين تصريحات المسؤولين في المغرب بشأن وحدت الكفاح المسلح من جهة، ومن جهة ثانية وعودهم بدعم الثورة الجزائرية وبين ما يحدث على ارض الواقع. ¹⁰⁰²

ومع مرور السنوات على تجربة الاستقلال وما رافقها من صراع سياسي على السلطة، واستمرار الوجود العسكري الأجنبي في المغرب أو تحكم الفرنسيين في الإدارة ودواليب الحكم، تأكد لدى الامير عبد الكريم الخطابي أن كل ما كان يحذر منه أصبح واقعا ملموسا ويشهد الواقع على ذلك و"أن الوجود الفرنسي ما زال في بلادنا نصطدم به يوميا بل لحظة

¹⁰⁰¹ جدل حول الأوضاع في المغرب سنة 1957 ، لقاء بين التهامي الوزاني بمحمد بن عبد الكريم

الخطابي في القاهرة، يونيو 1957، نشرته المجلة " المغربية " السنة الأولى، العدد 7 ، 1992، ص 3

بلحظة حيث الإدارات مازالت في يد الفرنسيين واللغة الرسمية في البلاد هي اللغة الفرنسية – لغة الحماية والاحتلال- وجيوش الاحتلال ما زالت تقبع في الثكنات المنتشرة طول البلاد وعرضها " .¹⁰⁰³

ظل الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي طوال هذه المدة يندد بجميع تلك الاتفاقيات التي عقدت بين فرنسا والمغرب وينادي بتوحيد الكفاح المسلح في البلدان الثلاثة:(المغرب، الجزائر، تونس) والجلء الشامل والنهائي لفرنسا عن كامل الغرب العربي الكبير وبذلك سيتحقق الاستقلال التام للجميع¹⁰⁰⁴ ومادامت الجزائر لم تستقل بعد سنتل كل من تونس والمغرب مهددة من قبل فرنسا التي اتبعت كل السبل لضرب الوحدة المغاربية والكفاح المغاربي المشترك.

هذه الأفكار والاستنتاجات والإيديولوجيات وكذا التطلعات التي ظلت تعلى في أعماق ووجدان الامير عبد الكريم الخطابي وفكره سيعمل على تجسيدها وبلورتها من خلال دعمه للانفاضة الشعبية التي اندلعت بالريف في أكتوبر 1958، انتفاضة اعتبرتها السلطات الحاكمة في المغرب تمردا بينما اعتبرها قيادة هذه الثورة والأمير الخطابي ب"ثورة الجلاء" وهو ما سنتكلم عنه بشيء من التفصيل في المطلب الموالي .

¹⁰⁰³ نداء إلى الشعب المغربي، بتاريخ 7 نوفمبر 1960، مجموعة وثائق أمزيان، ينظر : محمد امزيان

: محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص193 .

¹⁰⁰⁴ مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر ، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 236 ، 237 .

ثالثا: الخطابي وثورة الجلاء في الريف 1958

تحتل هذه الانتفاضة مكانة بارزة في التاريخ السياسي المغربي المعاصر بأبعادها وتداعياتها وتوجهاتها، وعن هذه الانتفاضة يقول الملك محمد الحسن الثاني : " عرفت بعض الجهات تمردا فكريا إضافة الى قلائل سياسية، فمثلا في الريف الذي كان خاضعا للحماية الاسبانية كان لدى السكان شعورهم بأنهم يعاملون كقئمة مهمشة في المملكة ولم يقبلوا بهيمنة حزب الاستقلال الذي لم يتصرف كما يجب من الحنكة، لذلك عمد شخص اسمه سلام الحاج أمزيان إلى استغلال النزعة القبلية، والقبلية هنا لا استعملها باستخفاف بل بالعكس ولم يهضم مساعد وفرانكو تصفية الاستعمار بالمغرب فكانوا يوفرون السلاح والزاد للسكان المعتصمين في الجبل، لقد كانت الوضعية قابلة للانزلاق في المتاهات" ¹⁰⁰⁵ .

ولهذا نجد أن الأمير حاول تجسيد تطلعاته من خلال دعمه للانتفاضة الشعبية التي اندلعت بالريف في شهر أكتوبر 1958 التي اعتبرتها السلطة المغربية تمردا واعتبرها الخطابي وقيادات الثورة ب "ثورة الجلاء"، واعتبرها حسن الثاني تمردا فكريا كما بين سابقا، وقال عنها مؤرخ المملكة عبد الوهاب بن منصور " كانت منطقة الخطر تمتد من قبيلة بني ورياغل التي تزعم الحركة فيها شاب مسمى محمد السالم الحاج أمزيان إلى قبيلة بني وراين بوسط إقليم "تازة" التي تزعم حركتها قائد سابق يسمى محمد بن خدوم، وأخذت حركة العصيان تمتد حتى شملت قبائل تاونت شمال فاس وقبائل بولمان القريبة من نهر ملوية وأصبحت المواصلات بين شرق المغرب وغربه مهددة بالانقطاع... " وكتب عنها زعيم الانتفاضة محمد سلام أمزيان قائلا : "هي انتفاضة شعبية معادية للاحتلال الأجنبي

¹⁰⁰⁵ عبد الوهاب بن منصور : الحسن الثاني حياته وجهاده ومنجزاته، ج1، ط 1، المطبعة الملكية،

وحلفائه، تحولت إلى ثورة شعبية... قام بها رجال وزملاء وإخوان وتلامذة الأمير عبد الكريم الخطابي في بني ورياغل مسقط رأسه... كان في شرف رئاستها برغبة المجاهدين...¹⁰⁰⁶.

أرجعت بعض الأسباب اندلاعها الى عوامل سياسية و"اقتصادية في أن واحد، ذلك أن استقلال المغرب بات نتيجة كفاح الريفيين، لكن الاستقلال استغل من طرف الطبقة البرجوازية الذين هم من أصل فاسي، وإن حزب الاستقلال قد غزا قراهم ومدنهم، أما السبب الإقتصادي فتمثل في تفاقم الثورة الجزائرية التي أجبرت فرنسا على غلق الحدود الجزائرية في وجه حوالي 60 ألف مغربي كانوا يشتغلون في لحصد الغلال والحبوب في التراب الجزائري اغلبهم من منقطة الريف وتضيف نفس المصادر أن الحركة كانت تضع في مقدمة برامجها دعوة الأمير عبد الكريم خطابي الذي كان يشترط إجلاء آخر جندي أجنبي عن المغرب، ونجد أن الحركة أيضا متأثرة بدعاية المصريين الموجودين باسبانيا وتحبذ سياسة الناصرية (جمال عبد الناصر)، وتطالب بطرد جميع الفنيين والخبراء الفرنسيين، وهي على اتصال وثيق بالثوار الجزائريين في إيوائهم وتقاسم معهم الأسلحة التي تأتي عن طريق البحر بمنطقة الناظور.¹⁰⁰⁷

فقد أصدرت قيادة الانتفاضة "ميثاقه الثوري" يوم 7 اكتوبر 1958 تضمن مطالبها الأساسية فكان أهمها:

- جلاء القوات الأجنبية عن الوطن دون قيد أو شرط لأن وجودها مناف لمعنى الحرية والاستقلال .
- عودة الأمير الخطابي وأسرته إلى وطنه الذي ضحى في سبيله .

¹⁰⁰⁶ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 40 ، 41 .

¹⁰⁰⁷ أوردت ذلك " الديلي تلغراف " البريطانية بتاريخ 10 فيفري 1959، ينظر : محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 194 .

- حل الأحزاب السياسية والعمل على إنشاء اتحاد وطني.

- إطلاق سراح المعتقلين والسياسيين والمختطفين.

- إسقاط الحكومة الحالية واستبدالها بحكومة شعبية .

تترجم هذه المطالب بكل وضوح و شفافية، أمال الخطابي وزعماء هته الثورة لا يخفون دعم الخطابي لهم ومساندته الفعلية لحركتهم، ولذلك قام الخطابي بتوجيه رسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ 1958/10/7 يشرح له فيها توجهت هته الثورة وإبعادها، ومما ورد في هذه الرسالة: " لقد اندلعت الآن مرة أخرى ثورة شعبية بزعمامة القائد محمد أمزيان ليست ضد الإستعمار فحسب بل ضد عملائه أيضا في الدرجة الأولى، وأهداف هاتيه الثورة الحاضرة التي ستؤدي أغراضها بإذن الله إن نالت التأييد من قادة الحرية القومية العربية هي :

_ إجلاء القوات الأجنبية في القطر المغربي جلاء تاما و ناجزا .

_ إعادة تطبيق الإستراتيجية التحريرية بفتح جبهة القتال ضد قوات الاحتلال في

المغرب إلى جوار الجزائر في سبيل تحرير تونس والجزائر .

_ القضاء على النظام المتعفن الذي مسح التاريخ والوجود¹⁰⁰⁸ " .

¹⁰⁰⁸ حصرها فتحي الديب في سبعة مطالب بعد اللقاء الذي أجراه مع الأمير عبد الكريم الخطابي، بتاريخ 8 فيفري 1958، ومن المطالب التي أضافها الديب مثلا تعريب الوظائف واعتبار اللغة العربية هي اللغة الرسمية مع تعريب التعليم بكافة أنحاء مراكش، والعمل على إصلاح الوضع الاقتصادي، وإطلاق الحريات للصحافة والرأي العام ... إلخ، ينظر : فتحي الديب : المصدر السابق، ص 419، سعيد العمراني : انتفاضة 58 / 59 بالريف كما رواها لي أبي، ط1، مطبعة سليكي أخوين، طنجة، المغرب، 2014 ، ص 64 .

ويختم الخطابى رسالته للرئيس قائلاً "ولا شك عندي في أن لدى سيادتكم حلول ومقترحات لمعالجة هذا الوضع، كما لا شك عندي أيضا أن الآمال مغلقة عن سيادتكم شخصيا بقيادة الشعب العربي إلى شاطئ الآمال" ¹⁰⁰⁹.

كما قام عبد الكريم الخطابى بتبادل مع بعض الشخصيات الوطنية المغربية بعدة تقارير ورسائل، جاء في التقرير الأول الذي أرسله إلى السيد الغالي الطود من مدريد بتاريخ 2 أبريل 1959 أن الريفيين في ثورتهم كانوا يطالبون " بالاستقلال الكامل وذلك بجلاء آخر جندي عن وطننا ومساعد الجزائريين في طرد الفرنسيين ... والتنظيم بن الصفوف يدعوا إلى العجاب ولكنهم بحاجة إلى سلاح الريفيين إذا ما وضعوا أيديهم على السلاح فالنهاية الرهيبة لكل الأعداء " ¹⁰¹⁰، أما التقرير الثاني الذي وصل الخطابى من الأمين العام للحزب الشورى والاستقلال محمد حسن الوزاني بتقرير من جينيف بتاريخ 2 فيفري 1959 حول الأوضاع السياسية بالمغرب جاء فيه: " ... لقد تألمت أشد الألم بما علمته من رسالتكم حول الوحشية المرتكبة ضد أحرار الريف من طرف القوات المضادة، تحت قيادة الفرنسيين، ويجب أن نفصح تلك الوحشية بكل تفاصيلها وفضاعتها في الداخل والخارج لأنها مجهولة إلى حد الآن... الصحف الفرنسية الباريسية في الأسبوع الأخير كتبت بصريح العبارة أن حكومة الرباط استخدمت رسميا قوات الاحتلال واستجذت بالجيش الفرنسي وأن الطائرات التي دمرت ما دمرته في جهة الحسيمة كانت بقيادة الفرنسيين تحت يدي القصاصات التي ذكرت ذلك مما يؤكد ما ورد في رسالتكم واأسفاه " ¹⁰¹¹.

¹⁰⁰⁹ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابى، المرجع السابق، ص 42 .

¹⁰¹⁰ ورد نص التقرير في مذكرة محمد سلام أمزيان، ينظر : زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد

الكريم الخطابى، المرجع نفسه، ص 42 .

¹⁰¹¹ ينظر إلى الملحق رقم : 13 .

وعمل الخطابي في الوقت ذاته على توثيق الصلة بالقيادة الثورة المصرية في محاولة إقناعها بضرورة مساندة الحركة الريفية ذات التوجهات التحريرية والتي في نظر الخطابي : " ... ستمتد لتشمل جميع أنحاء المغرب، وان السلطات الاسبانية تؤيدها لرغبتها في القضاء على الاستعمار الفرنسي الذي يحاول إقصائها ليحل محلها، وانه هو وأسرته على اتصال بمسؤولين إسبان لإمداد الثوار بمعونة عاجلة نظرا لقلّة المعونة التي تصل الثوار عن طريق اسبانيا " ¹⁰¹²، وهكذا نلاحظ أن الانتفاضة ارتبطت ارتباطا وثيقا ببطل الثورة الريفية الخطابي ومساندته ودعمه لها وتدخل بذلك جهات اسبانية ومصرية لدعم هذه الحركة .

ورغم دعم الثورة الريفية وتحقيق بعض أهدافها إلا أنها قمعت قمعا عنيفا من طرف القوات المشتركة الفرنسية والمغربية، فقد قرر خلالها الامير حسن رئيس أركان الحرب للجيش الملكي نقل قيادة عملياته ضد العصاة الى فاس ¹⁰¹³، وتطوان ¹⁰¹⁴، حيث استعملت فيها مختلف الأسلحة البرية والبحرية والجوية وقتل فيها الريفيون بالآلاف وشرّد الكثيرون، وسبق والى السجون نظرا لأهدافها من جهة وارتباطها بعدد الكريهات خطابي وجهات مصرية واسبانية من جهة أخرى، وظلت منطقة الريف العسكرية محاصرة الى سنة 1962 منع بها كل شيء من سياسة وصحافة، وأن عدد ضحايا هذه الثورة بلغ ما يقارب 8000الاف قتيل وآلاف الجرحى، فقد فيها قائد الثورة محمد امزيان سلام ابنته الصغيرة " نعيمة" عند داستها خيالة المخزن فبقرت بطنها واستشهدت في الحال ¹⁰¹⁵ وتذكر مصادر ان حكومة " الجناح اليساري" لحزب الاستقلال بقيادة عبد الله ابراهيم التي شكلت اللجان عملت على قمع وسحق انتفاضة الريف، ففي 9 جانفي 1959 وصل الامير الحسن ولي العهد قائد القوات المسلحة

¹⁰¹² فتحي الديب : المصدر السابق، ص 419 ، 420 .

¹⁰¹³ : محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 195 .

¹⁰¹⁴ عبد الرحيم الوردغي: المرجع السابق، ص 167 .

¹⁰¹⁵ محمد القجيري : جريدة الأخبار، المرجع السابق، العدد 23 / 6 / 2005 .

الملكية رفقة الجنرال "أوفقير" الى مدينة تيطوان بجيش قوامه 20 ألف مقاتل تم إنزالهم على سواحل الريف وإثناء ذلك أعطي السلطان محمد الخامس مهلة 48 ساعة¹⁰¹⁶ للثوار المعتصمين في الجبال إلا أنهم رفضوا ان يستجيبوا لمطالب الملك¹⁰¹⁷ وتعرض ولي العهد أثناء هجومه على منطقة الريف الامير مولاي حسن لطلقات نارية من طرف الثوار الذين كانوا يحاصرون المطار بالجسيمة وإرغامها على النزول الاضطراري على اثر عطبها¹⁰¹⁸.

وبانتهاء الثورة الريفية بدأت بوادر التفكك في حزب الاستقلال الذي كان يشكل المعادلة الثنائية مع الملكية منذ الاستقلال أي كان المسيطر على الساحة المغربية بعد الاستقلال نظام المخزن وحزب الاستقلال الذي كان يشكل المعادلة الثنائية في السلطة مع المملكة منذ الاستقلال ودخول في صراع مع بعضهم البعض على السلطة والحكم في المغرب الأقصى، بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية (U.N.F.P) بقيادة المهدي بن بركة وعبد الله ابراهيم وعبد الرحيم بوعبيد، ومحمد البصري والمحجوب بن الصديق أصحاب التوجه للرأي الراديكالي¹⁰¹⁹.

بعد هذه الأحداث الخطيرة التي واجهت النظام المغربي وحكومته وسلطاته وما أسفرت عنه من مساس بسمعة البلاد وطنيا وعربيا ودوليا، رأي الملك محمد الخامس أن يزور المشرق العربي فرصة ليزور جمال عبد الناصر ولكي يلتقي بابن عبيد الكريم الخطابي الذي

¹⁰¹⁶ محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 196 .

¹⁰¹⁷ محمد القجيري : جريدة الأخبار، المرجع السابق، العدد 23 / 6 / 2005 .

¹⁰¹⁸ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، 42 ، 43 .

¹⁰¹⁹ والى جانب هذه الأهداف التي سطرها الحزب، عمد إلى أهداف أخرى في المجالات الثورية الوطنية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، مثل مساعدة الشعب الجزائري المكافح من اجل التحرر والعمل على تحقيق وحدة المغرب العربي والتضامن الإفريقي. ينظر : محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي ، المرجع السابق، ص197 .

يشكل تهديدا مستمر على النظام المغربي وتمت مع المقابلة مع الخطابي بقصر القبة بالقاهرة يوم 13 جانفي 1960 حينها قدم الأمير رسالة للملك مضمونها قوميا منها مطالبته بإجلاء القوات الأجنبية عن المغرب وتأييد الدعم الجزائري مع حصولها على استقلالها التام¹⁰²⁰ .

ومنه نجد أن الامير عبد الكريم الخطابي كان يرى أن مباحثات اكس لبيان هي مصيدة وقعت فيها السلطات المغربية، كان من نتائجها إجهاض ثورة جيش تحرير المغرب العربي، وقد وصف الامير هذا الاستقلال الممنوح على اثر مباحثات اكس لبيان بالاستقلال الأعرج أو المنقوص أو الشكلي، وأكد في نداءات عديدة على انه خيانة لما تعاهدوا عليه في ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي، لكن هذا لم يثني من عزيمة الكفاح والعمل على مغربة الحرب، وضلت هذه الأفكار تغلي في وجدان الامير وفكره و سيعمل على تجسيدها فيما بعد من خلال الانتفاضة الشعبية التي اندلعت في الريف أكتوبر 1958، التي تسمى بمقاومة الريف الثانية أو مقاومة الجلاء .

¹⁰²⁰ نص الرسالة ينظر : الملحق رقم : 14 .

المبحث الثاني: الخطابي واستقلال تونس

بعد أن شكل الامير لجنة تحرير المغرب العربي يوم 6 جانفي 1948، دون أن تثير الإشكاليات والملابسات والتداعيات التي جاءت بها فلسفة العمل السياسي المشترك لهته اللجنة وما جاء فيها من قرارات ونصوص¹⁰²¹ وقد صادق على هذا الميثاق ممثلو الأحزاب السياسية المغاربية بالقاهرة وعلى رأسهم الحبيب بورقيبة والحبيب تأمر من تونس والشاذلي مكي والصديق والسعيدي من الجزائر وعلال الفاسي واحمد بن المليح ومحمد العربي العلمي والناصر الكتاني وعبد الخالق طريس واحمد بن عبود ومحمد اليميني الناصري من المغرب الأقصى¹⁰²²، وتم تعيين الزعيم بورقيبة أمينا عاما لهته اللجنة وهل كان مقتنعا بالمبادئ الأساسية التي أعلنها الامير عبد الكريم الخطابي بحضور جميع التيارات السياسية المغاربية؟ ولا شك أيضا أن الاتصالات المكثفة والحوار الذي قام به بورقيبة مع الأمير في إطار مكتب المغرب العربي قد تم بشكل متواصل خلال الأسابيع الأولى في حوله بالقاهرة، وإن الحبيب بورقيبة قد اطلع في كتب آراء وخلفيات أفكار الامير عبد الكريم الخطابي حول العديد من الملفات السياسية الفرنسية، وقد تأكد للزعيم بورقيبة ذو التكوين السياسي الحقوقي الفرنسي أن الامير عبد الكريم الخطابي يعد قائدا عسكريا وبطل التحرير ورمز مقاومة مشرفا في سجل الكفاح المغاربي في المعارك العسكرية التي خاضها في حرب الريف، هذا جعل من بورقيبة في محاضرة التي ألقاها على طلبة معهد الصحافة وعلوم الإخبار سنة، 1973

¹⁰²¹ لمعرفة قرارات اللجنة تحرير المغرب العربي، ينظر في المبحث الثالث "تأسيس اللجنة" من الفصل

الثاني .

¹⁰²² عبد الجليل التميمي : أضواء جديدة حول شخصيات مغاربية : الأمير عبد القادر وعبد الكريم

الخطابي والحبيب بورقيبة وعلال الفاسي وآخرين، ط1 ، مؤسسة تميمي للبحث العلمي والمعلومات،

تونس، 2010، ص 61 ، 62 .

يقول عن الأمير عبد الكريم الخطابي أنه : رجل بسيط وتصريحاته للصحافة وغيرها لم تكن إلا من قبيل الكلام الأجوف ...¹⁰²³.

أولاً: تحالف استراتيجي لكل من الأمير الخطابي والزعيم بورقيبة

كان الحبيب بورقيبة يرى أن طبيعة المعركة السياسية والفكرية اليوم في المغرب العربي تتطلب أسلوباً وتكتيكاً مغايراً واستراتيجية عقلانية ذات جد وفعالية حاسمة وليس وفق لمنطق الشعارات والخطب الفضفاضة وعلى ضوء هذا يظهر لنا مدى التباين في إيديولوجيات الرجلين ورايتهما المطروحة في الكفاح المغاربي، أما الأحزاب السياسية المغاربية ذات التوجه المغاربي من شبان المغرب العربي كانوا يرون أن الأمير يمثل قيمة تاريخية وجب توظيفها على أرض الميدان في جانبها السياسي والإعلامي والعسكري¹⁰²⁴.

هكذا نرى مدى التباين والتباعد فيما يتعلق بأسلوب العمل الذي تبناه كل من الزعيم بورقيبة والأمير عبد الكريم الخطابي، فبورقيبة كان يرى أن الأمير عبد الكريم الخطابي اليوم غير الأمير بالأمس، وأن المسؤولية التاريخية في قيادة الحركات الوطنية المغاربية تتطلب منا أسلوباً جديداً ويتمشى مع متطلبات الأمور في الوضع الراهن وفق إستراتيجية جديدة وليس إستراتيجية العنف والعمل العسكري الذي تجاوزه الزمن، ويؤكد في هذا الطرح أحمد توفيق المدني في مذكراته أنه بعد محادثات مكثفة مع الأمير بالقاهرة وجد أنه : " رجل له ماضي مجيد، بما أنه ليس له حاضر ولا مستقبل"¹⁰²⁵

¹⁰²³ الحبيب بورقيبة: حياتي، آرائي، جهادي، ط3، منشورات وزارة الإعلام، تونس، 1984، ص 61 .

¹⁰²⁴ عبد الجليل التميمي : أضواء جديدة حول شخصيات مغاربية، المرجع السابق، ص 62 .

¹⁰²⁵ محمد توفيق المدني : حياة كفاح، مع ركوب الثورة الجزائرية، ج3، منشورات الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ت ، ص 230 .

وقد برزت على العيان وبشكل سريع الاختلافات الجوهرية بين الامير عبد الكريم الخطابي والزعيم بورقيبة في العديد من المناهج والأساليب والطرق في مجابهة فرنسا وفقا لمتطلبات الأمور والزمان والمكان. أن عدم اطمئنان بورقيبة لخطط وأسلوب تفكير الامير الخطابي وفي تباين بين الرجلين ¹⁰²⁶، ومما زاد من شدة تباين بين الرجلين هو خطة الأمير في إعداد الكوادر العسكرية في المعاهد السورية والعراقية والمصرية وإرسال العشرات من الطلبة المغاربة الى كل من سوريا والعراق بمساعدة مدير مكتب المغرب العربي بدمشق يوسف الرويسي في تسجيلهم بالمعاهد الموجودة بسوريا والمعاهد العراقية ¹⁰²⁷.

من جهته أدرك الأمير أن بورقيبة شخصية لا يمكن الوثوق فيها ولا يمكن الاعتماد عليه فتم فصله من أمانة لجنة تحرير المغرب العربي انطلاقا من شكوكه منه في تنفيذ خطط الأمير المستقبلية من جهة، ومن جهة ثانية خرقا جوهريا من بنود اللجنة وتمثل في اتصاله المباشر بالحد أعضاء السفارة الفرنسية بالقاهرة، بالإضافة الى ذلك مناداته بالخصوصيات التونسية للمعركة من أجل الاستقلال والتزام حزبه بالمشاركة في حكومة شنيق الأمر الذي كان وراء تنديد الأمير بهذه السياسة لبورقيبة المتعاطفة مع السلطات الفرنسية وأن حكومة شنيق قامت على أساس الوضعية الاستعمارية المغرضة على البلاد. ¹⁰²⁸

لقد كانت تأثيرات هته الخلافات المبدئية عميقة جدا ليس فقط على مستوى الرجلين بطبيعة وآليات أنشطة مكتب المغرب العربي، حيث تفاقمت الخلافات بين القيادات بعد حادثة الطائرة التي راح ضحيتها الحبيب ثامر وابن عبود والحمامي وهم المشرفون الفعليون على مكتب المغرب العربي وبذلك أغلق بتاريخ 21-04-1950 ليفتح من جديد بتاريخ

¹⁰²⁶ EL MECHAT SAMIA :les chemins vers l'indépendance 1945 -1956 . PUBLICATIONS .L'harmattan . PARIS 1992 . P 97 .

¹⁰²⁷ محمد امزيان : محمد بن عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 167 .

¹⁰²⁸ عبد الجليل التميمي : أضواء جديدة حول شخصيات مغربية، المرجع السابق، ص 64 .

17-07-1950 بمجهودات الزعيم بورقيبة على تفعيل نشاطاته بهدف تقليص دور لجنة تحرير المغرب العربي والأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، وبعدها بدأت حرب الكلامية تأخذ بعدا جديدا وتقضي على كل محاولات التوفيقية التي تسعى من اجل الأمير عبد الكريم الخطابي .

ومع قبول بورقيبة إجراء المفاوضات التونسية الفرنسية والتي كللت بالاستقلال الداخلي لتونس، ومطالبته الحاسمة والسريعة بتسليم الفلاحة لأسلحتهم الى الحزب بل العمل على تهميشهم وتصفية بعض الأفراد منهم دون الأخذ بالاعتبار الإستراتيجية المتفق عليها في وثيقة لجنة تحرير المغرب العربي كان الحد الفاصل لقطيعة كاملة وشاملة، ترجمها الأمير في تصريحاته وبياناته عن الخيانة التي ارتكبها بورقيبة في حق المغرب العربي وسانده في ذلك كل من صالح بن يوسف ويوسف الروسي وعز الدين بن عزوز وغيرها من القيادات الشبانية المؤمنة بالكفاح المسلح¹⁰²⁹.

بل أن الامير عمد على تكوين خلايا في تونس بزعامة صالح بن يوسف بهدف زحزحت بورقيبة من الحكم¹⁰³⁰، مما عمل هذا الأخير في تصفية الجسدية لعناصر الكفاح المسلح اليوسفيين المؤيدين للتوجه العروبي للزعيم صالح بن يوسف الذي اعتبر أن استقلال تونس منقوص وهو خطوة للوراء لا كما ذهب بورقيبة انه خطوة للأمام

وعلى اثر هذا كله شكل بورقيبة جناح عسكري أطلق عليه يومئذ بضباط الظلام وهو بدوره اللجنة التي تعمل على تصفية عناصر اليوسفية جسديا بل تعذيبهم بأبشع الأساليب واشرف عليها احد الموالين للزعيم بورقيبة وهو الشيخ حسن العيادي والعديد من الأعضاء الآخرين الذين اشرفوا على تصفية المئات من اليوسفيين بلا رحمة ولا شفقة كما تكلمنا سابقا

¹⁰²⁹ AZZEDINE AZOUZ :op.cit ;p 271 .

¹⁰³⁰ محمد توفيق المدني : حياة كفاح، مع ركوب الثورة الجزائرية، ج3، المصدر السابق، ص 230 .

على تصفية عناصر الكفاح المشترك في تونس بالتفصيل، وقد علق الشيخ حسن العيادي عن دوره في تصفية اليوسفيين الذي تم بأمر من رئيس الدولة: " أنا شخصيا أكافح كفاحا حقيقيا وأخلص لخدمة الدولة وهو الشيخ الذي ترك دوبا هائلا كاسمه في العاصمة وفي كل البلاد التونسية¹⁰³¹ ثم يضيف قائلا " أنه لما سكنت الفتنة وتسلمت الدولة مقاليد الأمن العام بأيديها أغلق الشيخ ضباط الظلام وسلم ما عندي إلى الإدارة للأمن الوطني"¹⁰³².

كما قام الشيخ حسن العيادي بدعم من بورقيبة والاتفاق بينه وبين السفير التونسي في القاهرة بالاتصال مع عبد الكريم الخطابي تحت اسم مستعار على انه أحد المعارضين لبورقيبة لمعرفة خطط عبد الكريم الخطابي وما ينوي التخطيط له في تونس بمعية صالح بن يوسف وجاء في مذكراته انه تسلل الى الأمير عبد الكريم الخطابي وقابله تحت اسم مستعار ودارت بينهما محادثات كانت كلها تدور حول مقاومة بورقيبة¹⁰³³.

والسؤال المطروح هو كيفية دخول الشيخ العيادي تحت اسم مستعار مع العلم أنه معروف في تونس كأحد المنفذين في تصفية اليوسفيين هذا من جهة ومن جهة أخرى لماذا لم يقم الامير الخطابي بالمزيد من الاحتياطات والحذر من الشخصيات التي يقابلها في القاهرة ؟ والكشف عن خطته العسكرية لكل من هب ودب، ومما يؤكد هته الظاهرة أنه صرح لأحمد توفيق المدني في مقابلة معه أنه " لا يمكن أصلا أن تنتصر الجزائر إلا إذا شملت نار الثورة كامل الشمال الإفريقي وأزيح محمد الخامس عن عرش المغرب الأقصى وزحزح الحبيب بورقيبة عن كرسي الرئاسة بتونس وأخذت قيادة الثورة زمام الحكم بالأقطار

¹⁰³¹ عبد الجليل التميمي : أضواء جديدة حول شخصيات مغربية، المرجع السابق، ص 68 .

¹⁰³² عبد الجليل التميمي : أضواء جديدة حول شخصيات مغربية، المرجع نفسه، ص 68 ، 69 .

¹⁰³³ المصدر نفسه .

الثلاثة " 1034 وهذه التصريحات لا يمكن أن يدلي بها الخطابى إلا للشخصيات التي يعرفها معرفة وثيقة ووثق فيها ومقربة منه لعدة سنوات.

هكذا تبين لنا التباين الاستراتيجي في عملية النضال من اجل استقلال بلدان المغرب العربي بين الأمير عبد الكريم الخطابى والزعيم علال الفاسي، بحيث كان يرى الأول أن الأساليب والطرق واحدة لا تختلف باختلاف الزمان والحل الوحيد لتحرير أقطار المغرب العربي هو الكفاح المغاربي المشترك بسواعد مغارب وفق الخطط الإستراتيجية التي وضعها الامير، أما الثاني بورقية فكان يرى أن عملية الكفاح والنضال تختلف باختلاف الزمان والمكان وفق إيديولوجيات سياسية تتوافق مع متطلبات الظروف التي نعيشها والآليات التي نملكها ولهذا اتبع سياسة " خذ و طالب " ونجده في احد المناسبات يقول: " المطالبة بكل شيء نفقدنا كل شيء " .

¹⁰³⁴ محمد توفيق المدني : حياة كفاح، مع ركوب الثورة الجزائرية، ج3، المصدر السابق، ص 230 .

ثانيا: موقف الخطابي من استقلال تونس

لا شك في أن علاقة الامير الخطابي بالمناضلين المغاربة كانت علاقة الأب المناضل بأبنائه إذ كان يصعب على الخطابي أن ينسى عملياته ومعاركه التي خاضها بالسلاح ودفع فيها الكثير لن يقتنع بمجرد احتجاجات وطلبات وشكاوي سياسية، ويشهد تخوف بعض الزعماء من خوض غمار الحرب في ميدان تحرير المغرب العربي¹⁰³⁵ الأمر الذي شهده الخطابي من موقف الحزب الدستوري الحر التونسي في اختيارهم للحل التفاوضي مع فرنسا من أجل الانسحاب السلمي وكان اختياره إجبار فرنسا على الرحيل من شمال إفريقيا كله، والخطة التي كانت مرسومة آنذاك هي العمل على تجنب الحلول الانفرادية غير أن التونسيين كانوا هم السباقين لخرق الاتفاق وتبعهم المغاربة آنذاك¹⁰³⁶، ومن هذه النقطة تضاربت الرؤى بين الخطابي و تلك الأحزاب السياسية وبالخصوص حزب الدستوري الحر واعتقادها أن الدعوة الى الحوار لحل النزاع مع فرنسا عن طريق الحلول التفاوضية السلمية يكون طريقا مختصرا في الحصول على استقلالها¹⁰³⁷ ودخول بورقيبة مع عبد الكريم الخطابي في نزاع كما تكلمنا في المطلب الأول سابقا جعل من الزعيم بورقيبة يقول بحق الخطابي أنه رجل بسيط وتصريحاته للصحافة وغيرها لم تكن إلا من قبيل الكلام الأجوف¹⁰³⁸، هذه النظرة الاستعلائية من قبل الزعيم بورقيبة اتجاه المقاومين ذي الأصول

¹⁰³⁵ جلال يحي : المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال، المرجع السابق، ص 128 .

¹⁰³⁶ مصطفى أعراب : الريف بين القصر، جيش التحري وحزب الاستقلال، ط2، مطبعة كوثر، المغرب، 2002، ص 31 .

¹⁰³⁷ محمد حربي : حياة تحدي وصمود، مذكرات سياسية من 1945 إلى 1962، ترجمة : عبد العزيز بوبكر، وعلي قسايسية، ط1، دار القصة، الجزائر، 2004 ، ص 265 .

¹⁰³⁸ الحبيب بورقيبة : المصدر السابق، ص 61 .

الشعبية والتقليدية معروفة عنده¹⁰³⁹، واحتقاره للذهنية الشرقية كرجل الفلسفة الوضعية والعقلانية ثابت عنده كذلك، ففي سنة 1951م في خضم الخلاف معه وانتقادات حزبه في سياسة التفاوض مع فرنسا من قبل رفقائه في لجنة تحرير المغرب العربي ومن قبل محمد عبد الكريم الخطابي في حد ذاته كتب لابنه يعلق على معارضيه: "لعلمهم تحت تأثير القداماء واتهامات خصومنا... إن بناء ذهبيتهم الشرقية يمنعهم من إدراك أن السياسة هي فن تحقيق ما هو ممكن، أن استيائهم لم يؤثر فيا"¹⁰⁴⁰. وفي الحقيقة ما عرف على بورقيبة من استخفاف بالأمر الدينية وسلوكه العلماني ومن قداماء الحزب الدستوري القديم كمحي الدين القليبي ومحمد الصالح كعفار وغيرهم من الزعماء الآخرين وحتى الإخوان المسلمين المصريين سبب لهذا الزعيم اتهامه بالإلحاد والخيانة، وعقد العلاقة بين رئيس الحزب الدستوري الجديد وبطل الريف وشوه صورة كل منهما الآخر، ولم يكن مما يقبله العقل أن يشاطر الخطابي بورقيبة في صفقته مع الفرنسيين ولهذا وزع الخطابي بيانا حول أوضاع تونس، بين فيه موقفه بوضوح معتبرا أن "حكومة شنيق قامت على أساس الوضعية الاستعمارية المفروضة على البلاد وهذا ما أدخل الريبة...في كافة أقطار المغرب العربي... وعد نكسة الى الورا لا تتماشى وميثاق ليلة القدر ولا مع ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي ولا مع الرأي القومي العام الذي أصبح يؤمن بأن الأوضاع المفروضة على بلاده أوضاع غير مشروعة وأن التخلص منها لا يأتي عن طريق الاشتراك في الحكم على أساسها ولا

¹⁰³⁹ نفس الاحتقار الذي كان يكنه مثلا لقيادي الحزب الدستوري القديم أو لزعيم مصالي الحاج، فيما يخص نصرت بورقيبة لمصالي الحاج، ينظر في الأرشيف الوزارة الخارجية التونسية حول الحزب الدستوري الجديد بتاريخ 15 مارس 1952 ب :

(Q.O. TUNISIE 1944 - 1955 . V . 297 . DOCUMENT : le néo - détour au début de l'année 1952 . FF . 108 - 147 .)

¹⁰⁴⁰ في رسالة من الحبيب بورقيبة لإبنة من كراتشي بتاريخ 12 مارس 1951، ينظر :
H. BOURGUIBA : la Tunisie et la France , Tunis M. T . E . 1954 . P 256 .

بالمفاوضة في تغييرات جزئية بل لا تقوم إلا على أساس الاعتراف بان الاستقلال التام أولا وقبل كل شيء»¹⁰⁴¹.

واصل الخطابى بيان موقفه مؤكدا على أن سياسة الخطوات التي أنزلق إليها حزبه الدستوري الجديد " لا ترمي الى استقلال البلاد ولكن إلى تعويض هذا الاستقلال عن طريق تضليل الرأي العام بقبول الوطنيين المكافحين لكراسي الوزارة ورضاهم عن الإصلاحات... لهذا كله فإننا نعتبر هذه المشاركة إخلالا بميثاق لجنة تحرير المغرب العربي واعترافا بالأوضاع لا تقرها، كما نعلن معرفتنا الشديدة لما أسفرت عنه هذه التجربة لمنافاتها للأمانى الوطنية ومساسها بجوهر السيادة التونسية التي يجب أن تكون من حق التونسيين وحدهم لا يشاركهم فيها غيرهم»¹⁰⁴².

بعد دخول بورقبيية في مفاوضات وحصول تونس على الاستقلال طالب مباشرة بتسليم الفلاقة أسلحتهم الى الحزب دون الأخذ بعين الاعتبار الوعود التي تعاهدوا عليها في ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي، كانت ردت فعل الخطابى بالرفض لهذا الاستقلال المنقوص أو ما عبر عنه بالأعرج وترجمت تصريحاته في بياناته عن الخيانة التي ارتكبها الزعيم بورقبيية في حق المغرب العربي وناصره في ذلك مجموعة من المناضلين أمثال يوسف الرويسي وعز الدين عزوز¹⁰⁴³، بل ذهب الى أكثر من ذلك عبر تكوين خلايا داعمة لصالح بن يوسف تعمل على خلع و زحزحت الحبيب بورقبيية عن الحكم¹⁰⁴⁴، لكن هذه الفصائل قد عانت الويلات من حكومة بورقبيية من تصفية جسدية بحيث يحكم على البعض منهم بالإعدام، بينما يحال البعض الآخر منهم الى المحاكم الفرنسية أين يقتلون التونسيين

¹⁰⁴¹ الطاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 109 ، 110 .

¹⁰⁴² AZZEDINE AZOUZ :op.cit ,p 271 .

¹⁰⁴³ الطاهر عبد الله : المصدر السابق، ص 109 ، 110

¹⁰⁴⁴ محمد توفيق المدني: حياة كفاح، مع ركوب الثورة الجزائرية، ج3، المصدر السابق، ص 230 .

ويخربون منشآتهم¹⁰⁴⁵ وشكلت على إثرها العديد من اللجان بملاحقة وإعدام اليوسفيين المتواجدين في الأراضي التونسية بالتعاون مع بعض الأطراف الجزائرية الراضة لفكرة الكفاح المغاربي المسلح والمقتنعة بفكرة الخيار الاستقلال القطري كما رأينا سابقا، وقد ظل الامير عبد الكريم الخطابي طوال هذه المدة يندد بجميع تلك الاتفاقيات التي كانت تعقد بين البلدين الشقيقتين تونس والمغرب من جهة والسلطة الفرنسية من جهة ثانية وينادي بالكفاح المسلح في البلدان الثلاثة : المغرب، الجزائر وتونس حتى الجلاء الشامل لفرنسا عن كامل تراب المغرب العربي وبذلك سيتحقق الاستقلال التام للجميع¹⁰⁴⁶ .

¹⁰⁴⁵ محمد أمزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 186 .

¹⁰⁴⁶ مولود قاسم نايت بلقاسم : المصدر السابق، ص 336، 337 .

ثالثاً: المساعي أو خيار القطرية في تونس (تبني سياسية واقعية).

تمثلت سنة 1956 التحولات الكبرى في المغرب العربي حين أعلن عن استقلال تونس وكذا المغرب وتكريس خيارهما القطري، مما اعتري مشروع الوحدة المغاربية الذي نادي به الأمير عبد الكريم الخطابي ووقعت عليه تونس والمغرب في ميثاق للجنة تحرير المغرب العربي ما ضعف في بنائه وسهل على الأنظمة السياسية في المغرب وتونس من احتوائه إي المشروع المغاربي ثم أبعاده عن الساحة فيما بعد .

وفي الوقت الذي كنا تتأهب فيه الثورة الجزائرية لقطف نتائج سياستها المغاربية في العمل على توحيد الكفاح المسلح بين أقطار المغرب العربي وفق إيديولوجيات ومساعي عبد الكريم الخطابي، نجح المخطط الفرنسي في ضرب هذا المشروع في الصميم وعزل تحالفهما المغربي وعزل تونس عن زمام المبادرة الوجدوية رغم المجهودات الحثيثة بين الجزائر وتونس في التنسيق على فكرة الكفاح والمقاومة المسلحة في جبهة موحدة، وتأييد الأطراف المغاربية الثلاثة على الخيار الثوري وتمسكها بالحل الشمولي لقضايا المغرب العربي مما جعل السلطات الفرنسية تنتبه لذلك وخططت لتفتيت المعركة وتجزئة حلولها بشكل يضمن بقاء النفوذ الفرنسي في كل من تونس والمغرب ولهذا سارعت الإدارة الاستعمارية بالحلول التفاوضية مع المغرب بعد عودة محمد الخامس من منفاه من جهة ومن جهة ثانية دخولها في مفاوضات مع بورقيبة ومساعدته في القضاء على خصومه أمثال صالح بت يوسف وأتباعه المتشبهين بحد واحد وجذري لقضايا المغرب العربي ودعم الأمير عبد الكريم الخطابي لها وفي هذا الإطار جاء تسليمها بالاستقلال كل من تونس والمغرب في مارس 1956¹⁰⁴⁷ .

¹⁰⁴⁷ وزارة الإعلام والثقافة (الجزائر) : النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، منشورات وزارة

الإعلام والثقافة، الجزائر، 1979، ص 24 ، 25 .

لهذا اعتبر بورقيبة أن مفاوضاته التي كللت بالنجاح ولدت اعتراف فرنسا باستقلال تونس، وأن هذه الخطوة ستليها خطوات أخرى باتجاه تأكيد الاستقلال التام في تونس وأثارت سياسته هذه شرخا في البناء المغاربي الذي اعتمد وحدة الكفاح المسلح للوصول الى الاستقلال التام والعمل على توحيد المغرب العربي، وقد كان على بورقيبة أن يضحى كثيرا وأن يناور ليجد مخرجا لضغوط الإدارة الفرنسية ولضغوط التضامن المغربي، ولكن تبريراته لم تقلل من حملة الإتهامه والخيانته لمقررات ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي والمساعي الوجدوية، وفي هذا السياق عبر الأمير عبد الكريم الخطابي بالعديد من التعليقات عن الاستقلال التونسي المنقوص وخيانته لميثاق لجنة تحرير المغرب ورفضه القطعي دخول بورقيبة مع الإدارة الفرنسية في مفاوضات¹⁰⁴⁸ بل أن جبهة التحرير الوطنية الجزائرية الحريصة على حل واحد لقضايا الشمال الإفريقي كانت تشن حملة دعائية ضد التوجه البورقيبي¹⁰⁴⁹.

في هذا الإطار اتبع نظام بورقيبة صورة تجميلية من خلال سياسية التقرب من مسؤولي الثورة الجزائرية ليس بهدف التضامن المغاربي والعمل الوجدوي مثلما دعى إليه بورقيبة بل بهدف تسيبهم عن التحالف مع خصومه إتباع الأمير عبد الكريم الخطابي مثل صالح بن يوسف، وراهن وفقا لإستراتيجيته على بلورة إطار التضامن المغاربي الذي يعتمد على تعاون أقطاره وتوحيدها ليحتضر أفكار خصومه في ضرورة الاستمرار في المعركة الى جانب الجزائريين، لكن صورة بورقيبة المرتمي في أحضان فرنسا والغرب وكذا طعنه للقضية الجزائرية كلها عوامل جعلت من مسؤولي جبهة التحرير الوطني ومناصري الأمير عبد الكريم الخطابي يعلنون عدائهم الصريح لبورقيبة .

¹⁰⁴⁸ محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص184.

¹⁰⁴⁹ MOHAMMED LBJAOUI : vérité sur la révolution algérienne , ed , gallimar , PARIS .1970 . P 97 .

ولهذا نجد أن جبهة التحرير قد وقفت الى جانب صالح بن يوسف المتمسك بمبادئ لجنة تحرير المغرب العربي، وقد ذكر بورقيبة بعد 25 سنة أن الدوافع التي دعت لتحمل مسؤولية السلطة التونسية اجتمعت في فتنة صالح بن يوسف حليف الأمير الخطابي والمتحالف أيضا مع المصريين والجزائريين والذي كان " يلقى التأييد والمناصرة من إذاعة صوت العرب في القاهرة، ومن ناحية أخرى كان بن بلة يمثل مرجع لصدى تلك الأفكار والمناولة لها وكان اللاجئين الجزائريون يعلقون صورة عبد الناصر فوق خيامهم وما وسعني إزاء الوضع الشائك إلا أن قبلت...."1050 .

وقد مثل النفوذ القوي لصالح بن يوسف في تونس تحالفه مع الثورة الجزائرية والعناصر المناضلة في المغرب العربي تهديدا خطيرا لبورقيبة، رفعه بدون ارتياب في الارتقاء في احتضان فرنسا والقبول بقاعدة التفاوض على الاستقلال المنقوص في إطار الاستقلال الذاتي وسياسة التكافل، وبدأ بدهائه السياسي يقبض على زمام السلطة في تونس ويزيح خصومه في نفس الوقت اجتهد في فك الارتباط الجزائري الوثيق بالخطابي وبالقاهرة، ويجد مداخل الى ذلك في تباين وجهات نظر الجزائريين لبورقيبة، ففي مؤتمر الحزب الدستوري الحر بصفاقس في نوفمبر 1955 أكد الحبيب بورقيبة دعمه للقضية الجزائرية¹⁰⁵¹ وردد باستمرار عزمه على تجديد اتحاد المغرب العربي وفق توجهاته قائلا: "... باعتبارها رأي اتحاد المغرب العربي، الضامن الوحيد لمناعة المنطقة وأمنها وتطورها، فاستقلال تونس يظل بدون معنى حقيقي حتى ولو اكتمل رسميا أذا بقيت شقيقاتها تحت كابوس القهر والذل"، وأعرب عن احتضانه ودعمه للقضية الجزائرية المرتبة بالقضية

¹⁰⁵⁰ BOURGHIBA HABIB : **Ma vie , mes idées , mon combat ,** secrétariat d' état a l'information , Tunis , 1977. P 317.

¹⁰⁵¹ الحزب الحر الدستوري التونسي : المؤتمر الوطني بصفاقس من 15 إلى 19 نوفمبر 1955 ، مطبوعات، ش . ت . ف . ر ، تونس، 1955 ، ص 65 .

التونسية وقد تصور أن المشكل الجزائري سهل الحل رغم الاختلافات للأوضاع بين القطرين الشقيقين ، وذلك أن تجربة تونس مهدت للحل السلمي الناجح ولهذا دعا القادة الجزائريين أصحاب التوجه الشمولي للكفاح المغاربي المشترك المسلح الى خيار التفاوض السلمي، جاء هذا في بيان له قدمه في جانفي 1956 لقادة الكفاح بالجزائر: " إن نجاح التجربة في تونس والمغرب ومواصلتها دون فوضى أو انخرام للنظام سيفتح لا محال بعد سنة أو نحوها باب المفاوضات بين فرنسا والجزائر، لا على أساس بلوغ الأهداف كلها دفعة واحدة بل تدريجيا حسب ما يقر ويسلم به العقل في الظروف الراهنة"¹⁰⁵² .

وكمحاولة لمعرفة جبهة التحرير الوطنية في الداخل عن صدق نوايا بورقيبة في دعم القضية الجزائرية ووحدة المغرب العربي، يذكر محمد حربي أنه وافق بولحروف لمقابلة بورقيبة لما أطلق سراحه وقابله في باريس للمفاوضات نصحتها بقبول مبدأ الحكم الذاتي لمرحلة الأولى في الاستقلال¹⁰⁵³، ولهذا وجد داخل جبهة التحرير الوطني في الداخل من يدعمه ويؤمن بالخيار القطري بدل تكبير السلطة التونسية بالتزامات الجبهة الموحدة، ففي نهاية سنة 1955 اجتمع محمد البجاوي رفقة احمد طالب الإبراهيمي في حضر مع بورقيبة الباهي للدغم ومنجي سليم ومحمد المصودي والبشير بن محمد، وفي هذا الاجتماع عرض البجاوي على بورقيبة وجهة نظر جبهة التحرير الوطنية من الكفاح المسلح وتمسكها بالعلاقات المغاربية، فأكد له بورقيبة أن ما يحصل في احد البلدان الثلاثة سرعان ما يؤثر على البلدين الآخرين وأن اتفاق الاستقلال الذاتي ليس خطأ بل خطوة مهمة للاستقلال التام، وهكذا وجد بورقيبة الى جانبه محاورا متفهما لأفكاره، وخلال الثلث الأول من سنة 1956 وقبل إعلان الاستقلال التونسي خلصت جبهة التحرير الوطنية موقف يعارض إستراتيجية

¹⁰⁵² ينظر خطابه يوم 12 جانفي 1956، الحبيب بورقيبة : **خطب 22** ، كتابة الدولة للإعلام، تونس،

1974، ص 317 .

¹⁰⁵³ المصدر نفسه

الوفد الخارجي في المغرب العربي وضرورة العمل بالخيارات الفطرية وفق ما دعى إليه بورقيبة عبر عنه في الحوار الصحفي الذي نشرته جريدة العمل التونسية في 16 ابريل 1956 ونقلته جريدة لوموند الفرنسية¹⁰⁵⁴ بعد إجابته عن أسئلة جبهة التحرير الوطني في حقيقة دعمه للقضية الجزائرية، منها هل استقلال تونس والمغرب منفردين يفيد الجزائر؟ أجاب قائلاً أنه " بدون استقلال الجزائر يظل استقلال تونس والمغرب مجرد خدعة، وأن مستقبل شمال إفريقيا المزدهر يقوم على اتحاد دول المغرب العربي الثلاث¹⁰⁵⁵، وهكذا اعترفت جبهة التحرير الوطني في الداخل ضمناً بالاستقلال القطري مادام يدعم القضية الجزائرية، وتتشد تضامنه مع وحدتها الفيدرالية في إطار الدفاع عن المصالح المشتركة، وهذه النظرة تكرست بعد الاستقلال التونسي والمغربي وجسدت رسمياً أفكارها في مؤتمر الصومام .

أما الوفد الخارجي المتحالف مع أنصار الخطابى وأتباعه أمثال صالح بن يوسف والضباط المغاربة الآخرين أصروا على تمسكهم بخيار مغربة الحرب والكفاح المغاربي المشترك المسلح حتى يتحقق الاستقلال التام لجميع بلدان المغرب العربي ولهذا تردد الوفد الخارجي في الاعتراف بتحقيق استقلال تونس وأعرّب محمد خيضر أن الاعتماد على ورقة صالح بن يوسف مهمة في مغربة الحرب اضمن وانجح، أما بورقيبة فيجب رفعه للتضامن أكثر مع الجزائر لا أكثر وتساءل مؤكداً سداد موقفه " فأية طريقة أفضل من أن نجعل بورقيبة يمشي ومسلّة بن يوسف في خصره، نحن ننتظر وجهة نظركم (جبهة التحرير في الداخل) حول هذه المسألة حتى نجعل موقفنا منسجماً مع موقفكم ..."¹⁰⁵⁶ .

¹⁰⁵⁴ LE MONDE . du 17 AVRIL 1956 .

¹⁰⁵⁵ L'ACTION .du 16 AVRIL 1956 .

¹⁰⁵⁶ BELHOCINE MABROK :op , cit , p180 .

والحقيقة أن الوفد الخارجي قد كان يلتمس الأعذار والمبررات الكافية للحفاظ على التزاماتهم المغاربية وتأكيد توجههم الثوري المزاحم من قبل قادة الداخل وخاصة بعد إقرار مؤتمر سياسة واقعية للعلاقات المغاربية وهكذا كان لانعقاد مؤتمر الصومام دون حضور الأطراف المهمة الداعية الى فكرة مغربية الحرب والكفاح المغاربي المشترك وفق خطة الخطابى دليلا قطعى على تبني سياسة استقلال القطري وتكريس سياسة جديدة مع النظام البورقيبي وفق المتطلبات الجديدة، والعمل على القضاء على العناصر المشوشة داخل الأقطار المغاربية كما رأينا سابقا لتمرير مشروعها.

المبحث الثالث: دعم الخطابي للثورة الجزائرية

بعد إن استقر الأمير عبد الكريم الخطابي في القاهرة في ماي 1947 بدأ مباشرة بالعمل الوحدوي وضرورة لم تشمل القوى السياسية المغاربية الموجودة في مصر، تحضيراً لإعلان عن الثورة تشمل كل أقطار بلدان شمال إفريقيا، وفي هذا الإطار أسس لجنة تحرير شعوب العرب، وبدا بالإشراف في استقبال الوفود القادمة من تونس والمغرب والجزائر، والقادة المغاربة ودعوتهم لوحدة الكفاح المغاربي المشترك.

ولهذا مثل الأمير عبد الكريم الخطابي قبل اندلاع الأحداث المسلحة بالمغرب العربي، توجه قائماً بذاته يدعوا للعمل العسكري المشترك وتمسك بمبادئ للجنة تحرير المغرب العربي، وهكذا لما اندلعت الثورة الجزائرية فيما بعد زادت في تأكيد هذا الطرح والإيديولوجيات الوحدوية والخيار المسلح.¹⁰⁵⁷

أولاً: الخطابي وتحضيرات أول نوفمبر

احتل الامير عبد الكريم الخطابي بنضاله وشخصيته ومكانته السياسية البارزة¹⁰⁵⁸، في جمع زعماء المغرب العربي بالقاهرة حول مشروع للكفاح المشترك في إطار المكتب المغربي العربي ولجنة تحرير المغرب العربي وتفاعل مع أحداث وقضايا المغرب واحتضانه فيما بعد التوجه الثوري في ظروف جد صعبة وحساسة، الأمر الذي جعل الوطنيين المغاربة يعلقون

¹⁰⁵⁷ عبد الله مقلاتي : المجلة التاريخية المغاربية، عدد 32، المرجع السابق، ص 31 .

¹⁰⁵⁸ مجموعة باحثين : اللجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي الى مصر : الأبعاد والدلالات الوطنية والدولية، ندوة دولية، الحسيمة، المغرب، 2004، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومة وأعضاء جيش التحرير، مطبعة فيد برانت، دار البيضاء، 2004 ، ص 79 .

أمال كبيرة تبنيه إستراتيجية جديدة تقضي بتفعيل المقاومة بكل أشكالها في الفضاء المغربي بكامله.¹⁰⁵⁹

وان صلة الوطنيين الجزائريين بالخطابي كانت قوية، تتوافق معه في مبادئ وأسس العمل المغربي المسلح المشترك وانطلاقا من مكانة الخطابي في جامعة الدول العربية وإيمانه بالهوية الإسلامية والعربية لدول المغرب العربي، وبوحدة كفاحها المسلح من اجل نيل استقلالها وحريتها، باشر العمل في تكوين وتدريب البعثات العسكرية الطلابية في كل من مصر وسورية والعراق، واعد مخططات عسكرية عملية لبدء المقاومة في المغرب العربي، وهذا الأمر وطد صلته مع الثوار الجزائريين، فأكد وفد حركة الانتصار بالخارج، على ضرورة ارتماؤه في المخطط العسكري الشامل الذي تحبزه القيادة المصرية ويسنده عبد الكريم الخطابي.¹⁰⁶⁰

ولقد تبنى الخطابي منذ 1949 خطة حرب التحريرية قطع فيها أشواطا مريرة في سبيل تجسيدها على ارض الواقع، فقد أرسل مبعوثيه الى تونس والجزائر والمغرب لمعرفة الأوضاع هناك والبحث في السبل بهدف إعداد الثورة وتنظيم جيوش تحرير المغرب العربي وفقا لخطته، وهكذا وجد في المناضلين الجزائريين خير معين في ذلك خصوصا بعد تبني بورقيبة للخيار التفاوضي السلمي المسألة القطرية في العمل النضالي، وفشل عز الدين عزوز في إعداد الثورة بتونس¹⁰⁶¹ واستبشر خير ببعثة حمادي العزيز والهاشمي القودار الجراز، إذ نقل

¹⁰⁵⁹ عبد الجليل التميمي : " تحرير المغرب العربي : تقاطع قناعات ومبادئ كل من الامير محمد بن

عبد الكريم الخطابي والزعيم الحبيب بورقيبة، المرجع السابق، ص 113 - 115 .

¹⁰⁶⁰ .عمار رخيعة : البعد المغاربي للحركة الوطنية الجزائرية 1926 - 1958، أطروحة دكتوراه ، قسم

العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 1997، ص326 ، 327 .

¹⁰⁶¹ AZZEDINE AZOZE : op , cit , p 123 .

إليه استعداد المناضلين الثوريين الجزائريين في إعلان الثورة والتنسيق معه من أجل وحدة المغرب العربي.¹⁰⁶²

وعن هذه الاتصالات كتب حمادي العزيز: "...قابلنا السيد عبد الحميد مهري بناء على توصية من السيد قيقة التونسي اخبر السيد مهري أعضاء المكتب الإداري لحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (حزب الشعب الجزائري) بقدمونا ومهمتنا، كان مقر هذا الحزب في ذلك الوقت يوجد في ساحة شارتر... قرر أعضاء المكتب الإداري الاجتماع بنا والاستماع إلينا فوراً يوم وصولنا قبيل الغروب، كان المتحدث معنا هو السيد احمد بودا والى جانبه احمد مزغنة، وحولهما عدد من المسؤولين ... ومن الواقفين السيد عبد الحميد مهري طرحنا عليهم السؤال الآتي: إذا قامت حركة تحريرية موحدة في بلاد المغرب العربي فما موقفكم منها؟ وهل تنظمون إليها؟ وإذا قررتم الانضمام إليها فما هي شروطكم السياسية والعسكرية والإدارية (اللوجستية)؟... أجابنا السيد احمد بودا قائلاً " هذا الموضوع مهم جدا " يخلصنا، وهو يحتاج الى دراسة ومشاورة واتفاق جماعي لاتخاذ القرار في شأنه. لذلك لا نستطيع إجابتم عليه وسنجيبكم فيما بعد"¹⁰⁶³.

وهكذا بعد هذه المشاورات -لا يسعني ذكر كامل الشهادة- عبر قادة والمناضلين الجزائريين موقفهم الصريح والتام عن دعمهم للقضية المغاربية وأنهم مستعدون لدخول في الغمار العمل الثوري المسلح، وفي هذا المجال كان جواب المناضل محمد بوضياف مجيباً عن أسئلة لمبعوثان، بان الجزائر مستعدة في الدخول لثورة الى جانبهم، وهذا ما عبر عنه المجاهد حمادي عزيز إن شهادته انه بعد إن التقى ببوضياف في مقهى جزائري شعبي في حي باب الواد بعد صلاة العصر قال لنا" إن كان المغرب مستعد للثورة فهو مستعد للثورة

¹⁰⁶² عبد الحميد مهري : مجلة الأصالة، السنة 3، المصدر السابق، ص 16 ، 17 .

¹⁰⁶³ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 236 ، 237 .

«¹⁰⁶⁴ وإشارة لهذا اللقاء عدت مصادر جزائرية التي تمت بين الضابطين المغربيين وقادة الثورة الجزائرية، يلخص هذا القرار ما جرى خلاله في مباحثات المناضل محمد بوضياف في كتابه " التحضير للفتح نوفمبر".¹⁰⁶⁵

وفي هذا الصدد يضيف المؤرخ عمار بوحوش، مما جاء فيه: " يبدوا إن إعادة تنظيم المنظمة الخاصة في 1952 له علاقة قوية بالروابط التي قامت بين حركات التحرير في تونس والمغرب في بداية الخمسينات، فقد أكد محمد بوضياف انه في ربيع 1952 وهي السنة التي أعيد فيها تنظيم المنظمة الخاصة حل بالجزائر يومئذ ضابطان من الريف الغربي كلفهما الأمير عبد الكريم الخطابي بالإعداد لعمل ثوري منسق على مستوى الأقطار المغربية الثلاث الخاضعة للحكم الفرنسي، وقد اتصلا بقيادة الحزب ولكن لم يجدا لديها التجاوب المطلوب، ولذلك اتصل بطريقة غير رسمية بالأخ عبد الحميد عضو للجنة المركزية للحزب الذي نظم اتصالا بين الضابطان المغربيين وبوضياف. وبناء على ذلك قام هذا الأخير باستدعاء ديدوش مراد ليحضر لقاءه مع الضابطان القادمين من المغرب وبحث عملية الكفاح المسلح على مستوى المغرب العربي، وبعد هذا اللقاء قام محمد بوضياف المسئول عن الناحية القسنطينية في المنظمة السرية بالاتصال بعربي بن المهدي نائبه في ناحية الشرق الجزائري وديدوش مراد الذي كان مسئولا عن ولاية بنفس المنظمة السرية"¹⁰⁶⁶.

وهكذا فقد أتى الهاشمي الطود ومحمد حمادي العزيز بتقرير مشجع عن الوضعية في الجزائر¹⁰⁶⁷، ووصله بتاريخ 22 افريل 1954 من وهران تقرير مفصل عن مراكز القوات

¹⁰⁶⁴ زكي مبارك : أصول الأزمة في العلاقات المغربية الجزائرية، المرجع السابق، ص 58 .

¹⁰⁶⁵ MOHAMED BOUDIAF : La préparation du 1er Novembre 1954 . COLLECTION EL JARIDA . IMPRIMERIE . S . I . M . PARIS . 1976 . P21 ,22.

¹⁰⁶⁶ عمار بوحوش : المرجع السابق، ص 348 ، 349 ، 350.

¹⁰⁶⁷ محمد حمادي العزيز : المصدر السابق، ص 125

الفرنسية، ووضعت المجندين المغاربة وتوزيعهم على مختلف مناطق الجزائر¹⁰⁶⁸، وقد أثارت مواقف الزعماء السياسيين في تونس والمغرب الريبة في نفوس رجال المقاومة، فتحفظوا عن الولاء للأحزاب السياسية استقلوا بمواقفهم، التي تتسجم مع خطة التحرير التي رسمها الخطابي وطموحات شعوب البلدان المغاربة بهدف التحرير والاستقلال التام.¹⁰⁶⁹

توالى الاتصالات بن بلة ورئيس لجنة تحرير المغرب العربي الأمير عبد الكريم الخطابي في بداية عام 1954، وكانت تهدف الى توحيد الجهود والتنسيق العمل المغربي المشترك بين أعضاء المغاربة عن مكتب المغرب العربي واللجنة تحرير المغرب العربي، برعاية الجامعة الدول العربية والقيادة المصرية، وتوج ذلك باجتماع حضرته كل الأحزاب المغربية الكبرى يوم 3 أبريل 1954 الذي أكد على مسالة التعاون والتعاقد بين الأقطار المغربية الثلاثة.¹⁰⁷⁰

وفي ماي 1954 التقى بن بلة وخيضر مع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي وشقيقه أحمد واتفقوا على دراسة خطة موحدة لمباشرة الثورة عبر جميع أقطار المغرب العربي، وهذه الخطة كانت مطابقة لتصور الثوار الجزائريين والضباط الغاربة التابعين للأمير عبد الكريم الخطابي وتنسيق مخطط العمل بين ضباط لجنة تحرير المغرب العربي ووفد الثورة الجزائرية في الخارج¹⁰⁷¹ وفي سويسرا، اجتمع في أوت 1954، كلا من بن بلة وبوضياف إضافة الى الأمير عبد الكريم الخطابي من المغرب وعز الدين عزوز من تونس، وتم الاتفاق فيها على الخطوط العريضة من توحيد الكفاح المسلح وضرورة دعم وتسهيلها

¹⁰⁶⁸ محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 236 ، 237 .

¹⁰⁶⁹ محمد حمادي العزيز : المصدر السابق، ص 128

¹⁰⁷⁰ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 24 - 28 .

¹⁰⁷¹ عبد الله مقلاتي : المجلة التاريخية المغربية، عدد 32، المرجع السابق، ص 34 .

بتهريب الأسلحة وإدخالها الى الجزائر عن طريق الريف المغربي¹⁰⁷²، وبعد أيام محدودة من شهر أوت، انتقل احمد بن بله رفقة محمد حمادي العزيز لطرابلس ومعه توصيات الأمير عبد الكريم الخطابي للضباط المغريين في تونس وطرابلس بتنسيق العمل المشترك، ووضع جميع الإمكانيات تحت تصرف احمد بن بلة¹⁰⁷³.

وهكذا استطاع احمد بن بلة في الاتفاق مع محمد حمادي العزيز وعز الدين عزوز على إنشاء قيادة موحدة لجيوش تحرير المغرب العربي والتحضير للعمل المسلح وفق المبادئ التي تبناها الخطابي وتمت المصادقة على القرارات التالية :

- 1) تأسيس جيوش تحرير المغرب العربي في كل من تونس والجزائر والمغرب.
- 2) تأسيس قيادة عامة موحدة في الخارج ريثما يتم نقلها الى احد أقطار المغرب العربي.
- 3) تأسيس قيادات خارجية لكل جيش تحرير في الخارج ريثما يتم إدخالها الى أقطار المغرب العربي فيما بعد.
- 4) إعلان الحرب التحريرية ضد الاستعمار الاسباني إذ نكثت الحكومة الاسبانية وعودها وعادت الحركات الوطنية في المغرب العربي.
- 5) اعتبار كل واحد من المجتمعين المؤسسين عضوا في القيادة العامة الموحدة الخارجية وفي القيادة الخارجية لجيش تحرير وطني مع الأعضاء العاملين في لجنة تحرير المغرب العربي ولجنة دفاعها.¹⁰⁷⁴

وهكذا واصلت القيادة العامة للثورة الجزائرية بدعم ومساندة الأمير الخطابي لها في العمل على الترتيبات الأخيرة لبدء الثورة، وذلك باجتماع مجموعة 22، وإعلانه عن مجموعة

¹⁰⁷² بن ابراهيم عبد الرحمان عقون : الكفاح القومي و السياسي 1947 - 1954، ج 3، مؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 465 .

¹⁰⁷³ MOHAMMED LBJAOUI : op , cit ; p 12 .

¹⁰⁷⁴ محمد حمادي العزيز : المصدر السابق، ص 152 - 161 .

السة وما انبقت عنها من قرارات، من إعلان عن تأسيس جبهة التحرير الوطني وكذا جيش التحرير الوطني، وتقسيم التراب الجزائري الى مناطق معلومة بقياداتها¹⁰⁷⁵ وعن موعد انطلاق الثورة المبارك، وفق الاستراتيجيات التي اتفقوا عليها، مع الحرص على التحضيرات المادية والمعنوية للثورة.

¹⁰⁷⁵ تقسيم المناطق :

- المنطقة الاولى : بقيادة مصطفى بن بولعيد ونائبه بشير شيجاني .
- المنطقة الثانية: بقيادة ديدوش مراد ونائبه زيغود يوسف .
- المنطقة الثالثة: بقيادة كريم بلقاسم ونائبه عمر أو عمران .
- المنطقة الرابعة: بقيادة رابح بيطاط ونائبه بوجمعة سويداني .
- المنطقة الخامسة: بقيادة العربي بن المهدي ونائبه بوصوف .
- المنطقة السادسة: تم تعيينها فيما بعد

ينظر : عمار بوحوش : المرجع السابق، ص 360.

ثانيا: الخطابي واستمرارية دعمه للثورة الجزائرية

شكلت اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 المجيدة حدثا بالغ الأهمية في مخطط محمد بن عبد الكريم الخطابي، بحيث ارتكزت هذه الثورة على مجموعة من العناصر الثوريين المتحمسين للكفاح المسلح وهم النواة الأولى لمؤسسي المنظمة الخاصة للكفاح المسلح والجناح السري داخل حركة انتصار الحريات الديمقراطية، مع الذين كانت لهم علاقات عمل مكثفة مع الامير عبد الكريم الخطابي بالقاهرة، وكان نتاج ذلك هي الثورة التحريرية الكبرى الجزائرية التي حققت طموحات الخطابي في الكفاح المغاربي المشترك.

ولهذا نجد عبد الكريم الخطابي قد رأى في نفوس الثوار الجزائريين حماس في تفعيل العمل المغاربي المشترك وذلك من خلال ما قرأه في بيان أول نوفمبر في الجزء المتعلق بقضية المغرب العربي جاء فيه " وغايتنا في الميدان الخارجي هي تدويل القضية الجزائرية وتحقيق وحدة شمال إفريقيا في نطاقها الطبيعي الذي هو النطاق العربي الإسلامي " ¹⁰⁷⁶، كون إن هذا البيان لم يحيد عن مبادئ ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي والتي وقع عليها منذ عام 1948، وأقرّ الخطابي بان الثورة الجزائرية " هي ثورة كل لعرب، فهي ثورة على الاستعمار والعبودية، وهي ثورة على التحكم وإذلال الفرد، وهي ثورة قومية تهدف الى المساهمة في توحيد العرب وجمع شملهم"، ولهذا نجد إن الامير قد وجه نداء الى الثوار الجزائريين معربا عن مباركته وإعجابه بالثورة الجزائرية، ونلمس ذلك من خلال قوله " فنهضتم تدافعون عن هذا الدفاع المبارك المجيد، ونزلتم الى الميدان الذي تريده الجماعة الضالة جماعة المخربين الذين سمو أنفسهم معمرين ¹⁰⁷⁷، لم تقتصر مجهودات الامير عبد الكريم الخطابي لدعم الثورة الجزائرية على هذا النحو فقط بل طلب المساعدة من الملوك

¹⁰⁷⁶ أحمد بشيري: الثورة الجزائرية والجامعة العربية، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، 2009، ص 56 .

¹⁰⁷⁷ فضيل الورتلاني : المصدر السابق، ص 225

والرؤساء فكاتبتهم وخطب في المحافل والتجمعات ورفع العديد من المذكرات¹⁰⁷⁸، ومنها المذكرة التي رفعها الى الجامعة العربية بتاريخ 29 نوفمبر 1954، تحمل في بنيتها كل معاني التقدير لأعضائها، ثم يشير الى الحالة المزرية التي وصل إليها أبناء المغرب العربي كل من مراكش وتونس والجزائر من ويلات الاستعمار وغطرستها، ثم ثنى على الثورة الجزائرية الجيدة، ودعي الى ضرورة الوقوف الى جانبها ودعمها لما تحتاج إليه ماديا ومعنويا مؤكدا ذلك بقوله " إن الحالة في تلك الديار قد تغيرت تغيرا يستوجب من الجميع عناية خاصة وجدية، والثورة التي قامت أخيرا في الجزائر بعد حوادث تونس ومراكش أخذت طابعا من الجد، قدره العدو كما تعلمون حق قدره، ولا ربما قدره أكثر قدره، ليضمن العواقب لصالحه، ونحن نأمل إن تكون هذه الحركة الجدية بداية لنهاية الاستعمار الفرنسي في بلادنا، ولكن ذلك متوقف المحالة على ما نقوم به من أعمال جدية، وما نؤخذ به من الأسباب معقولة.¹⁰⁷⁹

كما صرح الامير عبد الكريم الخطابي في مؤتمر صحفي عقد في القاهرة مع بداية عام 1956 يهدد فيه القوات الغازية بعودة الكفاح المسلح في بلدان المغرب العربي في حالة إذا لم تستجب لمطالب الشعوب المغلوب على أمرها في بشمال إفريقيا مصرحا ما يلي: " إذا لم تستجب فرنسا لمطالبنا المشروعة فإننا لن نكون المسؤولين عما يحدث لأرواح الفرنسيين وممتلكاتهم، لقد قتلت القوات الفرنسية في غضون الأشهر القليلة الماضية أكثر من مئة ألف جزائري وطردت ما يزيد عن نصف مليون من ديارهم إن هذه الجرائم مازالت مستمرة في منطقة تقاثل فيها بضعة آلاف من الوطنيين أكثر من نصف مليون جندي فرنسي ومعهم

¹⁰⁷⁸ عبد الله مقلاتي : المجلة التاريخية المغربية، عدد 32، المرجع السابق، ص37

¹⁰⁷⁹ فضيل الورتلاني : المصدر السابق، ص223 .

مختلف صفوف الأسلحة¹⁰⁸⁰ وهذا ما يؤكد لنا الاهتمام الكبير الذي أولاه الامير عبد الكريم الخطابي بالثورة الجزائرية، كما حضيت القضية الجزائرية الجزء الكبير من جدولة أعماله، ولهذا نجده مبارك للثورة الجزائرية ويعمل على توجيهها ويقدم لها النصائح هذا من جهة ومن جهة ثانية يقدم لها الدعم والمساندة¹⁰⁸¹.

ومع اشتداد لهيب المقاومة الجزائرية المغربية وتوحيدهما، هنا سارعت السلطات الفرنسية الى مفاوضات اكس لبيان في أكتوبر 1955 وقبلها مع تونس وبدأت قيادات حزب الاستقلال مناوراتها لوقف القتال والعمل على الدخول في مفاوضات مع السلطات الاستعمارية، والعمل على إيقاف جيش التحرير في شمال إفريقيا أو بالأحرى جيش التحرير المغربي، كانت انتكاسة كبرى عدها عبد الكريم الخطابي مؤامرة على فكرة توحيد معركة تحرير شمال إفريقيا " وجريمة جعلت الاستقلال غير حقيقي "، فلم يبق أمامه إلا أن يسجل شهادته بتاريخ " إن ما يحاك ضد الوطن خيانة، وإن الدعوة الى إلقاء السلاح مؤامرة وإن حقيقة الاستقلال في شمال إفريقيا هوان"¹⁰⁸²، مادام هناك " جيش الاحتلال والى جانبه جيش آخر من المدنيين الموزعين على الوزارات والمصالح"¹⁰⁸³.

وجذور الأمل الوحيدة بقيت مشتتة في الجزائر، فوجه الامير جل اهتمامه بالقضية الجزائرية، فنجده يوقع مع الجزائريين المتواجدين في مصر على بيان تأسيس " جبهة تحرير

¹⁰⁸⁰ مصطفى طلاس ويسام العسلي : الثورة الجزائرية، دار الرائد لكتاب، دمشق، 2010 ، ص 268 ،

. 269

¹⁰⁸¹ المرجع نفسه، ص 269 .

¹⁰⁸² نداء إلى أبناء شمال إفريقيا نشرته مجلة الأمانى القومية، بتاريخ 25 فيفري 1957، ينظر الملحق

رقم : 15 .

¹⁰⁸³ جريدة الأمانى القومية، بتاريخ 25 فيفري 1957 .

الجزائرية" التي أسندت رئاستها الى الامير لفضله على حركات التحرير في المغرب العربي وسداد راية في كل عمل يكون الغرض منه مقاومة الاستعمار والمستعمرين¹⁰⁸⁴.

وهكذا عبر الخطابي عن مساندته الكاملة للثورة الجزائرية، اعتبر كل من يحاول النيل منها خائنا للوطن والتاريخ، وبخاصة بعدما أصيب بخيانة أمل كبرى بسبب ما جرى في تونس والمغرب الأقصى، ولإيمانه بان ذلك كان موجها الى الجزائريين الذين هم في أمس الحاجة الى كل مساعدة وهم في الميدان¹⁰⁸⁵. وكان رأي عبد الكريم الخطابي واضحا لا يحتمل التأويل " انا أعارض أي اتجاه لإضعاف المقاومة الشعبية حتى يخرج آخر جندي أجنبي من البلاد... وأعارض إي تراخ في شد أزر ثورة الجزائر، لأنه لا استقلال للمغرب ما لم يتحقق للجزائر استقلالها وتتخلص من أخطبوط الاستعمار " ¹⁰⁸⁶

أمام خمس المغرب الأقصى وحزب الاستقلال بموقفها التفاوضي مع فرنسا، أعلن الخطابي بكل وضوح معارضته السياسية للمفاوضات، وندد بقرار وقف القتال ودعي على ضرورة استمرار في الكفاح المسلح والعمل على مغربة الحرب وفق للإيديولوجيات التي وقعوا عليها في اللجنة تحرير المغرب العربي¹⁰⁸⁷، غير إن بعض العناصر من قادة جيش التحرير المغربي ظل مرابطا بالجبال و متمسك روحيا بأفكار المجاهد الامير عبد الكريم الخطابي، ولم يكن من السهل على حزب الاستقلال والمخزن من احتوائهم¹⁰⁸⁸، وقد أكد المناضل محمد البصري في شهادته قائلا: " عندما بدأنا نرتبط بالجزائر ونتجه نحو وحدة النضال في المغرب العربي، كان واضحا آنذاك بان الخطابي يمثل رمزية هذا الأفق، كما

¹⁰⁸⁴ فضيل الورتلاني : المصدر السابق، ص 227 .

¹⁰⁸⁵ جلال يحي : عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 139 .

¹⁰⁸⁶ جريدة "أخر الساعة"، بتاريخ 24 أبريل 1957 .

¹⁰⁸⁷ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 37 ، 38 .

¹⁰⁸⁸ أحمد خليدي وحמיד خباش : المصدر السابق، ص 42 .

كان واضحا إن نموذج الجزائر أضحى مقلقا، تولد الخوف في المغرب العربي من تكرار النموذج، ومن إن هذا المولد الثوري المسلح بالمغرب (جيش التحرير المغربي) سيتجه نحو الخطابى كمرجعية¹⁰⁸⁹: " وهذا يؤكد لنا مدى تخوف الجهات المغربية المعنية بالمفاوضات من تجربة الثورة الجزائرية، وصداها كل الأحزاب السياسية في المغرب الأقصى وكل سلطة القصر، ولهذا نجد إن سلطات المخزن وبالتحالف مع حزب الاستقلال عملت جاهدة على عرقلة العمل المغاربي بين الجزائر والمغرب، بل متابعة عناصر جيش تحرير المغربي وتصفيته وإدماج البعض منها داخل جيش الوطني التابع للقصر كما رأينا سابقا، لكن الخطابى أعلن رفضه لوقف القتال وحل جيش التحرير المغربي قبل إن يتجسد المغرب العربي، وأكد إن هذا الجيش قد كان له الدور الكبير في استقلال تونس والمغرب، ولهذا قام الامير بكتابة منشور وزعته قيادة أركان الحرب العليا لحركة المقاومة " جيش التحرير " مما جاء فيه " إن الاستقلال الحقيقي للمغرب لن يكون كاملا إلا إذا استقلت إفريقيا الشمالية بكاملها"¹⁰⁹⁰.

أمام هذه الظروف شجعت جبهة التحرير الوطني الامير الخطابى على المضي في موقفه فقط أكثر على حزب الاستقلال والعرش من مواقفها السلبية تجاه الكفاح المغاربي المشترك، في هذا الصدد استعرض محمد خيضر لنا موقف الخطابى اثر الإعلان في باريس عن قرب التوصل الى اتفاقية الاستقلال جاء فيها " وفي الوقت الراهن يتخذ عبد الكريم المواقف نفسها تجاه حزبي الاستقلال وبورقبيية، وان الاتفاق المبرم بين الحكومة الفرنسية والسلطان، قد ندد به علانية عن طريق الصحافة، وهو يرى إن التصريح الذي أدلت به الحكومة الفرنسية وتعترف فيه باستقلال المغرب، ليس إلا مناورة موجهة

¹⁰⁸⁹ محمد البصري الفقيه : كتاب العبرة والوفاء، حوار سيرة الذاتية مع الحسن نجمي، ط1 ، مؤسسة

محمد الزرقطوني، دار البيضاء، المغرب، 2002 ، ص 78 .

¹⁰⁹⁰ عبد الرحيم الورديني : المرجع السابق، ص 19 ، 20 .

لتفويض المقاومة المغربية وخداع الرأي العام، وأنها تهدف قبل كل شيء إلى عزل الكفاح الجزائري¹⁰⁹¹ .

ويضيف خيضر إن الامير ابلغهم في جلسة خاصة مع قادة الثورة الجزائرية انه سيواصل الكفاح في المغرب لأطول مدة مادامت إقدام الجيوش الفرنسي على تراب المغربي. فرحب الثوار الجزائريين بهذا الموقف البطولي للخطابي وشجعوه على ضرورة مواصلة جهوده الوحدوية والعمل على التنسيق الكفاح المغاربي المشترك وأنهم هم أول من سيخوض في هذا الميدان¹⁰⁹² .

ولقد كانت الثورة الجزائرية تأمل في استمرار المقاومة حتى يتحرر كامل بلدان المغرب العربي (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، ووجدت بعد استقلال تونس والمغرب في مواقف الخطابي سندا لأفكارها فهو قد رفض العودة الى بلده الذي لم ينجز استقلاله بعد، في نظره، واستمر في نضاله الى إن توفي وفي قلبه حسر من المواقف المتخاذل الذي اتخذه المغربيون من ثورة الجزائر.¹⁰⁹³ واجتهد الخطابي في بث روح الجهاد لدى بعض فرق جيش التحرير في منطقة الريف، وقد أكد في بيان له استمرار المقاومة ونبه إلى إن هناك جيش التحرير المغربي المصطنع الذي هو أداة اسبانية، " وإما الجيش الحقيقي لا يزال يكافح الاستعمار ولا تزال الجهود تتواصل للقضاء عليه نهائيا"¹⁰⁹⁴ .

¹⁰⁹¹ رسالة من محمد خيضر إلى عبان رمضان، بتاريخ 15 فيفري 1956، ينظر :

MABROUK BELHOCINE : **op , cit** , p 135 .

¹⁰⁹² **ibid** , p 135 , 136 .

¹⁰⁹³ مصطفى أعراب : المرجع السابق، ص ص 62 .

¹⁰⁹⁴ عبد الله مقلاتي : المجلة التاريخية المغاربية، عدد 32، المرجع السابق، ص 48 .

وقد وقف الخطابي مدعماً لمشروعية الكفاح المسلح داخل الأقطار المغاربية الثلاث وعدم التخلي عن الجزائر لوحدها في المعركة، ولم ينجح السفير المغربي في القاهرة عبد الخالق طريسي ووفد من حزب الاستقلال في تغيير أوثني مواقف الامير أثناء التفاوض معه في القاهرة حول موقفه الخطيرة على البلاد، ويؤكد البصري إن الامير عبد الكريم الخطابي جدد لهم رفضه التام العودة الى المغرب حتى يتحرر كامل المغرب العربي، وانه يتوجب على المغربيين الوقوف الى جانب الجزائر وموازرتها في حربها.¹⁰⁹⁵

وقد واكب الامير عبد الكريم الخطابي جميع تطورات الثورة الجزائرية، وسجل مواقفه الشجاعة في العديد من النداءات والخطب، في ضرورة التجنيد للدفاع عن الثورة الجزائرية بكل إخلاص وتفان، إذا أكد دعمه للقضية الجزائرية من خلال مراسلاته مع المسؤولين والزعماء، وكان يدعم حرص الثورة على التمسك بالخيار العسكري، وان هذا الخيار وحده الكفيل بخدمة القضية الجزائرية وبعد مجيء ديغول للحكم مع الجمهورية الخامسة وضغوطات التونسية والمغربية على قيادة الثورة بالدخول في مفاوضات مع الحكومة الديغولية، أذاع الامير عبد الكريم الخطابي بيان بخصوص هذا الموضوع يوم 10 أوت 1958 حمل فيه بعض الأطراف المنساقاة وراء الحلول التفاوضية، واعتبرها-أي المفاوضات- أنها تصب في خدمة الاستعمار: " فهم يتحدثون إرادة الشعب الجزائري الممثل بجبهة التحرير الجزائرية " وهم بذلك "...إنما يلتقون مع الجنرال ديغول وغيره من ساسة فرنسا الاستعماريين في محاولة تصفية قضية الجزائر، وتوحيد خطط الاستعمار في أقطار شمال إفريقيا" وأكد إن هذه المواقف تستنكرها شعوب المغرب العربي وان الثورة الجزائرية ماضية في طريقها، وما على الشعوب سوى اليقظة والحذر من مثل هذه الدعوات.

¹⁰⁹⁵ ينظر الى شهادة البصري المقدمة في الذكرى الأربعين لوفاة الخطابي، يوم 26 جويلية 2003، بالرباط، " جريدة العلم " 27 جويلية 2003 .

كما رد الامير الخطابي على الأعمال الخبيثة التي قامت بها السلطات الفرنسية التفجيرات النووية في الصحراء الجزائرية في مطلع الستينات من القرن العشرين، وفي تصريح آخر للأمير عبد الكريم الخطابي بشأن القضية الجزائرية يتساءل ويتعجب من ديغول قائلاً: " إن ديغول كان من الذين لم يقبلوا إن يستولي احد على بلادهم... فلماذا يبيح لنفسه ما ليقبله غيره وهو لاستيلاء والبقاء في بلاد الجزائر وشمال إفريقيا " ¹⁰⁹⁶ وفي أحداث أكتوبر 1958 ساند الامير عبد الكريم الخطابي الضباط الجزائريين المناوئين للحكومة الجزائرية المؤقتة وكذا الثوار بالريف المغربي، بهدف التغير وتأكيد حضوره السياسي والعسكري في بلدان المغرب العربي ¹⁰⁹⁷، وفيه بعض الشهادات تؤكد إن بعد فشل المخابرات أو السلطات المصرية احتواء الثورة الجزائرية وخصوصا بعد اعتقال بن بلة عمدت السلطات المصرية على استعمال ورقة عبد الكريم الخطابي ¹⁰⁹⁸ بهدف تثوير منطقة المغرب العربي باسم " تصحيح التوجهات السياسية"، بواسطة الضباط المكونين في كليات المصرية وبعض المقربين من الخطابي، وظهرت دعوة الى تصحيح توجهات الثورة الجزائرية والثورة على العرش في الريف المغربي، واستغلت المخابرات المصرية الظروف الصعبة التي تمر بها الثورة الجزائرية ولجأت الى تشجيع الضباط المعاقبين (محمد العموري، مصطفى لكحل) للانقلاب على قيادة الحكومة المؤقتة في تونس وتصحيح مسار الثورة، فاحتضن الخطابي هذا التوجه الثوري بل مساندة وانساق وراء المخطط المصري ولما فشلت محاولة الانقلاب تبين له أنها مغالطة كبيرة راح ضحيتها خيرة الضباط بسبب توجهاته ودعمه لهم. ¹⁰⁹⁹

¹⁰⁹⁶ عبد الله مقلاتي: المجلة التاريخية المغربية، عدد 32، المرجع السابق، ص 50 .

¹⁰⁹⁷ محمد البصري الفقيه : المرجع السابق، ص 246 .

¹⁰⁹⁸ الذي كان يشترك مع السلطات المصرية في التوجه القومي الديني لكن التوجه السياسي المصري

كان براغمتيا الى ابعد الحدود .

¹⁰⁹⁹ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 40 - 42 .

ومنه ظل الامير عبد الكريم الخطابي يساند الثورة الجزائرية ويعمل على خدمة القضايا المغاربية، وان مواقفه وآرائه تهدف لخدمة التوجه الثوري الذي كان يلتقي مع أطروحات وإيديولوجيات جبهة التحرير الوطنية الأمر الذي جعله يحافظ على علاقات وطيدة ومثلية بينه وبين قادة الثورة الجزائرية الى غاية تحقيق الجزائر استقلالها عام 1962.

ثالثاً: توجيهات الخطابى فى استحداث قواعد خلفية للثورة الجزائرية بطرابلس

حضيت ليبيا باهتمام بالغ فى إستراتيجية الثورة الجزائرية، وعول عليها كثيرا بحكم أهمية موقعها فى تسهيل نشاط تمرير الأسلحة وإقامة القواعد الخلفية للإمداد والتمرين الثورة الجزائرية.

ولقد شكل استقلالها المبكر-أي ليبيا- منذ عام 1951 باعثا للجوء الوطنيين الجزائريين والتونسيين إليها واعتمادها كقاعدة خلفية للثورة بدعم من الامير عبد الكريم الخطابى، بحيث تضاعفت مجهودات الأمير فى كسب التأييد والدعم للثورة الجزائرية داخل وخارج الوطن، بحيث قدمت ليبيا حكومة وشعبا دعما مستمرا للقضية الجزائرية ووقف الشعب الليبي بتضامنه الفعال بتأييد الثورة الجزائرية منذ اندلاعها ماديا ومعنويا¹¹⁰⁰ وهذا ما سنلاحظه من خلال مجهودات الخطابى فى محاولاته للتنسيق بين الثورة التحريرية الجزائرية وطرابلس، حيث بدا الخطابى تنسيق عمله مع احمد بن بلة ومحمد خيضر فى القاهرة، ودرسوا خطة العمل الثورية المراد تطبيقها على ارض الواقع بهدف استقلال الأقطار المغربية الثلاثة. فانقل احمد بن بلة رفقة حمادي العزيز لطرابلس فى أوت 1954، ومعه توصيات الزعيم عبد الكريم الخطابى للضباط المغاربة فى كل تونس والجزائر وطرابلس بتنسيق العمل المشترك ووضع الامير جميع الإمكانيات تحت تصرف احمد بن بلة.¹¹⁰¹

وفى طرابلس نجح بن بلة فى الاتفاق مع محمد حمادي العزيز وعز الدين عزوز على ضرورة تحضير العمل المسلح وفق المبادئ التي خططها الامير عبد الكريم الخطابى وجعل

¹¹⁰⁰ عبد الله مقلاتي : دور المغرب العربي وإفريقيا فى دعم الثورة الجزائرية، ج2، ط1، دار السبيل، الجزائر، 2009، ص 190 .

¹¹⁰¹ عبد الله مقلاتي : المجلة التاريخية المغربية، عدد 32، المرجع السابق، ص40 .

من منطقة طرابلس قاعدة خلفية لدعم كفاحها المسلح المغاربي بصفة عامة¹¹⁰² وبعد دعم الثورة الجزائرية على وجه الخصوص، كما ساعد على كسب الموقف السلطات الليبية لصالح مطامح دعم الثورة الجزائرية عاملان أساسيان هما:

• تضامن الملك إدريس السنوسي التلقائي مع الجهاد الجزائري وذلك لاعتبارات كثيرة منها أصوله الجزائرية، ونزعتة الدينية والقومية التي يتشارك فيها مع الخطابي.

• العلاقات والنفوذ الذي كان تمارسه مصر على السلطات السياسية في ليبيا وخاصة رئيس الحكومة مصطفى ابن حليم ورئيس التشريفات، الملكية ابراهيم الشلحي

وتؤكد شهادة كل من فتحي الديب¹¹⁰³ واحمد بن بلة¹¹⁰⁴ على الدور الفعال الذي أسهم

به رئيس الحكومة الليبية مصطفى ابن حليم مبكرا في دعم الثورة الجزائرية، ووقوفه على

النشاط السري لتمير الأسلحة عبر الأراضي الليبية¹¹⁰⁵، وقد أوضح الديب إن ابن حليم كان

يكن تقديرا واحتراما للقيادة المغربية التي وضعت فيه كل ثقته، وأنه دون عرض الموقف

على الملك الليبي استجاب لمطلب دعم الثورة الجزائرية¹¹⁰⁶ واتفق ابن حليم وإبراهيم

الشلحي مع قائد قوات دفاع ببرقة الزيت محمود بوقويطين على تسليم الأسلحة من المعبرين

على الحدود وتميرها عبر برقة باتجاه طرابلس، وألان ستكون طرابلس ممرا ومخزنا للأسلحة

وقاعدة عسكرية خلفية وفق مخططات التي تدارسها الخطابي مع ابن بلة، واختار ابن حليم

احد الضباط المقربين منه للمهمة الأصعب، إذ استدعي عبد الحميد درنة وفاتحه في

موضوع مساعدة الثوار الجزائريين على تهريب الأسلحة وتشكيل فريق من عشرة ضباط لهذه

¹¹⁰² محمد حمادي العزيز : المصدر السابق، ص 152 - 161 .

¹¹⁰³ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 62 - 67 .

¹¹⁰⁴ أحمد بن بلة : المصدر السابق، ص 107 .

¹¹⁰⁵ - A.N.A : GPRA, B4, dos 4-8.

¹¹⁰⁶ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 62 - 67 .

المهمة السرية، واختلاق مبرر لرفع مسؤولية قائد الشرطة البريطانية بطرابلس " جايلز " عنهم، وجعلهم تحت الوصاية المباشرة لرئيس الحكومة وتحقق ذلك بإيهام " جايلز " إن رئيس الحكومة يراقب بمعية مجموعة الضباط تحركات مصرية مشبوهة في طرابلس، وفي هذا الصدد يقول ابن حليم: " فالسلاح والعتاد سيكون أما محمولاً في سيارات يراقبها ضباط قوة دفاع برقة (في برقة) أو يتولى نقله وتهريبه ضباط شرطة ولاية طرابلس الغرب بنافسهم...¹¹⁰⁷ .

وهكذا اطمئن مسؤولو الوفد الخارجي والمخابرات المصرية على نجاح في تمرير الأسلحة التي كانت تؤرقهم وفق الخطة التي رسمها ابن حليم، وانفق ابن بلة مع فتحي الديب على ضرورة تهريب كمية من الأسلحة الى الجزائر عشية انطلاق الثورة الجزائرية وذلك بالاتفاق مع حكومة الليبية ابن حليم بتمرير الأسلحة القادمة من مصر، وتم بالفعل نقل بعض قطع من الأسلحة بواسطة التجار الليبيين وذلك بالتنسيق مع الخلايا المغاربية التي عمل عبد الكريم الخطابي على إنشائها وتفعيلها داخل التراب الليبي وبعض قادة الأوراس¹¹⁰⁸ وبفضل مجهودات عبد الكريم الخطابي حققت الخلايا المغاربية المتواجدة هناك على إنشاء جيش تحرير المغرب العربي بطرابلس وشراء كميات معتبرة من الأسلحة من الأسواق الليبية وتجنيد عدد من المهريين والوسطاء الليبيين والتونسيين للعمل مع الثورة الجزائرية، ويذكر احمد بن بلة إن أصدقائه الليبيين وفروا له كميات من الأسلحة نجح في تهريبها الى جبال الأوراس عبر الحدود التونسية¹¹⁰⁹ .

¹¹⁰⁷ مصطفى احمد بن حليم : صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي، مذكرات رئيس الحكومة ليلية الأسبق ، ط2 ، مطبع الأهرام التجارية، مصر، 199، ص 356 .

¹¹⁰⁸ MOHAMMED LBJAOUI : op , cit , p 128 . 129 .

¹¹⁰⁹ أحمد بن بلة : المصدر السابق، ص 106 .

ونتيجة تشديد الرقابة على إقليم برقة تم تأجيل مخطط دفعة أخرى من الأسلحة المخطط تمريرها من الحدود المصرية الى طرابلس واستبدالها بعمليات الإنزال البحري التي توفر سرعة اكبر وسرية اضمن، درس ابن بلة هذا المخطط مع أبي درنة الذي استشار رئيس الحكومة في الأمر، واتخذت السلطات المصرية بنقل الأسلحة بعد مشاوراتها مع ابن حليم رئيس الحكومة في الأمر، ووافق هذا الأخير تحمل مسؤولية إنزال وإخفاء الأسلحة بطرابلس¹¹¹⁰، وفي 7 ديسمبر 1954 كان العقيد أبي درنة في استقبال اليخت " انتصار " في خليج منزوي غرب مدينة طرابلس، وتم إنزالها بنجاح وتسليمه لابن بلة ليتكفل بتهريبه الى داخل الجزائر¹¹¹¹ وغيرها من العمليات الأخرى من تهريب الأسلحة والذخيرة لا يسعنا ذكرها كلها.

وهكذا استطاع ابن بلة برفقة فتحي الديب وفق توجهات الامير عبد الكريم الخطابي من جعل منطقة طرابلس قاعدة إمداد متقدمة لمجاهدي المغرب العربي، وعمل بشير القاضي جنبا الى جنب مع الضابط المغربي الهاشمي الطود ومسؤولي المقاومة التونسية عز الدين عزوز وعبد العزيز شوشان والإخوة الليبيين في توفير السلاح وتدريب المجاهدين وتنسيق العمل الوحدوي المشترك¹¹¹²، وبذلك أصبحت القوات المدعمة للثورة الجزائرية مععمة على كامل أطراف المغرب العربي ويتنسيق موحد من كامل الأقطار المغاربية الثلاث (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) المرابطة بطرابلس، مطبقة لتوجهات وخطة الامير عبد الكريم الخطابي الذي ظل طول حياته ينادي بضرورة الكفاح المسلح والعمل على مغربة الحرب.

¹¹¹⁰ فتحي الديب : المصدر السابق، ص 62 ، 63 .

¹¹¹¹ مصطفى بن حليم : المصدر السابق، ص 356 .

¹¹¹² عبد الله مقلاتي : العلاقات الجزائرية - المغاربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية، المرجع السابق

، ص 70 ، 71 .

رابعاً: مؤتمر طنجة وخيار إيديولوجيات الخطاب في دعم ثورة الجزائر

1) انعقاد مؤتمر طنجة

بعد شهرين من عملية الاتصالات والمحادثات بين الأحزاب الثلاثة: حزب جبهة التحرير الوطني، والحزب الحر الدستوري، حزب الاستقلال على عقد مؤتمر ثلاثي بمدينة طنجة¹¹¹³ وحدد تاريخ انعقاده في أبريل 1958، بالاتفاق بين ممثلي الأحزاب والصدور عنهم بلاغ جاء فيه " إن ممثلو الحزبين - أي حزب الدستوري الجديد وحزب الاستقلال- نظرا في إبراز وحدة المغرب العربي من طور الفكر النظري الطور الواقعي التطبيقي وسجلوا وحدة نظرهم في المشاكل القائمة بالشمال الإفريقي على رأسهما ضرورة استقلال الجزائر"¹¹¹⁴، وتم تحديد اليوم الذي تم فيه أشغال المؤتمر وذلك في 27 أبريل 1958 في " قصر المارشان الملكي" حيث انطلقت جلسات المؤتمر واستمرت طيلة أربعة أيام، انعقدت الجلسة الافتتاحية العامة للمؤتمر بحضور أزيد من 150 صحفيا من جنسيات وأقطار مختلفة¹¹¹⁵ برأسه علال الفاسي، وجمع الى جانب حزب الاستقلال

¹¹¹³ مدينة طنجة مدينة مغربية تقع في أقصى الشمال الغربي للمملكة المغربية، وهي نقطة وصل بين المملكة وأوروبا الغربية، كانت خلال القرن 18 عاصمة المغرب الدبلوماسية، ففيها كان يقيم ممثلوا الدول الأجنبية، وأول اعتراف رسمي يوضع مدينة طنجة كمدينة دولية جاء في معاهدة بين فرنسا وإسبانيا سنة 1902، إذ أعلنت الدولتان على قبول حياد المدينة نهائيا، بحيث كانت كملجأ سياسي من المنطقتين الفرنسية والإسبانية وفي نفس الوقت كانت ملجأ كذلك للعملاء والأجانب وتجار الأسلحة، وتم استرداد مدينة طنجة عام 1957، بعدما كانت مسيرة من طرف 11 دولة أجنبية، للمزيد من الاطلاع ينظر: روم لاندو: تاريخ المغرب في القرن العشرين، المصدر السابق، ص 218 - 230.

¹¹¹⁴ " المجاهد"، " طريق الوحدة المغربية"، العدد 21، يوم 01 أبريل 1958، ص 2.

¹¹¹⁵ أبو بكر القادري: مذكراتي في الحركة الوطنية، ج3، القسم الأول، مؤتمر طنجة لوحدة المغرب العربي، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، المغرب، 2002، ص35، 36.

المغربي، حزب الدستوري الجديد التونسي وجبهة التحرير الوطنية الجزائرية¹¹¹⁶ وبلغ عدد أعضاء الوفود المشاركة في المؤتمر حوالي 19 عضو¹¹¹⁷ وفيما يخص عن قائمة الوفود الرسمية المشاركة¹¹¹⁸ في المؤتمر كالاتي:

- وفد الجزائري: -فرحات عباس- عبد الحفيظ بوصوف- عبد الحميد مهري- الدكتور احمد فرنسي- احمد بومنجل -مولود قايد.
- الوفد التونسي: الباهي الادغم- الطيب مهيري - عبد الله فرحات - احمد تليلي- علي البلهوان- عبد المجيد شاكر.
- الوفد المغربي: علال الفاسي- احمد بلا فريج- المهدي بن بركة- عبد الرحيم بوعبيد - الفقيه البصري- محجوب بن الصديق - أبو بكر القادري .

وافتتحت جلسات أشغال المؤتمر بقصر المارشان على الساعة الخامسة والنصف مساء وقد القي ممثلو الوفود المشاركة خطب الافتتاحية¹¹¹⁹، فالقي كلمة الافتتاح احمد بلفريج - ليس علال الفاسي كما يعتقد- الأمين العام لحزب الاستقلال، الذي " حدد فيها الأهداف المتوخاه من وحدة المغرب العربي "، والتي تعتبر حقيقة تاريخية، وتلاه عبد الحميد مهري، الذي القي كلمة الجزائر بالنيابة عن رئيس الوفد فرحات عباس، الذي اعتبر إن هذا المؤتمر محطة تاريخية هامة للأقطار

¹¹¹⁶ LA conférence de l' unité Tanger, (27 -30_04_1958) , Tunisie , secrétariat d' état a l' information , 1958 . P 09 .

¹¹¹⁷ جورج الراسي : " وحدة المغرب من وحدة العرب "، مجلة الحوار، العدد 12 ، ماي 1988، ص 35 .

¹¹¹⁸ للمزيد للاطلاع على الشخصيات التي حضرت هذا المؤتمر ينظر الى القائمة الكاملة في محضر الجلسات مؤتمر طنجة في الملحق رقم :16 .

¹¹¹⁹ للمزيد من الاطلاع على تفاصيل على خطب الافتتاح، ينظر الملحق رقم :17 .

المغربية، نظرا لكفاح شعوب المغرب العربي عشرات السنين من اجل تحريره ووحدته وأكد على أن " وحدة المغرب العربي ضرورة ملحة، لاستخلاص الجزائر من الاستعمار... لتحقيق حريتها واستقلالها ¹¹²⁰" ثم جاءت الكلمة الأخيرة لرئيس الوفد التونسي الباهي الادغم الذي عبر بان هذا المؤتمر هو " نقطة انطلاق وتحول في التاريخ الحاضر... بانسجامه الوثيق مع الواقع السياسي ¹¹²¹" من هنا يمكن ملاحظة إن اغلب خطب الافتتاح قد ركزت على محور استقلال الجزائر وحريتها ¹¹²².

وبعدما انهي ممثلو الوفود الثلاثة من إلقاء كلمات الافتتاح حدد علال الفاسي جدول الأعمال التي ستناقش في المؤتمر والتي احتوت كل النقاط التالية :

1. حرب استقلال الجزائر:

✓ انعكاسات الحرب على مستوى المغرب العربي.

✓ تدخل الغرب وتواطؤه مع فرنسا.

✓ الوسائل العملية للتعجيل باستقلال الجزائر.

✓ الإجراءات التطبيقية المترتبة على هذه الوسائل.

2. تصفية بقايا السيطرة الاستعمارية في أقطار المغرب العربي:

✓ المناطق التي ما تزال تحت الإشراف الفرنسي في المغرب.

✓ انسحاب القوات الأجنبية.

✓ الوجود الفرنسي في الإدارة والاقتصاد.

✓ المشاكل الحدودية.

¹¹²⁰ خطاب الكامل لأحمد بلفريج وخطاب عبد الحميد مهري، ينظر الملحق رقم 17 .

¹¹²¹ الخطاب لباهي لدغم، ينظر الملحق رقم : 2، نفسه

¹¹²² معمر العايب : المرجع السابق، ص 142 .

3. الوحدة المغربية:

✓ ضرورتها.

✓ إشكالها.

✓ محتواها.

✓ المرحلة الانتقالية.

4. الهيئة الدائمة لتنفيذ قرارات المؤتمر¹¹²³

وعالج المؤتمر جدول الأعمال هذه المحاور في جلسات مغلقة، وطرحت من البداية التزام الوفود الثلاث بتنفيذ القرارات، وهذه المسألة طرحت من قبل وفد جبهة التحرير الوطني الذي التزم منذ البداية وبدون تردد على الالتزام بتنفيذ قرارات مؤتمر طنجة، أما بالنسبة للوفدين التونسي والمغربي ورغم كونهما في استقلال تام وأريحيه مما عليه الجزائر إلا أنهما ترددا في اتخاذ قرار الالتزام بقرارات المؤتمر، مبررين ذلك في إن التمثيل " الرسمي " لحكومتيهما غير الموجودة في المؤتمر، وحاولوا الاكتفاء بسعيهم لدى حكومتهم لتنفيذ قرارات المؤتمر، ومع حدة مناقشة المسألة اهتدى الوفدان الى التعهد بتنفيذ قرارات المؤتمر على مستوى قنوات حزبيهما أو قنوات حكومتيهما.¹¹²⁴

(2) محتوى قرارات مؤتمر طنجة:

وهكذا بعدما اصدر رئيس المؤتمر علال الفاسي أهم العناوين أو المحاور الرئيسية لجدولة أشغال المؤتمر والمتمثلة في دعم الثورة الجزائرية وتصفية بقايا الاستعمار، ووحدة المغرب العربي، شرعوا في دراسة لهذه المحاور الأساسية لهذا المؤتمر ولخص هذا النقاش

¹¹²³ معمر العايب : المرجع نفسه، ص 143 .

¹¹²⁴ محمد بلقاسم : وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 218 ، 219 .

علال الفاسي رئيس المؤتمر بإعلانه إن جميع القرارات التي ستصدر عن المؤتمر، ستجد طريقها الى التنفيذ على يد الأحزاب أو على يد الحكومات¹¹²⁵، ونلخصها فيما يلي:

أ. قرار حول حرب التحرير الجزائرية:

أخذت هذه المسألة النصيب الوافر من المناقشات باعتبارها قضية المغرب العربي الأساسية، واستطاعت جبهة التحرير الوطنية إن تكسب مواقف دعم ومساندة لكفاحها، فأعلن المؤتمر مبدأ حق الشعب الجزائري المقدس في السيادة والاستقلال الشرط الوحيد لحل النزاع الفرنسي الجزائري، وتفرع القرار الى ثلاث قرارات يمكن إن نوجزها في نقاط هي:

أ/ تقرر إن تقدم الأحزاب السياسية في المغرب وتونس للشعب الجزائري المكافح من اجل استقلاله كامل المساندة من طرف شعبيهما وتأييد حكومتيهما¹¹²⁶.

ب/ التأكيد على إن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري.

ج/ توصية بالنشاء حكومة جزائرية مؤقتة بعد استشارة تونس والمغرب الأقصى، لكن جبهة التحرير الوطني أصرت على سيادة قرارها وقبلت باستشارة تونس والمغرب الأقصى فقط في الأمر ليس إلا¹¹²⁷

II. قرار حول تصفية بقايا السيطرة الاستعمارية في المغرب العربي:

وصيغ القرار في فقرتين، ففي الأولى تم التذكير بوضعية المغرب وتونس من جراء القيود العسكرية والاقتصادية المفروضة عليهما من طرف فرنسا، واحتوت عليها فرعين هما:

¹¹²⁵ محضر جلسات مؤتمر طنجة، ينظر ملحق رقم: 3 .

¹¹²⁶ ينظر نص بيان مؤتمر طنجة، "المجاهد"، العدد 23 ، 7 ماي 1958، و"العلم الساسي"، العدد 10 ، افريل 1983 ،

¹¹²⁷ محمد الميلي : مواقف جزائرية، ط1 ، مؤسسة الوطنية للكاتب، الجزائر، 1984، ص 79 ، 80 .

أ/ استنكار استمرار وجود القواعد الجانبية في تونس والمغرب الأقصى .

ب/ المطالبة بإلحاح إن تكف فرنسا عن استعمال قواتها العسكرية المتواجدة في كل من تونس والمغرب كقواعد للعدوان ضد الشعب الجزائري.
واحتوت الفقرة الثانية كذلك على قرارين أو فرعين هما:

أ/ توصية للحكومات والأحزاب السياسية لتنسيق الجهود من أجل اتخاذ الإجراءات اللازمة لتصفية جميع بقايا السيطرة الاستعمارية¹¹²⁸.

ب/ تأكيد كفاح موريتانيا في مقاومتها التحررية والعمل على ضرورة التحاقهم بالوطن المغربي ويدخل ذلك في نطاق الوحدة.¹¹²⁹

لكن لم ينجح حزب الاستقلال في الحصول على دعم المؤتمر فيما يخص بالبند الأخير الخاص بما يسمى بالحقوق الترابية المغربية في موريتانيا، وقد تجلت خلاله المطامح القطرية الواضحة بالشكل الذي يؤكد إن الإخلاص لبناء الوحدة لم يكن سيدا أو كهدف أساسي بالنسبة للجارتين تونس والمغرب¹¹³⁰ لأنه سرعان ما طرح مسألة الحدود التي بثت خلاف والشتات بين الأقطار المغاربية الثلاث.

¹¹²⁸ ينظر نص بيان "المجاهد"، العدد 23، 7 ماي 1958 .

¹¹²⁹ أبو بكر القادري : المصدر السابق، ص 50 .

¹¹³⁰ عبد الله مقلاتي: العلاقات الجزائرية - المغاربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية، المرجع السابق،

III. قرار حول توحيد المغرب العربي:

صيغ القرار في فقرة واحدة، وبعد تذكير باهمية المؤتمر لدى أهالي المغرب العربي، قررو إن يعملوا على تحقيق هذه الوحدة، معتبرين إن الاتحاد الفدرالي هو أكثر ملائمة مع واقع البلدان المشاركة في هذا المؤتمر وعليه فإنه اقترح:

أ/ إن يشكل في المرحلة الانتقالية " مجلس استشاري للمغرب العربي " منبثق عن المجالس الوطنية المحلية في تونس والمغرب الأقصى وعن المجلس الوطني للثورة الجزائرية، ومهمة دراسة القضايا ذات المصالح المشتركة وتقديم التوصيات للسلطات التنفيذية المحلية.

ب/ يوصي المؤتمر بضرورة الاتصالات الدورية كلما اقتضت الظروف لذلك بين مسؤولي الأقطار المغاربية الثلاثة المحلية من اجل التشاور حول قضايا المغرب العربي.

ج/ يوصي المؤتمر حكومات أقطار المغاربية بان لا تربط منفردة مصير شمال إفريقيا في ميدان العلاقات الخارجية والدفاع إلا إن تتم إقامة المؤسسات الفدرالية.

د/ وقرر المؤتمر كذلك تشكيل أمانة دائمة للمؤتمر من ستة أعضاء عضوين لكل طرف، على إن يكون لهذه أمانة مكنتين احدهما بالرباط والأخر بتونس، وان تجتمع دوريا في إحدى العاصمتين بالتناوب.¹¹³¹

وننطلق من صعوبة الفصل إن مؤتمر طنجة يعتبر كمحطة هامة في تجسيد فكر وحدة المغرب العربي، وذلك راجع عن المراحل السابقة والظروف المزامنة له. فالقطرية كما سبق إن ذكرناها أنها أصبحت متجذرة بكثرة مع كل من تونس والمغرب وخصوصا مع عقد الخمسينات، غدت ثابتة وملازمة لتطور البلدين ومؤ طرا للعلاقات ووحدها السياسية، حتى في عز تكوين أو في تنظيماتها المشتركة من مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب

¹¹³¹ بيان مؤتمر طنجة، "المجاهد"، العدد 23، 7 ماي 1958 .

العربي، لكن الواقع الذي عكسته الوفود المشاركة من خلال خطبها الوحودية في الكفاح المشترك وتبني إيديولوجيات الامير عبد الكريم الخطابي، أي عكس ما كانت تسير عليه هذه الدول "تونس والمغرب" في ظل تكريس القطرية جعلت من طموح وأمال المؤتمر في تحقيق وحدة مغربة المغرب العربي وارادة على ارض الواقع.

وهكذا شكل البعد الاستقلالي محور أعمال المؤتمر وجوهر قراراته، وذلك لان بقاء الجزائر مستعمرة بعد تحرر كل من المغرب وتونس وتعرضها الاضطهاد والابادة جعلت القيادات التاريخية لحزبي الاستقلال وحزب الدستوري الحر، تشعر بثقل و ضغط المسؤولية التي هي مطالبة باستكمال تحملها، انسجاما مع التزاماتها السابقة بمكتب المغرب العربي واللجنة وفق إيديولوجيات رئيسها الامير عبد الكريم الخطابي في دعم القضية الجزائرية من جهة ووحدة المغرب العربي من جهة ثانية، كذا استحضار أيضا للروابط التي جمعت الحركات الوطنية المغاربية الثلاثة ولازالت تجمعها حتى لحظة انعقاد المؤتمر وبعده.¹¹³²

ويبدو ان استراتيجيه جبهة التحرير الوطني قد استطاعت في تحويل مؤتمر الوحدة الى مؤتمر للتضامن مع الثورة الجزائرية، وتحققت بعض آمالها. حين لم يمضي مشروع الوحدة بعيدا، وذلك راجع حسب عبد الحميد مهري احد المشاركين في المؤتمر والممثل من وفد الجزائري قائلا: " هذه القضية لم يولها المؤتمر عناية كافية عند بحثها"¹¹³³.

ونلخص إن مؤتمر طنجة لم يوجه لبعث الوحدة المغاربية بقدر ما كرس لدعم القضية الجزائرية، والرجوع الى إيديولوجيات الامير عبد الكريم الخطابي في صياغة قرارات مؤتمر

¹¹³² محمد المالكي : الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1993، ص 458 .

¹¹³³ ينظر الى حوار عبد الحميد مهري في الندوة الأولى لانعقاد مؤتمر طنجة، " المجاهد"، العدد 22 جوان 1959 .

طنجة وتخريجها في قرارات داعمة للقضية الجزائرية على وجه الخصوص وبالوحدة المغربية التي لم تحظى باهتمام كبير على وجه العموم، وهكذا استطاعت الثورة الجزائرية إن تخرج منه بمكاسب مهمة وان تشق من خلاله أفقا مغاربية واسعة للتضامن.

المبحث الرابع: وفاة وأثار الأمير عبد الكريم الخطابي

ضلت مسألة عودة الامير عبد الكريم الخطابي الى المغرب الأقصى موضوعا عالقا بين سماء مصر والمغرب، يثير فضول الكثير من رجال الصحافة وتساؤلات المهتمين بأحوال المغرب السياسية، والسؤال الذي تردد دوما على السنة الجميع آنذاك هي متى يعود الامير عبد الكريم الخطابي؟ وما المانع في تحقيق هذه الرغبة العامة والسماح أخيرا للأمير الخطابي بأن يدفن بين مقاتليه ورفاقه في الكفاح المسلح؟

أولا: مسألة عودة الخطابي للمغرب

في البداية ينبغي الإشارة إلى أن الحنين إلى الوطن والأمل في رؤية الأهل والرفاق كانا دوما حاضرين في عقل ووجدان الامير¹¹³⁴ أما الظروف المناسبة لتحقيقهما فلم تتوفر أبدا، أما لغياب الرغبة السياسية من جهة، إن انعدام المسؤولية من جهة ثانية، وهذا عقب نزول الامير عبد الكريم الخطابي بالقااهرة مباشرة طرحت مسألة عودة الامير في سياق الحملات التي كان ينظمها مكتب المغرب العربي بهدف تحميس الجماهير الشعبية داخل المغرب الأقصى خاصة، وبلدان المغرب عامة، والعمل على ممارسة نوع من الضغط على سلطات الحماية الفرنسية والإسبانية، وذلك بترويج اسم الخطابي في نفوس المغاربة، وبهذا الصدد يقول الأستاذ عبد الخالق طريس في معرض حديثه عن نجاح الوطنيين في إنزال الامير الخطابي بميناء بورسعيد: " ولذلك أرى أن لزاما استغلال ذلك النزول أتم الاستغلال، وليكن الاستغلال على أساس إشاعات بين الحين والحين انه سيأتي إلى المغرب واستدعاء الهيئات له وجعله على الدوام أمام الإسبان بالخصوص الشخص المرجو لحمل راية

¹¹³⁴ بحيث صرح الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي في مجلة القوات المسلحة المصرية قائلا: " لقد كنت أتمنى دائما أن أكون في بلادي، ما من لحظة مرة إلا وعشت فيها بالحنين إلى الوطن"، حديث إلى مجلة " القوات المسلحة " المصرية، العدد 347، فيفري 1960 .

الانتفاض عليهم¹¹³⁵، والظاهر أن الامير عبد الكريم الخطابي تغافى فعلا عن إشاعات عودته الوشيكة الى المغرب وأدلى بنفسه تصريحات في هذا الصدد¹¹³⁶، وخصوصا بعد إبعاده عن اللجنة تحرير المغرب العربي، حرص على تكذيب جميع الإشاعات جملة وتفصيلا¹¹³⁷.

وهكذا بعد حصول المغرب الأقصى على استقلاله السياسي عن طريق مباحثات مشكوك فيها، أصيب فيها الامير بخيبة أمل كبرى وحطمت آماله في العودة الى ارض الوطن، وذلك أن مسألة العودة الى المغرب أصبحت لدى الامير قضية مبدئية مرتبنا ارتباطا وثيقا بجلاء آخر جندي أجنبي عن أراضي المغرب الأقصى، وعلى اثر هذا عملت العديد من الأطراف على مستوى الرسمي والشخصي بمساعي محمودة في محاولة إقناع الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي بضرورة عودته الى المغرب الأقصى، ومن أهم هذه المساعي زيارة محمد الخامس الى القاهرة ولقائه بالأمير الخطابي الذي ظل بشكل على النظام المغربي تهديدا مستمرا، وتمت المقابلة التاريخية بين الامير عبد الكرم الخطابي ومحمد الخامس بقصر القبة بالقاهرة يوم 13 جانفي 1960، بمناسبة هذه المقابلة سلم الامير عبد الكريم الخطابي للملك محمد الخامس مذكرة ومما جاء فيها: " نأمل أن تكون مباحثاتكم مع سيادة الرئيس الأخ جمال عبد الناصر ومع رؤساء البلدان العربية مؤدية الى

¹¹³⁵ محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 203 .

¹¹³⁶ " الحوادث " صحيفة عراقية، 10 / 6 / 1947 .

¹¹³⁷ و من بين هذه الإشاعات، تروج على انه يريد مغادرة القاهرة للإستقرار بالبلدان العربية أو الإسلامية أخرى مثل ليبيا، وفي هذا الشأن يقول الخطابي : " ... هذه الإشاعة نفيتها أكثر من مرة ولا داعي أبدا إلى رحيلي عن القطر المصري الشقيق الذي أكرم وفادتي ...ولكني لأسباب صحية كنت قد فكرت في السفر الى منطقة جبلية حسب ما أشار عليا الأطباء ولمدة محددة ... "، ينظر : محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 203 ، 204 .

بعث الخطوات الجديدة العملية بإجلاء كافة القوات الأجنبية في المغرب وبدون قيد ولا شرط، ومؤدية الى الحل الوحيد لقضية الجزائر وهو الاعتراف التام باستقلالها وحريتها وبجلاء الفرنسيين عنها، إن هذه القضية من الأهمية القومية والإستراتيجية بدرجة لا مجال لتهاون والتهادن أو قبول الحل الوسط فيها أو وقوف المغرب موقف الوسيط بينهما وبين فرنسا بأن المغرب طرف في الخصومة وليس محايدا بالنسبة إليها¹¹³⁸ .

وبخصوص نتائج هذه المقابلة التي تمت بين محمد الخامس والأمير، طرح هذا الأخير لإحدى الجرائد المصرية : "...لقد أكد لي جلالة الملك المغرب بأنه سيتخذ التدابير الضرورية لضمان جلاء القوات الفرنسية والاسبانية عن المغرب في نهاية هذه السنة ..."¹¹³⁹ ، وفي هذا الصدد يضيف محمد سلام امزيان في إحدى شهاداته حول لقاء الملك محمد الخامس بالأمير محمد عبد الكريم الخطابي بالقاهرة، بأنه قد دار بينهما حوار مطول مما جاء فيه: " إن الامير سأل الملك ماذا فعلتم في الريف ؟ فأجاب الملك: أيتمرد أحد على سيده ؟ وقال عبد الكريم : من هو هذا السيد ؟ فرد عليه الملك: إنهم ضد الملك، قال كريم الخطابي : لا، إنهم يطالبون بالإجلاء...قال الملك حين ذلك : إنني اعد كان يتم الإجلاء الذي طالب به الثوار في ظرف ثلاث سنوات¹¹⁴⁰ .

وهكذا نجد أن مسألة عودة الامير عبد الكريم الخطابي قد اقتربت بشرط أساسي وهو الإجلاء التام الذي لم يكن قابلا لنقاش أو المساومة¹¹⁴¹، هذا فضلا عن أمور أخرى لها ارتباط وثيق بالشأن السياسي الداخلي للمغرب وحرب التحرير الجزائرية ونكرت جريدة

¹¹³⁸ زكي مبارك : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي، المرجع السابق، ص 43 .

¹¹³⁹ جريدة "الرأي العام" المصرية، العدد 21 جانفي 1960 .

¹¹⁴⁰ مصطفى أعراب : المرجع السابق، 221 .

¹¹⁴¹ محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 203 ، 204 .

الحقائق المصرية أن جدول أعمال للقاء الذي لم يكتب له النجاح بين الملك حسن الثاني والأمير في القاهرة تحدد في النقاط التالية :

1 / إفراج عن المعتقلين السياسيين في المغرب .

2/ موعد جلاء القوات الفرنسية عن المغرب .

3/ مساعدة الثورة الجزائرية.

4 / وضع دستور المغرب¹¹⁴².

وكان الخطابي يدرك أن عودته غير ممكنة وفي هذا الصدد يرى القائد محمد سلام امزيان أن عودة الخطابي لم تنسجم مع الواقع السياسي وان وقتها لم يحن بعد والبقاء خارج الوطن تقتضيه الظروف المنطقة، فالاستقلال الذي حصل عليه المغرب يخدم مصالح المستعمر والجلاء لم يتم، والثورة الجزائرية لا تزال قائمة تحتاج الى الدعم الذي يقدمه الخطابي لها من الخارج¹¹⁴³، وهكذا لم يعد الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي الى المغرب لا حيا ولا ميتا، وصرح في 9 سبتمبر 1957 بأن لن يعود الى المغرب ولو على سبيل الزيارة طالما هناك جيش أجنبي لم يحدد الوقت جلائه باتفاقية رسمية .

ويبدو انه قد قرر في النهاية عمره عدم العودة أصلا سواء كان هناك جيش أجنبي أو لا، لأن الأوضاع العامة كانت تقلقه، وقد عبر عن ذلك مرارا في بعض المقالات التي أرسلها لجريدة "التحرير" لسان حال الاتحاد الوطن للقوات الشعبية بشكل مباشر، أو عن طريق الشهيد مهدي بن بركة¹¹⁴⁴.

¹¹⁴² جريدة " الحقائق "، بتاريخ 31 أوت 1961 .

¹¹⁴³ محمد صغير الخلوفي : المرجع السابق، ص 122 .

¹¹⁴⁴ عثمان بناني : المرجع السابق، ص 153 ، 154 ،

ثانيا : مواقف وشهادات عن الأمير عبد الكريم الخطابي

أ/ مسألة السلطة والعرش

نظرا لحساسية الموضوع إرتئينا الى ضرورة معرفة موقف الامير من السلطة والعرش كونها هي محور الخلاف مع السلطة الحاكمة بالمغرب وعمل على تكذيب الادعاءات القائلة أن الامير عبد الكريم كان سعيه مجرد البحث عن السلطة والعرش المغربي ليس إلا، فما مصداقية هذا الطرح؟ وهل كان الامير يريد السلطة والعرش فعلا؟

أغلب الروايات والشهادات التي عثرنا عليها وجل المصادر تؤكد أن الامير الخطابي لم يكن همه السلطة والعرش بل كان همه ضرورة تحرير جميع أقطار المغرب العربي على وجه الخصوص ورفع الغبن عنهم، وفي هذا الصدد نجد أن الامير سعيد يسأل والده -أي الامير عبد الكريم الخطابي- " ألا تحب المال والسلطة ؟ " وكان الجواب قاطعا " لا "، ولم يقف الامير عند هذا الحد بل راح يبين أسباب جوابه موجها كلامه لإبنه " إذا عرض عليك احد مبلغا كبيرا من المال مقابل أن يقطع احد أصابعك فهل تقبل ؟ وعندما تردد في الإجابة ابنه - يقول الامير سعيد - ضحك قائلا : فما بالك بمن يريد أن ينتزع كرامتك و حرمتك وحقك في الحياة ؟ انك تستطيع أن تعيش بلا يد وتحى حياة كريمة، ولكنك لا تستطيع أن تحى بدون حرية وكرامة " 1145 .

ونجده أيضا -أي عبد الكريم الخطابي- قد فند حبه لسلطة وكان جوابه مسنودا في أساس ديني إذ استشهد بالآية الكريمة " تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا " (سورة القصص، الآية 83)، وعندما سمعها عمر بن الخطاب قال: " أما

¹¹⁴⁵ سعيد الخطابي : " الامير المجاهد عبد الكريم الخطابي والسلام في البحر الأبيض المتوسط "، مركز محمد عبد الكريم الخطابي للدراسات والتوثيق، برشلونة، 1993، رقم 2.

الفساد فلا نبغيه، أما العلو ففي النفس منه شيء " وعقب عبد الكريم الخطابي على مقولة عمر بن الخطاب قائلاً : إذا أحب الإنسان العلو دون فساد فلا بأس " ¹¹⁴⁶.

ومنه إن هذه المقاربة الروحية قد تكون هي الإجابة الحقيقية عن هذه التساؤلات التالية : لماذا ترفع الامير عبد الكريم الخطابي عن السلطة رغم المغريات ؟، الم يحاول الألمان نقله من الجزيرة الى شمال إفريقيا؟، الم يحاول مع الروس والأمريكان كما رأينا سابقا وبالخصوص بعد تأسيسه للجنة تحرير المغرب العربي ؟.

ونجد أثناء نزول الامير الخطابي بالقاهرة، قد عمل جاهدا في تكذيب الادعاءات القائلة أن الامير يريد السلطة والعرش، وصرح في احد الصحف المصرية قائلاً : " لم أكن في يوم من الأيام أسعى الى العرش ولو كنت أريده لحصلت عليه ... عندما بويعت بالملك أثناء ثورة الريف " ¹¹⁴⁷، وأضاف قائلاً في مجلة آخر الساعة المصرية، يظهر فيها بوضوح أن مسألة العرش لم تكن تشغل باله إطلاقاً حتى عندما بياعه أعيان وفقهاء الريف، قائلاً: " رفضت أن أكون ملكاً وطلبت من الذين بايعوني أن يرجعوا عن قرارهم، قلت لهم: لقد اتخذتم هذا القرار دون أن اعلم، ودون أن تسألوني رأيي، أنا ارفض وأصروا على رأيهم، وتشبثت ؟ أنا بموقفي، لم أكن أريد هذا العرش ولكن الفرنسيين حاولوا الإيقاع بيني وبين السلطان يوسف، والد السلطان الحالي الذي أردوا أن يدخلوا في روعه أنني، بتزعمي حرب الريف أريد أن اغتصب عرشه ... " ¹¹⁴⁸.

¹¹⁴⁶ المصدر نفسه .

¹¹⁴⁷ وفي هذا الشأن نجده قد صرح لصحيفة آخر ساعة قائلاً: " لم أكن في يوم من الأيام اسعي العرش، ولو كنت أريده لحصلت عليه... عندما بويعت بالملك أثناء ثورة الريف ... " ، صحيفة "آخر ساعة" ، بتاريخ 24 أبريل 1957 .

¹¹⁴⁸ المصدر نفسه .

وهكذا نلاحظ أن بعض التصريحات الامير الى بعض القادة المسؤولين القادة قد حملت أكثر مما تحمله، فالبعض منهم قال أنها انتقادات مغرضة ورأى البعض فيها دعوة صريحة للوصول الى الحكم وفسرها البعض الآخر بكونها تدخل في دائرة تصفية الحسابات، ورغم هذا كله لم يثني من عزيمة الامير ولم يسمح الى أي احد أن يضع الرقابة على أفكاره وآرائه الجريئة التي كانت كسلاح ورمز في مقاومة الامبريالية .

كما نجد في العديد من الوثائق أن الامير كان يشارك الزعماء المغاربة من الاحتفالات الوطنية ضمن المكتب المغرب العربي ومنها مناسبة جلوس السلطان على العرش، ألقى الخطابي كلمة مما جاء فيها: أحيكم وأشكركم بإسم المغاربة جميعا على تلبيتكم لدعوتنا للاحتفال بهذه المناسبة السعيدة "1149، ونجد أيضا أن الامير مع بداية الخمسينيات من القرن العشرين يندد بالممارسات القمعية على الشعب المغربي من جهة ويعبر في الوقت ذاته عن تأيده لسلطان ببرقية وجهها إليه من جهة ثانية، مما جاء في هذه البرقية: "ترفع الى جلالتم تأييدنا التام لموقفكم في الدفاع عن استقلال البلاد والمحافظة على كيانها الديني والقومي، ونستنكر كل مناورة تحاك ضد جلالتم، وضد وحدة البلاد ونؤكد لكم عطف العلم العربي والإسلامي " 1150 .

ومنه أن كل هذه الروايات تكذب جميع الإدعاءات المغرضة والأكاذيب القائلة بحب وتعلق الامير عبد الكريم الخطابي بالسلطة أو العرش بل كان همه الأساسي هو تحرير أقطار المغرب العربي ورفع عنها الغبن و الاضطهاد الاستعماري، وذلك بالعمل على تحرير أقطار المغرب العربي والعمل على مغربة الحرب .

1149 "الاتحاد" بتاريخ 4 ديسمبر 1947 نقلا من كتاب : محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 199 .

1150 "القبس" بتاريخ 26 جانفي 1951 ، نقلا من كتاب : محمد امزيان : محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف، المرجع نفسه، ص 200 .

ب/ شهادات قيلت في الأمير عبد الكريم الخطابي

الامير عبد الخطابي شخصية ملهمة لكل الثوار والكتاب الذين بحثوا عن سبل الحرية والكرامة بعد الهجمة الاستعمارية لأوطانهم وفي هذا المطلب نرى ضرورة إبراز مواقف وشهادات لبعض شخصيات مغربية وعالمية عن الامير عبد الكريم الخطابي بهدف إبراز مكانته كرجل قد هم العديد من الشخصيات بأفكاره الجريئة والتحريرية في سبيل الحرية ومن أهم هذه الشهادات والمواقف نذكر مثلا :

- شهادة نائب بريطاني "المستر كورتى" عضو المجلس العمومي البريطاني في حق الامير: "أن عبد الكريم رجل حرب وجلاد وزعيم يعرف كيف يجعل الجماهير تتقاد إليه حتى صار الناس في الهند وبغداد والقاهرة يرون فيه رجلا يصح أن يكون أميرا للمؤمنين، وحاملا لسيف الإسلام، فإذا أصبح والحالة هذه في مركز يدعو فيه الى الجهاد في إفريقيا الشمالية وبلاد العرب والأناضول فان انجلترا وفرنسا وإيطاليا تتعرض لأخطار جسيمة، ولا يبعد أن تمس هذه الأخطار دول أخرى غير هذه أيضا"¹¹⁵¹.

- كما نجد أيضا زعيم الحركة الوطنية بالمغرب الأقصى علال الفاسي، قد أشاد بدور الخطابي في مناهضة الاستعمار، ودوره في تحرير اقطار المغرب العربي قائلا: "شخصية البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي غنية عن التعريف، فان ما بذله من جهد في المغرب وتحريره معروف لدى الناس، قد أصبح المجاهد الخطابي بطل التيار التحرري لا في المغرب وحده، ولكن في عموم العالم العربي والإسلامي وفي العالم الحر ..."¹¹⁵².

¹¹⁵¹ محمد عبد المنعم إبراهيم المحامي ومحمد عبد الوارث الصوفي : المصدر السابق، ص101

¹¹⁵² محمد العلمي :المرجع السابق، ص 5 .

- شهادة الماريشال ليوتي : قال الماريشال ليوتي المندوب السامي لمراكش في جرة وشجاعة الامير عبد الكريم الخطابي : " أرى أن خطر الحالة الحاضرة في الريف تتجاوز إفريقيا الشمالية فان العالم الإسلامي يرقب الحرب بين ابن عبد الكريم واسبانيا باهتمام عظيم، والمعروف أيضا أن إفريقيا الشمالية كلها تنتظر بعين الاهتمام والعناية الى ثورة الامير عبد الكريم الخطابي وأن الذين يثيرون الفتن يتوسلون بتقهقر الإسبان المتواصل مع ما عندهم من الجيوش والمعدات القتال الحديثة أمام الوطنيين الريفيين" 1153 .

- شهادة المفكر الجزائري مالك بن نبي : نجد أن مالك بن نبي قد أشاد ببطولات وكفاح الامير عبد الكريم الخطابي في سبيل تحرير بلدان المغرب العربي من الاستعمار الغاشم قائلا : "لم يكن هناك حقيقة من يسجل هذه الحقبة من كفاح الشعوب ضد الاستعمار سوى هؤلاء المجاهدين من رجال القبائل، ولقد كان الامير -عبد الكريم الخطابي - آخر من ارتشف من كاس البطولة الموروثة عن أجدادنا الأولين، ولم يبقى بعده باق ممن يهبون للنضال ضد المستعمر من اجل البطولة المجرة، في سبيل الخلود ... " 1154 .

- شهادة بيير فونتين على شجاعة وبطولات الامير بحيث صرح قائلا : " أن الامير سرعان ما استعاد شعبيته وتوسعت قاعدة مستمعيه في إفريقيا الشمالية لأنه كان رجل عمل، قاهر الإسبان والمحارب الذي لم يهزم إلا الديماغوجية، لقد دعى الى الثورة بلغو البدوي الواقعي، أن صوته لم يقف عند أسوار المثقفين الغاضبين بل دخل

1153 محمد عبد المنعم إبراهيم المحامي ومحمد عبد الوارث الصوفي : المصدر السابق، ص102.

1154 مالك بن نبي : شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار

الفكر، دمشق، سورية، 1986، ص21.

الخيام والأكواخ والبيوت... فبعد عشرين سنة من اختفائه وجد عبد الكريم أذانا مصغية أكثر عدد من التي كانت تسمعه وهو في شهرته العسكرية " 1155 .

- شهادة وارد بريس مراسل انجليزي : صرح هذا المراسل في إحدى الصحف البريطانية عن شجاعة وعطف الامير أثناء زيارته له في إحدى معسكراته قائلا : " عبد الكريم ... وسيم الوجه ...، براق العينين، له نضرات النسر، مليح كأغلبية بني جنسه أجش الصوت جميل اليدين، مهيب الطلعة، وديع المحيى، دائم البسمة، يشعر المتحدث إليه بطمأنينة وعطف وقد حادثته طويلا فوجدته رجلا نكيا هادئا حذرا غامضا" 1156 .

- شهادة الشاعر الجزائري مفدي زكريا : افرد شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا قصيدة الى الريفيين يتكلم فيها عن بطولات قبائل الريف وحنكة الامير عبد الكريم الخطابي في القضاء على اسبانيا في حرب الريف 1921، في شكل أبيات نذكر منها:

سلام بني الريف من مهج	تكاد تطير ولا تصطبر
هنيئا بني الريف قد فتحت	لكم جنة الخلد من يبتدر
بني الريف لست سوى خطوة	على النار ثمة يجنى الثمر
بني الريف في عظماء الرجال	ومجد الغزاة لكم مدّكر
كعبد الكريم عظيم الحماية	ليحي جليلا بذكر عطر
ويبقى مثلا على صحف الدهر	للعظماء بأي العصر 1157

1155 Fontaine : op cit p 176 .

1156 محمد عبد المنعم ابراهيم المحامي ومحمد عبد الوارث الصوفي :المصدر السابق، ص104 .

1157 مفدي زكريا : أمجادنا تتكلم، تصدير بقلم الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، حققه وجمعه مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003، ص21-27، للاطلاع على القصيدة كاملة ينظر للملحق رقم : 18 .

ثالثا: وفاته وأثاره

توفي الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي يوم الأربعاء 6 فبراير 1963 في شهر رمضان، عن عمر يناهز الواحد والثمانون سنة في بيته بالقاهرة نتيجة سكتة قلبية، وذلك حوالي الساعة الثانية عشر ليلا¹¹⁵⁸، ويضيف لنا صديقه محمد سلام امزيان " إن آخر يوم في حياة الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي كان في رمضان، ... وكنا نكتب تاريخ معركة البنيان، دخل عبد الكريم و فيده الدواء وضحك ضحكة ضعيفة وقال إن اسم البنيان أطلقوه على باب فرنسي وظل الباب لمدة عشر سنوات حينما يفتح ويغلق يقول : "بنيان بببان"، ثم قال : مازلنا في المعركة، حينما وذهب ليناام، وبعد ربع ساعة خرجت زوجته وقالت بأنه مات رحمه الله" ومع السحور ذهب ابنه إدريس الخطابي الى بيت احمد بن المليح¹¹⁵⁹ سفير المغرب بمصر ليخبره بوفاة والده، فذهب السفير المغربي فورا الى بيت الزعيم الامير عبد الكريم الخطابي ليقدم تعازي جلالة الملك لعائلة الفقيد.

قد تحدث مع شقيق الزعيم وعائلة الخطابي في موضوع الدفن، فبعث السفير ببرقية إلى الحكومة المغربية ليخبرهم بوفاة الامير، فأجاب الملك الحسن الثاني ببرقية الى آل الخطابي يقدم فيها تعازيه، وافرد محمد العلمي في كتابه أن الملك قد أرسل له ببرقية يعبر فيها عن رغبة المغرب في دفن الامير عبد الكريم الخطابي في وطنه وأن يتصل بالرئيس جمال عبد الناصر ليستأذن منه بان ينقل جثمان الامير الى الرباط وسيرافقه وفد مغربي¹¹⁶⁰.

أقيمت لمحمد بن عبد الكريم الخطابي جنازة كبرى و مهيبة حضرها جمال عبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة وأعضاء الحكومة المصرية وسفراء العرب

¹¹⁵⁸ محمد العلمي : المرجع السابق، ص 121 .

¹¹⁵⁹ مصطفى أعراب : المرجع السابق، ص 227 .

¹¹⁶⁰ محمد العلمي : المرجع السابق، ص 121 .

والمسلمين والكثير من الشخصيات المغاربية والعالمية، ودفن في مقبرة الشهداء بالعباسية في القاهرة وكان وداعه وداع الأبطال وسط حشد جماهيري و الى اليوم لم يتم نقل رفاته الى المغرب الأقصى¹¹⁶¹، وفي هذا الصدد يقول محمد بن عمر بن علي العزوزي الجزنائي : "و نقول إذا مات -أي الامير عبد الكريم الخطابي- الموتة الطبيعية التي كتبها الله على كل كائن حي في هذا الكون، فان ابن عبد الكريم حي بيننا لم يميت بعد، وهو كذلك حي بين الأجيال الصاعدة، ويبقى ما بقيت الدنيا، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها"¹¹⁶² .

وعكف الامير عبد الكريم الخطابي في السنوات الأخيرة من حياته على تسجيل حياته وجهاده وبطولاته ضد الاستعمار الاستبدادي، فترك لنا ملحمة تاريخية تمثل إرثا معتبرا من المعلومات التي أرخت لفترة مهمة من فترات الكفاح المغاربي ضد الاستعمار، فمذكرات الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي هي شهادات حية لنضال وكفاح الشعوب المغاربية لنيل استقلالها، ومن أهم كتبه :

- الكتاب المعنون ب"مأساة مراكش" ويتكون من جزء واحد فقط، تناول فيه الأوضاع التي كان يعيشها المغرب الأقصى قبل الفترة الاستعمارية، تكلم فيه عن ضعف السلاطين، والانحلال الأخلاقي الذي كان سائد بالمغرب وخروج البعض عن الطاعة، ليستعرض في فصول لاحقة الى مقاومة المغاربة للاستعمار الاسباني والفرنسي معا، وبدأها بمقاومة محمد امزيان و وصولا الى مقاومة أحمد الريسوني¹¹⁶³ .

¹¹⁶¹ علي الإدريسي : المرجع السابق، ص 166 .

¹¹⁶² محمد بن عمر بن علي العزوزي الجزنائي: محمد بن عبد الكريم نادرة القرن العشرين في قتال المستعمرين، ط1 ، دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 2007 ، ص281.

¹¹⁶³ حسن البدوي : "مذكرات الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي"، دورية كان التاريخية، العدد السابع ، مارس 2010، ص 55 54 .

- الكتاب الثاني والمعنون ب"الشعب يواجه الاستعمار الاسباني" أو بعنوان "صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار 1912-1927"، تناول في هذا الكتاب أوضاع المغرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسة الاسبانية في الريف، وعلاقة آل الخطابي بالإسبان وتفطنهم لنوايا الاستعمار الخبيثة تحت ذريعة الحماية بهدف نهب ممتلكات المغرب، وأدرج بعدها الى جذور المقاومة المغربية ثم تطرق الى توليه قيادة المقاومة وتأسيسه لجمهورية الريف، ووصولاً الى نفيه فيما بعد الى جزيرة لارينيون سنة 1926¹¹⁶⁴.

- الكتاب الثالث المعنون ب"المنفى"، في هذا الجزء تناول فيه عن حياته مع أسرته في جزيرة لارينيون لأكثر من عشرين عام، وتطرق فيه الى العديد من القضايا الأسرية، والاقتصادية (معاشه، ممتلكاته، تجارته، ... الخ) ، السياسية والمتمثلة في لقاءاته مع زعماء الحركات التحررية ببلدان شرق آسيا كالهند الصينية مثلا، ومع قادة من الروس والأمريكان والألمان بهدف تهريبه من الجزيرة، وصولاً الى استعراض لكيفية مغادرته من جزيرة لارينيون الى عدن، وطلب لجوءه الى مصر¹¹⁶⁵.

ومنه رغم وفاة الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي وانقطاعه عن الحياة الدنيوية، إلا انه بقي في نفوس وصدور ووجدان المغاربة وأحرار العالم بفكره وإيديولوجياته المناهضة للحركات الاستعمارية والمدافعة عن حقوق الإنسان في مشارق الأرض ومغاربها، وكان بمثابة الشعلة في ظلام الاستعمار التي اهتدى بها الثوار المغاربة لمواصلة كفاحهم المسلح ضد الوجود الاستعماري .

¹¹⁶⁴ حسن البدوي : المرجع نفسه، ص 55 .

¹¹⁶⁵ المرجع نفسه .

الخاتمة

الخاتمة :

من جميع ما لمسناه سابقا يبرز الدور الهام الذي لعبه الامير عبد الكريم الخطابي في سياساته وإيديولوجياته داخل أقطار المغاربية الثلاثة (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، بحيث عاصر الامير أحداثا جسام مرت بها البشرية، وعاش تهافت الدول الامبريالية لتقسيم المستعمرات، وكان من نتائجها حرب عالمية الأولى والثانية، وعان وحشية المستعمر ضد الإنسانية، ورأى ضعف الخلافة الإسلامية وانهارها، وفي عهده تكون الأحلاف السياسية والعسكرية ، وخاض هو بنفسه غمار الحرب فوجد نفسه في أتونها .

وإننا لعلى يقين ان العالم العربي يشعر - في الساعة- التي صد فيها الأمير عبد الكريم الخطابي للإستعمار الأوربي، بأن الدموع الأسي التي كانت تنهمر على ملك الأندلس وهي تتبدل الى دموع الفرح والسرور، وبأن التاريخ سيخلد اسم الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي في صفحات من منقوشة بالذهب، والمقرونة بالإعجاب والإجلال.

كما عاش محمد بن عبد الكريم الخطابي على مبدأ الحرية الذي لا يتجزأ، مؤمنا بحق الشعوب في تقرير مصيرها واعتبر ان قضية المغرب العربي أنها من القضايا التي أولى لها عناية كبيرة جدا، وأكد على ضرورة تحررها من كل أنواع الاستعمار السياسي والإقتصادي والثقافي... إلخ، ومن كل أشكال التبعية، وان خير سياسة ينبغي إتباعها وانتهاجها على الصعيد الخارجي هي الحياد الإيجابي ونبذ الأحلاف، وفي السياق ذاته لا زالت سيرة المقاوم الامير الخطابي محط نقاش واسع واهتمام كبير لدى الباحثين والكتاب والمؤرخين، رغم مضي أزيد من ثمانية عقود على مقاومة الريف، وأربعة عقود على وفاته .

نجد انه أول خطوة قد قام بها الامير أثناء مقاومة الريف هي العمل على توحيد القبائل وحشدها في حرب لما لديه من الإمكانيات المادية والمعنوية التي كانت كامنة في الشعب، وقد وصل الاتفاق بين الأفراد والجماعات الى حد أن ذوي الثأر الذين كانوا

مختلفين، قد تخلوا وتناشوا كل ما بينهم بل أكثر من ذلك، بحيث عمد على تكوين جمهورية الريف، ونصب لها الراية وسك لها العملة ووضع لها أجهزتها الإدارية والعسكرية، مكنها من الصمود في وجه العدوا .

ولم يكن نفي الامير عبد الكريم الخطابي الى جزيرة لارنيون تثبيطا أو تعجيزا لفكره الإيديولوجي الداعي الى تحرير أقطار المغرب بل بقيا مناصرا للقضية المغاربية وداعما لها، هذا العمل يتجسد بشكل أوضح منذ انتقاله الى القاهرة وخوض غمار النشاط السياسية لتحرير جميع أقطار المغرب العربي، حيث بعد الحرب العالمية الثانية بدأت تظهر بعض الزعامات التي تؤمن بالكفاح المسلح وتتدد بالأسلوب العقيم من الزعماء الحركات الوطنية التي تدعو الى الحلول التفاوضية والسلمية، لذلك قد بدأت تلكم العناصر بالبحث عن طريقة أفضل للكفاح المغاربي المشترك، ليكلل نشاطهم هذا والمتواصل الى تأسيس مكتب المغرب العربي وما احتواه من مبادئ المتمثلة في مغربة الحرب .

ومما زاد في دعم وتفعيل هذا العمل كما وضحنا سابقا هو وصول الامير عبد الكريم الخطابي الى القاهرة وإعطاء دفعة قوة للمكتب المغرب العربي، بإلهاب الحماسة في نفوس الثوار المغاربة بهدف تحرير أقطارهم، هذا ساهم بدوره في تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي الذي أكد من خلالها - أي من خلال ميثاقها - الاستقلال التام لأقطار المغاربية الثلاثة، والرفض الدخول في أي مفاوضات مع الاستعمار، تأكيده على ضرورة الكفاح المغاربي المشترك لنيل الاستقلال .

لكن رغم الاتفاق حول هذه المنطلقات والمبادئ إلا أنها لاقت معارضة من طرف بورقبية وعلال الفاسي وأتباعهم، بحيث كانا يريان ان هذا المسار الذي دعى إليه الامير عبد الكريم الخطابي سيعرقل استقلال الدولتين، وان كلا من المغرب وتونس لهما خصوصيات تختلف عن الجزائر، وانطلاقا من هذه الاعتبارات، رأو بضرورة الدخول في المفاوضات

سلمية، وبهذا استطاعت فرنسا خلق تفرقة داخل للجنة تحرير المغرب العربي من جهة، ودخولها في مفاوضات جادة مع تونس والمغرب بهدف الانفراد بالجزائر .

ورغم هذه الاختلافات والإيديولوجيات المتباينة إلا ان الامير عبد الكريم الخطابي قد ضل متمسكا برأيه وبالمساعي الثورية، وبضرورة مغربة الحرب وفي هذا السياق نجده قد أسس لجيش تحرير المغرب العربي، وتكرون خلايا سرية نشطة داخل اقطار مغربية تحت زعامات ثورية شبابية مدربة تدريباً حديثاً في كل من الكليات العسكرية بمصر والعراق وسورية، بهدف توحيد المعركة بين هذه الأقطار، كما نجد ان الامير قد ضمنا لها الدعم المادي من مؤونة وتهريب السلاح وتوفير الأموال، والدعم المعنوي بإرسال النداءات والخطب الحماسية داخل أقطار المغاربية من جهة، ومن جهة أخرى العمل على جدولة والقضية المغاربية بهيئة الأمم المتحدة وعرضها على المحافل الدولية، وهكذا استطاع جيش تحرير المغرب العربي كما رأينا سابقاً من تحقيق نجاحات معتبرة في سبيل تحقيق تحرير بلدان شمال إفريقيا .

لكن سرعان ما تعرض هذا الجيش للتهميش والتصفية من طرف الزعماء تونس والمغرب كما ذكرنا سابقاً وتكريس مبدأ القطرية الضيقة، لكن الامير أصر على مواصلة الكفاح منفرداً مع من تبقى من العناصر الثورية المؤمنة بالكفاح المسلح الجزائرية منها، ومن ذوي الهمة من المغربيين والتونسيين .

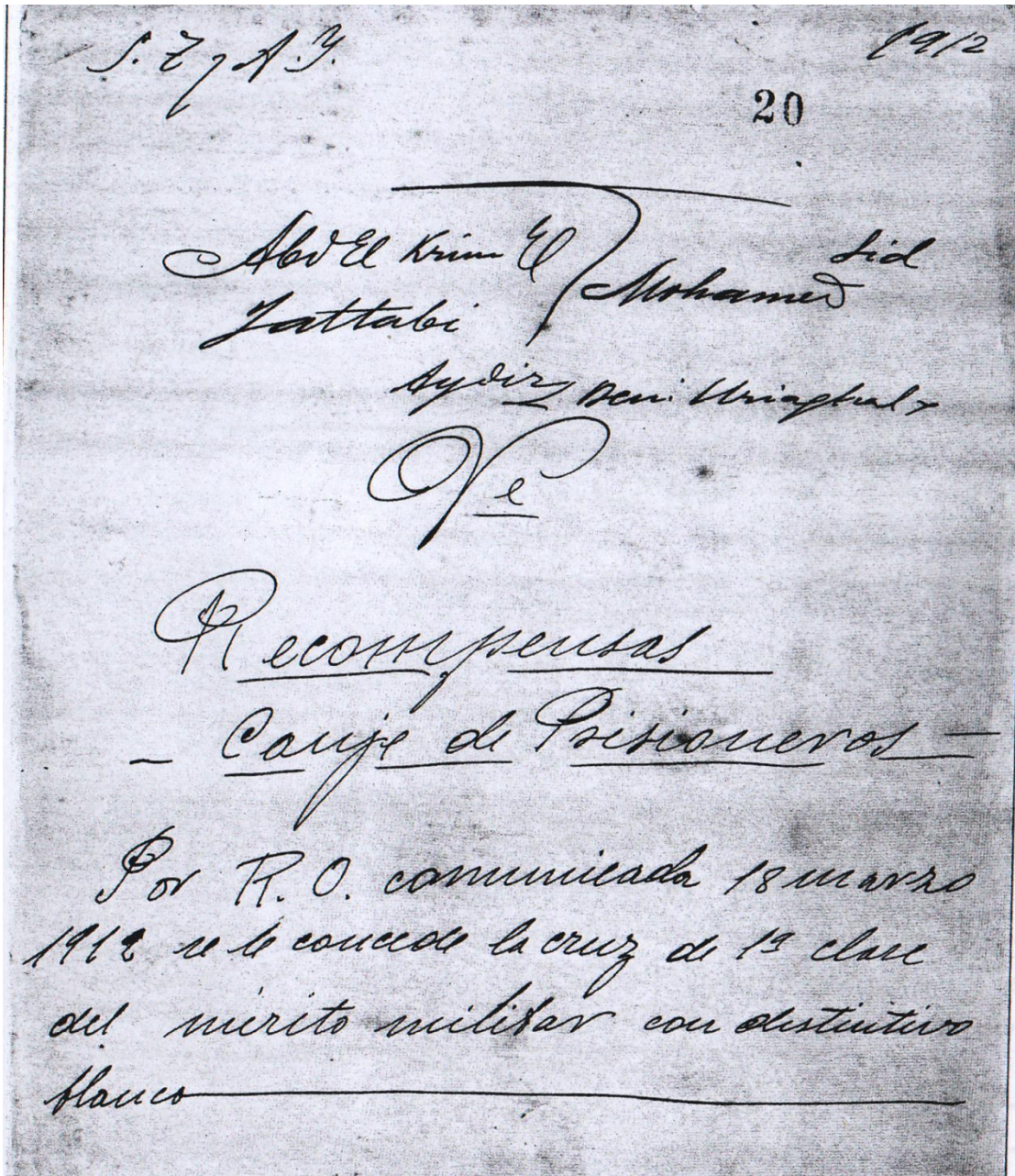
في هذا الخيار المتمثل في الكفاح المسلح وفق إيديولوجيات التي دعى إليها الامير قد توافقت مع مطامح الثورة الجزائرية، وبذلك وجد الجزائريين ضالتهم، وبدوره وجد الخطابي سند يدعمه لمواصلة كفاحه في سبيل تحرير اقطار المغرب العربي الذي دافع عنه منذ وصوله الى القاهرة، بحيث نجده قد كان يبدي العديد من المحاولات الحثيثة من اجل طلب الدعم والمساندة للثورة الجزائرية وهذا ما لحظناه من خلال مراسلته، وبذلك توطدت علاقته

بالثورة الجزائرية، وتأكد ذلك من خلال توجهاته ونصائحه للثوار الجزائريين بحكم خبرته العسكرية وتجربته الماضية التي اكتسبها من ثورة الريف .

أما فيما يخص موقفه من المفاوضات واستقلال كلا من تونس والمغرب، فقد رآها أنها خرقا لميثاق لجنة تحرير المغرب العربي، وخيانة كبرى لأقطار المغرب العربي، وبالخصوص الجزائريين، وصرح لهم علنا ان كلا من تونس والمغرب قد كانتا سندا وعونا في قتل الجزائريين ومحاولة القضاء على الثورة الجزائرية دون ان يشعروا بذلك، وذلك راجع لتوجههم القطري في المسألة المغاربية، وكان يرى أيضا بأن استقلالهما هو استقلال منقوص أو أعرج أو وهمي .

وفي الأخير يمكن القول بأن الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي قد عاش كل حياته رافضا لكل الصور وأشكال الاستعمار ومدافعا للأقطار المغاربية وداعيا لتحريرها حتى وفاته سنة 1963، وهكذا يمكننا القول ان دور الامير عبد الكريم الخطابي في تحرير اقطار المغرب العربي لم يكن مجرد حبر على ورق أو خطب منبرية رنانة فقط، بل كانت مجهودات وتضحيات عملية جسدها على ارض الواقع وذلك بشهادة القوى الامبريالية في حد ذاتها، والبطل مثل الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي، كان لابد ان يكون لقوله وزن ولتاريخه صدى، ولأرائه قيمة، ثوري بأبعاد إنسانية مثله لم يكن لينطق عن أهواء شخصية أو تتنازع النوازع الضيقة والقطرية، محمد بن عبد الكريم الخطابي ظل وفيما لشعبه، ولأمتة، ولمبادئه .

الملاحق



وثيقة منح عبد الكريم وسام الاستحقاق العسكري من الدرجة الأولى والشارة البيضاء في 18 مارس 1912، وسام الاستحقاق العسكري من الدرجة الأولى والشارة الحمراء في 21 ماي 1913، و وسام إيزابيل الكاثوليكية في 13 جانفي 1912، ينظر : ماريا روسيا مادريكا : محمد بن عبد الكريم الخطابي و الكفاح من اجل الاستقلال، المرجع السابق، ص 636 ، 637 .

Ministerio de Estado.

Guaymasos.

NUM. 10

Excmo. Señor

De Real orden, comunicada
 por el Señor Ministro de Estado,
 a fin de que se sirva hacerlo
 llegar a poder del interesado,
 pero adjunto a manos de V. E.
 el título de Caballero de Isabel
 la Católica, expedido a favor
 del indigena Luohemud ben
Sid Abd-el-Krim.

Dios guarde a V. E. muchos años.
 Madrid 13 de Enero de 1912.

El Subsecretario
~~Yanney orales~~

al Estado 20 Enero 1912
 En el caso de manifestar a V. E. que se ha recibido en este
 punto la real orden de su Ministerio a favor del actual, con el título
 de Caballero de Isabel la Católica expedido a favor del indigena Sid
Abd-el-Krim, cuyo documento ha sido entregado
 al interesado, biva

fecha 20.

Señor Capitán General de Sevilla

Personal.

1913

19

12

a. n.

J^o Sección

Mohammed Ben Abd-el-Krim

(Kadi)

21-5-13

de Aydir (Beni-Umaguel)

Por R.O. comunicada fecha 21 de Mayo
ultimo se concede a este Kadi la Cruz de 1^a
Clase del M. U. roja pensionada con 50 ptes
mensuales.

V^{te} "Beni-Umaguel"

Abd-el-Krim Ben Mohammed
(Kadi)

de Aydir (Beni-Umaguel)

- 2 -

		Posicion de Anual	
Capitan	Don	Jose Acuña y Diaz	Atchuelo - <i>id</i>
Teniente		Enrique Carballo y Landa	<i>id</i>
"		Andres Lostan Sanchez	<i>id</i>
Alferez		Pedro Fernandez Carballo	<i>id</i>
Capitan		Aristides Corti Pi	<i>id</i>
Teniente		Jose Castriello Sanchez	<i>id</i>
Alferez		Julio Moral Moral	<i>id</i>
"		Modesto Martinez Taboada	<i>id</i>
Teniente		Pedro Valle de la Torre	<i>id</i>
"		Ignacio Vizcaino Romero	<i>id</i>
Capitan		Rafael Valcarlos Garcia	<i>id</i>
Teniente		Demetrio Fontan Cadarso	<i>id</i>
Comandante		Andres Piña Rodriguez	<i>id</i>
Teniente		Joaquin Lago de Lauzolauaga	<i>id</i>
"	Medico	Enrique Videgain	<i>id</i>
"	Medico	Francisco Mugurusa	<i>id</i>
"	Medico	Luis Perdes de Pinedo Alvarez	<i>id</i>
"	Medico	Alfonso Lopez Pampier	<i>id</i>
Alferez		Fidencio Carnicero Rendos	<i>id</i>
"		Francisco Arevalo Nicolas	<i>id</i>
Teniente		Julio Alonso Bahoca	<i>id</i>
"		Jose Gracia Benitez	<i>id</i>
"		Jose Lacave de la Rodea	<i>id</i>
Capitan		Luis Martin Moreno	<i>id</i>
Teniente		Domingo Carballo Gonzalez	<i>id</i>
Alferez		Luis Belgas Villar	<i>id</i>
"		Pedro Valdes Nicolas	<i>id</i>
Capitan		Mariano Gonzalez Valle	<i>id</i>
Teniente		Manuel Fernandez Capalleja	<i>id</i>
Alferez		Jose Diaz Esaliez	<i>id</i>
"		Vicente Lopez Gimenez	<i>id</i>
Teniente	Coronel	Eduardo Perez Ortiz	<i>id</i>
Comandante		Santiago Fernandez Nurrez	<i>id</i>
Teniente	Medico	Miguel Gadenas Rudi	<i>id</i>
"	Medico	Luis Andujar	<i>id</i>
Teniente		Manuel Garcia Pallargas	<i>id</i>
Capitan		Sebastian Sabater Gomila	<i>id</i>
Teniente		Jose Sanz Martinez	<i>id</i>
"		Isidro Velasco Agudo	<i>id</i>
"		Enrique Martin Martin	<i>id</i>
Capitan		Angel Gil Cabrera	<i>id</i>
Teniente		Ricardo Fernandez Vifer	<i>id</i>
Capitan		Jesis Lopez Vicente	<i>id</i>

خوان بانداو: التاريخ السري لحرب الريف، المصدر السابق، ص 442 ، 443 .

SITUACION EN LA MA 22 DE JULIO

Posicion de Anual

	OFICIALES	TROPA	CANADO
Comandante	148	3836	1299
Artilleria	4	"	"
Carabineros	1	"	1
Policias	1	194	27
Artilleria	1	"	1
Intendencia	1	"	47
Telegrafos	1	283	71
Indigena 130 mia	1	29	24
Indigena	1	40	"
seccion S.M.	2	71	70
(Deposito)	4	"	"
Indigena	1	29	"
Impedimento S.E.	19	668	244
Total	194	5185	1796

- General Exmo. Sr. D. Manuel Fernandez Sil-
- Coronel de Cab. *Huato* Enrique Manera ves.
- Intendencia *Huato*, J. Pedro Hernandez
- Don Emilio Sabate Satorre *Pedro*
- Ingenieros *Primito* Antonio Valcarcer Gallegos
- de Caballera *Huato* Franco, Manillas Corrales
- de Caballera *Huato* Ramon Aros Iradier
- Don Francisco Sabasa Gattier
- Huato* Agustin Carrasco Carrasco
- Primito* Fernando Correa Cañedo *Arriola*
- Coronel *Huato* Pedro Marina Villares *id*
- Huato* Luis Catalan Ocon Altarriba *id*
- Huato* Abelardo Pons Valenti
- Huato* Fernando Yomoza Mendez *Arriola*
- Huato* Juan Perez Ruiz Crespo *id*
- Huato* Juan Casas Sanchez *id*
- Huato* Fernando Baraza Mufioz
- Huato* Evaristo Meand Brun *Arriola*
- Huato* Luis Koudejar Gil Paraja *id*
- Huato* Emilio Morales Tovelina *id*
- Huato* Francisco Orce Guerrero *id*
- Huato* Fernando Cosido Santa *id*
- Huato* Antonio Moreno Farriales *Arriola*
- Huato* *Huato* S' Harcourt



51: خاتم الجمهورية الريفية المستعمل في المراسلات مع الأطراف الأجنبية.



52: خاتم وتوقيع محمد بن عبد الكريم المستعمل في المراسلات الداخلية وتلك الموجهة إلى العرب والمسلمين.

ماريا روسيا مادريكا : محمد بن عبد الكريم الخطابي والكفاح من اجل الاستقلال، المرجع السابق، ص

حزب التحرير (بيان تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي: 5 يناير 1948) (*)

بسم الله الرحمن الرحيم
منذ أن من الله علينا بإطلاق سراحنا والتحاقنا إلى ساحة الفاروق، ونحن نواصل السعي لجمع كلمة الزعماء وتحقيق الائتلاف بين الأحزاب الاستقلالية في كل من مراكش المغرب والجزائر وتونس، بقصد الكفاح في جبهة واحدة لتخليص البلاد من ريقة الاستعمار.

وفي هذا الوقت الذي تعمل فيه الشعوب على تطمين مستقبلها وتتطلع فيه أقطار المغرب العربي إلى استرجاع استقلالها المتخصب وحريتها المضاعة يتحتم على جميع زعماء المغرب أن يتحدوا، وعلى كافة الأحزاب الاستقلالية أن تتآلف وتتساند، إذ أن هذا هو الطريق الوحيد الذي سيوصلنا إلى تحقيق غايتنا وإدراك أمانينا.

وإذا كانت الدول الاستعمارية على باطلها، تحتاج إلى التساند والتعااضد لتثبيت سيطرتها الاستعمارية فنحن أحوج إلى الاتحاد وأحق به من أجل إحقاق الحق وتقويض أركان الاستعمار الغاشم الذي كان نكبة علينا، ففرق كلمتنا وجزأ بلادنا وابتز خيراتنا، واستحوذ على مقاليد أمورنا ووقف حجر عثرة في سبيل تقدمنا ورقينا، ثم حاول بكل الوسائل أن يقضي على جميع مقوماتنا كأمة عربية مسلمة.

ويسرني أن أعلن أن جميع الذين خابرتهم في هذا الموضوع من رؤساء الأحزاب المغربية ومنذوبها بالقاهرة، قد أظهروا اقتناعهم بهذه الدعوة واستجابتهم لتحقيقها، وإيمانهم بفائدتها في تقوية الجهود وتحقيق الاستقلال المنشود.

ولقد كانت الفترة التي قطعناها في الدعوة للائتلاف خيرا وبركة على البلاد، فاتفقت مع الرؤساء ومنذوبي الأحزاب الذين خابرتهم على تكوين " لجنة تحرير المغرب العربي " من سائر الأحزاب الاستقلالية في كل من تونس والجزائر ومراكش المغرب على أساس مبادئ الميثاق التالي:

أ- المغرب العربي بالإسلام كان، وللإسلام عاش، وعلى الإسلام يسير في حياته المستقبلية.

ب- المغرب جزء لا يتجزء من بلاد العروبة، وتعاونته في دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار العربية أمر طبيعي ولازم.

ج- الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التام لكافة أقطاره الثلاثة تونس والجزائر ومراكش المغرب.

د- لا غاية يسعى إليها قبل الاستقلال.

هـ- لا مفاوضة مع المستعمر في الجزئيات ضمن النظام الحاضر.

و- لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال.

ز- للأحزاب الأعضاء في " لجنة تحرير المغرب العربي " أن تدخل في مخابرات مع ممثلي الحكومة الفرنسية والإسبانية على شرط أن تطلع اللجنة على سير مراحل هذه المخابرات أولا بأول.

ح- حصول قطر من الأقطار الثلاثة على استقلاله التام، لا يسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية.

هذا هو الميثاق الذي قطعنا على أنفسنا العهد بالسير على ضوئه والعمل بمقتضى مبادئه. وقد وافقت عليه أنا وشقيقي محمد، كما وافق عليه رؤساء الأحزاب المغربية التالية ومنذوبوها:

الحزب الحر التونسي القديم.

علال الفاسي : الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 349 - 352 .

الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد. والإقامة كان في أرباب من سقنا
حزب الشعب الجزائري. حزب الوحدة المغربية. حزب الإصلاح الوطني.
حزب الشورى والاستقلال. وقد كتبنا لبقية الأحزاب الأخرى نطلب موافقتها النهائية على تكوين اللجنة
والمصادقة على ميثاقها، وتعيين مندوبيها في اللجنة بصفة رسمية. ومنذ الآن ستدخل قضيتنا في طور حاسم من تاريخنا وسنواجه المغتصبين ونجن قوة
متكثلة، تتكون من خمسة وعشرين مليوناً، كلها مجمعة على كلمة واحدة وتسعى
لغاية واحدة، وهي الاستقلال التام لكافة أقطار المغرب العربي. وسنعمل على تحقيق
هذه الغاية بكل الوسائل الممكنة في الداخل وفي الخارج كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.
ولن يجد المستعمر بعد اليوم منفذاً لتثبيت عزائمنا وإيقاع الفتنة بيننا واستغلال تعدد
الأحزاب وتفرق الكلمة لاستعبادنا وتثبيت أقدامه في بلادنا. فنحن في أقطارنا الثلاثة
نعتبر قضيتنا واحدة ونواجه الاستعمار متحدين متساندين ولن يرضينا أي حل لا
يحقق استقلالنا الناجز وسيادتنا التامة.

على أننا نأمل أن يعمل الفرنسيون والإسبانيون على إنصافنا دون أن يلجئونا إلى
إراقة الدماء، وأن يكونوا قد تيقنوا من تجاربهم السابقة من أن استنادهم إلى استخدام
القوة والبطش للاحتفاظ باستعمار أوطاننا وإسكات صوتنا عن المطالبة بالحرية
والاستقلال، أصبح لا يجدي شيئاً وأن من الخير لهم أن يسارعوا إلى فك أغلالهم
الاستعمارية بطريق التفاهم بين الجانبين وتقدير مصالح الطرفين. أما إذا تنكبوا هذا
الطريق فسيكونون المسؤولين عن تغيير خطتنا؛ لأننا لن نتأخر - إذا نحن نئسنا من
استرجاع استقلالنا بطريق التفاهم والإقناع - عن استرجاعه بطريق التضحية وبذل

النفس. إننا نأمل في تقوية الجهود وتحقيق الاستقلال التام في وقت قريب. وإنا نأمل
وإنني إذ أعلن عن تكوين "لجنة تحرير المغرب العربي" أتوجه إلى الشعوب المغربية
بتحيتي راجياً من الله العلي القدير أن يوفقها في كفاحها، ويقوي ثباتها ويديم اتحاد
كلمتها. كما أتوجه إلى الدول والشعوب العربية بالتحية والشكر على مناصرتها لقضية
المغرب العربي، ولا يخالجنني شك في أنها ستستقبل تكوين هذه اللجنة بالمؤازرة
والترحيب. ويسرنني في الختام أن أحيي إخواننا مجاهدي فلسطين الشقيقة، داعياً لهم بالفوز
والنصر، ومؤكداً لهم تضامن الأقطار المغربية معهم، وعزمها اتخاذ جميع الوسائل
الممكنة للاشتراك في إنقاذ بلادهم والمحافظة على عروبتهما ووحدتها.

بيان حول دواقع تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي: 5 يناير 1948 (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

أبناء شعب إفريقيا الشمالية الكريم

يسرتني أن أوجه إليكم أول خطاب وأنا متمتع بالحرية الكاملة في أرض الكنانة بعد طول الفراق وبعد الشقة، ونحمد الله على هذه المنة الجليلة التي أتاحت لنا الفرصة لاستئناف الكفاح في سبيل حريتنا واستقلالنا.

إخواني الأعزاء

لا يخفى أننا أسسنا لجنة مهمتها تحرير المغرب العربي المسلم من رابطة الذل والاستعباد ومن نير الاستعمار البغيض. وأن الظروف الحاضرة والواجب الوطني

هو الذي دفعني دفعا إلى تولي رئاسة هذه اللجنة. وإلا فما كان لي أرب في هذه الرئاسة لعظم مسؤوليتها وخشية الضعف عن القيام بهذا الواجب العظيم، لأن الإنسان لا يقدم على أمر حتى يفكر في عواقبه وملايساته ومقدماته ونتائجه، وهل في استطاعته أن يقوم بواجبه كما ينبغي. وعلى أية حال فقد وقع ما وقع وانتهى تأليف اللجنة على أساس قوله عليه الصلاة والسلام: كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته.

لذا فإني أرى من واجبي اليوم بعد تقديم تحياتي للجميع أن أعلمكم وأنبهكم إلى أن الواجب الديني والواجب الوطني يقضيان على كل فرد من أفراد شعب المغرب العربي أن يتحدوا اتحادا لا تشوبه شائبة، ويتبذوا نهائيا كل ما من شأنه أن يؤدي إلى أدنى خلاف أو نزاع وأن يوحدوا جهودهم المادية والأدبية حتى نستطيع أن نقوم بواجب تحرير شعبنا ووطننا وإنقاذهما من وطأة الاحتلال بالقضاء على الدخيل.

هذا ما أرجوه منكم وأحثكم عليه، وهذا ما ستسمعونه مني دائما إلى أن نصل إلى شاطئ السلامة بتحقيق الكرامة. وإني لا أريد أن نصل إلى شاطئ السلامة إلا بعد أن نبتني عليها أعمالنا في المستقبل، وأن كل من سيسعى في خلاف بينكم أو إحداث شقاق في صفوفكم اعتبره خائنا وجائبا على الوطن، لأن الذي سيستغل هذا الخلاف لحسابه ويستفيد منه لفائدته هو العدو الغاصب المستعمر لبلادنا، فلا يجوز أن يقبل منه أي عذر من الأعذار في هذا السبيل.

إخواني

فعلى الأحزاب أن يتركوا النعرات الحزبية وأن لا يجعلوها وسيلة للتفرقة والنزاع مما لا يعود على وطننا العزيز إلا بزيادة الوطأة الاستعمارية وتمكين الدخيل من رقابنا. واعلموا أن أقوى سلاح نقدمه للدفاع عن وطننا هو سلاح الاتحاد بين الزعماء وعمامة الشعب. إذ ليس لنا سبيل للخلاص ولا الخروج من هذه الأزمة الخائفة إلا إذا تكاتفنا وتعاوننا واتحدنا، واتخذنا الوحدة شعارا مقدسا لا تشوبه أغراض ولا أعراض.

إخواني

إن يوم الخلاص قريب، قريب إذا وفيتم بهذا الشرط والتزمتم بالتقيد به والعمل عليه والدعوة إليه، كل بمفرده لا فرق بين كبير وصغير ولا بين غني ولا فقير ولا بين رئيس ومرؤوس. ويكفينا دليلا على صحة هذا قول الله العالم بما فيه مصلحة عباده المؤمنين الذين سماهم إخوة: ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم. (سورة الأنفال، آية 46) وقوله عليه الصلاة والسلام: المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم.

هذا وإني أعتقد أن ما قدمناه من نصح وإرشاد فيه الكفاية الآن. فأوجه كلمتي الأخيرة إلى طبقة الموظفين من إخواننا منيها إياهم بأن عليهم مسؤولية يجب مراعاتها ولا يتهاونون في شأنها. وليعلموا أن تصرفاتهم وسلوكهم مع المواطنين سيسألون عنها بين يدي الله. فقد بلغني أن البعض منهم لا يراعي في إخوانه الأهالي إلا ولا ذمة، وكل ما يهمهم هو إشباع شهواتهم وترضية أهوائهم، فلا شك أنهم - إن لم يتوبوا ويتبوا إلى الاستقامة والنزاهة والعمل لرفع شأن الوطن بإقامة ميزان العدل في الأمة - أنهم سيجازون عاجلا أم آجلا، إن خيرا فخير وإن شرا فشر. والله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. (سورة آل عمران، آية 102) ولقد وصينا الذين أتوا الكتاب من قبلكم إياكم أن اتقوا الله. (سورة النساء، آية 131)

والله أسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه سعادة الدارين ورفاهية الوطن وتحريره نهائيا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم عبد الكريم الخطابي

القاهرة 1948/1/5

رسالة من جمهورية فيتنام إلى الأمير: 5 يونيو 1947 (*)

جمهورية فيتنام الديمقراطية الشعبية

الاستقلال- الحرية- السعادة

رئاسة المجلس الأعلى

5 يونيو 1947

سعادة الأمير عبد الكريم الخطابي- مصر

سعادتكم

إني مكلف من الرئيس هوشي منه وحكومة جمهورية فيتنام الديمقراطية الشعبية لأبلغكم أحر التهاني والتمنيات الطيبة بمناسبة عودتكم إلى أرض عربية. إن شعب فيتنام قد تابع بشغف وإعجاب صراكم مع الإمبريالية الفرنسية من سنة 1922، وكان يقدر شجاعتهكم ونكرانكم للذات، ولا شك الآن بأن عودتكم ستدق أجراس التحرير لجميع زملائنا مسلمي شمال إفريقيا.

صاحب السعادة،

إن حكومتنا وكذا شعبنا لشديد العزم على مواصلة الصراع المسلح الحالي حتى إحراز النصر الجديد من أجل استقلال فيتنام. وعلى الرغم من تفوق العدو في السلاح والذي لا ينازع في عدده وعتاده، فإن معظم البلاد تحت حكمنا ونفوذنا ولا يسيطر الفرنسيون إلا على المدن الرئيسية.

نحن نؤمن بانتصارنا النهائي لأن شعبنا يشكل جبهة متعاضدة متحدة وراء حكومة هوشي منه. وإن صراعنا هو صراكم، وصراكم لا يبعد قليلا أو كثيرا عن صراعنا.

ومن هنا فنأزر جميع الحركات التحررية الوطنية داخل إطار الإمبراطورية الفرنسية القديمة سيجعل الحد النهائي للإمبريالية الفرنسية.

صاحب السعادة،

حكومة هوشي منه ترجوكم أن تستخدموا نفوذكم الروحي الكبير وتطلبوا من جنود إفريقيا الشمالية بأن يرفضوا الذهاب إلى فيتنام، كما تطلب منكم أن تدعو عمال الشن إلى مقاطعة جميع البواخر الفرنسية.

مع أخلص تمنيات شعب فيتنام من أجل استقلال إفريقيا الشمالية ونجاح شعبكم العظيم في حربه المقدسة ضد الإمبريالية الفرنسية.

أرجو أن تقبلوا سعادتكم فائق التحيات والاحترامات.

نائب كاتب الدولة برئاسة المجلس الأعلى

توقيع: فام نغوك تاش

خطة حرب التحرير: 5 مارس 1949(*)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله
نظرة واحدة جديده لمن له أدنى نباهة إلى ما يقع في إفريقيا الشمالية، تكفي للحكم من
غير تردد بأن البلاد سائرة إلى الزوال. وذلك بسبب عدم قيام العلماء بواجب الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر. وهل هناك منكر أكبر من الرضا بولاية السفلة الأذنياء
الجهلة الجبناء ثم السكوت عن ظلمهم واستهتارهم؟

هذا هو الداء الذي هبط بالبلاد إلى الحالة الحاضرة، وليس لها من علاج إلا قلب
الوضع رأسا على عقب. فالبلاد يتعاضم بلاؤها كل يوم إذا لم يتداركها الله بظهور من
يعرف الداء والدواء، وإلا فالنهاية للمغرب العربي - الإسلامي وأهله.

هذه المقدمة تمهيد للحديث عن العملية الأولى التي يجب الإسراع في إجرائها كإسعاف
لحالة الجريح الخطيرة بإيقاف النزيف.

إنها تطهير البلاد من مرض اسمه الوهم، يخيم فوق وطننا، ونعتقده عدوا خارجيا عن
الوطن المغربي، ونظنه خطيرا لا يمكن التخلص منه أو معالجته بما يريحنا منه. فهل
الوهم يضطرنا إلى إجراء هذه العملية؟ والجواب نعم، لأننا لا نعرف الحقيقة وهي أنه
لا وجود لعدو اسمه فرنسا وإسبانيا. إنه وهم تسلط على عقولنا، بتشبيث مرضى
العقيدة بالأجانب، معتقدين أن الحياة لا تصلح إلا بهم، وكذلك السعادة لا تتم إلا
بوجودهم في بلادنا محتلين سادة متمكنين. وبعد هذه الإسعافات الأولية وهو في الوقت نفسه علاج لمرض الوهم الذي نعاني منه
نأتي إلى الموضوع.

البداية
من الضروري لجماعة العزيمة أن تشكل قوة صغيرة داخل البلاد منظمة تنظيما
عسكريا كما يسمونه اليوم. ولا يخفى أن الجهلة يعتقدون أن التنظيم العسكري
جاءت به الأمم التي تسمى نفسها (الراقية) مع أنه موجود منذ وجدت العسكرية
والقتالية في التاريخ.

فالسلاح الأول للمقاتل هو عقيدة الإيمان بالله. والتنظيم العسكري هو امتثال أوامر
الله واجتباب نواهيه. وبغير هذا لا يصلح أي نوع من السلاح أو التنظيم، ولو كان في
يد الجندي أفتك ما ابتكروه من سلاح التدمير. بل أقول إن ابتكار السلاح الفتاك سبب
من أسباب ضعف الإيمان، ودليل على أن الجندي جبان، أو مساق بالإكراه. فعلى
جماعة الإنقاذ أن تعتمد على السلاح الحقيقي وهو الإيمان بالله، وبرسالة الرسول

الأعظم عليه الصلاة والسلام، وفي تحرير الإنسان من عبودية الإنسان الشاذ. **المرحلة الأولى** صاحب كفاءة إدارة المركز عسكريا كان أو مدنيا، بحيث يملك المخططا وبنى أهدافه تستهدف معرفة البلاد طولاً وعرضاً، شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً بما فيها من جبال وأنهار، وغابات وأشجار، ومدن وقرى ومواضلات بمختلف أنواعها وأشكالها، كالطرق الرئيسية والثانوية وزوايا الالتقاء، وبخاصة مخانق الجبال وملتقى الوديان. **المرحلة الثانية** يجب معرفة مراكز العدو وعدد قواته في كل مركز، وأنواع الأسلحة وعددها إن أمكن ولو بالتقريب على أن أنواعها لازم معرفته. **المرحلة الثالثة** البحث عن الرجال المخلصين من أصحاب العقول المستتيرة، والنيات السليمة لتنظيم صفوفهم وإعدادهم للعمل عند اللزوم. **المرحلة الرابعة** العملية تنفذ في جميع الأثناء في وقت واحد على أن يكون الانقضاض ليلاً، وليلة الأحد بالذات أو ليلة أحد الأعياد الاستعمارية. **المرحلة الخامسة** النظام يكون بقيادة مختارة تتوفر فيها الشجاعة والإقدام والشهامة وتقديس الحرية بمعناها المنطقي. ويتم النظام بالتقسيم التالي: $1000/500/240/100/50/25/12/6$ وهكذا.. لا يهملنا نقص أو زيادة العدد إذا كانت الفروق طفيفة، ويمكن تغيير هذا النظام في الطوارئ. **المرحلة السادسة** إذا فقد القائد بمرض أو موت يخلفه القائد الذي يليه، إذا توفرت فيه الشروط المطلوبة. **المرحلة السابعة** تكوين قوة مكلفة بقطع المواضلات قبل اقتحام المراكز بكيفية لا ينتبه إليها العدو. كما يجب تنظيم قوة للتموين حتى يبقى مرتبطاً بحركات القوات المتحركة في الجهات المختلفة. **المرحلة الثامنة** إذا تمت العملية واستولينا على مراكز فيها أسلحة، فيجب توزيعها بسرعة على الجيش المنظم أو الذي سينظم بسرعة أيضاً وبتفيس الكيفية. وتوزع الذخيرة الكافية

على القوات الأمامية، التي يجب أن تتوجه حالاً تحت قيادة قواد أكفاء لتطهير المناطق الأربعة المتصلة بالمركز. **المرحلة التاسعة** يجب أن نضع في حسابنا قبل الهجوم أن نتصل بضباط الجيش الاستعماري إن كانوا من الأهالي، وقدر عليهم أن يعملوا في صفوف العدو، وذلك عن طريق عملائهم وعائلاتهم وأصدقائهم لإقناعهم بالانضمام إلى قوة التحرير، لأن في إمكانهم أن يبدأوا العمل بما عندهم من الأسلحة وفي إمكانهم - في حالة استجابتهم لنا - أن يكفونا مشقة الاقتحام، كيف لا وهم من أهل البلد والعمل لتحريرها من أوجب الواجبات عليهم؟ **المرحلة العاشرة** يجب أن نقتنعهم بأن ما يطمحون إليه من الترقية والترقيه تحت سيادة العدو بإمكانهم الحصول عليه بأسهل الطرق. **المرحلة الحادية عشر** يجب أن تعهد لهم بتنفيذ رغباتهم وطلباتهم على أنه وعد صادق من القيادة العليا بعد الانتهاء من العملية. **المرحلة الثانية عشر** وكما قلنا سابقاً في عملية التطهير في الداخل: **المرحلة الثالثة عشر** يجب أن تهتم القيادة بسد الثغور وإحكامها إذا وجد فيها جيش العدو. فيقصف بالمدافع إن وجدت أو بالقنابل اليدوية من بعيد، ويستحسن أن يكون ذلك ليلاً إذا لم تكن هناك غابات أو أشجار. **المرحلة الرابعة عشر** يجب حفر الخنادق بكل سرعة للدفاع. **المرحلة الخامسة عشر** يجب القضاء على كل قوة تقاوم في الداخل بتطويقها، والهجوم عليها إذا لم تستسلم بسرعة. **المرحلة السادسة عشر** يجب أن تكون السرعة الخاطفة هي رائدنا في تحركات الجيش باعتبارها العنصر المهم في الانتصار. **المرحلة السابعة عشر** يجب أن نهتم بقطع خطوط المواضلات - أسلاك التلغراف والتلفون المدفونة، وكذلك تخريب القناطر إن كانت العملية تقتضي ذلك. **المرحلة الثامنة عشر** يجب أن لا تغفل فرقة المهندسين لإصلاح اللازم بعد التخريب لمصلحة جيش التحرير.

يجب العناية التامة بتمويل الجيش المقاتل، وبمجرد الاستيلاء على المراكز المطلوبة. يجب أن يتولى صاحب كفاءة إدارة المركز عسكريا كان أو مدنيا. يجب وضع الأمناء على الأموال والأقوات مع مدير الشؤون كمساعد أو مديرين على الأكثر.

يجب احترام الذي يسلم نفسه بعد سحب السلاح منه. أما من انضم إلى قوة التحرير من العاملين في جيش العدو فيجب أن يقبلوا مع الاحتفاظ لهم برتبهم وتصرف لهم مبالغ من المال حسب اجتهاد رئيس القوة الموجودة في الموقع.

يجب أن نحترم غير المستسلم إن وقع في الأسر وكذلك الجرحى.

يجب رعاية الرهبان ورجال الدين.

يحسن أن يكون الزحف ليلا وبسرعة حتى لا تتاح للعدو فرصة للاستراحة والتنظيم. وإذا كان ولا بد من الزحف نهارا فيجب أن يكون بمجموعات صغيرة ومتفرقة.

يجب تجميع أجهزة الاتصالات الليلية والنهارية وإضافتها إلى القوة الأمامية للاستعمال.

من هنا فالمرحلة الأولى هي معرفة الخريطة، ثم التنظيم، ثم الاستيلاء على المراكز، ثم مرحلة التنظيم للقوة الاحتياطية وإعلان التعبئة العامة نساء ورجالا، وتطبيق الدفاع الجماعي للقوات المتحركة، وتنظيم التموين والأدوات ووسائل النقل.

ويقسم الجيش الاحتياطي إلى سبع فرق يطلق عليها: الفرقة الأولى والفرقة الثانية وهكذا، للتمييز وتسهيل تسييره لتغطية الخطوط الخلفية.

ومن هذا الرديف تعزز أجنحة السواري الأمامية عند الاقتضاء أو تغطي الفراغ الموجود في ثغرات الخطوط الأمامية، حتى يكون مستعدا لتنظيم الهجوم في الأماكن المناسبة والمختارة عند القيادة، وذلك في أية ناحية من الخط الأمامي.

هذه الملاحظة: ما تقدم يصلح للتطبيق في كل مكان. غير أن في هذه النقطة يجب

إضافة ما يلي: الإسراع في تنفيذ خطة التطهير مباشرة. وبعبارة أخرى، يجب الاهتمام بالناحية الجنوبية اهتماما كبيرا (هذا الجانب من الخطة يتعلق بجيش التحرير في الريف شمال المغرب الأقصى) فترسل السواري الكافية المسلحة وعددها ثلاثة:

الأولى- تهبط من جبل (ص) على (و) لقطع الطريق بين ر/ك.

الثانية- تهبط بين (ك) و(ت) لقطع الطريق.

الثالثة- بين (ت) و(ج) لنفس الغرض.

هذه العملية يحتمل أن تجري في المنطقة ثم إلى الجنوب بسرعة ولا بد أن يوضع في حساب القيادة للنجاح الكامل، الاهتمام بقطع المواصلات بين السواحل- بالنسبة إلى الجزائر وتونس.

يجب الاتصال بالعاملين في جيش العدو من الضباط في محاولة إقناعهم أو إيهامهم بأنهم إن أرادوا الاسهام في معركة التحرير فإن الكسب لهم مع تقدير فضل النجاح لهم أيضا، إضافة إلى ما يستحقون من الجزاء الأوفى عند الله، مع الاحترام والتقدير من أبناء وطنهم، والمركز الذي يريدونه ويناسبهم من المراتب العليا. وعلى العكس إذا بقوا مع العدو فمصيرهم مجهول وإذا قتلوا فإلى جهنم وبئس المصير.

من المناسب وضع نظام غير مركزي إلا في القوة المسلحة فمثلا في كل منطقة إدارة برئاسة صاحب نفوذ معروف بالشجاعة والمعرفة والاستقامة، وذلك في شؤون الإدارة المدنية مع توحيد القوة العسكرية لتسيير الأعمال الحربية وفق الخطة المرسومة للقيادة العليا. أما ترتيب الخطة فالخط الأمامي للمشاة، الثاني للرشاشات، الثالث للمدافع.

وعلى رجال كل هذه الأسلحة وعلى قوات الهندسة حفر الخنادق وإقامة المتاريس والاستحكامات المناسبة، وإخفاؤها بما يمكن من الوسائل، وتقطيع هذه الخطوط إلى قطع متباعدة حتى تختفي ولا تتعرض للكشف أو تستهدفها طائرات العدو أو

مدافعه. وإذا لم يتمكن من إسقاط الحصن أو المراكز، فعلينا بنقل مدفع أو مدفعين ليلا وبأسرع ما يمكن ليصبح الحصن أو المركز هدفا لقنابلنا، وعلى القائد المكلف بالتطويق بإحكام ومراقبة هذا الحصار.

القنابل اليدوية

مفعول هذا السلاح قوي جدا، وخصوصا في التجمعات، فيجب تسليح مقاتلين بها كلما عثرنا عليها. والهجوم بهذا السلاح يكون ليلا وقد يستعمل في النهار، إذا كان لفائدة ملحة. والأفضل أن تسلح عدة فصائل تلحق بالمشاة، لتساعد على تحطيم المراكز المطوقة، فيما إذا استمرت في المقاومة رغم الحصار المضروب حولها. ومن المعتاد أيضا أن يستعمل رميا على خنادق العدو والاستحكامات.

الفرسان

وفي مناطق الخيل يجب الإسراع في تنظيم الفرسان لتكون على الأهبة. فسرعة الحركة لهذا السلاح ورهبته تحل كثيرا من المشكلات البعيدة عن القيادة. وصهيل الخيل ووطأة أقدامها تثير الرعب والخوف والفرع. كل هذا وميدانه السهل. أما الجبال ومخانقها فتكفي مجموعة من المشاة كيفما كان سلاحها.

وإذا ما ألقينا نظرة على منعرجات طرق السيارات الصاعدة إلى الجبل بنواحي (الرقعة) نجد المساعدة الفائقة في التعجيل بالنصر. إذ تلك المخائق أو النقاط الموجودة في المنعرجات الجبلية تكفي نقطة واحدة منها للقضاء على الاتصال الموجود بين مراكز الغريب المهزوم مسبقا إذا تركزت قوة في نقطة أو نقاط مختارة للعمل.

القيادة الرئيسية

كلمة إجمالية في القيادة الموفقة هي كما قدمنا تسند إلى معروفين بالنزاهة والإيمان ومقبولين عند الشعب. فتسند إليهم قيادة الإدارة المدنية، وباسمهم تصدر الأوامر

العسكرية وعليه أن يستغل نفوذه الأدبي في منطقة محيطه.

شيوخ الطرق: كذلك يجب الاتصال بشيوخ الطرق الصوفية المعروفين بتدينتهم لإقناعهم بالعمل لتحرير الوطن، فهي العبادة المقبولة عند الله، وهو الواجب الديني الذي فرضه الإسلام عليه. وإذا وافقوا فيجب تنظيم أتباعهم، ومن السهل القيام بهذه العملية لأنهم في واقعهم منظمون.

الخلاصة

تعلم مما تقدم إن العناصر الأربعة التي هي: الجيش العامل من الأهالي في صفوف العدو. الفرسان. المخائق الجبلية وأبواب السفوح من الجانبين. شيوخ الطرق الصوفية.

هي التي يجب الاهتمام بها في العملية، وتكاد تكون العوامل المهمة للسير بالتحريز المعجل. فاجتذاب رؤساء الجيش الأهلي في القوة المعادية يحملهم على الاتفاق مع زملائهم تبعا للثقة المتبادلة بينهم. وطبيعي أن يتم الاتفاق بين هؤلاء وزملائهم في الوحدات الأخرى. وهذا يؤدي إلى سقوط مركز أو مراكز بسلاحهم. مع العلم بأنهم سيتكفون بالأجانب الموجودين بينهم، إما بالقبض عليهم أو بالقتل إن حدثت محاولة الدفاع والمقاومة. وبعد هذا يسلمون الأسلحة المخزونة إلى إخوانهم المكافحين، وينظم إليهم من أراد لتطهير الوطن من قوات الاحتلال.

وهنا يجب أن تحافظ القيادة على مكانة الضباط وإسناد المناصب العالية إليهم، إذا أظهروا الكفاءة في العملية، وتعلن الترقيات حالا إذا برهنوا على حسن تنفيذ العملية. أما الفرسان فإن أمكن تنظيم بعضها قبل الشروع في العمل فذاك، وإلا فبعد الاستيلاء على المراكز.

أما مخائق الجبال والاستيلاء على أبواب السفوح ومنافذ الطرق المنعرجة التي تمر

عليها سيارات العدو، فيجب قطعها حالا وليس بالمتاريس فقط وإنما بالحفر عرضا وفي مواقع متباعدة، وتحتل بقوات على الجوانب حتى لا تمر عليها المصفحات والدبابات والسيارات الثقيلة.

وعلى القيادة أن تعمل في حساياها أن العدو ربما سيستعمل القناطر المتحركة. فعلى قوات الحراسة أن تستعد بالقنابل في النقاط الاستراتيجية للسيطرة على الموقف. نصائح عامة

يلزم الاعتناء بالأسلحة: بتنظيفها وتشحيمها بمادتها إن وجدت وإلا فبزيوت الزيتون. أما الذخيرة فيجب وضعها في المكان الرطب، وعرضها للشمس بين حين وآخر. كما يجب التعرف على خبراء السلاح لإصلاح التالف منه والخفيف بالذات، وكذلك خبراء الألغام والقنابل اليدوية.

الصلاة: تجب المحافظة على الصلاة بإقامتها في أوقاتها كلها بقدر الإمكان، ويعاقب تاركها بعد الإنذار بهذه العقوبة.

الصحة: يجب الاعتناء بالصحة. والوقاية أحسن علاج. وأهم وسائل الوقاية نظافة البدن والثوب. وفي بلدنا مرض حمى الارتعاش المعروف بالمalaria، فيجب ألا ينزل الجيش - جيش التحرير في أماكن تواجد البعوض، وهذا البعوض غالبا ما يكون في المياه الراكدة حيث ينمو ويتوالد. وعلاج هذا المرض حبوب الكنين جرام واحد في اليوم، وهناك أدوية أخرى تقوم مقام الكنين. وينتشر هذا المرض بشدة البرد أو الحرارة ولذا يجب تجنب البرد ما أمكن وكذلك الحر.

يجب اتقاء عدوى مرض الزهري ومرض السل بعدم مخالطة المصابين بهذا الداء، ومشاركتهم في أي شيء. لذا يجب الكشف الطبي قبل التجنيد ما أمكن حتى لا يجد المصاب. وإذا لم يكن الكشف الطبي لفقدان الأطباء فيجب إجراء سؤال على المجندين

عند ظهور أول إصابة، ومن السهل معرفته بالأعراض التالية: حمى خفيفة في المساء للمصاب بالسل. ظهور طفح في جلد المصاب بالزهري. فاستعينوا بهذه المعلومات عن الداءين المجهولين، أما الذي يعرفهما ويعرف أنه مصاب بهما فيجب أن يعترف ويطلب العلاج لمجرد سؤاله. لأن في ذلك مصلحته الشخصية أولا ومصلحة الآخرين من زملائه ومجتمعه. أما الملاريا فلا تعدي الشخص لأن البعوض هو الذي ينقلها، فيجب العمل على إبادة البعوض والقضاء عليه في المياه الراكدة. وإيادته تتم بالمواد المعقمة وبالنقط برش المكان به.

ومن المهم عند تعيين ضباط السواري أن يحاطوا علما بهذه الأشياء، ويلقنوا دروس الصحة والأخلاق والعبادة وما يجوز أو لا يجوز في المعاملات العسكرية وآدابها بقدر الإمكان، وتذكيرهم أسبوعيا بالقوانين العسكرية المعروفة والطاعة الواجبة، بإقامة المحاضرات والوعظ لمدة أقلها ساعة بحسب الإمكان والظروف المناسبة، إذ لا يمكن الاجتماع في كل الأوقات ولا يمكن اجتماع عدد معين من الأنفار والضباط ولا يمكن تحديد مكان معلوم، فكل بحسب الملابسات. وتعليم الضباط وصف الضباط يتم بواسطة الضباط العارفين ويستعان بالمتعلمين ومن لهم دراية بأي موضوع. وعلى كل من يعرف شيئا أن يسهم به في المهمة التعليمية والتدريبية.

واختصارا يجب انتهاز كل فرصة لتعليم الأميين الكتابة وفرائض الدين والعبادات والآداب العامة والتاريخ الواجب معرفته، من سيرة الرسول الكريم (ص) والصحابة والخلفاء الراشدين، والقواد المشهورين في غزوات العرب وفتوحات المسلمين، وروايات مشاهير المحاربين من أي ملة ودين وجنس كانوا.

الماء: وإذا كانت في المنطقة عيون يأخذ منها العدو الماء فيجب قطع الأنابيب، ووضع

قوة على مقربة من العيون نفسها، مع العلم بوجوبية المحافظة على هذه العيون من التخريب أو التحويل لأن الإجراء مؤقت.

الطائرات: ويؤمر الأهالي بحفر الكهوف بقرب منازلهم حتى يلجأوا إليها بأولادهم عند حدوث الغارات الجوية. يوضع على سطوح الكهوف والخنادق المسطحة طبقات كثيفة من الخشب والتراب وفوقها أحجار ضخمة بقدر الإمكان. وعلى من يرى الطائرة في الفضاء أن يقف ولا يتحرك والأفضل أن ينبطح أرضاً بلا حركة.

يجب أن يُحتاط في الإشارة ليلاً بإقفال المنازل، ولا يترك النور ظاهراً أبداً في المنزل والقرية، وتطفأ الأضواء كلها عند ظهور الطائرة.

يجب على الأهالي أن يتذكروا أن العدو يستعمل الغازات السامة، فيحتاطون بوضع مناديل على الفم والأنف، ولا يبقى أحد في البيت إذا شعر بالغاز السام. ومن علامته عدم سماع صوت الانفجار، وشم رائحة كريهة خانقة. يبرز كل واحد في الهواء الطلق وينبه الأهالي أنه في حالة سقوط قنبلة غازية يجب الإسراع والانتقال إلى مكان بعيد. أما المقاتلون فيجب عليهم أن يبقوا في الخنادق إذا شموا الغازات.

ملاحظة

إذا عزمنا على إغلاق منافذ الجبال في أول السفح أو وسطه فلا بد أن يكون من الجهتين - الجانبين. ثم يجب أن لا نغفل ما في داخل الجبل من قوات العدو حتى نحسب لها الحساب، ونضع المنافذ تحت حراسة قواتنا، بحيث تكفي إذا هوجمنا من داخل الجبل أو من خارجه ولا نؤخذ على غرة.

وإذا بدأت المعركة وانطلقت الرصاصات الأولى من الموقع، فعلى القيادة أن تعد عدتها مع النازلين على حدودها من الجهة الجنوبية - فيما يتعلق بالريف في

المغرب الشمالي ومن الجهة الشمالية - فيما يتعلق بالجزائر وتونس، حتى يبدأ الانقضاء في وقت واحد.

وإذا لم يستطيعوا فعلى الأقل يجب أن يسارعوا بالمساعدة في تمهيد الطريق للسواري المتحركة حالاً إلى الاتجاهات الثلاث. تطبق في جميع تراب المغرب العربي مع الاستعانة بنظرة القيادة المحلية.

ثم إعداد ما يستطيعون من القوات لتعزيز القوة العاملة، وليستعينوا بقوة محلية وبأكثر ما يمكن، لأن تضخيم العدد يفيد جداً في الاصطدام وفي المواصلات، وفي إحداث الارتباك للعدو. معركة الجبل هي معركة فوضى في حروب الاستعمار.

يجب أن تكون هناك قوة هندسة بالأدوات اللازمة، ومع كل فصيلة وسرية، أما أجهزة الاتصال - الإرسال والاستقبال - المحمولة فيجب تسليمها إلى الفنيين بمجرد العثور عليها. بينما التلفون يجب حراسة أسلاكه بقوة لازمة، لأنه ضروري للاتصال بالقيادة والقيادات.

القاهرة في 5/3/1949.

جيش التحرير للمغرب العربي

بلاغ رقم ١

" بسم الله الرحمن الرحيم "

" واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به . والله وعدكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم بما تتلقوا من شيء . في سبيل الله يوفى اليكم وانتم لا تعلمون "

يقولون من الله افتتح جيش التحرير الكون من مجموع الحركات الوطنية الفدائية في جميع اقطار الشمال الافريقي
بأكورة كفاحه بالمعطيات المشتركة الاخيرة . والقيادة المشتركة لجيش التحرير التي هي من صفوف المكافحة والمجاهدين
والمثابرين الحقيقيين لاراد الحركات الوطنية الفدائية في داخل البلاد بعد ان نشلت الرجعية الفاسدة لها تدعوه
واعت التلمذة الشخصية المستعمرين واعوانهم من الخونة عن رؤيته الحق - تحملن للحاكم اجمع من اهداها الاتيه :

- ١ - الكفاح حتى النهاية في سبيل الاستقلال التام لاقطار المغرب العربي مع عودة سلطان المغرب الشرعي الى عرشه بالسر والعلانية .
- ٢ - عدم التقييد بأي اتفاقات عقدت او تعقد مستقبلًا لا تحقق الهدف الاولي بالكامل .
- ٣ - اعتبار كل مواطن ينادي بخلاف ما ذكر خارج طلي ما اجتمعت عليه البلاد والحركات الوطنية الفدائية وان مثل هؤلاء لا يمثلون الا انفسهم وكفى ما فاسد البلاد من مفاسدهم .

وستوالي القيادة المشتركة لجيش التحرير اصدار بلاغات دورية من مركز قيادتها المركزية في داخل بلادنا العزيزة لتوضيح الحالة للشعب المكافح واطلاعه على الاساليب الطوية التي يلجأ اليها المعرضون لاستمرار الزج بالشعب في
الخلال الاستعمار الفرنسي الابدى .
وبعد الاستعداد الطويل يحملن جيش التحرير للشعب انه بعد الله لديه الامكانيات الكافية للاحترام نفس
الكفاح حتى يحقق اهدافه كاملة غير منقوصة . وبسبب بالمواطنين ان يقوم كل منهم بواجبه نحو وطنه وان يكون
دوماً يحيى ظهير المجاهدين . كما يحذرهم من الخونة الذين قد يبتغون في صلواتهم ومن المعرضين الانتهازين
وضعاف النفوس ومبغضين الهيم .

وتدعو قيادة الجيش المواطنين ان يكون شعارهم دائما الكفاح المنظم وان يتحروا الحيف عن اعمال الطاوعة
واخبارها من بلاغاتنا الدورية وتحذروهم من الاستماع الى الانشاعات المعرضة التي ترمي الى التقليل من شان الكفاح

بما أهمل المغرب

ان جيش التحرير يري من بان الطريق الذي سلكه لتحرير بلادنا من ذل الاستعمار الفرنسي هو السبيل الوحيد
لتحقيق اهدافنا السامية وان العالم اليوم لم يعد فيه مكان للشعاع . ان هدفنا الاكبر هو القضاء على قوات
الاستعمار الفرنسي في جميع صوره وفي الوقت نفسه تهيب بالمواطنين الا يتسهبوا بالمستعمرين في الاعتداء على
الاطفال والنساء والمجزه كعضيا مع مبادئ ديننا الحنيف .

" يا ايها النبي حرض الموتين على القتال ان يكن منكم عشرون مسجون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة
يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون "

الله اكبر وحسنى على الجهاد

جيش التحرير للمغرب العربي

(حركة المقاومة المغربية - جبهة التحرير الوطنية الجزائرية)

لجنة التسميق للمغرب العربي

نوابها التأسيسية

- (ا) تتألف اللجنة من اربعة افراد .
- (ب) تجتمع اللجنة رسميا مرتين في الاسبوع دون تحديد التاريخ .
- (ج) تتخذ قراراتها بالاغلبية المطلقة .
- (د) تستغرق مدة الرئاسة خمسة اشهر .
- (هـ) يتناوب الاضلاع على الرئاسة حسب ترتيب اسماهم .
- (و) يعطى الرئيس بترشيح صوت اخر منه على الاخرين .
- (ز) في حالة تنيب الواحد من الطرفين يتوب عنه صاحبه .
- (ح) يمكن للجنة ان تباين وتنتخب او يعينان حسب الاتفاق .
- (ط) مسلمها التامس والتعاون في جميع العبادات .

اضلاعها : السيد علي الدردى ، احمد بن محمد بن عبد القادر ، السيد

عبد بن عمر .

كاتبها : عبد بن عمر .

امنها : السيد علي الدردى .

حرف في ١٥ يوليوز سنة ١٩٥٥

تعبير الاسماء المستعارة

السيد علي الدردى : هو السيد بوضيان

احمد بن محمد بن عبد القادر : السيد العربي لعدي

السيد عبد الله : هو السيد عبد الرحمن بن عبد الله الضناحي

السيد عبد بن عمر : هو السيد محمد بن عبد الله السعيدويتم نسخة لثلاثون كذا

نداء إلى أبناء شمال إفريقيا، 7 / 1 / 1956 (*) (المكتوب لا تقتلوا!)
 أيها الإخوان
 إن الظروف قد حتمت علينا أن نوجه إليكم هذا النداء حتى لا يفوت الأوان. هناك
 جماعة متضامنة من المستغلين تتربص بكم الدوائر وتريد أن توقعكم من جديد في
 قبضة الاستعباد بعدما حملتم أسلحتكم وأدركتم ما يجب عليكم أن تفعلوه لأخذ
 حريتكم واستقلالكم.
 هذه الجماعة قد باعت الكرامة والشرف والوطن وسلمت البلاد لطائفة قليلة من
 المستعمرين بثمن بخس، هي تلك المناصب الزائفة الحقيمة والمهنية. وقد سبق أن
 عملت مثل هذه الفئة في تونس فسودت تاريخ هذا البلد المسكين، لولا أن قبض الله في
 الآونة الأخيرة لها رجالا لم يرضوا بتلك المهانة وصاروا يحاربون الاتفاقية- اتفاقية
 الخزي والعار. ويمكننا أن نقول إن تونس اليوم ثائرة على الذين سلموا بلادهم
 وماضية في محو العار، وهي بلا شك ناجحة بإذن الله لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه،
 وكل ما أبرم بواسطة جماعة دعاة الهزيمة وعشاق المناصب قد انهار تماما، وسوف
 ينهض التونسيون لاستئناف الكفاح في الوقت اللائق والمناسب. إن الشعب الفرنسي
 ليس في نيته أن يحارب مرة أخرى ليخلق هند صينية جديدة في شمال إفريقيا.

وقد اقتدت جماعة الرباط بجماعة تونس المستسلمة فأبرزت اتفاقية إكس لبيان إلى
 حيز العمل والتنفيذ، وأخذت تناور وتدلس وتغري الشعب المراكشي بالكلام
 المعسول. وهي سائرة في نفس طريق اتفاقية تونس وستطالب المناضلين بإلقاء
 السلاح، بعدما طلبت منهم الهدوء بحجة أن المفاوضات لا تكون إلا في الهدوء، والهدوء
 لا يكون إلا بإلقاء السلاح وتسليمه لهذه الجماعة الرباطية الجالسة على عروشها
 حين يتفرغ الأعداء للقضاء على الجزائر. فحذار من السقوط في الفخ المنصوب، وإننا
 على يقين من أن الشعب المغربي سوف يستمر في الكفاح والنضال إلى أن يخرج من
 بلاد المغرب بل من شمال إفريقيا كلها آخر جندي فرنسي يحمل السلاح من جماعة
 المستعمرين.

أيها الإخوان
 دعاة الهزيمة موجودون في الأقطار الثلاثة من بلادنا، فلا يجوز بأي حال من الأحوال
 بأن يسمح لهم أن يثبطوا من عزائمنا أو يوهنوا من عقيدتنا في الكفاح الشريف.
 فالنصر حليف المناضلين في سبيل الحق. إننا لا نريد أن تفوت هذه الفرصة من غير أن نلفت نظر الشعب الفرنسي إلى أن إهدار
 كرامة الشعوب ليس من شيم الأمم المتمدنة، ولا من خصال المؤمنين بالأديان
 السماوية.. وبالله التوفيق. - الظالم من بلادنا فهذا ما لا يفكر فيه أحد حتى الآن -
 عبد الكريم الخطابي

حول الاستقلال ومسألة العودة إلى الوطن الله (*)

سألت " التحرير " الأمير عبد الكريم الخطابي عما إذا كان قد اعتزم العودة إلى وطنه
مراكش المغرب الله، بعد أن اعترفت فرنسا لمراكش بالاستقلال واستقرت الأحوال
هناك.. فأجاب:

إذا كنتم تقصدون باستقرار الأحوال صدور " البيان المشترك " الذي تضمن اعتراف
فرنسا باستقلال للمغرب.. فهذا وهم كبير، لأن عدم توضيح فرنسا للمراحل التي
سيتم بها جلاء قواتها عن مراكش يجعلني أفكر طويلا في طبيعة هذا الاستقلال.. وهل
هو حقيقي، أم أنه مناورة من مناورات الاستعمار.. المراد منها تهدئة الثورة الوطنية
التي كانت- وما تزال- تهدد فرنسا في الصميم!!

وهذا يجعلني أوتر البقاء هنا في القاهرة، قلب العروبة، ومهد الثورة على الاستعمار..
كي أحذر من الانسياق وراء ما أعتقد أنه شرك منصوب.. وكي أمضي على مواصلة
النضال، عندما تتأزم الأمور، وينكت الفرنسيون في وعودهم.. وتفشل كل الحلول
السلمية!

ولعل أهم ما يؤيد مخاوفي أنه قد ورد في البيان الذي صدر بعد اجتماعات باريس
الأخيرة.. عبارة " التكافل بين البلدين " .. والتكافل في رأيي هو " الارتباط الدائم "
بفرنسا.. فكيف يتفق الاستقلال مع الاعتماد المتبادل الذي نص عليه البيان؟ ولو أن
الفرنسيين كانوا مخلصين حقا فيما يريدونه لمراكش، عندما أعلنوا اعترافهم باستقلالها
والغاء حمايتهم عنها، لما تعمدوا- ونحن في مستهل العهد- أن يغفلوا الكيفية التي
ستجلبو بموجبها قواتهم العسكرية عن أرض الوطن. ومعنى هذا، كما ترى، أن
الاستعمار لا يزال يراوغ في إطالة أمده وبقائه في البلاد إلى ما لا نهاية. مما يخشى أن
يكون الوضع في جوهره لم يتغير كثيرا عن ذي قبل!! زاوية بوهلال رقم: 01 مقفلة

ومن هنا تستطيع أن تعرف لماذا أتريث في اتخاذ قرار نهائي بالعودة إلى الوطن..
رغم الحنين إليه، والشوق الذي طالما داعبني إلى الأهل والإخوان. " بين صفتنا " مقال

وسأبقى هنا بجانب الأخ الكبير جمال عبد الناصر. " نحن نعدان أن نعبء شبابنا بغيره "

حول استقلال المغرب وجيش التحرير: 6 / 8 / 1956 (*)

بسم الله الرحمن الرحيم
 أبنائي وإخواني
 إن الله الذي وعد المجاهدين نصرا وفتحا قريبا هو الذي ألهمكم في أممكم وفي يومكم

أن تجاهدوا الظالمين وتعدوا لهم ما استطعتم من قوة، وهو الكفيل لكم بالفوز والظفر في الغد السعيد.
 وما ينبغي للذين قطعوا من الطريق أكثره إلا أن يسيروا على الدرب بالصبر والمثابرة حتى يبلغ الكتاب أجله ويذهب الظالم مدحورا. وما ينبغي أن يكون للمستعمر بيننا أعوان ولا من يتعاهد معه أو يتعاقد، ولا من يسالمه ولا من يقع فريسة لخداعه.
 وأسوء خديعة المستعمر هو ذلك التصريح الذي أعلنه منذ شهور وسماه (استقلالاً)، وبقي حيث هو لم يتزحزح عن البلاد ولم يترك أمرها لأهلها، بل هذا الأمر بيده وحده. والذين صدقوه لم ينالوا إلا الألقاب في غير موضعها لا يرضاها صاحب الضمير والكرامة.

ولقد تفاقم أمر هؤلاء الذين ظفر بهم الاستعمار أعوانا له وخداما وصاروا على الوطن والشعب وبالا ونكالا، ومن ضحاياهم رجال كرام كان المغرب بحاجة إليهم فاغتالوهم بالخيانة والغدر. وبهذا شهد وزير الدولة والمخلصون وأثبتوا في تقاريرهم الرسمية أن للخونة يدا في هذه المأساة. فخسرت بلاد المغرب شخصيات وطنية عزيزة وطاب لعشاق الحكم منهم أن يبقوا على كراسيهم فوق جماجم الكرام وأشلاء الأبطال، والكاسب هو الغاصب الفرنسي والإسباني، الأمر الذي زلزل كل عربي وكل غيور على الحرية وعلى الأخلاق. وليس هناك من يجهل أن ما سمي أخيرا بجيش التحرير المغربي ليس إلا أداة إسبانية صرفة، رجاله من صنائع الاستعمار الإسباني، والقوامون عليه من أفراد جيش الإسبان نفسه. أما جيش التحرير الحقيقي فهو ذلك الذي دوخ فرنسا وإسبانيا معا، والذي بذلت الدولتان وصنائعهما كل جهد لإخماد حركته وشل قواه. وأقصد بالجيش الأول ما كونه بعض المغرضين (...) واسمونه جيش التحرير المغربي. أما الجيش الحقيقي فلا يزال يكافح ضد المستعمرين ولا تزال الجهود تبذل للقضاء عليه نهائيا.

أبناء وطني الأعزاء

لا حرية للمغرب إلا بالكفاح وبالسلاح، وإخوانكم في تونس قد حملوا السلاح من جديد يرهبون به أعداء الحرية، وهؤلاء شركاؤنا وإخواننا في المحنة. أهل الجزائر لا يزالون في الميدان مناضلين صابرين حذرين من الخداع، متيقظين لللاعيب، وأنهم ليجدون من قلوب العرب عطقا، ومن بني الإنسان تأييدا، ومن الله قبل كل شيء عوناً وقوة ونصراً مبيناً.
 احذروا الغاصبين وأذنابهم..
 أخوكم عبد الكريم الخطابي

تقرير حسن الوزاني إلى الخطابي

في رسالة من زعيم سياسي حول الوحشية الحزبية الحاكمة في الريف .

جنيف 1959/2/2

هو الامير الجليل / عبد الكريم الخطابي رعااه الله وسلمه
السلم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
وبعد فقد سعدت بجوابكم الكريم الذي بال الصوق اليه . ولقد تألمت أئند
الأم لما علمته من رسالتكم حول (الوحشية) المرتكبة ضد الاحرار نسي
الريف من طرف القوات المعادية ، تحت قيادة الفرنسيين . ويجب أن تفضح
تلك الوحشية بكل تفاصيلها وفضائعها في الداخل والخارج لأنها مجهولة
لحد الآن .

والمحف الفرنسية الباريسية في الاسبوع الأخير كتبت بصريح العبارة أن
حكومة الرباط استخدمت رسمياً قوات الاحتلال واستفجرت بالجيش الفرنسي
وأن الطائرات التي دمرت ما دمرته في جهة (الحيمة) كانت بقيادة
الفرنسيين وتحت يدي القصاصات التي ذكرت ذلك مما يؤكد ما ورد نسي
رسالتكم ، وأسفاه .

ولا أحتاج الى القول بأن الشعب - الا الظالمين من أفرادهم وهم قليلون جداً
مع الاحرار المكافحين من أول ساعة .
وأستطيع أن أخبركم بقرب سفري الى القاهرة لتتذكر في موضوع الرسالة
وأطلعكم على ما تحت يدي من الوثائق حول أحداث المغرب ، وثورة الريف .

محمد حسن الوزاني

الامين العام لحزب الشورى والانتقاسال

مذكرة الخطابى إلى الملك محمد الخامس

يقول الامير الخطابى في مذكرة الى الملك محمد الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

مذكرة الى جلالة ملك المغرب

من / عبد الكريم الخطابى

صاحب الجلالة

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد . فإننا نندعو المولى جل وعز أن يكون
التوفيق حليفتكم في مطالباتكم مع سيادة الرئيس الاخ جمال عبدالناصر
بما يعود على الامتين العربية والاسلامية وعلى الشعبين في المغرب الاقصى
والجمهورية العربية المتحدة بالخير العميم والتأخي والتآزر والتضامن
في السراة والضراة في كل خير وشد كل عنق لشعبينا الكريمين .
وانا مثل كل شعبنا العربي الاسلامى لنأمل أن تكون مباحثاتكم مع سيادة
الرئيس الاخ جمال عبد الناصر ومع رؤساء البلاد العربية الاخرى النفسى
تترجمون زيارتها مؤدية الى بحث الخطوات الجديدة العملية لاجلاء كائفة
القوات الاجنبية المحتلة في المغرب وبدون قيد ولا شرط . ومؤدية السى
الحل الوحيد لقضية الجزائر هو الاعتراف التام باستقلالها وحرمتها بجلالة
الفرنسيين عنها . فان هذه القضية من الاهمية القومية والابتراتيبيسية
بدرجة لا محل للشهادن والتهاون بشأنها ، أو قبول الحل الوسط فيها ، أو
وقوف المغرب موقف الوسيط بينها وبين فرنسا لان المغرب طرف في الخصومة
وليس محايدا بالنسبة لها .

كما

كما نرجو أن تكون مباحثاتكم تستهدف تحقيق التناغم والاحوة العربية بصورة جديدة ، ومجترمة وخاصة بين البلاد العربية المومنة بأن الحيد الايجابي هو الطريق الصحيح للامة العربية ، كما يطيع عليها دينها الحنيف ، ومعالجها ، وموقعها الاستراتيجي .

كما نرجو أن يكون الاتفاق بين وجهات النظر قد تم على أنه لا يمكن تحقيق هذا الحيد الايجابي وعدم الانحياز ، الا اذا لم يكن على أرض بلاد العرب ، سوى اجنبي واحد يعرفه ، أو يحد أو يمنع تنفيذ هذا المبدأ على السعيد المعلى .

صاحب الجلالة

ولا شك أن جلالتم تدركون حقيقة الاوضاع الداخلية في وطننا المنسرب الأقصى - تلك الاوضاع التي نرى أنها لا يمكن أن تتطور إلى أفضل عن طريق الاخذ بأساليب التقدم والنهضة الا اذا تحققت هذه المطالب الاساسية

- 1 - الغاء الاحزاب السياسية كلها في المغرب (1)
 - 2 - توحيد الشعب في جبهة داخلية واحدة (1)
 - 3 - تعيين المواطنين أو اخوانهم العرب مكان آلا الاجانب (1)
 - 4 - ابعاد رجال الانارة والقضاة عن المراع الحزبي والسياسي (1)
 - 5 - تسييد العدالة الاجتماعية والساواة بعيدا عن التفرقة والاقليمية
 - 6 - الافراج عن المعتقلين السياسيين الذين لا ذنب لهم الا محاربة العدو
 - 7 - معاقبة المسيئين إلى الشعب والمستغلين لنفوسهم الاناري والحزبي
- وقفنا الله جميعا إلى الخير والحق والصواب .

عبد الكريم الطاطبي

الفاخرة 1379/7/14 موافق 1960/1/13

حول استقلال شمال إفريقيا الله (*)

الأمير عبد الكريم يقول: حقيقة رهيبة يعلم عنها بعض الناس ويتضارب عنها آخرون. حقيقة تجاهلها ضرر كبير وشر مستطير. هذه الحقيقة المؤلمة هي أن المغرب العربي بكل أقطاره لا يزال واقعا تحت قبضة المستعمرين وأن حالة تونس ومراكش هي حالة الجزائر وإن قيل

إن الأولى والثانية قد نالتا الاستقلال. كل الفارق بين الحاليين أن فرنسا استراحت من مقاتلة تونس ومراكش ولم تسترح بعد من قتال الجزائر لكونهم لا يزالون شاهرين السيف. نحننا بالفتنة بسنة تيبالفا قديتة بسفيرة بالسيده . يا مسعلا قالت فرنسا لمراكش وتونس لقد صرتما مستقلتين فصدقنا هذا القول وزادهما تصديقا أن صارت لكل منهما وزارة وسفراء وبقي فيها جيش الاحتلال وإلى جانبه جيش آخر من المدنيين الموزعين على الوزارات والمصالح مطلقين أيديهم فيما جل من شؤون الحكم وما هان. والاستقلال الذي دقت له الطبول في تونس ومراكش لم يقو على إجلاء المحتل عن البلاد ولا عن إطلاق أيدي الوطنيين في حكم بلادهم. إخواني وأبنائي

لا تصبروا على هوان سمي استقلالا ولا عبودية زعموها حرية ولا تتركوا الاستعمار يفترس أشقاءكم في الجزائر. حققوا الاستقلال بالسيف وبالدم فما يفهم المستعمر لغة غير هذه اللغة. لستم بعيدين عن الجهاد فقد كنتم في حكومة إلى زمن قصير لقد كنتم تستطيعون الصول الشديد فليس أيسر عليكم من العودة إلى الميدان وليس لكم سبيل إلى حقكم غير الجهاد والجملاء. عبد الكريم الخطابي

" الأمانى القومية" ، مجلة مصرية ، بتاريخ 25 فيفري 1957 .

مؤتمر طنجة لوحدة المغرب العربي

CONFÉRENCE DE TANGER POUR L'UNITÉ DU MAGHREB ARABE

du 27 Avril au 30 Avril ★ 1958

DELEGATIONS

1°-Délégation Algérienne

- Ferhat Abbas
- Boussouf
- Mehri Abdelhamid
- Dr. Francis
- Ahmed Boumendjel
- Mouloud-Rachid Gaïd

Dr. Dris-Abjelil-Hocine-Cheikh Kheiredine-

2°-Délégation Tunisienne

- Bahi ledgham
- Tayeb Mehiri
- Abdallah Ferhat
- A. Telili
- Ali Ballahouane
- Abdelmadjid Chaker

3°-Délégation Marocaine

- Allec El Fassi
- Belafridj
- Mehdi Ben Barka
- Bouabid
- Fkih Besri
- Mahdjeub Ben Seddik
- Bey ? (Ministre mauritanien réfugié au Maroc)
- Kadri

Ouverture de séance plénière au Palais Marshan à 17 h 30

Discours d'ouverture:

- Belafridj (Maroc)
- Mehri (Algérie)
- El Bahi Ledgham (Tunisie)

Cloture de la séance d'ouverture à 18 h.
Séance des Travaux à huit clos -18h 30

معمر

ORDRE DU JOUR (Directives)

Développement de la première question.

I^{er}) Guerre d'Indépendance de l'Algérie.

- a) - Ses répercussions sur le plan Nord Africain.
- Guerre larvée multiforme dans le M.A.
- Pression économique et autre de la France.
- Incidents de frontières - Sakiet-Sidi-Youcef. - Fozzan.
- Echec des "Bons offices".
- Conclusions: Déséquilibre permanent qui entrave la Solidarité totale et sans réserve des pays M.A.

II^{er}) Communauté et interventions de l'Occident.

- Condamnation de la Politique Occidentale.
- La cessation de l'aide de l'Occident à la France.
- Intervention des pays du Maghreb auprès de l'O.T.A.N.
- (réunion du 4 Mai)

III^{er}) Moyens pratiques pour réaliser, entre, aider l'Indépendance de l'Algérie

- Politique.

- /- Un principe : Indépendance totale de l'Algérie seul moyen de rétablir la Paix dans le Maghreb.
- /- Identité de vue sur la solution du problème Algérien.
- /- Le F.L.N. expression de la volonté du peuple Algérien : unique et exclusif représentant.

But : Ces trois points devront faire l'objet d'une note et diplomatique des Gouvernements indépendants du Maghreb aux Gouvernements Français et Etrangers.

- /- Reconnaissance du Gouvernement Algérien qui serait constitué par le F.L.N.
- /- Aide Politique - Militaire - Financier
- d) - Les mesures d'application.

Président de séance: Allet El Fassi

- Allocution brève de bienvenue - Salutations aux combattants au Rei, au Président Bourguiba - Regrette que les Lybiens ne soient pas présents à la présente séance - Exprime l'espoir d'un succès total de la Conférence.

Bouabid prend la parole pour "brosser" un tableau succinct de la situation générale en A.N.

- Politique extérieure
- Algérie
- Position économique, l'A.F. devant les clans économiques (Marché commun, C.E.D. etc...)

- Il exprime le vœu de discuter en premier lieu la politique extérieure des pays N.F.

Mehri pose diverses questions

- Les décisions prises en Conférence sont elles celles des Gouvernements?
- Les questions relatives aux relations étrangères possèdent leurs places au 3^{ème} Point de l'Ordre du jour - Il pense qu'il n'y a pas lieu d'intervertir l'ordre établi.

El Bahi:

- Le Gouvernement Tunisien fera de son mieux pour appuyer les décisions de la Conférence, cependant il faudrait faire une distinction entre le Gouvernement et le Parti.

Le Gouvernement n'est pas présent à cette Conférence. Les membres présents feront l'impossible pour qu'ils agissent aux leur Gouvernement et l'obligent à agir en conséquence.

Beu Abid: est d'accord avec Si El Bahi

- Le Sultan a rappelé que le Gouvernement Chérifien fera de son mieux pour appuyer, aider l'Algérie combattante - C'est une garantie.

F. Abbas : Je n'ai pas bien saisi les interventions, dans le détail, de ses frères El Bahi et Beuabid (ceux-ci s'étaient exprimés en arabe classique

- Lorsque le C.C.E. a accepté d'assister à cette Conférence, il a engagé la responsabilité de l'Algérie tout entière.

- Nous avons demandé la réciprocité et insisté pour qu'à cette Conférence assistent des représentants des Gouvernements.

- Nos responsabilités sont immenses et sommes conscients de nos actes - Nous sommes les représentants, peut être, du futur Gouvernement algérien, c'est à dire, d'une autorité qui engage la Nation Algér.

Mah. Ben Seddik; fait une mise au point

- Nous avons déjà débattu cette question et étions d'accord que les personnes qui prendront des décisions ici feront en sorte qu'elles seront appliquées par le Gouvernement.

El Bahi pose à son tour la question:

- Est-ce que les membres du C.C.E. ici présents s'engagent à appliquer les décisions de la Conférence.

Mah. F. L.N. - OUI.

Allel El Fassi: Reprenons l'ordre du jour et établissons un emploi du temps pour liquider toutes les questions dans les délais prévus, c'est à dire en trois jours.

Division du Travail établi-

Discussion des questions portées à l'ordre du jour.

ORDRE DU JOUR:

1°-La Guerre d'Indépendance de l'Algérie
a)- Ses repercussions sur le plan N.A.
b)- L'intervention et la complicité de l'Occident
c)- Les moyens pratiques pour réaliser, aider, hater l'Indépendance de l'Algérie (politique-militaire-financier)
d)- Les mesures d'applications de ces moyens.

2°-Liquidation des séquelles de la domination coloniale dans les pays du Maghreb

a)- Les zones opérationnelles françaises dans le Maghreb
b)- L'évacuation des troupes étrangères
c)- L'implantation française dans les divers ~~secteurs~~ branches des Administrations nationales, et l'économie nationale
d)- Les problèmes des frontières

3°-L'Union Maghrébine

a)- Sa nécessité
b)- Ses formes
c)- Son contenu
d)- La Phase préparatoire de transition

4°-Organisme permanent d'exécution des décisions de la Conférence (délais

(Voir annexe sur le détail des points soulevés à la première question de l'ordre du jour- points à développer au cours de la discussion par la délégation Algérienne)

oooooo

Point I de l'Ordre du jour:

LA GUERRE D'INDEPENDANCE DE L'ALGERIE

Abbas expose le point de vue algérien

-La colonisation de l'A.N s'est faite par étapes successives. La France a fait un travail de grignotage. C'est une leçon à retenir, nous ne devons pas permettre le renouvellement de cet état de choses.

-La France a été libérée par les Alliés. Elle aurait dû comprendre que sa libération est due aux territoires d'A.F. Mais son attitude n'a pas variée, sa conception n'a pas évolué.

-Elle a accordé une indépendance mitigée à la T. et au M.
-En Algérie, la guerre continue de plus en plus dure, plus meurtrière. Nous évaluons les victimes entre 600.000 et 1 million. Quatre ans de guerre ~~ont provoqué~~ provoquent des ruines innombrables. Nous nous demandons comment allons reconstruire et comment vous allez

-C'est une guerre larvée que celle que nous subissons (Skiet Sidi-Youcef, incidents à la frontière Lybienne (Fezzan)-Bombardement au Maroc etc...)

-Il n'y a pas de liberté possible si celle-ci n'existe pas pour tous. Il y a eu une unité du Maghreb, nous pouvons la restaurer et faire comme nos ancêtres.

-Nous avons subi l'invasion et subi des revers parce que à cette époque, il n'y avait pas assez de population, assez d'hommes pour la défendre, il n'y avait pas d'hommes qui pensaient à cette unité. Aujourd'hui tous ces éléments existent, il suffit de vouloir pour pouvoir.

Les distances n'existent pas à notre époque. L'effort commun est nécessaire (matériel, politique et financier)

-L'Algérie est une partie de votre chaire-La liberté de l'Algérie est une partie de votre Liberté.

Mahri: Reprend l'exposé de la question en reprenant point par point

~~les paragraphes prévus~~ les paragraphes prévus pour la 1ère Quest (voir annexe -Guerre d'Indépendance de l'Algérie)

Mahri s'attache au développement des points politiques et laisse le soin à Boussof de traiter les questions militaires.

Boussof

-Ce n'est pas une guerre de front qui se déroule, mais, des opérations de guérillas basées sur l'appui des populations. Les armes dont dispose notre armée et les moyens divers pour faire face à l'armée française ne nous suffisent pas. Nous avons consenti et accepté tous les sacrifices que nécessitent cette guerre, nous étions persuadés, par ailleurs que nous aurons des alliés à l'Est et à l'Ouest et que la Tunisie et le Maroc ne ménageront aucunement leur appui.

-A Tunis, toutes les portes sont ouvertes, l'Algérie est chez elle, l'Algérien se meut à son aise et dispose de tous les pays de lutte.

-Au Maroc les portes sont à peine entrouvertes, l'aide est largement insuffisante. Les frontières sont occupées par les troupes françaises (suivent des détails de cette occupation-voir annexe)

Nous demandons en conclusion que la Conférence se prononce pour l'évacuation totale des zones frontalières

Allel El Fassi:

-Le Gouvernement marocain a demandé à plusieurs reprises l'évacuation des troupes étrangères.

-Il fait remarquer que cette question figure au 2ème de l'Ordre du jour "les séquelles de l'impérialisme"

El Bahi:

-Nous sommes d'accord avec nos frères algériens.
-Nous sentons et comprenons parfaitement les sacrifices consentis par nos frères; nous sommes témoins de tous les événements dont parle notre frère. Nous avons vu les réfugiés envahissant la Tunisie, fuillant la répression et les massacres de l'armée française.
-Nos villages frontaliers ont eu souvent à se plaindre de ces exactions, et subit parfois les représailles.
-Une position commune dans ce domaine.

خطب الإفتتاح لممثلي الوفود في مؤتمر طنجة

السيّد عبد الحميد موري - ممثل جبهة التحرير الوطني الجزائرية - الخطاب في الإفتتاح .

بسم الله الرحمن الرحيم

سادتي

باسم جبهة التحرير الوطني الجزائرية المثلثة لإرادة الشعب الجزائري المكافح أحيي وفود الأقطار الشقيقة التي جمعها هذا المؤتمر التاريخي، مؤتمر وحدة المغرب العربي على مثل سامية تتصل بقانون الرسالة التي استطلعت شعورنا بها وكافحت من أجلها عشرات السنين وهي تحرير المغرب العربي من الإستعمار وتحقيق الوحدة بين أقطاره الثلاثة وتمكينه في الساحة لتحقيق الرفاهية لسكان أقطاره وحفظ سلامة العالم وأن الوفد الجزائري لشاعر كل الشعوب بأهمية هذا المؤتمر وبالمسؤولية التي يتحملها بحضوره وهو مطمئن كل الإطمئنان إلى أن نتائج هذه المناقشة الأخوية الواسعة ستكون نقطة تحول في تاريخ المغرب الحديث.

إن الوفد الجزائري يمثل في هذا المؤتمر الرقعة الوحيدة في العالم التي تدور فيها حرب طاحنة منذ ما يقرب من أربع سنوات، حرب يخطونها الشعوب الجزائرية للحصول على حقه الطبيعي في الحرية والإستقلال ولكن الإستعمار الفرنسي الذي يحارب الإبقاء على نظام إستعباد الشعوب واستغلالها ومساندة في هذه الحرب مع الأسف بالمال والسلاح دول عظمى كان القروض عليها يحكم تقاليدنا العريقة ومكانتها الدولية أن تكون نصيرة للحرية في كل مكان وحرمة السلام في العالم.

وبمع هذا فإن الحرب القائمة الآن في الجزائر لا تهم الجزائر وحدها ولكنها في الواقع هي معركة تحرير المغرب العربي كله فقد لها أن تتناول في إطار من أقطار.

إن مؤتمر وحدة المغرب العربي ليجد هنا فاصلا بين المرحلة التي كان الإستعمار الفرنسي يواجه فيها كل قطر من أقطار المغرب العربي على حدة والمرحلة التي يواجه فيها المغرب العربي الموحد الكتلة المتراصة التي قتل ثلاثين مليوناً من المكافحين الذين يريدون الحرية لأنفسهم كما يريدون الحرية لغيرهم من الإنسانية جمعاء.

إن وحدة المغرب العربي ضرورة ملحة لإتخاذ الوسائل الناجعة للتخلص في الجزائر من الإستعمار الفرنسي وهي أيضا ضرورية للقضاء على ما تبثى من مظاهر السيطرة الإستعمارية في الأقطار الشقيقة التي حصلت بفضل كفاحها على حريتها وإستقلالها. وما زلنا مقدمين على تحقيق هذه الوحدة ونحن في غمرة الكفاح، فاتها ستكون إن شاء الله وحدة دائمة ومتميزة.

إننا نخطي - إذا تناولنا وحدة المغرب العربي من وجهة المآخر فقط كما نخطي - إذا تناولنا من وجهة المستقبل دون ربطها بمقتضى المآخر - كانت هذه المقتضى متحققة. غير أن السرعة التي يتأخر بها سير التاريخ في هذا العصر يجعل من الصعب التمييز بين الماضي والحاضر ولهذا لأنه وكما أن نخرج من هنا المؤتمر المبارك بقرارات عملية لتحقيق وحدة المغرب العربي دون أن تكون حائزين من الوحدة.

إسمحوا لي أيها السادة أن أختم كلمتي بتوجيه التحية والإحترام إلى جلالة الملك سيدي محمد الخامس عاهل المملكة الشريفة المغربية وإلى فخامة الرئيس السيد لحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية فيفضل توجيهاتهما الحكيمة ويفضل إهتمامهما بهذا المؤتمر أمكن لنا أن نلتقي اليوم على هذا الصعيد الأخوي وننظر للمستقبل بعين الإطمئنان والسلام عليكم وبرحمة الله.

السيد أحمد بالافريج - ممثل المغرب (خطاب في الإمتتاح) :

تعرضت حركتنا لمقاومة منسقة من طرف الإستعمار فكلما تقاربت أهدافنا وتحايوت طرق العمل لتحرير بلادنا وجد الإستعمار خطته لمقاومة حركتنا فكانت أمالتنا وأامتنا واحدة وكل ذلك من الأسباب التي جعلت أفكارنا تتقارب وحركتنا تأخذ طابعها المتقارب المتجاوب أحيانا توحدت أهدافنا الإستقلالية في هذه الأقطار كان أول ما فكرت فيه إقامة ميثاق يوحد أهدافنا الرئيسية على أن تعمل كل حركة حسب الظروف المحيطة بها وحسب الوسائل التي تملكها للحصول على إستقلال القطر الذي تنتسب إليه وكل أح يأخذ بيد أخيه كما ورد في نفس الميثاق.

والآن وقد تحررت تونس والمغرب وبقية الجزائر تكافح كفاحا مجيدا في سبيل الهدف المشترك وجب على القطرين معا أن يساعداها على الوصول إلى تحقيق إستقلالها حتى يتحقق إستقلال هذا المغرب العربي بأجمعه. ووحدة الشمال الإفريقي الذي يجتمع هنا المؤتمر لإقرارها هي حلقة في مجموعة الدول العربية لأن بلادنا تكون الجناح الأيسر من بلاد العربية وسيعزز هذا الجناح بوحدة البلاد العربية المكافحة في سبيل التحرر.

إن بلادنا مقبلة على عمل عظيم لإستكمال تحريرها من الإستعمار فلا بد لها أن توحد جهودها لتستطيع مناجبة الإستعمار .

السيد اليباهي الأدهم - ممثل تونس (خطاب في الإمتتاح) :

أيها السادة لهذا المؤتمر إمكانيات كثيرة إذ جمع بين حركات تحريرية متمثلة قوية مناضلة تعبر عن عزم شعوبنا على توحيد المغرب العربي. ولهمنا المؤتمر وسائل فعالة (فحكوماته مستقلة تدافع عن مقدراتنا في المحافل الدولية ولأقوالها وأفعالها صدق في العالم) (شعوب تعد بالملايين لها بأس وقوة وتحارب في الكفاح) لها ماضي قريب في النضال قد مارست الإستعمار وسيرت غوره وأطلعت على ظاهره وخفياه وقد هداها الكفاح إلى معرفة مشاكلها وتقدير إمكانياتها. إذن فالنتائج الإيجابية التي يحتم علينا الوصول إليها رهينة عزيمتنا وإخلاصنا وتفهمنا للواقع. فكان من الضروري وضع العضلات من مشاكلنا الكبرى وضعها الواقعي وفي تصانيفها الحقيقية كما وضع وهي كما لا يخفاكم متداخلة ومتشعبة وقد توفقت لتحدد جدول أعمال بحسري على مشاكلنا الحيوية المستعجلة وهي وإن جزأناها تكون ضربا من الوحدة كما يربط بين تلك الأجزاء ربطا واقعا محسوسا رغم الظاهر المتروعة. فمن الجزائر شعب ينهي وخراب إستعمارية ترمي إلى السيطرة عليه أو إبادته وفي اليمن الآخر من أقطارنا رواسب إستعمارية متعددة وقوات أحسية مرابطة تنازل نفوذ في بعض الميادين وضغط إقتصادي ومالي ناتج عن الروابط الإستعمارية الإقتصادية السابقة. إذن في المغرب العربي وضع فاسد حاد تحريره باستخدام الوسائل الناجعة لتلك الغاية. وباهتمام إلى إيجاد حلول تقضي عن الواقع وتتركز عليه.

وإن كنا لا نريد إتخاذ قرارات عدوانية ضد أي كان فإنا نعتقد أن الوقت قد حان لتتخذ المسؤولون الحقيقيون على السلم في العالم مسؤولياتهم كاملة تجاه نوابنا وأهدافنا المشروعة.

إن الحل أن نعمم الحكمة في ميدان العلاقات الدولية فلا يمكن أن نهمل النتائج الملموسة التي تحصلت عليها بعض أقطار المغرب الواقعية الحق ومناصرة دولية ثابتة. هذه المناصرة يتحتم إستخدامها لإنجاز الرحلة الحاسمة في سبيل تحرير الجزائر على أنه لا ينبغي أن يؤول بتأمرعاة المناصرات الخارجية إلى الإطمئنان وحسن الظن بمن ساندوا بصفة سافرة أو مضمرة في إعانة الطغيان الإستعماري وحرب ترمي إلى إبادة شعب شقيق حتى ولو كانت تلك المساندة بالسكوت عن الإجراء. وفي الإطمئنان أيضا مخالطة خطيرة لها مقبولها بالنسبة لشعوبنا ولبقية العالم أيضا. فكيف يتكر أيها السادة المسؤول السياسي في هذا العصر ما ستؤول إليه الحيرة والقنوط في شعوب تنح تحت الحديد والنار بينما يردد قادتها ثقتهم في القيم وترجيح الرشد والعدالة. فالواقع الملموس كقيل بتكذيب الأمانتي مهنا كانت مشروعة ومقدسة. لذلك نحفر العالم والمسؤولين عن هذا التطور الخطير الذي يقود حتما إلى الحل الذي نريد تجنبه في مناهجنا السياسية.

قصيدة إلى الريفيين] لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا

- 1/ أجبريلُ هَلَلُ بآي الظفر *** وكبر وخط جليل الخبر
- 2/ ورُفُ بأجنحة النصر فوق *** [بني الريف]، حول القنا المشتجر
- 3/ ورتل على الجيش [أن تتصروا الله *** * * * * *] ينصركم] ببلوغ الوطر
- 4/ وأعل اللواء لهام الثريا *** * * * * * وسر للأمام بتلك الزمر
- 5/ وأبلغ رسول البرية أحمـ *** * * * * * ، هادي الشريعة، بادي البشر
- 6/ بأن الهلال على أفق العز *** * * * * * ز والمجد — بعد الأفول — ظهر
- 7/ سلام (بني الريف) من مهج *** * * * * * تكاد تطير ولا تصطبر
- 8/ هنيئًا (بني الريف) قد فتحت *** * * * * * لكم جنة الخلد، من بيتدر؟
- 9/ (بني الريف) ليست سوى جرعة *** * * * * * من الهول، ثم تجلى الخير
- 10/ (بني الريف) ليست سوى خطوة *** * * * * * على النار ثم يُجنى الثمر
- 11/ (بني الريف) ليست سوى جولة *** * * * * * على الضيم ثم يطيب المقر
- 12/ نضالا نضالا (بني الريف) عن *** * * * * * تراث لكم غالي المدخر
- 13/ أجيئوا أجيئوا نداء الضمير *** * * * * * ودعوة عظم رميم نخر
- 14/ فكم تحت ذلك الثرى من رفات *** * * * * * تطالبكم حقها المحتكر
- 15/ و كم فوق ذي الأرض من مسلم *** * * * * * لنصرتكم ولهم منتظر
- 16/ (بني الريف) من كان يهوى الحياة *** * * * * * يهون عليه ركوب الخطر
- 17/ فعرش السعادة لا يُبْتَنَى *** * * * * * لقوم سوى فوق هام آخر

- 18/ و بين البلاد ودستورها*** ضحايا نفوس وسجن أسر
- 19/ و ما الفخر إلا على ضمير*** تلوح سناكبها بالشرر
- 20/ و لن يبلغ العز إلا الذي*** على رشف كأس العذاب صبر
- 21/ و لا يجتني ثمرات السعادة*** والفخر حقا سوى من بذر
- 22/ فحرية الشعب صاح...*** و هل مهرها غير هام البشر؟
- 23/ فكونوا الفداء وكونوا الضحايا*** ليحيى الهلال، و يبقى الأثر
- 24/ (بني الريف) في عظماء الرجال*** و مجد الغزاة لكم مدكر
- 25/ ألا نظرات إلى (ابن الوليد)*** و فاتح ملك (العزير) (عمر)
- 26/ و (عقبه) فاتح إفريقيا*** و (حسان) من بعده قد زار
- 27/ و (طارق) إذاك، و (ابن نصير)*** بأندلس سعيهم مشتهر
- 28/ أليسوا سوى بشر مثلنا*** و قد فتحوا العالم المكفهر
- 29/ أليسوا بعزم يفل الرواسـ*** ي أضحوا ملوكا، بهم يفتخر
- 30/ أليسوا بذلك ألقوا دروسا*** لأجيالنا من عظيم السير
- 31/ ألم يستقلوا من (الصين) ملكا،*** إلى (البرنات)، لأرض (النتر)
- 32/ وأضحى لواء الخليفة يخفـ*** ق حول (بريس) لولا القدر
- 33/ وقد رتلوا من ثباتهم*** على الفاتحين بليغ السور
- 34/ وقد صوروا بمجال الكفاح*** من الاصطبار بليغ الصور
- 35/ وأضحى الزمان يردد فينا*** عن (ابن زياد) لآلي الدرر
- 36/ فليس لديكم سوى موتتين*** بأيهما يستطاب المقر
- 37/ وليس لكم قوم الا الثبات*** فذاك بحر، وهذا سفر
- 38/ فكونوا الفداء، و كونوا الضحايا،*** ليحيى الهلال، ويبقى الأثر

- 39/ (بني الريف) اياكم و الفراق، *** فإن التفرق يعمي البصر
- 40/ أما بالتفرق - لا سمح الله - *** ه- أصبح دين الهدى محتضر
- 41/ أما بالتفرق - لا سمح الله - *** ه- أضحى لوا المصطفى يحتقر
- 42/ أما بالتفرق - لا سمح الله - *** ه- أصبح عقد الهنا مندثر
- 43/ أما بالتفرق - و لو عتا *** ه- سألت دما المسلمين هدر
- 44/ أما بالتفرق - وأحر قلب *** ي- أصبح صرخُ العُلا مندثر
- 45/ فذي أمم الشرق تبكي البكاء، *** أليما وجيعا يذيب الحجر
- 46/ وتندب حظا، غدا سلعا *** تباع و تشرى بسوق الصغر
- 47/ وأبناؤها صامتون يساقو *** ن نحو المهالك سوق البقر
- 48/ ألا عزمات، ألا همم، *** أما أن تذكرة بالعبر؟
- 49/ فأين الشعور؟ و أين الإيا؟ *** و أين الأبى الذي يقتدر؟
- 50/ فإن سامحتكم ضمائرکم *** فإن المهيمن لا يغتفر
- 51/ (بني الريف) اياكم و الجمود، *** فإن النجاح حليف السهر
- 52/ (بني الريف) هبوا، فهذا زمان *** تحرك ما فيه حتى الحجر
- 53/ فليس الفلاح بنقر الدفوف، *** و دعوى الضريح، و خط الزبر
- 54/ و لا بالتواكل عند البلاء، *** و لا بالكؤوس، و ضرب الوتر
- 55/ بل النصر في السعي و الاتحاد *** لنيل المنى، و دوام النظر
- 56/ و صبر، و حزم، و عزم إلى ال *** علا، و رضى بالقضا و القدر
- 57/ و نفس تظل بتاج الجلال، *** و تأبى لها غير هام القمر
- 58/ تنادي بصوت الشهامة: تا الله - *** ه من يرض بالذل يوما كفر
- 59/ وروح تفيض مع العبرات *** غراما وحبًا لشعب أعر

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا - المصادر :

1- المصادر الأرشيفية :

أ- الأرشيف التونسي :

1-I.S.H.M.N.Tunisie 1881-1887 (résistance populaire de la population tunisienne à l'occupation française) .cartons dossiers 2H26-D.1.Bobine S .266.FOLIOS 387 .

2- (Q.O. TUNISIE 1944 -1955 . V . 297 . DOCUMENT : le néo - .détour au début de l'année 1952 . FF . 108 - 147 .

3- I.S.H.M.N,TUNISIE (Troubles et insurrection sur la frontière algéro -tunisienne et à l'intérieur de la régence réactions française) , 1881 , cartons 55, Bobine 316, Folios 279 .

4- I.S.H.M.N,TUNISIE 1881 (Opération militaires vu de l'occupation de villes tunisiennes , insurrection de la population tunisienne) cartons dossiers 2H7 , Bobine S 252 , .Folios 128 - 142

5- " l'occupation de la Tunisie 1881 -1883 " ، إحتلال البلاد التونسية دراسة قامت بها مصلحة الإستعلامات لجيش الإحتلال سنة 1885 ، 1883 - 1881 ، نسخة مرقونة .

ب - الأرشيف الفرنسي :

Rapport du 19 octobre 1925 ; archives d'ex-en province carton 1-
9.h-142.

ج - مركز الأرشيف الوطني الجزائري (C.A.N.A) :

1- A.N.A : GPRA, B4, dos 4-8.

2-A.N.A : GPRA, B6, DOS12.

3- Archives de la préfecture d'Alger, dossier n° =231

د - الأرشيف المغربي :

1-“ les entretiens Franco- Marocains d' AIX -les - Bains (22-
25 aout 1955) ; les procès - verbaux , in dossiers de
l'histoire du maroca (D. H . M) N 1 JUIN 1966 , p 2 -6 .

2- المصادر المنشورة في الكتب :

أ- المصادر باللغة العربية :

- 1- أمزيان، محمد سلام : قصة نزول الامير عبد الكريم في مصر، د.ت .
- 2- أمزيان، محمد سلام : قصة الامير عبد الكريم مع لجنة تحرير المغرب العربي
، د.ت .

- 3- أمزيان، محمد سلام : **عبد الكريم الخطابي وحرب الريف**، ط1، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1971 .
- 4- أمزيان، محمد سلام : **في المنفى (مذكرات)**، ج 2، ط1 د.ت ، ص 107.
- 5- أشفورد، دوجلاس : **التطورات السياسية في المملكة المغربية**، ط1 ، دار البيضاء، المغرب ، 1964 .
- 6- إدريس، الرشيد : **ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة**، دار العربية للكتاب، تونس ، 1981 .
- 7- بلخوجة، الطاهر : **مسيرة زعيم** ، ط1 ، دار البيضاء المغرب ، 1999.
- 8- بلقاضي، محمد عمر : **أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي مذكرات عن حرب الريف**، ط2، مطبعة سلمى، الرباط، 2006.
- 9- بن بلة، أحمد: **مذكرات احمد بن بلة**، ترجمة: العفيف الأخضر، ط2، دار الآداب، بيروت، لبنان ، 1979 .
- 10- بن حليم، مصطفى احمد: **صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي**، مذكرات رئيس الحكومة لبيبة الأسبق، ط2، مطبع الاهرام التجارية، مصر، 199 . .
- 11- 1 بن الخوجة، محمد: **صفحات من تاريخ تونس**، تقديم وتحقيق حمادي الساحلي والجلالي بن الحج يحيى، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1986 .
- 12- بن نبي، مالك: **شروط النهضة**، ترجمة عبد الصبور شاهين بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سورية، 1986 .
- 13- بن عبود، أحمد: **مكتب المغرب العربي في القاهرة : دراسة ووثائق**، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1992 .

- 14- بن عبود، أمحمد احمد: مركز الأجنب في مراكش، دراسة قانونية لوضعية الأجنب في المغرب قبل عهد الحماية وخلالها، ط2، تطوان، المغرب، 1980 .
- 15- بن عقون، عبد الرحمان : الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1920 - 1936)، ج1، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 16- بوحارة، عبد الرزاق : منابع التحرير، أجيال في مواجهة القدر، ترجمة : صالح عبد النوري، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، قسبة للنشر، الجزائر، 2005 .
- 17- بورقيبة، الحبيب : خطب 22، كتابة الدولة للإعلام، تونس، 1974.
- 18- بورقيبة، الحبيب : حياتي، آرائي، جهادي، ط3، منشورات وزارة الإعلام، تونس، 1984.
- 19- الثعالبي، عبد العزيز : تونس الشهيدة، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1984 .
- 20- الحزب الحر الدستوري التونسي : المؤتمر الوطني بصفاقس من 15 الى 19 نوفمبر 1955، مطبوعات، ش . ت . ف . ر، تونس، 1955.
- 21- جياب، فو نجوين : حزب المقاومة الشعبية، ترجمة : ناجي علوش ومنير شفيق، ط1، بيروت، لبنان، 1967 .
- 22- حمادي العزيز، محمد: جيوش تحرير المغرب العربي، هكذا كانت قصة في البداية، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2004 .
- 23- الخزرجي، أحمد سكيرج الأنصاري :الظل الوريث في محاربة الريف، مطبعة كوثر برانت، الرباط، المغرب، 2010.

- 24- الخطابي، سعيد : " الامير المجاهد عبد الكريم الخطابي والسلام في البحر الأبيض المتوسط "، مركز محمد عبد الكريم الخطابي للدراسات والتوثيق، برشلونة، 1993 .
- 25- خ.ف. سالا فرنكا : جمهورية الريف، مطبعة كازارا، ملقا، 2004 .
- 26- خوجة، محمد : جيش التحرير المغرب العربي 1951 - 1956، ومذكرات لتاريخ أم للتمويه، ط1، دار أبي الرقاق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2007.
- 27- خوجة، حمدان بن عثمان : المرأة، ترجمة :محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 .
- 28- دايفد و ولمان :عبد الكريم وحرب الريف، ط1، مطبعة واكوس تاو برشلونة، 1971،
- 29- دروزة، محمد عزة:الوحدة العربية، ط 1 ،منشورات المكتب التجاري، بيروت، لبنان، 1957 .
- 30- ديقول، شارل : الوحدة 1942 - 1944 (مذكرات)، ط 1، ترجمة عبد اللطيف شرارة، مراجعة أحمد عويدات، بيروت، لبنان، 1969.
- 31- الديب، فتحي: جمال عبد الناصر والثورة الجزائر، ط3، دار المستقبل العربي ، القاهرة، مصر ، 1984.
- 32- زكريا، مفدي : أمجادنا تتكلم، تصدير بقلم الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، حققه وجمعه مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003.
- 33- زنير، محمد : صفحات مطوية من الوطنية المغربية من الثورة الريفية الى الحركة الوطنية، دار النشر المغربية، دار البيضاء، 1990.

- 34- سعيداني، الطاهر : مذكرات الرائد، القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، ط1 ، دار الأمة، الجزائر، 2001.
- 35- الصنهاجي، عبد الله : مذكرات في تاريخ المقاومة وجيش التحرير، ط1 ، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1987.
- 36- الطاهر، عبد الله : الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956، ط2، دار المعارف لطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1975.
- 37- عباس، فرحات :ليل الاستعمار، حرب الجزائر وثورتها، ترجمة :أبو بكر رحال ،مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د.ت.
- 38- عبد المنعم إبراهيم المحامي محمد ومحمد عبد الوارث الصوفي :الأمير عبد الكريم الخطابي بطل شمال إفريقيا، ط1،المكتبة العلمية ومطبتها، القاهرة ،1958.
- 39- عبد الله، الطاهر: الحركة الوطنية التونسية - رؤية شعبية قومية جديدة 1830 - 1956، ط2، بيروت، 1982.
- 40- عقون، إبراهيم عبد الرحمان : الكفاح القومي والسياسي 1947 - 1954 ، ج 3، مؤسسة الوطنية للكتاب، 1986 .
- 41- العزوزي، محمد بن عمر : حقائق تاريخية عن تأسيس جيش التحرير بقبيلة أجزناية مع نبذة تاريخية من تاريخ القبيلة، ط1، مطبعة ناداكوم، الرباط ، المغرب، 2002 .
- 42- العلمي، محمد : زعيم الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي، مطبعة دار الكتاب، دار البيضاء، المغرب، 1968.
- 43- غويد بوي مانويل :المغرب مراحل التهدئة، ط1، مدريد، إسبانيا، 1932.

- 44- غلاب، عبد الكريم :تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية إلى إعلان الاستقلال، ج 1 ، ط 1، دار البيضاء، المغرب، 1976.
- 45- الفاسي، علال : نداء القاهرة ، ط1، المطبعة الاقتصادية، الرباط، المغرب، 1959.
- 46- الفاسي، علال: محاضرات في المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، مطبعة نهضة مصر، بيروت 1967 .
- 47- الفاسي، علال : الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، ط1، عبد السلام جسوس، طنجة، المغرب .
- 48- فور، إدغار : الخفايا السرية لإكس لبيان، ترجمة محمد العفراني، مطبعة النجاح، دار البيضاء، المغرب ، 2005 .
- 49- فروخ، عمار: باكستان دولة ستعيش، بيروت، لبنان، 1951 .
- 50- القادري، أبو بكر : مذكراتي في الحركة الوطنية، ج3، القسم الأول، مؤتمر طنجة لوحدة المغرب العربي، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، المغرب، 2002.
- 51- القصاب، أحمد : تاريخ تونس المعاصر 1881-1956، ترجمة حمادي الساحلي، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1986.
- 52- كوليت وجانسون فرانسيس :الجزائر الثائرة، ترجمة : محمد علوي الشريف، محمد خليل فهمي، هنري يوسف سردار، دار الهلال، 1957.
- 53- كوميز، خورندا :مؤشرات عملياتنا بالمغرب، ط1،المطبعة الوطنية، مدريد ،إسبانيا، 1976.
- 54- لاندو، روم : مراكش بعد الاستقلال، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان ،1960.

- 55- لاندو، روم: تاريخ المغرب في القرن العشرين، دار الكتاب، دار البيضاء، المغرب، 1963 .
- 56- مانيوس كامبوس كارلوس :إسبانيا المقاتلة القرن العشرين في المغرب، ط1 ،مطبعة أكويلار، مدريد، إسبانيا، 1969.
- 57- مانويل كالبان خمينيس :إسبانيا بإفريقيا -تهدة المغرب- الخدمة الجغرافية للقوات المسلحة، ط1، مدريد، إسبانيا، 1965.
- 58- ماثيو، روجر :مذكرات الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، ترجمة عمر أبو ناصر، منشورات العباسية، المغرب الأقصى، 2005.
- 59- المدني، أحمد توفيق : حياة كفاح (مذكرات)، الجزء الأول، في تونس 1905 -1925، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.
- 60- المدني، محمد توفيق : حياة كفاح، مع ركوب الثورة الجزائرية، ج3، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ت .
- 61- المدني ، أحمد توفيق: هذه هي الجزائر، ط1 ،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956.
- 62- مراردة ، مصطفى : مذكرات الرائد مصطفى مراردة ابن النوي، قائد بالنيابة للولاية الأولى التاريخية " أوراس النمامشة " من أفريل 1959 الى أفريل 1960، شهادات ومواقف من مسيرة الثورة في الولاية الأولى، إعداد وتحليل : مسعود فلوسي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003.
- 63- محمد زروال : إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية - ولاية الأولى نموذجا - ، طبعة خاصة بمناسبة الذكرى 45 لعيد الاستقلال، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

- 64- محمد زروال : اللمامشة في الثورة، دراسة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ، 2003.
- 65- مؤلف مجهول :المغرب الأقصى، ط1، دار الطباعة لنشر والتوزيع، مصر، د.ت .
- 66- نايت بلقاسم، مولود قاسم: ردود الفعل داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2007.
- 67- الورتلاني، فضيل : الجزائر الثائرة، ط1، بيروت، لبنان، 1956 .
- 68- الوزاني، محمد حسن : حياة وجهاد (مذكرات)، ج2، ط1، بيروت، لبنان، 1982.

ب - المصادر باللغة الأجنبية :

- 1-Abbas ,FARHAT: **Autopsie d'une guerrel'aurore** ,éditions Garnier ,France .1980.
- 2- ATTILO ,GAUDIO :**Rif ,terre marocaine d'épopée et de légende** ,ed ,R, Julliard ,PARIS ,1962 .
- 3-BEN SLIMAN,sliman : **Souvenirs politiques**.COLLECTION mémoire . ED . Cérés productions ; Tunis , 1989.
- 4-BOUDIAF, MOHAMED : **La préparation du 1^{er} Novembre 1954** . COLLECTION EL JARIDA . IMPRIMERIE . S . I . M . PARIS . 1976.
- 5-FAUR, EDGAR : **Mémoires** ; T2 . ED . PLON . PARIS .

- 6-GABRIELLI, Léon : **Abd-el-Karim et les événements du rif 1924-1926** , ED , Atlantides ,Casablanca 1953 .
- 7-HABIB ,BOURGHIBA : **Ma vie , mes idées , mon combat** , secrétariat d' état a l'information , Tunis , 1977.
- 8-HABIB, BOURGUIBA : **la Tunisie et la France** , Tunis M. T . E . 1954 .
- 9-LEBJAOUI, MOHAMED: **vérités sur la Révolution Algérienne** ; ED . GALLIMARD . PARIS 1970 .
- 10- MATHIEU ,ROGER :**Mémoires d' Abd-el-Karim**, ED, **Librairie des champs -Elysées** , Paris , 1927.
- 11- MAHSAS,AHMED ;**LE MOUVMENT REVOLUTIONNAIRE EN ALGERIE DE LA 1ére GUERRE MONDIALE A 1954** .ED L'HARMATTAN .PARIS.
- 12- PIERRE,Fontaine : **Abd-el-Karim origine de la rébellion Nord-Africaine** ,ed les sept couleurs ,Paris 1958.
- 13- Roger ,le Tourneau :**Evolution politique de l'Afrique du Nord Musulmane ,1920 -1960** ,A ,Colin,Paris ,1962 .

ثانيا - المراجع :

أ-المراجع باللغة العربية :

- 1-أفا، عمر : **التجارة المغربية في القرن التاسع عشر :البنيات والتحويلات 1830 - 1912**، مكتبة دار الأمان، الرباط،2006.

- 2- أمين، سмир :المغرب العربي الحديث، ترجمة: كيل داغر ،ط1، دار الحداثة، بيروت 1986.
- 3- ألبير، عياش :المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة : عبد القادر الشاوي ونور الدين سعدوي، ط1، دار الخطابي لطباعة والنشر المغرب، 1985.
- 4- أجيرون، شارل روبير :تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة عيسى عصفور، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982 .
- 5- الإدريسي، علي :عبد الكريم التاريخ المحاصر، ط2، منشورات تيفراز، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2010.
- 6- أمزيان، محمد :محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف 1926 - 1963 ، ط1، منشورات "اختلاف" مطبعة كوثر، الرباط، المغرب، 2002.
- 7- أمطاط، محمد : الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830 - 1962، مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر، ط1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2008 .
- 8- الإدريسي، محمد حمو : الحركة الوطنية في الشمال ودورها في الاستقلال المغرب والجزائر، ط1، مطابع البوغان، 1999 .
- 9- أعراب، مصطفى : الريف بين القصر، جيش التحري وحزب الاستقلال، ط2، مطبعة كوثر، المغرب، 2002.
- 10- إبراهيم، عبد الله : أوراق في ساحة النضال، ط 1 ،دار الكتب، دار البيضاء، المغرب، 1975 .
- 11- لبصري الفقيه، محمد: كتاب العبرة والوفاء، حوار سيرة الذاتية مع الحسن نجمي، ط1، مؤسسة محمد الزرقطوني، دار البيضاء، المغرب، 2002 .

- 12- بن علي العزوي، محمد بن عمر الجزائري: محمد بن عبد الكريم نادرة القرن العشرين في قتال المستعمرين، ط1، دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 2007.
- 13- بن منصور، عبد الوهاب: الحسن الثاني حياته وجهاده ومنجزاته، ج1، ط 1، المطبعة الملكية، د.ت.
- 14- بشيري، أحمد : الثورة الجزائرية والجامعة العربية، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، 2009 .
- 15- برادة، الحسين : مسيرة التحرير، منشورات إفريقيا، الرباط، المغرب، 2000 .
- 16- بشري، أحمد : الثورة الجزائرية والجامعة العربية، ط1، منشورات ثالة، الجزائر، 2009.
- 17- بن يوب، رشيد: دليل الجزائر السياسي، ط1، مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1999.
- 18- بوعزيز، يحيى: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط 1، دار قسنطينة، 1980.
- 19- بوعبيد، الحسن: الحركات الوطنية والظهير البربري، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1979.
- 20- بوتيفالت، الطيب :عبد الكريم الخطابي، حرب الريف والرأي العالمي، سلسلة شراع، طنجة، المغرب، 1997.
- 21- البوعايش، أحمد :حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، ج1، دار الأمل، طنجة، المغرب، 1974.
- 22- بريان، أندري وآخرون : الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة :اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 .

- 23- بلغيث، محمد الأمين :الجزائر في مؤتمر باندونغ مذكرة الشاذلي المكي إلى المؤتمر، دار كتاب الغد، الجزائر، 2007 .
- 24- بروكلمان، كارل :تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة :نية أمين فارس ومدير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1968.
- 25- بوصفصاف، عبد الكريم : الفكر العربي الحديث محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجاً، دار الهدى الجزائر .
- 26- بوحوش، عمار : التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997 .
- 27- البارودي، عبد الله :المغرب الإمبريالية والهجرة، ط1، بيروت، لبنان، 1979.
- 28- بوعزيز، يحي :سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830 - 1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.
- 29- بيرك، جاك وآخرون : الخطابي جمهورية الريف، ترجمة :صالح بشير، ط1، ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980 .
- 30- بن عزوز حكيم، محمد: " موقف شمال المغرب من الاعتداء على العرش يوم 20 غشت 1953، ج 1، تجديد بيعة الشمال للملك محمد الخامس، مطابع الشويخ، 1994.
- 31- بن عزوز حكيم، محمد: بطل جبالة ولد أحميدوا والسكان، مطبوعة علي الأوفيست، تطوان، المغرب، 1982 .
- 32- بن عزوز حكيم، محمد: وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب، ج 1، مطابع الشويخ، تطوان، المغرب، 1980.
- 33- بن عزوز حكيم، محمد: أب الحركة الوطنية المغربية الحاج عبد السلام بنونة : حياته ونضاله، ج4، ط1، الرباط، المغرب، 1996.

- 34- تشانجي، عبد الرحمان : المسألة التونسية والسياسة العثمانية 1881 -1913، ترجمة عبد الجليل التميمي، ط1، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973 .
- 35- نفاسكا، أحمد :تطور الحركة العمالية في المغرب 1914 -1939، ط1، بيروت لبنان، 1980.
- 36- تركي، رابح : التعليم القومي والشخصية الوطنية 1939-1956، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 37- التميمي، عبد الجليل : أضواء جديدة حول شخصيات مغربية : الامير عبد القادر وعبد الكريم الخطابي والحبيب بورقيبة وعلال الفاسي وآخرين، ط1، مؤسسة تميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2010.
- 38- جوليان، شارل أندري :المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، ترجمة محمد مزالي والبشير سلامة، الشركة التونسية لنشر والتوزيع، تونس، 1985.
- 39- جوليان، شارل أندري :إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة :المنجي سليم وآخرون، تونس، 1976.
- 40- جغلول، عبد القادر :تاريخ الجزائر الحديث، ط2، ترجمة، فيصل عباس، دار الحداثة، بيروت، 1982.
- 41- جرمان، عياش :أصول حرب الريف، ترجمة محمد الأمين اليزازو عبد العزيز التسماني خلو، الشركة المغربية المتحدة، الرباط، المغرب.
- 42- جبرو، عبد اللطيف : إيكس لبيان " ملفات وحقائق "، مطبعة إيكسيل برنت، الرباط، المغرب، 2002.
- 43- حربي، محمد : حياة تحدي وصمود، مذكرات سياسية من 1945 الى 1962، ترجمة : عبد العزيز بوبكر، وعلي قسايسية، ط1، دار القصبية، الجزائر .

- 44- حمدان، محمد : أعلام الأعلام في تونس 1860 - 1956، ط1، مركز التوثيق القومي، مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1961 .
- 45- حلوش، عبد القادر : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر 1870/1914م، شركة الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 1999.
- 46- حباسي، شاوش: من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962م، دار هومة، الجزائر، 1998.
- 47- الخطيب، أحمد: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1985.
- 48- الخطيب، أحمد : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 .
- 49- الخطيب، أحمد : حزب الشعب الجزائري ،جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج1، الجزائر، 1985.
- 50- الخزعلي، كفاح كاظم:حزب الإستقلال ودوره السياسي في المغرب 1944-1956، جامعة البصرة، البصرة، 1980.
- 51- الخرفي، صالح : عبد العزيز الثعالبي من أثاره وأخباره في المشرق والمغرب ،خمسون صورة ووثيقة تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1995.
- 52- الخلوفي، محمد صغير : الخطابي في المنفى، مطبعة بني أرناسن، المغرب، د. ت.
- 53- خليدي، محمد وحميد خباش : جهاد من اجل التحرير، الدكتور عبد الكريم الخطيب والدكتور حافظ ابراهيم، منشورا إفريقيا، الرباط، المغرب، 1999.
- 54- خباش، حميد ونجيب كمال : الدكتور عبد الكريم الخطيب، مسار وحياة، تقييم نلسن ماندبيلا، إشراف محمد خليدي، حميد خباش، ط1، مطبعة فبديبرانت، 2001.

- 55- درمونة، يونس : المغرب العربي في خطر، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، مصر، د.ت.
- 56- داهش، محمد علي : الشريف أحمد الريسوني ،حياة وجهاد، دار الحياة، تطوان، المغرب، 1996.
- 57- دايفد، هارت :مقاومتان بربريتان للإستعمارين الفرنسي والاسباني بالمغرب، ط1، غرناطة، إسبانيا، 1996.
- 58- دي لافكا، رفائيل كساسي: ستة قواد من الحرب الأهلية الاسبانية، ط1، مطبعة فينيكس، طوليدو، إسبانيا، 1998.
- 59- الدسوقي، ناهد ابراهيم : دراسات في تاريخ الجزائر، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 2001 .
- 60- رفاعي، محمد علي : الجامعة العربية وقضايا التحرير، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1971.
- 61- روبرت، فورنو : عبد الكريم أمير الريف، ترجمة فؤاد أيوب، دمشق، سوريا، د.ت.
- 62- ريشارد، بنيل :حرب الريف، ط1، غرناطة، إسبانيا، 1996.
- 63- رمضان، عبد العظيم محمد :الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1985 .
- 64- رأفت، الشيخ : تاريخ العرب المعاصر، عن الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، مصر، 1996 .
- 65- زيبب، نجيب:الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس،ج4، ط1، دار الأمير، بيروت، 1995.
- 66- الزبيري، محمد العربي : الثورة الجزائرية في عامها الأول، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984.

- 67- سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر القافي 1830-1954، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- 68- سعد الله، أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 .
- 69- سعد الله، أبو القاسم : الحركة الوطنية الجزائرية 1900/1830م، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
- 70- سعد الله، أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، 1900-1930، ج2، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
- 71- سعد الله، أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية (1930 - 1945)، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- 72- سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
- 73- سعيدوني، ناصر الدين والشيخ بو عمران :معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، الجزائر، 1995.
- 74- سعد، أمين :الدولة الفيدرالية العربية، ج 3، ط1، مطبعة التقدم، القاهرة، 1986 .
- 75- سربول، ألبير :تاريخ الثورة الفرنسية، الترجمة : جورج كوس، ط 3، بيروت، لبنان، 1982.
- 76- سلطان، علي : تاريخ العرب الحديث، منشورات مكتبة طربلس العلمية والعالمية، طربلس، د.ت .
- 77- سلمان، إسماعيل :من القبيلة إلى الأمة ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي، دار التوحيد للنشر، سوريا، 1998 .
- 78- شبر، حكمت :الجوانب القانونية لنضال الشعب العربي من أجل الإستقلال، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1975.

- 79- الشريف، محمد الهادي :تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال، ترجمة محمد الشاوش ومحمد عجيبة، ط3، سراس للنشر، تونس، 1993.
- 80- الشاطر، حليفة وآخرون : تونس عبر التاريخ، الحركة الوطنية ودولة الإستقلال، ج3، مركز الدراسات والبحوث التاريخية، تونس، 2005 .
- 81- الشاوش، محمد بن العربي :أضواء على الحركة الوطنية في شمال المغرب، دار الوحدة الكبرى، تطوان، 1980.
- 82- شرف، عبد العزيز: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991.
- 83- صاري، أحمد: شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004.
- 84- صبحي، حسن :دراسات في تاريخ شمال إفريقيا الحديث والمعاصر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1975 .
- 85- الصغير، عميرة عليه : اليوسفيون وتحرير المغرب العربي، ط1، المغاربة للطباعة، تونس، 2007.
- 86- ضريف، محمد : الأحزاب السياسية المغربية، ط1، دار البيضاء، المغرب، 1988 .
- 87- طوبال، إبراهيم : البديل الثوري في تونس، ط1، بيروت، لبنان، 1979.
- 88- طلاس، مصطفى وبسام العسلي : الثورة الجزائرية، دار الرائد لكتاب، دمشق، 2010 .
- 89- العايب، معمر : مؤتمر طنجة المغربي، دراسة تحليلية تقييمية، ط1، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010.
- 90- عباس، محمد : ثوار عظماء، دار هومة، الجزائر، 2003 .
- 91- عبد الكريم، زكية داود: ملحمة الذهب والدم، ترجمة : محمد الشكري، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 2007.

- 92- العمراني، سعيد : انتفاضة 58 / 59 بالريف كما رواها لي أبي، ط1، مطبعة سليكي أخوين، طنجة، المغرب، 2014.
- العقاد، صلاح : السياسة والمجتمع في المغرب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية ، 1977.
- 93- العقاد، صلاح : المغرب العربي، دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصر الجزائر _ تونس _ المغرب الأقصى، مكتبة الأنكلو المصرية القاهرة ، 1980.
- 94- العربي، إسماعيل : المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
- 95- العلوي، محمد الطيب : مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954، ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1985 .
- 96- العجيلي، التليلي : الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881 - 1939، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992 .
- 97- العمامرة، سعد والجيلالي العوامر : شهداء الحرب التحريرية بواد سوف، مطبعة النخلة، بوزريعة، الجزائر، د.ت.
- 98- غي، برفيلي : النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880 - 1962، ترجمة م.حاج مسعود وآخرون، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007 .
- 99- فارس، محمد خير : المسألة المغربية، مطبعة الجامعة العربية، القاهرة، 1961.
- 100- فركوس، صالح : الملخص في تاريخ الجزائر من العهد الفينيقيين الى الخروج الفرنسيين (814 ق.م - 1962 م)، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2002.
- 101- فلنزي، لوسات : المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790 - 1830، ترجمة :حمدي الساحلي، سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1994 .

- 102- القاضي، محمد عمر :أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي، ط1، مطبعة ديسبريس، تطوان، المغرب، 1981 .
- 103- اللولب، حبيب حسن: التونسيون والثورة الجزائرية، ط1، ج2، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- 104- مادريكا، ماريا روسا :محمد بن عبد الكريم الخطابي، التناقضات الأساسية لتقدم الانثروبولوجي، ط1، غرناطة، إسبانيا، 1996 .
- 105- مادريكا، ماريا روسا: في خندق الذئب معارك المغرب، ترجمة: كنزة الغالي، ط1، مؤسسة الغني للنشر، مراكش المغرب، 2010.
- 106- المالكي، محمد : الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان، 1993.
- 107- مريوش، أحمد : الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط1، دار هومة، الجزائر، 2007.
- 108- المحجوبي، علي :جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934، تعريب عبد الحميد الشابي، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، تونس 1999.
- 109- محجوبي، علي : إنتصاب الحماية الفرنسية على تونس، تعريب عمر بن ضو، حليلة قرقوري، ط2، دار سراس للنشر، تونس، 1993.
- 110- مقالاتي، عبد الله : دور المغرب العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ج2، ط1، دار السبيل، الجزائر، 2009 .
- 111- مقالاتي، عبد الله : أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، منشورات بلوتو، الجزائر، 2010 .

- 112- مناصرية، يوسف : الحزب الحر الدستوري التونسي 1919 -1934، ط1 ندار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988.
- 113- مناصرية، يوسف: الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية (1934- 1937)، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 2002 .
- 114- مريوش، أحمد: دراسة حول: ظروف ومعالم اليقظة الجزائرية 1870-1914م، المدرسة العليا للأساتذة، غير منشورة، الجزائر، 2007.
- 115- المساري، محمد العربي : محمد بن عبد الكريم الخطابي من قبيلة إلى الوطن، ط1، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب، 2012.
- 116- ملحس، رشدي الصالح : سيرة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بطل الريف ورئيس جمهوريتها، ط1، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، د.ت .
- 117- مجموعة باحثين : الخطابي وجمهورية الريف، ط 1، ترجمة :صالح بشير، دار ابن رشد، بيروت، لبنان، 1980.
- 118- مجموعة من أساتذة : لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي الى مصر، الأبعاد والدلالات الوطنية والدولية، ط2، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2011 . .
- 119- مجموعة باحثين : موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (1881 - 1964)، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس، 2008.
- 120- مبارك، زكي : أصول الأزمة في العلاقات المغربية الجزائرية، ط1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2007.
- 121- مبارك، زكي : محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي وإشكالية استقلال المغرب، ط1، منشورات فيديبرانت، الرباط، المغرب، 2003 .
- 122- الملي، محمد : مواقف جزائرية، ط1، مؤسسة الوطنية للكاتب، الجزائر، 1984.

- 123- الميلي، محمد : المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب، ط2، دار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان، 1983.
- 124- وادي، خيرية عبد الصاحب: الفكر القومي العربي في المغرب العربي، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1982.
- 125- الورياشي، العربي : الكشف والبيان في سيرة بطل الريف الأول سيدي محمد أمزيان، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، 1986 .
- 126- الوردغي، عبد الرحيم : خفايا السرية في المغرب المستقل 1956 - 1961، ط 1، دار البيضاء، المغرب، 1982.
- 127- وزارة الإعلام والثقافة (الجزائر) : النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1979.
- 128- يحي، جلال : المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال، ج4، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981 .
- 129- يحي، جلال : عبد الكريم الخطابي، سلسلة أعلام العرب، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، 1968.

ب-المراجع باللغة الأجنبية :

- 1-Agron, Charles robert : **les algériens musulmans et la France** 1871- 1919 ,T2,p.E .F.PARIS. 1968 .
- 2-Ageron, Charles robert: **histoire de l'Algérie contemporaine**(QUE SAIS .JE) P.U.F.7em ,PARIS 1980 .
- 3-Agron,Charles robert :**politiques coloniales au Maghreb** ,édition P ,U .F .PARIS.

- 4-AZOUZ, AZZEDINE:**L'HISTOIRE NE PRADONNE PAS ,TUNISIE , 1932 – 1969** . L'HARMATTAN ; PARIS . 1981 .
- 5-AYACHE ,GERMAIN :**Les origines de la guerre du RIF** .S .M.E.R.Rabat Publications de la sorbonne ,Paris , 1981 .
- 6-BOZAR, NADIR : **ARMI DE LIBERATION NATIONAL MARCAINE (1955 – 1956)** ;pub lised ; 2002 .P 126
- 7-BOUZAR, NADIR :**L'Odyssée de dina** ; ed ; bouchéne .ENAL . ALGER . 1993 .
- 8-BELHOCINE, MABROK : **Courier – Alger –le Caire 1954 – 1956 et le congrès de la soumam dans la révolution** , Casbah , Alger , 2000 .
- 9-Ben Atra, Farouk : **“Si Mohamed Khattabi précurseur du Maghreb »**, OPU, Alger 1991.
- 10- BARDIN .PIERRE :**Algériens et tunisiens dans l'Empire ottoman de 1848 a 1914** ,ED, du CNRS ,Aix –en –Provence ,Paris ,1979 .
- 11- Bourdieu ,Pierre :**Sociologie de l'Algérie** ;Que sais – je .éditions ,PUF ,France .1980 .
- 12- Benjelloun ,Abdelmadjid :**Approches du colonialisme espagnole et du mouvement nationaliste marocain dans l'ex – Maroc khlifien** , rabat , Eds , okad

- 13- Charles, André Julien ; **l' Afrique du nord en marche nationalisme musulmans et souveraineté** .éd.gulliard .France .1972 .
- 14- Claude, collot et Jean Robert Henry : **le mouvement National Algérien .TEXTES ,1912 -1954 ,2em ,ED ,o. P ,u .Algeret Lharmattan ,PARIS 1981 .**
- 15- ELMECHAT, SAMIA :**les chemins vers l'indépendance 1945 -1956 . PUBLICATIONS .L'harmattan . PARIS 1992 .**
- 16- Fanny ,colona: **les institutions algériens 1883-1939 (O.P.U , Alger..)** .
- 17- Harbi ,Mohamed :**le F.L.N MIRAGE ET REALITE ORIGINES A LA PRISE DU POUVOIR 1945 -1962 . JEUN AFRIQUE . PARIS . 1985 .**
- 18- HARBI,MOHAMMED : **les archives de la Révolution Algérienne** ;ed ; J.A.PARIS . 1979 .
- 19- JAQUE, JURQUET :**LA REVOLUTION NATIONAL ALGERIENNE ET LE PARTI COMMUNISTE FRANÇAIS .TOM 2 ,ED CENTENAIRE .PARIS 1974 .**
- 20- Jean ,François Martin : **histoire de la Tunisie contemporaine de Ferry à Bourguiba , 1881 _ 1956 , édition , l' h arm attan ; France , 2003 .**

- 21- kaddache ,Mahfoud: **histoire du nationalisme**, tome 02.S.N.E.D,Alger,1981.
- 22- KARIM, MUSTAPH :**LA CLASSA OUVRIERE TU NISIENNES ET LA LUT DE LIBRATION NATIONAL (1939 – 1952)** .1980 .
- 23- LAROUÏ,ABDELLAH ;**L’HISTOIR DU MAGHREB** ,ED MASPERO ,PARIS ,1970 .
- 24- MAHFOUD ,KADDACHE :**HISTOIRE DE NATIONALISME ALGERIENNE** ,TOME2eme , EDITION ,E.N.A.L. ALGER .
- 25- Mohamed, faroua : **la gauche en France et la colonisation de la tunisie (1881–1914)** ;édition ; l’harmattan ; France .
- 26- MONTAGNE ,ROBERT :**Révolution au Maroc** . PARIS .EDS . France . EMPIRE .
- 27- Philipe ,tripier :**Autopsie de la guerre d’Algérie** ;ed ; France empire . PARIS 1972 .
- 28- REZETTE, ROBERT : **Les enclaves espagnoles au Maroc** ; ED ; NOUVELLES . ED . LATINES . PARIS . 1973 .
- 29- STORA, BENJAMIN : **Algérie – Maroc , histoires parallèles , destins croisés** , ED .BARZAKH . Alger ;2002

ثالثا - الندوات والملتقيات :

أ- باللغة العربية :

1-الإدريس، الرشيد : " كيان المغرب وأفاقه، في بناء المغرب العربي "، (ندوة)، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، 1983 .

2-إدريس، الرشيد : بناء المغرب العربي، ملتقى نظمه مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، أكتوبر 1981، المطبعة العصرية، تونس، 1983.

3-إينزوار، بول :حرب الريف والبرلمان الفرنسي، في خطابي وجمهورية الريف، ندوة بباريس، 18 -20 جانفي 1973، ترجمة :صالح بشير، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1980.

4-التميمي، عبد الجليل : " تحرير المغرب العربي : تقاطع قناعات ومبادئ كل من الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي والزعيم الحبيب بورقيبة "، مداخلة في أعمال المؤتمر الدولي الخامس حول : نهاية حكم بورقيبة والقيادات السياسية العربية بين الصمود والانحدار، منشورات مؤسسة التميمي، 2005.

5-الجابري، محمد عابد : فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من اجل الاستقلال، وحدة المغرب العربي ندوة عقدت، باريس، 1986، ط ، م د و ع، بيروت، 1986.

6-الذهبي، عبد السلام السرجان : " نكرى انطلاقة جيش تحرير المغرب العربي (أكتوبر 1955 - أكتوبر 1956) "، السجان عبد السلام الذهبي، احد أبطال هذه الانطلاقة، يتحدث عن هذا الحدث التاريخي بكل تفاصيل، " ملفات تاريخ المغرب " ، عدد 5، أكتوبر 1996.

7-رؤوف، حمزة : نبذة عن حياة ابراهيم محمد حافظ، ملتقى حول : جيش التحرير المغاربي 1948 - 1955، نظمته مؤسسة محمد بوضياف، تحت إشراف دحو،

جربال الجزائر، 11 - 12 ماي 2001، منشورات مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004 .

8-الزكاري، أسامة : "محمد بن عبد الكريم الخطابي وجيش تحرير المغرب العربي"، ط 1، مؤسسة سيدي مشيش العلمي، الخطابي وحركات التحرير المغاربية، أعمال الندوة المغاربية تخليد للذكرى 48 لوفاة المجاهد عبد الكريم الخطابي، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، فيفري، 2011.

9-الطود، عبد السلام الهاشمي : **جذور التنسيق**، شهادة مؤسس، ملتقى حول : **جيش التحرير المغاربي 1948 - 1955**، نظمته مؤسسة محمد بوضياف، تحت إشراف دحو، جربال الجزائر، 11 - 12 ماي 2001، منشورات مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004 .

10- غاليسو، روني : **مشروع وتنسيق جيش التحرير المغاربي**، ترجمة : لحسن عيساني، ط 1، ملتقى حول : **جيش التحرير المغاربي 1948 - 1955**، نظمته مؤسسة محمد بوضياف، تحت إشراف دحو، جربال الجزائر، 11 - 12 ماي 2001، منشورات مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004 .

11- القاضي، بشير : **"المسيرون المغاربة ، الاتفاق والاختلاف"** ، ملتقى حول : **جيش التحرير المغاربي 1948 - 1955**، نظمته مؤسسة محمد بوضياف، تحت إشراف دحو، جربال الجزائر، 11 - 12 ماي 2001، منشورات مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004

12- مبارك، زكي : " **أزمات المغرب الحاضر كما حذر منها المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي**" ، ط 1، الندوة الدولية المنظمة بالحسيمة حول " **لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي الى مصر، الأبعاد والدلالات الوطنية والدولية**" ، بتاريخ 28 و 29 جويلية 2004، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة فيدايرانت، رباط، المغرب، 2004.

13- المتزكي، نوال : الأحزاب الوطنية المغاربية ومكتب المغرب العربي بالقاهرة، ملتقى حول : جيش التحرير المغاربي 1948 - 1955، نظّمته مؤسسة محمد بوضياف، تحت إشراف دحو، جريال الجزائر، 11 - 12 ماي 2001، منشورات مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004 .

14- مجموعة باحثين : اللجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي الى مصر : الأبعاد والدلالات الوطنية والدولية، ندوة دولية، الحسيمة، المغرب، 2004، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومة وأعضاء جيش التحرير، مطبعة فيد برانت، دار البيضاء، 2004.

15- مروش، منور : المناضلون المغاربة في القاهرة والكفاح المسلح في الجزائر، ملتقى حول : جيش التحرير المغاربي 1948 - 1955، نظّمته مؤسسة محمد بوضياف، تحت إشراف دحو، جريال الجزائر، 11 - 12 ماي 2001، منشورات مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004

16- مهري، عبد الحميد: مسألة الانتقال الى الكفاح المسلح، ملتقى حول : جيش التحرير المغاربي 1948 - 1955، نظّمته مؤسسة محمد بوضياف، تحت إشراف دحو جريال، الجزائر، 11 - 12 ماي 2001، منشورات مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004 .

ب-باللغة الأجنبية :

1- ALEYA, SGHAEIR amira : « les tunisiens et la révolution Algérienne ;1954 -1958 ». IN ACTE DU 1 congrès du forum d'histoire contemporaine sur : méthodologie de l'histoire des mouvements nationaux au Maghreb ;

publications de la fondation temimi pour la recherche scientifique et de l'information (F. T . R . S . I) ; Zaghouan ; septembre 1988 .

- 2- DUCLOS ,JEAN et AUTRES : **les nationalismes maghrébins** , série études maghrébines N DU 7 JUILLET 1996 , fondation nationale des sciences politique ; PARIS .
- 3- -**LA conférence de l' unité Tanger**, (27 /30_04_1958) , Tunisie , secrétariat d' état a l' information , 1958.

رابعاً - الدوريات والصحف (المقالات):

أ-باللغة العربية :

- 1- أمزيان، محمد : "موقف الحزب الاشتراكي الاسباني من حرب الريف 1921 - 1926، مجلة أمل ، عدد 8 ، 1999 .
- 2- " آخر الساعة " المصرية بتاريخ 24 أبريل 1957 .
- 3- " آخر الساعة " مجلة مصرية ، 18 / 7 / 1952 .
- 4- الإدريس ، الرشيد : أربعة رسائل من المرحوم يوسف الرويسي، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 21 / 22 ، تونس، أبريل، 1981 .
- 5- " الأهرام " 3 / 7 / 1947 .
- 6- "الأهرام " 9 / 7 / 1947 .
- 7- " الأهرام " ، بتاريخ 11 / 02 / 1948 .
- 8- " الأهرام " بتاريخ ، 10 / 02 / 1948 .
- 9- " الأهرام " بتاريخ 15 / 02 / 1948 .

- 10- " الأهرام " بتاريخ 10 / 09 / 1947.
- 11- " الأهرام " بتاريخ 6 جانفي 1948.
- 12- " الأهرام " جريدة بتاريخ 20 / 1 / 1949 .
- 13- " الاتحاد " بتاريخ 11 / 02 / 1948 .
- 14- " الاتحاد " بتاريخ 25 / 05 / 1948 .
- 15- " الاتحاد " بتاريخ 4 ديسمبر 1947 .
- 16- "الإتحاد الإسلامي"، جريدة، العدوان الإيطالي على ليبيا، العدد 1، سبتمبر 1911 .
- 17- " الأمانى القومية "جريدة، بتاريخ 25 فيفري 1957
- 18- " الأمانة " مجلة المصرية، ع 3، المجلد 2، جانفي 1948 .
- 19- الاممي، محمد : " عند البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي "، ط 2، مجلة الأمل المغربية، العدد 8 ، 1999 .
- 20- " البلاغ " صحيفة مصرية، 14 / 7 / 1952 .
- 21- "الباحث"، مجلة، اجتماع 22 التاريخي - ندوة -"، عدد 2 ، نوفمبر 1984 ، الجيش الوطني الشعبي، الجزائر .
- 22- بناني، عثمان : " محمد بن عبد الكريم ومسألة إستقلال المغرب "، مجلة الأمل، العدد 8، السنة الثالثة، تصدر ثلاثة مرات في السنة، دار البيضاء، المغرب ، 1996.
- 23- بن جلون، عبد المجيد: "الثلاثة الذين استشهدوا في كراتشي بمناسبة الذكرى الأربعين"، 21 جانفي 1950.

- 24- بن سلطان ، عمار وآخرون : " الدعم العربي للثورة الجزائرية"، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر، 2007.
- 25- بن عبود، أحمد: مكتب المغرب العربي في القاهرة أول نواة للوحدة السياسية المغربية ، مجلة التاريخية المغربية، ع 41 ، 42 ، 1986.
- 26- بن عبود، أحمد: "الجزور التاريخية لوحدة المغرب العربي : مكتب المغرب العربي في القاهرة نموذجا "، مجلة الذاكرة الوطنية، تصدرها المندوبية السامية بالتعاون مع المجلس الوطني المؤقت لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مجلة نصف سنوية، عدد خاص، الرباط، المغرب، 2002.
- 27- بن عبود، أحمد: "وثائق عن بداية نشاط مكتب المغرب العربي في القاهرة " ، المجلة التاريخية المغربية، عدد 25 / 26، جوان 1982، تونس.
- 28- بن منصور، عبد الوهاب: "محمد الخامس والظهير البربري"، مجلة دعوة الحق، العدد 282، الرباط، المغرب ، 1991.
- 29- بلقاسمي، بوعلام : " مكتب المغرب العربي 1942 - 1947 تطور تيار العمل المغربي الموحد بين برلين والقاهرة "، مجلة الذاكرة الوطنية، تصدرها المندوبية السامية بالتعاون مع المجلس الوطني المؤقت لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مجلة نصف سنوية، عدد خاص، الرباط، المغرب، 2002.
- 30- التميمي، عبد المالك خلف : " الإستيطان الأجنبي في الوطن العربي "، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني لثقافة والفنون والآداب، الكويت، جانفي 1978 .
- 31- تركي، عروسية : " عام مرة على وفاته : الطاهر لسود ... بين بورقيبة بن يوسف وعبد الناصر ..أية علاقة ؟ "، مجلة الوطن، تونس، جوان 1997.

- 32- التسماني، عبد العزيز خلوت : " الإحتلال الفرنسي والقصر الكبير"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، العدد 7، الرباط، المغرب، 1982.
- 33- جاني، جاك : " مؤتمّر المغرب العربي سنة 1947 وبداية مكتب المغرب العربي في القاهرة : عملية ابن عبد الكريم"، تعريب احمد بن عبود، المجلة التاريخية المغربية، عدد 25 / 26، جوان 1982، تونس.
- 34- حسن البدوي، محمد : "مذكرات الامير محمد بن عبدا لكريم الخطابي"، دورية كان التاريخية، العدد السابع، مارس 2010.
- 35- حسن البدوي، حسن محمد: " مذكرات الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي"، دورية كان التاريخية، ع 5، قطر، سبتمبر 2009 .
- 36- حربي، محمد : " مؤامرة العموري"، ترجمة : محمد هناد، مجلة نقد، شتاء 2001، عدد 14 / 15، الجزائر.
- 37- " الحقائق " جريدة، بتاريخ 31 أوت 1961 .
- 38- "الحوادث"، العراق، 25 / 11 / 1946 .
- 39- "الحوادث"، جريدة، العراق ، 13 / 2 / 1947 .
- 40- " الحوادث " 3 / 6 / 1947 .
- 41- " الحوادث " 27 / 6 / 1947 .
- 42- " الحوادث " صحيفة عراقية ، 10 / 6 / 1947 .
- 43- الخطابي، سعيد : " جانب من قصة نزول محمد عبد الكريم الخطابي ببور سعيد و هو في طريقه من المنى الى مرسيليا"، في جريدة العلم (يوميّات مغربية)، 16 / 4 / 1995 .

- 44- داهش، محمد علي : "المغرب في مواجهة الاحتلال الاسباني، المنطلقات والأهداف، ثورة الريف نموذجا"، مجلة الفكر السياسي، الأردن، د.ت. .
- 45- دراسات عربية (مجلة لبنانية)، "الجيش المغربي : تركيبه، دوره، أصنافه" ، العدد 11، 9 / 11 / 1973.
- 46- خلوف، عبد المجيد : "الجالية الجزائرية بين المعاناة وأمل العودة"، مجلة الجيش، العدد 165، الجزائر، ديسمبر 1975.
- 47- "الرأي العام" جريدة المصرية، العدد 21 جانفي 1960 .
- 48- "الرأي العام" جريدة، لسان حزب الشورى والاستقلال، يوم 5 / 11 / 1947 .
- 49- ر. ريزيت : "الأحزاب السياسية في المغرب"، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، ط1، نوفمبر 1992، ص 103 .
- 50- الراسي، جورج : "وحدة المغرب من وحدة العرب"، مجلة الحوار، العدد 12 ، ماي 1988.
- 51- رخيلة، عامر : "الثورة الجزائرية والمغرب العربي"، مجلة المصادر، العدد 1 ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جوان 1999 .
- 52- الرويسي، يوسف : "نشاط مكتب المغرب العربي في برلين"، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 7 / 8، جانفي، 1997 .
- 53- الرويسي، يوسف : "نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق"، الحلقة الثانية، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 12 جويلية 1987، تونس.

- 54- الرويسي، يوسف : " نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق"، الحلقة الرابعة، دور مكتب المغرب العربي في دمشق في انعقاد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 15 / 16، جويلية 1979، تونس.
- 55- " الزمان " بتاريخ 31 / 1 / 1949.
- 56- سعد الله، أبو القاسم: "وثائق جديدة عن ثورة عبد المالك الجزائري بالمغرب"، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 1، تونس، جانفي 1970 .
- 57- السياسة المصرية " جريدة، بتاريخ 12 / 09 / 1947 .
- 58- شحاته، إبراهيم حسن: "الحماية في المغرب في ضوء التجربة الاستعمارية بإفريقيا"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن عبد الله، العدد 2،3، السنة 1980.
- 59- شرقي، محمد: "المجتمع الجزائري في تصور فرانز فانون (1953- 1961)، القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية (1954 - 1978)"، ج2، مشروع المجتمع الجزائري في تصورات النخبة السياسية الجزائرية المعاصرة، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، مارس، 2008 .
- 60- "الشعب"، جريدة، العدد 8392، ليوم 1 نوفمبر 1990.
- 61- "الشعب"، جريدة، العدد 7786 ، 7787 ، ليومي 16 - 17 نوفمبر 1988.
- 62- " صوت الشعب " صحيفة مصرية، 6 / 8 / 1956
- 63- "العالم العربي " مجلة مصرية، ع 04 ، 10 جويلية 1948.
- 64- عباس، محمد : " الرائد عبد الرحمان بن سالم، من "دلين داين فو " الى جبال بني صالح"، الشروق اليومي، الجزائر، الأربعاء 11 / مارس 2009 .
- 65- "العلم"، جريدة بالرباط 27 جويلية 2003 .
- 66- "العلم الساسي"، العدد 10 ، أبريل 1983.

- 67- غلاب، عبد الكريم : "من رابطة الدفاع عن مراکش حتى مكتب المغرب العربي"، العالم السياسي، المغرب، عدد 4، أكتوبر 1982 .
- 68- القجيري، محمد : " جيش التحرير المغربي وأحرار الريف، ضحايا القصر ومليشيات حزب الاستقلال"، الحلقة الثانية، جريدة الأخبار، الجزائر، العدد 23 جوان 2005.
- 69- " القبس " بتاريخ 26 جانفي 1951 .
- 70- " القوات المسلحة " مجلة المصرية، العدد 347، فيفري 1960 .
- 71- "المجاهد"، العدد 23، 7 ماي 1958 .
- 72- "المجاهد"، العدد 22 جوان 1959 .
- 73- المجاهد، العدد 23، 7 ماي 1958
- 74- لمعلم، عمر : " دور محمد بن عبد الكريم الخطابي في تأسيس جيش التحرير"، مجلة الذاكرة الوطنية، أشغال الندوتان العلميتان "انطلاق عمليات جيش التحرير بالشمال سنة 1955 : مرحلة تاريخية من الكفاح الوطني" و " جيش التحرير المغربي : النشأة والمسار"، مجلة نصف سنوية، العدد 9، 2012.
- 75- المالكي، المالكي: "تطور الاستعمار الفرنسي لأساليب غزوه للمغرب إلى حدود 1930 م"، مجلة تاريخ المغرب، العدد 7 - 8، الرباط، المغرب، 1994.
- 76- مبارك، زكي : "موقف محمد بن عبد الكريم وعلال الفاسي من مباحثات اكس لبيان"، مجلة وجهة النظر، العدد 40، 41، 2009، السنة الحادية عشر، الرباط، المغرب.
- 77- مبارك، زكي : " المغرب والثورة الجزائرية، دعم شعبي غير محدود ومؤازرة حكومية صريحة"، الذاكرة الوطنية، عدد خاص، مجلة تصدرها المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، أكادال، الرباط، المغرب، 2004.

- 78- "مجلة الثقافة"، العدد 38 ، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر "عدد ممتاز"،
سبتمبر، أكتوبر 1984.
- 79- محساس، أحمد : " عارضت مؤتمر الصومام بسبب قناعات إيديولوجيا ! "
، جريدة الخبر اليومية، العدد 2 / 9 / 1999 .
- 80- "مراكش"، جريدة مغربية، 11 / 6 / 1947
- 81- "المغربية" المجلة، السنة الأولى، العدد 7 ، 1992 . .
- 82- مقالاتي، عبد الله : " عبد الكريم الخطابي والثورة الجزائرية، تجسيد مبادئ
الكفاح المشترك لتحرير المغرب العربي"، المجلة التاريخية المغربية العهد الحديث
والمعاصر، سنوية، مؤسسة التميمي، عدد 132، تونس، جويلية 2008.
- 83- "المقطم" جريدة مصرية، بتاريخ 14 / 4 / 1950 .
- 84- مكتب المغرب العربي، القاهرة، نشرة رقم 35، بتاريخ 25 / 06 / 1947 .
- 85- مهري، عبد الحميد : " أحداث مهدت لفتح نوفمبر"، مجلة الأصالة، السنة
3، ع 22 ، أكتوبر - ديسمبر 1974 ، الجزائر .
- 86- "منبر الشعب" جريدة 3 / 2 / 1949 .
- 87- مياصي، إبراهيم : إرهابات الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1914م ،
مجلة المصادر، العدد 06، الجزائر، 2002، ص128 .
- 88- موسى، إبراهيم : " تجربة الأمير الخطابي"، مجلة دليل الريف الالكترونية
،العدد 12/02/ 2012، مراكش ، المغرب.
- 89- الورتلاني، فضيل : " المجاهدون يعودون من الآخرة"، جريدة الكتلة المصرية
. 1946/3/3

ب-باللغة الأجنبية :

- 1-Aboubekr, Abdssalam ben chouaib : " **les marabouts guérisseurs** " ,REVUE AFRICAINE. VOLUME 51 .Année 1907 ;éd ;jourdan ,libraire , Alger , 1907 .
- 2-**Afrique Française** .Année 36 .N 6. JUIN 1926 .
- 3-Afrique Française .Année 36 .N 7.JUILLET 1926 .
- 4-LADREIT de LACHARRIERE , " **Abd-el-Karim ,instrument et profiteur du Bolchévisme** " , IN REVUE DES SCIENCES POLITIQUES ,4 année , T.XL V III , juillet – septembre 1925 , PARIS .
- 5-**LACTION** .du 16 AVRIL 1956 .
- 6- **Le monde** , 3 /6 / 1947 .
- 7-**LEXPRESS** :DU 19 NOVEMBRE 1955.

خامسا-المحاضرات :

- 1-عبد الله، مقالاتي: " الإحتلال الفرنسي الاسباني للمغرب"، محاضرة رقم : 8، السنة الثانية ماستر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2011 - 2012 م.
- 2-عبد الله، مقالاتي: " السياسية الفرنسية الاسبانية بالمغرب الأقصى"، محاضرة رقم : 04 ، السنة الثانية ماستر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2011 - 2012 م.

3- عبد الله، مقالاتي: **أوضاع المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى**، المحاضرة رقم: 01، السنة الثانية ماستر، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2011 - 2012 م.

سادسا - المذكرات والرسائل الجامعة :

1- أمزيان، محمد سلام: **عبد الكريم الخطابي ودوره في اللجنة تحرير المغرب العربي**

1947-1956، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، 1988.

2- بن عدة، عبد المجيد: **مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي**، رسالة ماجستير، كلية

الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1993.

3- بلقاسم، محمد : **اتجاه الوحدوي في المغرب العربي (1910-1954)**، رسالة

ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1994.

4- بلقاسم، محمد : **وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا 1954-1975**، رسالة دكتوراه في

التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ،

جامعة الجزائر ابن يوسف بن خده، الجزائر، 2009 .

5- حرب، أديب : **التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر الجزائري 1837 -**

1847، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة القديس يوسف، بيروت،

لبنان، 1980.

6- الخزعلي، كفاح كاضم : **حزب الاستقلال ودوره السياسي في المغرب 1944 -**

1956، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 1983.

7- خمري، الجمعي : **حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930) دراسة**

تاريخية وسياسية مقارنة، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة منتوري ،

قسنطينة، 2002.

- 8- خيشان، محمد : مهام الوفد الخارجي بجبهة التحرير الوطني بالقاهرة 1947 -
1957، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001 - 2002.
- 9- رخيطة، عمار : البعد المغاربي للحركة الوطنية الجزائرية 1926 - 1958 ،
أطروحة دكتوراه، قسم العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 1997 .
- 10- شايب، قدارة : الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري
1934 - 1954 دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة منتوري،
قسنطينة، 2007 .
- 11- شوبتام، أرزقي :نهاية الحكم التركي في الجزائر وعوامل انهياره 1800- 1830
،رسالة ماجستير، التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية
،مصر، 1988 .
- 12- صفوان ، ناظم داوود حسن: العراق وقضية التحرر والاستقلال المغربي 1921
- 1951، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، 2001 .
- 13- القطان، لقمان صالح أحمد: سياسة فرنسا تجاه البربر وأثرها في الحركة الوطنية
المغربية 1930 - 1936، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق،
1987، ص 36.
- 14- معزة، عز الدين :فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة
1899 - 2000، رسالة الدكتوراه، 2009-2010، كلية العلوم الإنسانية
والإجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ.
- 15- معزة ، عز الدين : فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية و مرحلة الاستقلال
1889 - 1985، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة
منتوري قسنطينة، قسم التاريخ، 2005.

- 16- مقالاتي، عبد الله : العلاقات الجزائرية - المغاربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية (1954 - 1962)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة قسنطينة، 2007 - 2008.
- 17- يعيش، محمد : المهاجرون الجزائريون ودورهم في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر (1930_1962)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2009_2010 .

الفهارس

- فهرس الأعلام -

- أ -

155-122-121-120-119-101	الأمير عبد القادر
-160-159-158-157-156-155 161	الأمير عبد المالك
-271-260-231-130-129-126 434	أحمد بن عبود
382-381-323-277	أحمد مزغنة
-316-307-306-296-256-13 -346-345-334-333-331-324 -393-389-387-361-360-347 468-467-466-455	أحمد بن بلة
490-190-162-86-85-64	أحمد الريسوني
489-434-271-245	أحمد بن المليح
438-435-54-53	أحمد توفيق المدني
- ب -	

382-381-128	البشير الإبراهيمي
- ج -	
-361-360-346-331-314-14 -489-480-432-429-428-375 456-453-366-324-298	جمال عبد الناصر
-152-84-83-81-79-68-66 169-159	الجنرال يوتي
168-167-164-163	الجنرال سلفستر
283-203-202	جنرال جوان
463-416-89	الجنرال ديغول
141-125-124	جمال الدين الأفغاني
- ح -	
63	الحسن الأول
-335-330-271-249-243-240 436	الحبيب ثامر
-277-271-269-249-228-226 -319-313-312-299-295-294 -434-414-407-404-403-343 446-442-438-435	الحبيب بورقيبة

366-365-332-298	حمادي الريفي
- د -	
456-453-366-324-298	ديدوش مراد
- ر -	
-249-245-244-241-240-13 256	رشيد الإدريسي
- ز -	
304-13	زكي مبارك
- س -	
162-84-83-66-65-63-62	السلطان عبد الحفيظ
- ص -	
-354-353-336-331-300-297 -406-404-399-359-358-357 448-446-445-438442-437	الصالح بن يوسف
62	صالح عبد الحفيظ
- ط -	
323	الطاهر قنينة
-361-360-359-358-355-346	الطاهر الأسود

406-405-364-363-362	
- ع -	
255-245-231-229-228-226	عبد المجيد بن حلون
126-53	عبد الحميد الثاني
183-182	عبد الله العروي
346-335-333-324-316	العربي بن مهدي
-332-324-323-299-298-297 477-452	عبد الحميد مهري
57-56-52-51	عبد العزيز الثعالبي
55-50	علي باش حامبة
195-178-91-87	عبد السلام بنونة
-232-230-229-228-91-87 234	عبد الخالق الطريس
-201-200-178-88-87-14 -271-230-229-228-226-223 -366-333-331-313-299-297 -407-389-386-382-379-371 -471-470-439-434-412-408	علال الفاسي

494-486-474-473-472	
-230-229-223-183-182-178 295-294-255-251-245	عبد الكريم غلاب
- ف -	
382-381-249-247-246-244	فضيل الورتلاني
-371-367-362-360-331-14 469-468-467-429-399	فتحي الديب
369-368-355-354-309	فرحات حشاد
471-400-110-106	فرحات عباس
- م -	
490-431-429-144-86-13	محمد أمزيان
13	محمد الحامدي
244	محمد الأخضر حسين
	محمد بن عمر
434-271	محمد العربي
141-124	محمد عبده
-232-230-229-228-91-87 234	محمد نصري

441-382-369-345-269	مصالي الحاج
260-232-229-226	الملك فاروق
-481-441-324-300-219-13 531-509-503	امحمد عبد الكريم الخطابي
-87-18-14-10-9-8-7-3-1 -139-136-135-134-133-91 -147-146-145-142-141-140 -154-153-152-151-150 -167-165-164-160-159-155 -183-182-181-172-169-168 -221-220-207-204-190-184 -233-231-230-229-228-224 -288-282-271-258-240-234 -313-311-310-307-304-295 -454-437-426-423-418-384 -489-486-482-480-479-457 496-493-491-490	محمد بن عبد الكريم الخطابي
482-471-432-277	مهدي بن بركة
-453-331-320-316-311-308 466-455	محمد حمادي العزيز

400-399-396-315	مصطفى الأكل
269-434-271	محمد اليمني الناصري
-381-366-331-324-323-256 368-466-461-448-383-382	محمد خيضر
-335-333-332-324-298-14 -389-379-370-351-350-346 525-453-452	محمد بوضياف
456-390-334	مصطفى بن بولعيد
304	محمد الخوجة
430-264-88-87	محمد بن الحسن الوزاني
-197-193-192-90-89-88-13 -300-299-229-223-220-201 -411-407-384-369-368-333 -444-438-432-418-416-412 481-480	محمد الخامس
- ه -	
398-397-373-315	هواري بومدين

- ي -

-312-273-249-243-241-240	يوسف الرويسي
-442-436-377-348-336-313	
528	

- فهرس الأماكن والبلدان -

- أ -

<p>-112-109-99-96-61-35-28 -240-198-161-157-152-150 360</p>	<p>أوروبا</p>
<p>-153-150-149-89-62-61-60 406-243-241-240-157-156</p>	<p>ألمانيا</p>
<p>486-241-99-60-55-52-36-35</p>	<p>إيطاليا</p>
<p>491-484-273-171</p>	<p>أمريكا</p>
<p>-64-63-62-61-60-59-58-12 -143-139-137-99-67-66-65 -153-152-151-148-147-144 -169-164-163-162-161-154 -207-205-204-197-180-170 -237-233-232-228-225-213 -281-274-264-263-253-243 -342-334-333-295-283-282 488-487-431-428-371</p>	<p>إسبانيا</p>

366-261	الإسكندرية
368	الإسماعيلية
-52-51-48-39-35-16-12-9-8 -214-203-171-156-127-99 -237-235-234-227-221-219 -246-245-244-242-241-239 -274-271-263-249-248-247 -341-327-290-288-284-281 -377-376-373-358-348-346 -419-409-408-403-385-380 -459-458-457-450-448-440 -486-484-476-464-463-461 495-487	إفريقيا
- ب -	
291-290-228	باكستان
-235-221-206-196-161-97-51 356-247-242-241-239-236	باريس
236-235-229-228-226	بور سعيد

246	بيروت
352-350-349-318	بن غازي
291-152-95-66-60-59	بريطانيا
-243-242-241-240-239-157 254-252-244	برلين
469-468-467-42-24-23	برقة
486-359-311-255	بغداد
354-43-34-24	بنزرت
- ت -	
394-392	تبسة
-18-17-15-12-11-10-8-3-1 -27-26-25-24-23-22-21-20 -35-34-33-32-31-30-29-28 -44-42-41-40-39-38-37-36 -56-54-53-51-50-49-48-47 -157-89683-77-70-65-59-57 -228-222-216-213-206-186	تونس

-253-252-249-248-246-240
-279-271-270-268-257-256
-298-297-296-294-293-283
-308-307-306-305-300-299
-320-319-318-317-316-314
-326-325-324-323-322-321
-336-335-334-332-331-330
-353-350-348-347-346-345
-359-358-357-356-355-354
-365-364-363-362-361-360
-383-379-373-369-367-366
-391-390-388-387-385-384
-400-397-396-394-393-392
-407-406-405-404-403-402
-424-420-419-415-414-412
-440-438-437-434-429-426
-446-445-444-443-442-441
-454-453-451-450-448-447
-462-461-460-459-458-455
-476-475-474-469-466-464
496-495-494-493-477

410-114-1	تلمسان
215-148-117-56-51	تركيا
- ج -	
-17-15-14-12-11-10-8-3-1 -28-27-26-23-22-21-20-18 -41-40-39-38-34-32-31-29 -81-77-72-61-59-56-47-42 -98-97-96-95-94-89-84-83 -104-103-102-101-100-99 -110-109-108-107-106-105 -116-115-114-113-112-111 -122-121-120-119-118-117 -128-127-126-125-124-123 -158-157-156-155-130-129 -205-186-167-161-160-159 -247-246-242-241-216-213 -255-253-252-251-249-248 -271-270-269-268-257-256 -296-293-283-279-278-273 -307-306-305-300-299-298 -317-316-315-314-312-308	الجزائر

-323-322-321-320-319-318	
-332-330-329-326-325-324	
-345-337-336-335-334-333	
-353-352-351-350-347-346	
-363-362-361-360-359-356	
-369-368-367-366-365-364	
-375-374-373-372-371-370	
-382-381-380-379-378-377	
-388-387-386-385-384-383	
-403-399-396-394-393-389	
-415-414-412-410-409-407	
-425-424-423-422-420-417	
-433-432-430-429-428-426	
-446-445-444-443-438-434	
-453-452-451-450-448-447	
-459-458-457-456-455-454	
-465-464-463-462-461-460	
-471-470-469-468-467-466	
-477-476-475-474-473-472	
-493-488-487-482-481-478	
496-495-494	

494-287-236-221-220-209-8	جزيرة لارينيون
- د -	
-359-348-336-246-240-155 436-409	دمشق
-351-325-309-80-73-72-62 371-369	الدار البيضاء
- ر -	
-75-64-49-16-15-11-10-9-8 -134-133-103-91-87-86-76 -152-150-148-146-145-144 -161-160-159-158-155-153 -169-166-165-164-163-162 -174-173-172-171-170 -182-181-179-178-177-175 -206-205-204-190-184-183 -264-258-237-227-213-208 -311-304-298-293-283-266 -408-380-352-351-347-313 -430-428-427-426-422-412 -455-453-441-433-432-431	الريف

-493-488-487-484-481 -464 496	
-351-178-91-84-80-73-72-62 489-476-430-420-419	الرباط
- س -	
454-334	سويسرا
383-362-354-47-38-36	سوسة
436-317-314-312-273	سوريا
- ص -	
-354-353-45-44-38-36-25 446-362	صفاقس
- ط -	
-366-362-361-306-296-17 -468-467-466-455-379-368 469	طرابلس
-155-67-65-63-61-60-59-17 -286-281-223-220-162-156	طنجة

477-476-470-399	
- ع -	
-314-312-311-309-308-215 -352-349-330-327-317-315 495-451-436-398-386-372	العراق
	عمان
- ف -	
-139-137-91-84-83-80-63-62 -202-192-179-178-160-141 431-411-374-325-207	فاس
-284-255-248-240-226-200 -348-320-311-306-286-285 369-349	فلسطين
-45-40-28-27-24-21-20-12 -61-60-59-57-56-53-51-47 -76-75-67-66-65-64-63-62 -96-95-94-89-88-86-82-79 -104-103-102-101-100-99-98 -116-114-112-111-106-105	فرنسا

<p>-152-151-150-143-126-125 -161-160-158-157-156-153 -202-201-186-172-170-162 -209-208-207-206-205-204 -219-216-215-214-213-210 -228-224-223-222-221-220 -242-240-237-236-235-232 -253-252-249-248-244-243 -283-282-281-274-264-263 -322-321-304-300-295-288 -357-356-353-335-334-326 -380-378-371-370-359-358 -407-403-402-389-385-384 -422-421-419-418-417-416 -440-436-428-426-425-424 -458-447-446-445-443-441 -475-474-472-470-463-460 495-486-481</p>	
<p>287-235-215</p>	<p>الفيتنام</p>
<p>- ق -</p>	

<p>-223-221-215-209-208-16-13 -231-230-229-228-227-226 -240-239-237-236-235-234 -252-251-250-245-244-243 -261-260-259-258-255-254 -277-274-273-271-268-267 -290-289-288-287-284-283 -311-307-302-298-294-293 -328-323-316-314-313-312 -346-336-333-331-330-329 -361-360-359-350-349-348 -379-371-368-367-366-362 -394-393-391-389-386-381 -412-407-402-400-399-398 -438-436-435-434-433-423 -489-463-458-457-450-446 495-494-490</p>	<p>القاهرة</p>
<p>354-48-47-46-44-41-25</p>	<p>القيروان</p>
<p>-130-121-115-114-100-22 453-397-189-197-247</p>	<p>قسنطينة</p>
<p>- ل -</p>	

-320-318-316-60-52-51-32 -366-359-352-349-334-333 -467-466-405-393-368-367 480	ليبيا
403-398-290-273	لبنان
- م -	
475-409	موريتانيا
-143-142-140-139-67-63-58 -151-148-147-146-145-144 -168-163-160-159-153-152 209-174	مليلة
-155-115-96-60-59-14-12-8 -231-230-229-228-226-223 -246-237-236-235-234-232 -260-258-252-249-248-247 -298-291-276-267-265-263 -315-314-310-307-305-301 -330-328-327-320-317-316 -352-349-346-344-343-335 -371-368-361-360-358-354	مصر

<p>-396-390-387-382-375-373 -436-431-428-421-400-399 -459-454-451-450-446-441 -484-481-479-468-467-464 495-491-489</p>	
<p>43-24</p>	<p>ماطر</p>
<p>-140-84-83-80-76-69-66-65 -163-162-158-156-153-152 -245-242-241-228-210-171 -255-253-251-249-248-246 -335-332-331-330-308-293 -368-367-365-360-359-353 -378-375-374-373-371-369 -458-429-411-410-409-397 490-487</p>	<p>مراكش</p>
<p>-141-126-125-124-117-48 -268-253-246-227-198-156 -349-341-319-317-311-305 432</p>	<p>المشرق العربي</p>
<p>-16-15-14-13-11-10-9-8-7-3 -58-39-34-21-20-19-18-17</p>	<p>المغرب العربي</p>

-158-157-131-95-89-87-70	
-219-218-186-185-184-167	
-229-228-227-226-222-221	
-240-239-238-234-231-230	
-246-245-244-243-242-241	
-252-251-250-249-248-247	
-258-257-256-255-254-253	
-264-263-262-261-260-259	
-270-269-268-267-266-265	
-276-275-274-273-272-271	
-283-282-281-280-278-277	
-291-289-288-287-286-284	
-298-296-295-294-293-292	
-304-303-302-301-300-299	
-311-309-308-307-306-305	
-318-317-316-315-314-312	
-324-323-322-321-320-319	
-330-329-328-327-326-325	
-336-335-334-333-332-331	
-344-343-342-341-340-339	
-350-349-348-347-346-345	
-357-356-355-353-352-351	

-363-362-361-360-359-358 -3714-370-368-367-366-365 -378-377-376-375-374-373 -387-386-385-384-383-380 -408-404-403-402-399-389 -421-420-414-412-411-409 -436-435-434-433-423-422 -443-442-441-440-439-437 -450-448-447-446-445-444 -457-455-454-453-452-451 -464-463-462-461-460-458 -473-472-471-470-469-468 -480-479-477-476-475-474 -493-487-486-485-484-483 496-495-494	
430-379-371-335-196-156	مدريد
345-59	مغنية
341-138	المغرب الكبير
-20-18-17-16-15-12-11-10-3 -71-70-69-63-62-61-58-34	المغرب الأقصى

-133-96-93-88-83-80-77-76 -163-162-158-156-154-141 -220-202-181-179-178-164 -257-255-252-251-237-229 -333-332-326-324-317-265 -352-351-350-346-345-334 -383-373-370-369-368-365 -412-411-407-403-387-384 -423-422-419-417-415-414 -462-461-460-438-434-432 -480-479-476-475-474-469 493-490-486	
418-272-225-207	مدغشقر
- ه -	
-289-288-287-272-208-21 491-356-320-306-290	الهند الصينية
- و -	
369-204-72-62-61-59	وجدة
-346-115-116-112-100-99 453-384-372-352-347	وهران

- فهرس الهيئات والأحزاب والنوادي -

- أ -

357

الاتحاد العام التونسي للشغل

446

اتحاد المغرب العربي

- ج -

245

جبهة الدفاع ع شمال افريقيا

-383-382-381-373 -363 -361
-461 -456 -448 -447- 446-445
-474 -473-471 -470 -465 -463
477

جبهة التحرير الوطنية

-245-244-239-234-227-16
249-248

جبهة الدفاع عن شمال افريقيا

-286-259-17-16-13-11-10-9
-308-307-306-305-304-302
-328-327-325-317-316-3101
-358-353-351-345-344-333
-373-371-370-367-365-361
-409-385-384-380-377-375

جيش تحرير المغرب العربي

-422-417-415-412-411-410 495-468-461-433-423	
361-367-358-355	جيش التحرير التونسي
409-408-370-369	جيش تحرير المغرب العربي
-396-392-314-306-380-367 397	جيش تحرير الوطن الجزائري
-259-258-239-219-16-10-9 -276-273-272-270-268-267 -284-282-281-280-278-277 -306-300-296-293-287-286 -329-328-324-318-311-309 -335-334-333-332-331-330 -358-349-347-343-342-336 -423-421-384-378-370-365 -444-442-441-437-436-434 -484-457-455-454-450-445 495-494	جبهة تحرير المغرب العربي
-257-253-251-248-239-227 .458-368-367-366-284-270	الجامعة العربية

381	جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
- ح -	
-295-269-268-253-251-457 -326-323-322-321-299-297 -357-356-355-353-336-330 -440-405-403-400-378-359 477-471-470-446-441	الحزب الدستوري الحر الجزائري
402-269-441-403	حزب الدستوري القديم
-298-296-269-253-251-241 452-345-332-329	حزب الشعب الجزائري
-255-251-230-222-202-92-90 -330-325-300-299-297-269 -381-375-370-369-358-331 -412-409-408-386-385-382 -459-432-431-428-427-418 475-471-420-463-461-460	حزب الاستقلال (المغرب الأقصى)
-332-330-329-323-296-255 297-457	حركة انتصار الحرية الديمقراطية
- م -	

<p>-307-268-261-251-249-239 321</p>	<p>مؤتمر المغرب العربي</p>
<p>-229-226 -219-16-13-10-9 -241-240-239-238-234-230 -252-250-249-244-243-242 -259-258-257-256-255-254 -293-276-268-262-261-260 -343-336-330-329-328-244 -476-454-450-436-434-334 .494-485-474-477</p>	<p>مكتب المغرب العربي</p>
<p>- ن -</p>	
<p>269</p>	<p>نجم شمال افريقيا</p>
<p>- ه -</p>	
<p>-278-277-264-253-249-248 495-389-342-300</p>	<p>هيئة الأمم المتحدة</p>

- فهرس الموضوعات -

18-6	المقدمة
131-19	الفصل التمهيدي : أوضاع المغرب العربي مع مطلع القرن العشرين
57-21	المبحث الأول : أوضاع تونس
39-21	أولا: الاحتلال الفرنسي لتونس
57-40	ثانيا : ردود فعل التونسيين (المقاومة المسلحة والسياسية)
93-58	المبحث الثاني : أوضاع المغرب الأقصى
82-58	أولا : الحماية المزدوجة على المغرب الأقصى وأثاره
93-83	ثانيا : ردود فعل المغرب الأقصى (مقاومة المسلحة والسياسية)
131-94	المبحث الثالث : أوضاع الجزائر
118-94	أولا : أثار الإحتلال الفرنسي على الجزائر
131-119	ثانيا : ردود فعل الجزائريين (المقاومة السياسية والنخبة)
217-132	الفصل الأول : عبد الكريم الخطابي وثورة الريف
154-134	المبحث الأول : مولد ونشأة عبد الكريم الخطابي
138-134	أولا : شجرة نسب الخطابي

142-139	ثانيا : مولده ونشأته
148-143	ثالثا: بداية اتصال آل الخطابي بالإسبان
154-149	رابعا : توتر العلاقة بين عبد الكريم الخطابي و الإسبان
177-155	المبحث الثاني :مقاومة الريف
161-155	أولا : تأثير الخطابي بثورة عبد المالك الجزائري
167-162	ثانيا : تجربة حرب الريف
171-168	ثالثا : معركة أنوال الكبرى
177-172	رابعا : جمهورية الريف
203-178	المبحث الثالث : المغرب بعد حرب الريف
180-178	أولا : نشأة الحركة الوطنية
184-181	ثانيا : الحركة الوطنية ومقاومة الريف
194-185	ثالثا : السياسة البربرية وموقف الاحتلال (الظهير البربري)
203-195	رابعا : تكوين الأحزاب السياسية
217-204	المبحث الرابع : الخطابي في المنفى
207-204	أولا : نهاية حرب الريف ورحلة المنفى
212-208	ثانيا : حياته في المنفى
217-213	ثالثا : محاولات هروبه من المنفى

302-218	الفصل الثاني : الخطابي ولجنة تحرير المغرب العربي
238-220	المبحث الأول : لجوء الخطابي للقاهرة وصداه
224-221	أولا : ملابسات نقل ونزول الخطابي بالقاهرة
233-225	ثانيا : عملية النزول وموقف إسبانيا منها
238-234	ثالثا : صدى نزول الخطابي بالقاهرة
259-239	المبحث الثاني : النضال المغاربي المشترك قبل تأسيس اللجنة تحريرالمغرب العربي
243-240	أولا : مكتب المغرب العربي في برلين
250-244	ثانيا : جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية 1944
254-251	ثالثا : مؤتمر المغرب العربي
259-255	رابعا : مكتب المغرب العربي
280-260	المبحث الثالث : تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي
267-266	أولا : نشاط الأمير قبل تأسيس اللجنة
275-268	ثانيا : ميلاد لجنة تحرير المغرب العربي
280-276	ثالثا: أهداف ومبادئ لجنة تحرير المغرب العربي
302-281	المبحث الرابع : نشاط لجنة تحرير المغرب العربي
286-281	أولا : نشاط اللجنة على الصعيد المغاربي والعربي

292-287	ثانيا : نشاط اللجنة على الصعيد الخارجي (دوليا)
302-293	ثالثا : معركة الإستقلال بين الكفاح المسلح والعمل السياسي
413-303	الفصل الثالث : عبد الكريم الخطابي وجيش تحرير المغرب العربي
327-305	المبحث الأول : نشأة جيش تحرير المغرب العربي
310-305	أولا : ميلاد جيش تحرير المغرب العربي
317-311	ثانيا : تكوين الفرق الأولى لجيش تحرير المغرب العربي
327-318	ثالثا : الإتصالات التمهيدية لوحدة الكفاح المغاربي المشترك
352-328	المبحث الثاني : الجهود التنظيمية لجيش تحرير المغرب العربي
337-328	أولا : الجهود التنسيقية بين لجنة تحرير المغرب العربي والمناضلين الثوريين لتفعيل الكفاح المسلح
344-338	ثانيا : خطة الحرب التحريرية
352-345	ثالثا : أهم الشخصيات الداعمة للكفاح المغاربي المشترك
383-353	المبحث الثالث : نشاط جيش تحرير المغرب العربي
364-353	أولا : جيش تحرير المغرب العربي في تونس
376-365	ثانيا : جيش تحرير المغرب العربي في المغرب الأقصى
383-377	ثالثا : الثورة الجزائرية وتفعيل الكفاح المغاربي المسلح
413-384	المبحث الرابع : تهميش وتصفية عناصر الكفاح المشترك

388-384	أولاً : عوامل فشل إستراتيجية الكفاح المسلح
401-389	ثانياً : تهميش وتصفية عناصر الكفاح المشترك في الجزائر
407-402	ثالثاً : تهميش وتصفية عناصر الكفاح المشترك في تونس
413-408	رابعاً : تهميش وتصفية عناصر الكفاح المشترك في المغرب الأقصى
491-414	الفصل الرابع : عبد الكريم الخطابي وإستقلال بلدان المغرب العربي
433-416	المبحث الأول : عبد الكريم الخطابي وإستقلال المغرب الأقصى
422-416	أولاً : الخطابى ومباحثات إكس لبيان
426-423	ثانياً : الخطابى واستقلال المغرب
433-427	ثالثاً : الخطابى وثورة الجلاء في الريف 1958
449-434	المبحث الثاني : الخطابى وإستقلال تونس
439-435	أولاً : التحالف الاستراتيجى لكل من الامير الخطابى والزعيم بورقيبة
443-440	ثانياً : موقف الخطابى من إستقلال تونس
449-444	ثالثاً : المساعى او الخيار القطرية في تونس (تبني سياسة واقعية)
478-450	المبحث الثالث : دعم الخطابى للثورة الجزائرية
456-450	أولاً : الخطابى وتحضيرات اول نوفمبر
465-457	ثانياً : الخطابى واستمرارية دعمه للثورة الجزائرية
469-466	ثالثاً : توجيهات الخطابى في إستحداث قواعد خلفية بطرلس

478-470	رابعاً : مؤتمر طنجة وخيار إيديولوجيات الخطابي في دعم الثورة لجزائر
491-479	المبحث الرابع : وفاة وأثار الامير عبد الكريم الخطابي
482-479	أولاً : مسألة عودة الخطابي للمغرب
488-483	ثانياً : مواقف وشهادات عن عبد الكريم الخطابي
491-489	ثالثاً : وفاته وأثاره
496-492	الخاتمة
530-497	الملاحق
571-531	قائمة المصادر والمراجع
606-572	الفهارس

تمت بحمد الله

ملخص :

عاش الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي كل حياته رافضا لكل الصور وأشكال الاستعمار ومدافعا للأقطار المغاربية، وداعيا لتحريرها حتى وفاته سنة 1963، ومنه ان دور الذي لعبه الأمير عبد الكريم الخطابي في تحرير اقطار المغرب العربي لم يكن مجرد حبر على ورق أو خطب منبرية رنانة فقط، بل كانت مجهودات وتضحيات عملية جسدها على أرض الواقع وذلك بشهادة القوى الإمبريالية الكبرى في حد ذاتها.

:Abstract

El-Amir Muhammad Ibn 'Abd El-Karim El-Khattabi had spent his entire life rejecting all forms of colonialism, defending on the Maghreb Countries and calling to liberate them until his death in 1963. The role he played in liberating The Maghreb countries was not mere ink on paper or just resonant speeches on the rostrums; indeed, his role was practical efforts and sacrifices that were embodied on the ground and that is with the acknowledgement of the major imperialist powers in their own right.

Résumé :

El-Amir Muhammad Ibn 'Abd El-Karim El-Khattabi a vécu toute sa vie en refusant toutes formes de colonisation , en défendant le grand Maghreb et en appelant à le libérer jusqu'à sa mort en 1963 donc le rôle de l'emir 'Abd El-Karim El-Khattabi n'était pas que des paroles ou des sermons résonants mais il était des efforts et des sacrifices qu'il a fait réellement et les grands forces impérialismes les ont attesté.